الجامعة الاردنية

كليـــة الآداب ـ قسـم التـاريـــخ

التاريخ السياسي لمدينة طليطلة في ظل الحكم الاسلامـي

(٩٢ — ٤٧٨ هـ)

اعداد : هاشم عبد الرؤوف محمد مصطفى أبو ملوح

٢٢ جمادى الاخره/ ١٤٠٨ هـ

/ ١٠ — ٢ — ١٩٨٨م

باشراف : الاستاذ الدكتور محمد عبده حتاملـــة

(قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

التاريخ بكلية الاداب في الجامعة الاردنية).

بسم الله الرحمن الرحيم

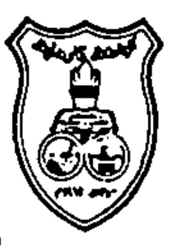
الجامعة الاردنية

كليـــة الآداب

FACULTY OF ARTS - UNIVERSITY OF JORDAN

Amman - Jordan عمان - الاردن

قسم التاريـــخ



الرقم ....

التاريخ ....هـ

الموافق ١٩٨٨/٢/٢٧

الأستاذ رئيس قســم التاريـــــخ

تحية واحتـــراما ، وبعـــد ،

في الساعه التاسعه من صباح يوم السبت الموافق ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ ، اجتمعـــت اللجنة المكونـــه مـــن :-

١)	الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله (المشرف)	رئيســـا
٢)	الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبـــه	عضـــوا
٣)	الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري	عضـــوا
٤)	الدكتور صالح أبو دياك (جامعة اليرموك)	عضـــوا

لمناقشة رسالة الماجستير المقدمه من الطالب هاشم عبد الرؤوف أبو ملـــــوح بعنوان " التاريخ السياسي لمدينة طليطله في ظل الحكم الاسلامي".

وبعد المناقشة والتداول توصي اللجنة بمنح الطالب هاشم أبو ملوح درجــــة الماجستير في التاريـــخ والتوصيه بنشر رسالته المذكوره اعلاه .

د . صالح أبو دياك   د . عبد العزيز الدوري   د . عبد الكريم غرايبه   د . محمد حتامله

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتمد في اعداد خرائط هذا البحث على الخرائط الموجودة في الكتب والنشرات التالية :-

- حتاملة ، د. محمد عبده ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني .

- الحجي ، د. عبد الرحمن علي ، مع الأندلس لقاء ودعاء .

- وزارة السياحة والمواصلات الاسبانية ، خارطة اسبانيا ومقاطعة طليطلة ، وصورة المدينة .

- بالاضافة الى اجتهادات الباحث في توقيع بعض المواقع والمدن بمساعدة الرسام يوسف عبيد .

الاهداء

الى ذلك القلب الكبير الذى وسعني بحبه وأحاطني بعطفه ووده
الى جدتي الحبيبة اهدى هذه الدراسة ، ......

هاشم

شكر وامتنـــان

يطيب لي أن أتوجه بعظيم شكرى وعميق امتناني ، وبالغ تقديرى لاستاذى الكبير المربّي الفاضل والمشرف المتميّز الاستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة الذى كان لـــه الفضل الأول بتوجيهه السديد وعمله الدوؤب ، وجهده المتواصل في الاشراف على هـــذه الدراسة منذ ان كانت فكرة تراود عقل الباحث الى أن اصبحت بحثا قائما فـــــي حيّز الوجود .

فقد كان للاستاذ المشرف دور رئيس في اخراج هذا البحث فقد كان المرجع الـذى استندت اليه عندما واجهتني الصعوبات واعترضت طريقي العقبات ، فلا يفوتني أن اسجل للاستاذ المشرف اسلوبه المتميّز والمثمر في الاشراف على هذه الدراسة حيث كان يترك لي مجال البحث والكتابة بحريّة تامة ، وثقة بالنفس مما كان له من أثر واضح علـى اسلوبي في البحث والدراسة .

كما لا يسعني الا الاعتراف بفضل أهل الفضل وذلك لما بذله استاذى المشرف مـــن جهد وعناء وصبر على مواصلة اشرافه على دراستي فقد كان لا يضن عليّ بوقته المخصص لاسرته رغم تطاولي على وقته والتزاماته ، كما كان قد تكرم عليّ بفتح مكتبته الخاصة ذات القيمة الادبية والعلمية العالية لأنهل من مصادرها ومراجعها النادرة كثـــيرا مما حواه البحث .

كما كان الفضل الكبير في قيامه بواجبات غيره حيث كان يقوم بمساعدتي فـــي ترجمة بعض نصوص المراجع الاسبانية الى اللغة العربية ممّا أثرى هذا البحث بوجـود المراجع الاسبانية فيه .

شكر وتقدير

يسرني ان اتقدم من الاستاذين الجليلين الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى والاستاذ الدكتور عبد الكريم الغرايبة ببالغ تقديرى وعظيم امتناني على مابذلاه ويبذلانه من عمق المعرفة وسعة الاطلاع ودقة البحث وسداد التوجيه لطلبة الدراسات العليا مما كان له من تأثير كبير على هذه الدراسة ومنهجيتها في البحث . حيث تطلعت دوما الى محاولة اقتفاء اثارهما في كتابة البحث العلمي والافادة من منهجيتهما في التاريخ .

كما لا يفوتني ان أتقدم من استاذى الكبير الدكتور عبد الكريم غرايبة بجزيل شكرى وعميق امتناني على ما قدّمه ويقدّمه من رعاية وتشجيع مستمرين لكاتب هذه الدراسة .

كما لا يفوتني أن اتقدم بالشكر الى الاستاذ علي البيارى الذى دقق هذا البحث من ناحية لغوية والاستاذ يوسف عبيد رسام الخرائط في قسم الجغرافيا في الجامعة الاردنية الذى صمم الخرائط واخرجها بالشكل الذى هي عليه .

كما اشكر جميع الذين قدّموا لي أى مساعدة في اخراج هذا البحث .

الرموز والمصطلحات والمختصرات

بيان للرموز والمختصرات وبعض المصطلحات التي استخدمتها في الدراسة :

فقد استخدمت لفظة النصارى لتدل على المواطنين النصارى من أهل الذمة في الأندلس، وذلك نظرا لاستخدام لفظة نصارى من قبل المصادر الاسلامية ولعدم ملائمة لفظة (الاسبان) أو لفظة (المستعربين) لهم في الفترة التي تناولتها في البحث ، كما انني استخدمت لفظة نصارى الاجزاء الشمالية من شبه الجزيرة الايبيرية ،أو نصارى الممالك النصرانية، لانه لم يكن قد تبلور لهم اسم يشملهم في الفترة التي اتناولها بالبحث وبسبب تعدد اصولهم وتعدد دويلاتهم، كما ان لفظ الاسبان لم يكن شائعا آنذاك ، لذلك استعملت لفظة نصارى الممالك النصرانية في شمال شبه جزيرة ايبيريا .

وقد استعملت لفظ أيبيريا لتدل على شبه جزيرة ايبيريا، واسقطت لفظتي شبه جزيرة للاختصار.

كنت كلما استخدمت كتابا واحدا للمؤلف اكتفيت بذكر الاسم المشهور دونما ذكر اسم الكتاب بعد تثبيته في المرّة الاولى . ولكن في حالة استخدامي أكثر من كتاب للمؤلف أذكر الاسم المشهور للمؤلف واللفظ الأول من اسم كتابه، الا اذا تشابه أكثر من لفظ في اسم الكتاب ، فعندئذ اميّز بين كتب المؤلف الواحد بذكر المقطع الثاني من اسم الكتاب ، ويستثنى من ذلك ابن الأثير لانني استخدمت كتابه الكامل في التاريخ فأشرت الى ذلك فقط ابن الأثير، علما بانني استخدمت كتابه أسد الغابة، ولكن وبما انني لم استخدمه الا مرّة واحدة فانني كنت اشير لكتابه الكامل بابن الأثير دونما اشارة الى الاسم الاول من كتابه ذاك .

في حالة استعمالي لطبعتين لكتاب واحد فانني عندما استمر في ذكر طبعة منهما، فان ذكر الكتاب نفسه في مرات اخرى يكون عائدا للطبعة الاخرى التي لا تتكرر الاشارة اليها أكثر من مرّة وتكون في العادة هي الطبعة التي استعملتها أكثر من الطبعة التي يتكرر الاشارة اليها.

الرموز والمختصرات التي استعملتها في الدراسة :-

ص : صفحة

ج : جزء

ق : قسم

م : مجلد

ط : الطبعة

د : الدكتور

(ب.ت) : بدون تاريخ طبع

هـ : هجرى

م : ميلادى

بعد الهجرة : A.H.

فهرست المحتويات

المحتويات	الصفحه
عنوان الرسالة	
الاهداء	
شكر وتقدير وامتنان	
الرموز والمختصرات والمصطلحات	
المقدمة ، وبيان المصادر الرئيسة ومدى استفادة الدراسة منها .	أ – ن
الفصل الأول : نبذة عن جغرافية طليطلة ، وعن الاحوال الاجتماعية التي كانت سائدة فيها قبيل الفتح الاسلامي .	١ – ٤٩
اولا : نبذة عن جغرافية طليطلة .	١ – ١٠
تسمية الأندلس .	١ – ٣
تسمية طليطلة .	٣ – ٥
موقع طليطلة .	٥ – ٨
مصادر المياه .	٩
المنتوجات الزراعية .	١٠
ثانيا : الاحوال الاجتماعية السائدة في طليطلة قبيل الفتح الاسلامي .	١١ –
لمحة عن اوضاع السكان ، وتقسيماتهم الاجتماعية .	١١ – ١٨
نظام الحكم في شبه الجزيرة الايبيرية قبل الفتح الاسلامي .	١٨ – ٢٤
قضية يليان وابنته فلوريندا .	٢٤ – ٢٧
قضية ابنة يليان فلوريندا .	٢٧ – ٤١
بيت طليطلة .	٤٢ – ٤٩
الفصل الثاني : الفتح الاسلامي واثره على طليطلة .	٥٠ – ١٣٣
اولا : المشاورات والخطة .	٥٠ – ٥٢
تنفيذ الخطة : السرايا :-	٥٢ – ٥٣
تحليل الروايات المتعلقة بالسرايا .	٥٤ – ٥٧

المحتويـــــــات	الصفحة

حملة طارق بن زياد على الأندلس : ٥٧ – ١٠١
تحليل الروايات السابقة . ٦٨ – ٧٧
المواجهة بين طارق والقوات القوطية . ٧٨ – ٨٧
مصير الملك القوطي . ٨٧ – ٨٩
متابعة طارق الفتح . ٨٩ – ٩٣
فتح طليطلة . ٩٤ – ١٠١
عبور موسى الى الاندلس : ١٠١– ١١١
لقاء موسى طارقا . ١١١– ١١٩
غنائم طليطلة . ١١٩– ١٢٢
فتح المناطق الشمالية من شبه الجزيرة الايبيرية . ١٢٣– ١٣٠
اثر الفتح الاسلامي على طليطلة . ١٣١– ١٣٣
الفصل الثالث : التنظيم السياسي في طليطلة . ١٣٤– ١٩٦
النظام السياسي الاسلامي في الاندلس وأثره على طليطلة . ١٣٤– ١٤٩
الادارة المحلية لاقليم طليطلة :
أ – اقليم طليطلة . ١٥٠– ١٧٠
التقسيم الكنسي في عهد القوط في ايبيريا . ١٥٢– ١٥٣
التقسيم الادارى للأندلس في عهد الولاة المسلمين . ١٥٣– ١٥٧
التقسيم الادارى للأندلس ولاقليم طليطلة في عهد الامويين ١٥٨–
المناطق التي ذكرت على انها تابعة لاقليم طليطلة الادارى ١٦٠– ١٧٠
ب – الادارة المحلية في طليطلة ابان حكم الامويين في الاندلس
والمناطق التابعة لها : ١٧١– ١٧٩
أ. ولاة طليطلة في عصر الامارة : ١٧١– ١٧٦
ب. ولاة طليطلة في زمن الخلافة بالأندلس : ١٧٦– ١٧٩
المناطق التابعة لطليطلة في عصر الخلافة : ١٧٩– ١٨١

المحتويـــــــــات	الصفحة

الادارة القضائية في طليطلة في عصري الامارة والخلافة : ١٨١- ١٩٠

أ- القضاء في طليطلة في عصر الامارة : ١٨١- ١٨٦

ب- الادارة القضائية في طليطلة أيام الخلافة : ١٨٦- ١٩٠

التركيبة السكانية في مدينة طليطلة في العصر الاسلامي: ١٩٠- ١٩٦

استيطان المسلمين في المناطق المجاورة لطليطلة : ١٩٤- ١٩٦

الفصل الرابع :

اولا : المعارضة الطليطلية في عصري الامارة والخلافة : ١٩٧- ٣٢١

شورات طليطلة في عصر الامارة . ١٩٧- ٢٨١

شورة يوسف الفهري . ١٩٧- ١٩٨

شورة هشام الفهري في طليطلة . ١٩٨- ٢٠٢

شورة القاشد السلمي. ٢٠٢- ٢٠٤

شورة محمد بن يوسف الفهري . ٢٠٤- ٢١١

شورة سليمان بن عبدالرحمن الداخل في طليطلة عام ١٧٢هـ: ٢١١- ٢٢٢

اسباب الشورة ومجريات احداثها . ٢١١- ٢١٣

المواجهة ونشوب القتال. ٢١٤- ٢١٧

حصار طليطلة . ٢١٧- ٢٢٢

ملاحظات حول الشورات السابقة . ٢٢٢- ٢٥٣

المعارضة الطليطلية ابّان عهد الأمير الحكم بن هشام ١٨٠-٢٠٦هـ ٢٢٤- ٢٥٣

شورة عبيدة بن حميد عام ١٨١هـ . ٢٢٦- ٢٣٣

مذبحة الحفرة عام ١٩١هـ ٢٣٣- ٢٤١

الخديعة ٢٣٨- ٢٤١

المعارضة الطليطلية في عام ١٩٩هـ. ٢٤٢- ٢٥٠

هجرة بعض شوّار قرطبة الى طليطلة . ٢٥٠- ٢٥٣

المعارضة الطليطلية في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم ٢٥٣- ٢٦٠

المحتويـــــــــات	الصفحة
المعارضة في طليطلة ابّان عهد الأمير محمد بن	
عبد الرحمن ٢٣٨- ٢٧٣هـ .	٢٦١- ٢٧٥
أوضاع طليطلة السياسية في عهدىّ الأميرين المنذر بن	
محمد وعبد الله بن محمد ٢٧٣- ٣٠٠هـ .	٢٧٦- ٢٨١
ثانيا : المعارضة الطليطلية في عصر الخلافة :-	٢٨٢- ٣١١
المعارضة الطليطلية ابّان حكم عبد الرحمن الناصر	٢٨٢- ٣١١
مجريات الأحداث المتعلقة باسترجاع سلطة الحكومة	
على طليطلة :	٢٨٥-
ارسال تعزيزات حكومية جديدة الى طليطلة .	٢٨٩-
حملة الحكومة على طليطلة سنة ٣٢٠هـ بقيادة عبد	
الرحمن الناصر ، واستنجاد أهل طليطلة بالجلالقة	٢٩٢-
عرض رواية الرازى :	٢٩٦- ٢٩٧
ملاحظات حول رواية الرازى :	٢٩٨- ٣٠٦
دخول عبد الرحمن الناصر طليطلة والترتيبات التي	
اتخذها بعد ذلك :	٣٠٧- ٣٠٨
النتائج التي ترتبت على استعادة الحكومة لسلطتها	
على طليطلة .	٣٠٨- ٣١١
الملاحظات الأساسية حول المعارضة الطليطلية ابّان	
الحكم الاموى في الاندلس :	٣١١- ٣٢١
أسباب المعارضة الطليطلية :	٣١١-
الفصل الخامس : أثر الصراع بين دول الطوائف ، والصراع	
مع الممالك النصرانية على طليطلة :	٣٢٢- ٤٢٧
الاوضاع التي سبقت نشوء دويلة بني ذى النون بطليطلة	
على أثر سقوط الخلافة الاموية في الاندلس :	٣٢٢- ٣٤٦

المحتويـــــــات	الصفحة
طريقة الحكم في طليطلة في عهد الفتنة	٣٤٦-٣٤٧
حكم بني ذى النون طليطلة والكيفية التي اداروا فيها شئون الحكم في دويلتهم	٣٤٨- ٣٦١
الكيفية التي أدار فيها بنو ذى النون شئون الحكم في دولتهم.	٣٥٤- ٣٦١
أثر الصراع بين دول الطوائف والممالك النصرانية على طليطلة:	
أولا : الصراع بين طليطلة والدويلات الاسلامية في الأندلس وأثر ذلك على طليطلة:	٣٦٢-
الصراع بين طليطلة وسرقسطة.	٣٦٢- ٣٧٦
صراع طليطلة مع بقية دول الطوائف (قرطبة، بطليوس، اشبيلية).	٣٧٦- ٣٨٦
الحدود التي بلغتها دولة طليطلة ابّان عهدالمأمون:	٣٨٧- ٣٨٨
طليطلة في عهد القادر بن ذى النون :	٣٨٨- ٣٩٢
ثانيا: ضياع طليطلة من أيدى المسلمين	٣٩٢- ٤١٠
الآثار الناتجة عن سقوط طليطلة :	٤١١- ٤٢٧
المصادر والمراجع :	٤٢٨- ٤٥٩
خلاصة الدراسة باللغة الانجليزية.	

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تناولت في هذه الدراسة التاريخ السياسي لمدينة طليطلة في ظل الحكم الاسلامي منذ عام ٩٣ هـ وحتى عام ٤٧٨ هـ ، وذلك لقلة وجود الدراسات المتخصصة التي بحثت في هذا الموضوع ، ولشح الكتابات التي تناولت كيفية سقوط هذه المدينة الخالده وضياعها من ايدى المسلمين الأمر الذى ترتب عليه ضياع بقية مدن الأندلس وسقوطها بأيدى الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة الايبيرية .

وقد هدفت ايضا من هذه الدراسة الى ابراز الاهمية التاريخية لمدينة طليطلة والدور السياسي المتميز الذى لعبته على مسرح الاحداث الأندلسية في ظل الحكم الاسلامي .

كما هدفت من خلال هذه الدراسة الى محاولة الكشف عن بعض الأحداث التاريخية التي حدثت في هذه المدينة خلال فترة تاريخيه غامضة أحاطت بطليطلة ابّان الحكم الاسلامي لها ، ولم تحظ هذه الفترة باهتمام المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس .

وقد أردت من هذه الدراسة كذلك ان الفت النظر الى تشابه الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تسود الاندلس في تلك الحقبة التاريخية وخاصة تاريخ مدينة طليطلة وبين الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في العالم الاسلامي في هذه الأيام وخاصة في منطقتنا .

وقد قسمت دراستي هذه الى فصول خمسة بالاضافة الى مقدمة الدراسة وقائمة باسماء المصادر والمراجع .

الفصل الأول من الدراسة وبحثت فيه جغرافية مدينة طليطلة وموقعها الاستراتيجي والجغرافي الفريد ، كما تطرقت الى دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة فيها قبيل الفتح الاسلامي للأندلس .

<u>الفصل الثاني</u> : فقد تناولت فيه عملية الفتح الاسلامي لشبه جزيرة ايبيريا وأثره على مدينة طليطلة ، حيث بينت ان عملية الفتح الاسلامي للأندلس كانت بعد دراسة الخطط العسكرية التي اعدها القائد موسى بن نصير والي افريقية والمغرب وأقرّه عليها الخليفة الاموى الوليد بن عبد الملك في دمشق قبل البدء بعملية الفتح.

كما بينت في الدراسة ان عاصمة شبه الجزيرة الايبيرية قد انتقلت من طليطلة الى اشبيلية فقرطبة اثر الفتح الاسلامي .

<u>الفصل الثالث</u> : فقد وضحت فيه التنظيم السياسي والادارى لمدينة طليطلة في عهد بني أمية في الاندلس كما بينت التقسيم الادارى الذى كانت عليه المدينة قبل الفتح الاسلامي وبعده وأشرت فيه الى ان المدينة قد فقدت معظم المناطق التي كانت تتبعها في العصور الماضية ، كما فقدت مركزها كعاصمة للبلاد.

<u>الفصل الرابع</u> : وتناولت فيه المعارضة الطليطلية للحكم الاموى في المدينة في عصرى الامارة والخلافة وتعرضت الى ذكر الثورات الداخلية التي نشبت فيها ، والتي اخذت ابعادا سياسية واجتماعية في غاية الخطورة،وخاصة عند تبلور فكرة (نزعة ثورات المولدين) الذين طالبوا بأن يكون لهم دور في حكم مدينتهم . كما خضت في الأسباب والنتائج التي فجرّت هذه الثورات ونتجت عنها .

<u>الفصل الخامس</u> : تناولت فيه الصراع الذى كان قائما بين دول الطوائف من جهة وبينها وبين الممالك المسيحية واثره على طليطلة من جهة اخرى وما نجم عن هذا الصراع من ضياع لاجزاء مهمة من الأندلس بشكل عام ومن طليطلة بشكل خاص ، حتى سقوط المدينة نفسها بين يدى مملكة قشتالة المسيحية . كما بينّت الأسباب التي تسببت في ضياع طليطلة والنتائج التي ترتبت على هذا الضياع .

ولتوضيح بعض الأحداث التي حصلت في طليطلة، عرّجت بالدراسة على أحداث حصلت في المناطق المجاورة لها، وتعرّضت بشكل موجز أحيانا الى التعريف ببعض الأحداث المهمة خارج الأندلس التي من خلال التعرّف عليها استطعت أن أبدّد الضباب الذى لف الأحداث والمعلومات حتى أمكنني أخيرا ذلك من التوصّل الى ما كنت أريد.

وقد أطلت أحيانا في تناول بعض الأحداث والمواضيع اعتقادا منّي أنّ الاطالة لا بدّ منها للتوصل الى كشف بعض النواحي الغامضة لاظهار هذه الاحداث المهمة وتسليط الاضواء عليها واحيانا ابتعدت عن التفصيل في بعض النّقاط وذلك لاعتقادى أنّ التفصيل فيها لا يفيد البحث.

وبعد فأرجو ان أكون قد وفقت في محاولتي هذه، ملتمسا من القارئ الكريم العفو عن التقصير أو الخطأ حيثما ورد في هذه الدراسة.

وأسال الله التوفيق في العمل والسداد في الرأى.

هاشم أبو ملوح

عمان، الجامعة الأردنية ـ كلية الآداب

قسم التاريخ

١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

طباعة المركز الدولي
الشارع الرئيسي ـ مقابل كلية الزراعة
الجامعة الاردنية
تلفون: (٨٤٧٢٣١)

و

بيان المصادر الرئيسة ومدى استفادة الدراسة منها

وقد اعتمدت في دراستي على عدد كبير من المصادر والمراجع ، وسوف استعرض أهم هذه المصادر التي ارتكزت عليها ، كنماذج للمصادر التي اعتمدتها الدراسة :

- اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة بها بينهم (لمؤلف مجهول عاش في القرن الرابع الهجرى) فقد اعتمدت عليه كثيرا في الفترة التي سبقت دخول المسلمين لشبه جزيرة ايبيريا وخاصة في التعرف على الاوضاع السياسية والاجتماعية ، كما ان الكتاب تميّز عن غيره بذكر الاحوال الاقتصادية التي عاشتها ايبيريا قبيل سنوات من الفتح الاسلامي ، كما أفاد البحث من معلوماته عن الأوضاع والاحوال التي عاشتها الاندلس في العقدين الثاني والثالث من القرن الثاني الهجرى حيث انّه فصل في ذكر احداث الثورة البربرية في طنجة والمناطق المجاورة لها ، وفي كيفية انتقالها الى الاندلس وتأثيرها على وضع المسلمين في تلك المنطقة وعلى توزيعاتهم السكانية ، واستفادة بعض القوى القوطية من ذلك الصراع وبداية ما يمكن تسميته نشوء الممالك النصرانية ، يضاف الى ذلك المجاعات والقحط الذى اصاب الأندلس ، كما أفدت منه في الأحداث التي مرت بالأندلس وبطليطلة في عهد الحكم الاموى لها منذ دخول عبد الرحمن الداخل وحتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر .

- ابن حيّان ، ابو مروان حيّان بن خلف القرطبي ، المقتبس في أخبار أهل الأندلس ، (المتوفى عام ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) .

تميّز ما أورده ابن حيّان عن غيره من المصادر بانه فريد من نوعه ، حيث استفادت الدراسة منه في التنظيم الادارى والسياسي لمدينة طليطلة في عهد الخلافة خلال السنوات الثلاثين الأولى التي نشرت في كتاب تحت عنوان المقتبس ، الجزء الخامس ، وممّا تفرّد به ابن حيّان في كتابه هذا ذكره اسماء الولاة والوزراء وبعض الخطط والمؤسسات التي كانت تعتمد عليها الدولة في الأندلس ، كما أنه أغنى الدراسة بشكل كبير فيما أورده بما يتعلق بالمعارضة الطليطلية في عصر الخلافة وخاصة عهد عبد الرحمن الناصر ، حيث كان أهم مصدر اعتمدته في دراستي لهذه الفترة الزمنية . وكذلك في معرفة مدى انعكاس المعارضة الطليطلية وتأثير ذلك على ازدياد قوة الممالك النصرانية .

كما انه أثرى الدراسة بمعرفة اسماء ولاة طليطلة بعد عام ٣٢٠ هـ بعد استعادة الحكومة سلطتها على المدينة، كما ان ابن حيّان ذكر رواية الرازى، التي تفردت عن غيرها من الأخبار ببيان مطالب وتذمرات أهل طليطلة التي قدمّوها كشروط للدخول في طاعة الحكومة عام ٣٢٠ هـ، حيث تمكنت بعد جهد مضن من ازالة الغموض الذى يلف نص الرواية نظرا لغرابة الالفاظ والمصطلحات - وذلك بعدالرجوع الى ابن منظور الافريقي في كتابه لسان العرب - فاستطعت من خلال هذا النص ان اضع يدى على بعض الأسباب المهمة والجوهرية التي كانت تفجر الثورات في طليطلة ضد الحكومات الأموية، كما ان الدراسة ارتكزت على المعلومات التي ذكرها ابن حيّان في الجزء الخامس من مؤلفه، فاستفدت من ذلك في معرفة المناطق التي تبعت طليطلة في عهد الأمويين.

كما ان القطعة التي نشرها الدكتور الحجي من كتاب المقتبس المتعلقة بالاحداث التي مرّت على الأندلس خلال السنوات الخمس من عهد الحكم المستنصر (٣٦٠ - ٣٦٤ هـ)، اذ تنبع أهميتها من خلال استفادة البحث منها في معرفة موقف طليطلة الايجابي في المساهمة بدعم مجهود الحكومة العسكرى والاقتصادى.

ومن النقاط الهامة التي اكتسبتها الدراسة من مؤلف ابن حيّان تكوين فكرة عن استفادة الممالك النصرانية من الثورات الداخلية في الأندلس وخاصة ثورات أهل طليطلة.

- ابن الكردبوس التوزرى، ابو مروان عبد الملك، (عاش في القرن السادس الهجرى)، تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب (الاكتفاء في أخبار الخلفاء).

اعتمدت الدراسة عليه في التعرف على شخصية يليان، كما ان لرواياته حول الفتح الاسلامي للأندلس ونزول طارق الى الجبل الذى عرف باسمه فيما بعد، اهمية كبيرة وميزة خاصة اكسبتها اياه دقته في وصف تحرك القوات الاسلامية. كما انه أثرى الدراسة بالمعلومات التي ذكرها حول الظروف والأحداث التي أدّت الى سقوط الخلافة الاموية في الأندلس وقيام دول الطوائف، كما كان لمعلوماته حول الصراع الذى احتدم بين دول الطوائف - وخاصة تلك المعلومات التي تتعلق بطليطلة - اثر كبير للوصول بالدراسة

الى ما وصلت اليه، هذا عدا عن ذكره الأخبار المتعلقة بدخول المرابطين الأندلس .

- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (المتوفى في سنة ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ .

استفدت في دراستي من اخباره التي اوردها عن الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية والاحوال التي سادتها قبيل الفتح، ومن ذلك ما ذكره من معلومات ذات قيمة عن علاقة يليان بالمسلمين ، كما اعتمدت عليه في الثورات الطليطلية ابّان عصري الامارة والخلافة، وفي ما ذكره عن الظروف التي أدّت الى سقوط الخلافة الاموية في الأندلس وقيام دول الطوائف ، وكذلك فيما أورده من معلومات عن سقوط طليطلة بيدى مملكة قشتالة عام ٤٧٨ هـ.

- ابن الشّباط التوزرى ، محمد بن علي ، (المتوفى عام ٦٨١ هـ)، وصف الأندلس ، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط . أفادت أخباره الدراسة بتزويدها بالمعلومات القيمة عن الظروف التي سبقت الفتح الاسلامي للاندلس ، كما اغنت اخباره المفصلة البحث حول مجرى أحداث الفتح الاسلامي للأندلس ، وكشف اللبس الذى لف الروايات الاسلامية المتعلقة بالمائدة التي غنمها طارق بن زياد بعد فتح طليطلة .

- ابن عذارى المرّاكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد ، (كان حيّا عام ٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب .

استفدت من الاخبار التي ذكرها في كتابه البيان المغرب وخاصة الجزء الثاني الذى يتعلق بالأندلس في عملية الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية، ورواياته عن الاحوال السياسية التي كانت سائدة في ايبيريا عشية الفتح الاسلامي ، كما اعتمدت الدراسة عليه في فترة الولاة ايضا، كما ان الدراسة اعتمدت على هذا المؤلف ،اذ كان بمثابة الدعامة الرئيسية للدراسة فقد كان خير عون لي في معرفة التنظيم الادارى والسياسي لطليطلة وتبينت من خلال ما اورده من معلومات عددا من المواقع والمدن التي كانت تتبع طليطلة ، كما انني اعتمدت عليه في الفصل الرابع وذلك في المعلومات التي

ذكرها فيما يتعلق بالمعارضه الطليطلية ابان عصرى الامارة والخلافة . كما ارتكزت في بعض جوانب بحثي على الجزء الثالث من كتابه في توضيح الاحداث التي ادت الى سقوط الخلافه الاموية وقيام دول الطوائف . ومن النقاط الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة فيما ذكره حول علاقات دول الطوائف فيما بينها من جهه وبينها وبين الممالك النصرانية من جهة اخرى وخصوصا العلاقة بين طليطلة وسرقسطة منذ عام ٤٣٥ - ٤٣٨ هـ والتي جرّت على الدولتين الوبال بسبب استعانة كل منهما بالممالك النصرانية واداء الاموال الطائلة لتلك الممالك بالاضافة الى الهدايا ، للقيام بشن الهجمات على الدولة المسلمه الاخرى فكان كتاب ابن عذارى من اهم الكتب التي اعتمدت عليها هذه الدراسة .

- ابن الخطيب ، الوزير لسان الدين الغرناطي ، (المتوفى عام ٧٧٦هـ)، أعمال الاعلام .

ومن الكتب الهامة التي استفادت الدراسة منها في الفصول الثلاثة الأخيرة كتاب اعمال الاعلام وهو الذى يطلق عليه (تاريخ اسبانيا المسلمة)، للسان الدين بن الخطيب حيث كان لاخباره قيمة كبيرة وخاصة فيما يتعلق منها بالمعارضه الطليطلية في عصرى الامارة والخلافة، كما انه كان له فضل كبير في تزويد الدراسة بالمعلومات الهامة عن فترة سقوط الخلافة الاموية وقيام دول الطوائف ، والصراع الذى تفجرّ بينها من جهة وبين الممالك النصرانية من جهة اخرى وأثر ذلك على سقوط طليطلة، وخاصة صراع طليطلة وسرقسطة، وطليطلة مع قرطبة واشبيلية واثر ذلك على استيلاء الممالك النصرانية على اجزاء مهمة من المناطق المتاخمة لها .

- النويّرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (المتوفى عام ٧٣٣ هـ)، نهاية الأرب في فنون الادب .

أفادت الدراسة من كتابه نهاية الارب في فنون الادب وذلك فيما ذكره من اخبار عن الاندلس منذ دخول عبد الرحمن الداخل اليها وحتى سقوط طليطلة وخاصة ما يتعلق منها بالمعارضة الطليطلية في عهدى الامارة والخلافة، بالاضافة الى ما استفدته في الفصل الخامس مما ذكره حول الظروف والاحداث التي أدت الى سقوط الخلافة الاموية وقيام

دول الطوائف وما دار بينها من تنافس وصراع، كما أفدت منه في دراستي أيضا في معرفة الهيمنة النصرانية على دول الطوائف وخاصة طليطلة، من حيث اداء الاخيرة مبالغ من المال ، عدا عن الهدايا التي كانت تقدم للممالك النصرانيه استرضاءً لنيل عطف ملوك تلك الممالك .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، (المتوفى عام ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر.

استفدت منه في دراستي فيما ذكره عن مجريات الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية وفي الاحوال التي كانت تسود ايبيريا قبل الفتح الاسلامي ، كما كان لاخباره التي ذكرها فيما يتعلق بالمعارضة الطليطلية في عهدى الامارة والخلافة فائدة كبيرة، كما أنه زوّد الدراسة بمعلومات قيمة بالنسبة لنشوء دول الطوائف في الاندلس وخاصة دولة طليطلة في ظل حكم بني ذى النون وتوسع تلك الدولة.

- المقّرى ، الشيخ احمد بن محمد التلمساني ، (المتوفى عام ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .

من اوسع الكتب التي عرفتها خلال بحثي كتابه نفح الطيب ، والتي تناولت تاريخ الأندلس ، حيث أفاد الدراسة فائدة كبيرة في الفصلين الأول والثاني من خلال ما ذكره عن جغرافية طليطلة والاحوال السائده فيها قبل الفتح الاسلامي ، ومن ثم اخباره عن الفتح ، وقد اعتمدت اخباره على مؤلفات سابقة حيث انه استقى اخباره من مجموعة من الروايات التي اوردها المؤلفون السابقون كالرازى وابن حيّان وابن غالب وابن سعيد، وابن خلكان ، والخزائني ، والكتبي (1) .

كما انه افاد الدراسه بشكل كبير خاصة فيما يتعلق بتاريخ طليطلة في عهد الطوائف ، فلمعلوماته فائدة كبيرة وخاصة انه وثق اخباره من الموارد التي استقى

---

(1) انظر المقّرى ، نفح، جا، ص١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ٢٥٠ ، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، جـ ٤، ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٧.

منها تلك الاخبار، كما ان رواياته التي ذكرها كانت ذات قيمة عالية وخاصة في الفصل الذى يتعلق بالفتح الاسلامي للأندلس ، كما ان لأخباره قيمة فائقة لانه قام بابداء رأيه فيما ذكره مرجحا تارة ومضعفا اخرى في اغلب الاحيان .

- زخستي ، ب ، جون ، المجمع الطليطلي الثالث .

Zugasti, p. Juan, El Concilio III de Toledo.

وتوجد في الكتاب ترجمة باللغة العربية .

استفادت الدراسة منه في التعرف على الاحوال الاجتماعية التي سادت شبه جزيرة ايبيريا قبل الفتح الاسلامي ، فبعد تتبعي لنصوص الكتاب وجدته يوضح بصورة غير مباشرة حالة الاستخفاف بحرية الناس العقائدية واجبار الخصوم على اعتناق معتقد الفئات الحاكمة، حيث ان الكاثوليكية قد تمكنت من بسط نفوذها وادارتها على شبه الجزيرة وذلك بعد اعتناق الملك القوطي الغربي ركريد للمذهب الكاثوليكي عام٦٢٧م (١) ، وقيامه بالتخلي عن مذهبه الاريوسي بحضور عدد من اساقفة ومطارنة شبه جزيرة ايبيريا .

كما ان المجمع بيّن ان من القرارات الهامة التي اتخذت في هذا المجمع التخطيط لاجبار جميع فئات السكان على اعتناق المذهب ، ومن النقاط التي أفاد منها البحث من هذا الكتاب معرفة احوال الأقلية اليهودية في شبه جزيرة ايبيريا ، ومعرفة التركيبة الاجتماعية ، وكذلك التقسيم الكنسي القوطي، قبل الفتح الاسلامي لتلك البلاد. ويعتبر مجمع طليطلة الثالث مصدرا أوليا بالنسبة للأحوال الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت سائدة في ايبيريا في الفترة التي سبقت الاسلام .

ولا بد من أن أشير بعجالة الى بعض الجوانب التي اكتسبتها الدراسة من مصادر اخرى ، فقد اعتمدت في دراستي على كتب التراجم كالخشني في كتابه قضاة قرطبة، وابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواه للعلم في الأندلس، والحميدى في كتابه

---

(١) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ٩٨.

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وابن بشكوال في كتابه الصلة ، والضبي في مؤلفه بغية الملتمس ، وابن الأبّار في مؤلفاته : الحلّة السيراء والتكملة لكتاب الصلة ، والمعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدفي ، ومحمد المرّاكشي الاوسي في كتابه : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، وذلك في محاولتي الكشف عن القبائل والبيوتات العربية ، والى حد ما بعض قبائل البربر ، التي استوطنت طليطلة ، وكذلك بعض المناطق التابعة لها بشكل اقل من خلال معرفة اسماء العلماء والفقهاء والرواة والقضاة الذين ينتسبون الى القبائل العربية ، وقد افادني ذلك ايضا في معرفة الحكم الادارى لطليطلة ابّان عهد بني اميه في الأندلس ، كما افدت في هذا المجال ايضا من كتب الانساب كابن حزم الاندلسي في كتاب الجمهره الذى تناول فيه انساب القبائل العربية والبربرية التي قطنت الأندلس ، كما افادت الدراسة ايضا من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقّرى .

كما ان كتب التراجم اغنت البحث بالتعريف بالاحداث التي مرت على طليطلة في عهد حكم الطوائف ومثال ذلك ابن بشكوال الذى اعتمدت الدراسة عليه كثيرا في الفترة الممتده من عام ٤٠٠ - ٤٧٢ هـ من خلال التراجم التي اوردها عن بعض الشخصيات الهامة كابن يعيش وابن الحديدى كما ان ابن الأبّار في كتابه الحلّة السيراء وكتابيه الآخرين التكملة والمعجم قد زوّد الدراسة بمادة هامة من خلال التراجم التي وردت في مؤلفاته الثلاث ، وخاصة منذ دخول عبد الرحمن الداخل وحتى السنوات الاخيرة التي سبقت سقوط طليطلة بايدى مملكة قشتالة كترجمة بعض وزراء وقادة الدولة الطليطلية في عهد بني ذي النون ، كما ان الدراسة استفادت في هذا المجال من ابن سعيد في كتابه المغرب ، كما انه افادها في المعلومات التي اوردها عن الفتح وعن جغرافية طليطلة وفي معرفة بعض المناطق التي تبعت طليطلة ، ولا شك ان الدراسة استفادت من كتابيّ ابن خاقان قلائد العقيان ومطمح الأنفس ، في بعض التراجم لبعض الشخصيات المهمة في دولة بني ذى النون التي لها صلة بهذا الموضوع .

كما ان البحث استفاد من الكتب الادبية كالعقد الفريد لابن عبد ربه وخاصة في مادته التي ذكرها شعرا عن موضوع المعارضة في طليطلة في عهد الناصر وتمكنه اخيرا من اعادة فرض هيمنة وسلطان الحكومة على المدينة في عام ٣٢٠هـ ، واستفاد البحث ايضا

من ديوان ابن درّاج القسطلي وخاصة في الفترة التي عاصرها المؤلف عن نهاية حكم اسرة المنصور محمد بن ابي عامر ونهاية حكم بني امية ايضا والفائدة التي استفادها البحث والتي لم اجدها عند غيره هي ذكره محاولة استنجاد بعض الطليطليين في القرن الخامس الهجرى بحاكمي بلنسية مظفر ومبارك العامريين .

كما استفاد البحث من كتاب ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، وخاصة في فترة الفتنة التي ادت الى سقوط الخلافة الاموية ونشوء دول الطوائف وخاصة طليطلة كما ان الدراسة اعتمدت عليه في تكوين صورة عن عهد بني ذى النون وخاصة في عهدى المأمون والقادر ، كما انها ارتكزت عليه في معرفة الظروف الداخلية في مدينة طليطلة والصراع بين طليطلة وقرطبة واشبيلية ، والتي كان لها علاقة بسقوط المدينة بيدى مملكة قشتالة وبعض النتائج التي نجمت عن استيلاء قشتالة على المدينة . وقد اعتمد ابن بسام في كثير من اخباره التي اوردها على ابن حيّان وخاصة ما يتعلق منها بالاوضاع السياسية في مدينة طليطلة ، وهذا يضفي قيمة كبيرة على ما ذكره حيث انه في اغلب ما يورده يذكر مصدر أخباره ، كذكره ابن حيّان (1) .

كما ان الكتب الجغرافية زودت الدراسة بمادة تاريخية وجغرافية على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة لموقع طليطلة كالاصطخرى ، أو اغناء الدراسة بمعرفة بعض المناطق التي كانت تتبع طليطلة حيث افادت الدراسة في موضوع التنظيم السياسي في طليطلة ، كما ان الكتب الجغرافية افادت بحثي بمعلومات تاريخية نادرة الوجود في كتب اخرى ، ومن اهم الكتب التي اعتمدت عليها في دراستي كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى ، وصفة جزيرة الاندلس للحميرى التي هي منتخبة من كتابه ، الروض المعطار في خبر الاقطار .

فيما مر ذكره قمت باستعراض بعض الفوائد التي اعتمدت عليها فيما رجعت اليه من بعض المصادر المهمة ، مع العلم ان هناك مصادر اخرى على درجه من الاهمية لم

---

(1) انظر ابن بسام ، الذخيرة ، ق:1 ، م:1 ، ص 25 ، 30 ، 31 ، 34-35 ، ق:4 ، م:1 ، ص 142 ، 144- 145 .

اتعرض في هذه العجالة لذكر الفوائد التي حصلت عليها منها في دراستي ، ومن هذه المصادر : ابن حبيب وابن عبد الحكم، وكتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة، وابن القوطية، وابن صاعد ، والبكرى ، والادريسي ..

وقد اقتصرت في تقديمي الموجز هذا على ابراز بعض جوانب استفادة دراستي من بعض أهم المصادر التي رجعت اليها خلال بحثي مكتفيا بذلك القدر غير معرّج على التعريف بالمؤلف وبكتابه وذلك لذكر بعض الدراسات الاخرى في كثير مما كنت سأذكره كالدكتور العبّادى [1] ، وكريم عجيّل [2] ، ومصطفى ابو ضيف [3] ، وغيرهم ، يضاف الى ذلك اشارتي الى سني وفاة المؤلفين واسمائهم في قائمة المصادر في آخر هذه الدراسة، لذلك اردت هنا فقط محاولة الاشارة الى مدى استفادتي من هذه المصادر.

---

(١) انظر د. العبادى ، في تاريخ المغرب ، ص ٢٢٦-٢٤٠ وما بعدها .

(٢) انظر حسين ، كريم عجيّل ، الحياة العلمية في مدينة بلنسية، ص ٣١-٤٠ .

(٣) انظر ابو ضيف ، مصطفى ، القبائل العربية، ص ١٣-٢٦ .

الفصل الاول

نبذة عن جغرافية طليطلة ، وعن الاحوال الاجتماعية التي كانت سائدة فيها قبل الفتح الاسلامي.

أولا : نبذة عن جغرافية طليطلة :

تسمية الاندلس :

اختلفت الروايات التي اوردتها المصادر العربية في أصل تسمية الاندلس بهذا الاسم (١) : فمثلا نرى ان اسم الاندلس ورد على انه مشتق من أحد ابناء نوح عليه السلام ، بينما ذكر في مصادر أخرى ان اسم الاندلس مأخوذ من قوم قد نزلوا تلك البلاد فعُرفت باسمهم (٢) ، وعرّفتهم المصادر بالأندلش (٣) ، واحيانا أخرى بالفندلش (٤) ، واصبح الاسم يطلق

---

(١) الادريسي ، نبذة من أخبار فتح الأندلس، وهي مأخوذة من الرسالة الشريفية الى الاقطار التونسية ، مطبع ربدنير ، مجريط ، سنة ١٨٦٨م ، ص ٢١٢، وسأشير له بـ الادريسي ، نبذة ؛ ابن الشبّاط ، محمد بن علي المصرى التوزرى ، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، وصف الاندلس ، (احمد مختار العبّادى ، نصان جديدان) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مجلد :١٤ ، مدريد ، ١٩٦٧- ١٩٦٨م ، ص١٠٠ ؛ قال ابن سعيد في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ١٢٥ انها سميت باندلس بن طوبال... .

(٢) البكرى ، ابي عبيد ، جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق : د. عبد الرحمن الحجي ، دار الارشاد للطباعة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨م ، ص ٥٩ ؛ القلقشندى ، ابو العباس احمد بن علي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج ٥ ، ص ٢١١-٢١٢ ، مطابع كوستاتوماس وشركاه ، القاهرة ، وسأشير له بالقلقشندى ، صبح ؛ الحميرى ، ابي عبيد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تعليق ونشر وتصحيح :(إ. ليفي بروفنسال) ، ص ٢-٤- ٥.

(٣) ابن الشباط ، م :١٤ ، ص ١٠٠ ، وذكر انه يقال لهم الاندلس ويقصد بهم قبائل الوندال ، ابن عذارى المرّاكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق : كولان وبروفنسال ، ج٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ١ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢١١-٢١٢ ؛ قال الرازى في (الحميرى) ، ص ٤-٥ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص١٣٤ .

(٤) القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢١١ - ٢١٢ وذكر بانه قيل ... .

على شبه الجزيرة الايبيرية (١) ، وان اسمها القديم ابارية (٢) ، ثم سميت باطقة (٣) ، وعرفت ايضا باشبانية نسبة لاسم رجل حكمها ، وقيل سميت بالاشبان الذين سكنوها في أول الزمان (٤) .

أشارت بعض المراجع الى كون لفظ الأندلس أُطلق في بادئ الامر على شبه جزيرة ايبيريا كلها على اعتبار أن شبه جزيرة ايبيريا كانت جميعها في ايدى المسلمين، ثم بدأ اسم الاندلس يأخذ دلالات جغرافية حسب وضعها السياسي (٥) ، ويبدو ان أصل مصطلح الاندلس ، مأخوذ من قبائل الوندال (٦) (WANDALS) الجرمانية الاصل ، والتي اجتاحت اوروبا في القرن الخامس الميلادى، واستقرت هذه القبائل في السهل الاسباني الجنوبي، فأخذ من اسمهم نصيبا ، ثم عرف فيما بعد بالاندلس (٧) .

أما لفظ اسبانيا فقد أُطلق على شبه جزيرة ايبيريا بوجه عام، فمنطقة جنوب ووسط اسبانيا كانت تعرف باسبانيا الاسلامية أو الاندلس ، اما شمالها فكان يعرف باسبانيا المسيحية (٨) .

---

(١) البكرى، جغرافية ، ص ٥٩ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢١١-٢١٢ ؛ الحميرى، ص ٢-٤-٥ .

(٢) البكرى ، جغرافية ، ص ٥٧ ؛ الحميرى ، ص ٢ .

(٣) البكرى ، جغرافية ، ص ٥٨ ؛ الحميرى ، ص ٢ .

(٤) البكرى ، جغرافية ، ص ٢ ؛ الحميرى ، ص ٢ .

(٥) العّبادى، د. احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦، ص ١٩ ، وسأشير له بـ العّبادى في تاريخ المغرب. .

(٦) الحجي ، عبد الرحمن ، التاريخ الاندلسي، الطبعة الاولى، ١٩٧٦، ص ٣٧ ؛ العّبادى، في تاريخ المغرب ، ص ١٩ ؛ وانظر كولان، ج ، س ،الاندلس، ترجمة لجنة دائرة المعارف الاسلامية ، ابراهيم خورشيد وآخرون، الطبعة الاولى، ١٩٨٠، ص ١٧ ، وسأشير له بـ كولان ؛ وانظر حسين، جريم عجيل ، الحياة العلمية في بلنسية الاسلامية ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦، ص ٦٠، وسأشير له بـ حسين.

(٧) العّبادى ، في تاريخ المغرب ، ص ١٩ ؛ كولان ، الاندلس ، ص ١٧ .

(٨) العّبادى ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

وتشتمل شبه جزيرة ايبيريا اليوم على مملكة اسبانيا، وجمهورية البرتغال[1]، وتطلق اليوم كلمة (Andalucia) على المنطقة الجنوبية من اسبانيا[2]، وهي التي تشتمل اليوم على ولايات قرطبة (Cordoba) واشبيلية (Sevilla) وغرناطة (Granada)[3].

وسأتعامل مع لفظة الاندلس، على دلالاتها الجغرافية والتاريخية بالنسبة للفترة التي اتناولها بالدراسة، فموضوع الدراسة يتعلق بطليطلة ابان العهد الاسلامي، وسأتعامل مع المناطق الخاضعة للمسيحيين في الشمال على انها اجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا المسيحية).

تسمية طليطلة :-

ورد اسم طليطلة في المصادر العربية على اربعة أوجه ؛ فالوجه الاول: (طُليطُلة) بضم الطائين[4]؛ والوجه الثاني : (طُلَيطِلة) بضم الطاء الاولى وفتح الثانية[5]، فقد

---

(١) حسين، ص ٦٠.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي، ص ٣٧؛ حسين، ص ٦٠ - ٦١.

(٣) د. العبادى، في تاريخ المغرب، ص ٢٠، واخذت التسمية الاسبانية من كتاب الدكتور حتاملة، محمد عبده، محنة مسلمي الاندلس.

(٤) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر واخبارها، مطبعة بريسل، ليدن، ١٩٢٠م، ص ٢٠٨؛ ابن بشكوال ابي القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة، ق:٢، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦، وسأشير له ب ابن بشكوال، ص ٣٩٩، ٤١٩؛ ابن غالب، محمد بن أيوب، قطعة من كتاب فرحة الانفس، مجلة معهد المخطوطات العربية، نشر: الدكتور لطفي عبد البديع، م:١، ج٢، نوفمبر، ١٩٥٥م، ص ٢٨٨. وسأشير له ب ابن غالب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٩، وسأشير له ب ياقوت؛ ابن الشباط، م ١٤، ص ١٣٧؛ ابن عبد الحق، عبد المؤمن البغدادى، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ٢، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوى، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٤، ص ٨٩٢؛ الفيروز ابادى، مجد الدين، القاموس المحيط، ج٤، مؤسسة فن الطباعة، مصر، ١٩١٣م، ص ٨؛ الزبيدى، محب الدين ابي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٧، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٤٢١؛ انظر German Bleiberg, Diccionario De Historia De España, p. 776, Madrid, 1969.

(٥) ياقوت، ج٤، ص ٣٩؛ ابن عبد الحق، ج٢، ص ٨٩٢.

ذكر الحميدى ان اكثر ما سُمع من المغاربة قولهم بفتح الطاء الثانية (طليطلة) ، ولكنه ضبطها بضم الطائين[1] ، ومعنى ذلك انه رجح الوجه الاول ، والوجه الثالث بانها طليطلاء بالالف الممدودة[2] ، والوجه الرابع : طُليطِلة بضم الطاء الاولى وكسر الطاء الثانية[3] ، ورجح الزبيدى الوجه الرابع لأن مؤرخي المغرب وابن السمعاني وغيرهم ضبطوا لفظ طُليطِلة بضم الطاء الاولى وكسر الطاء الثانية[4] .

ويبدو ان الوجهين الأول، والرابع ، اقرب للقبول من الوجهين الآخرين ، وذلك كون الوجه الأول ورد في بعض المصادر القديمة ، كصيغة مجمع طُليطُلة الثالث[5] ، وكذلك ورد في أحد المراجع الحديثة[6] ، بأن لفظة طليطلة هي (TOLAITOLA) .

ومن الجدير بالذكر ، أن أصل الاسم (لاتيني)[7] ، فقد اشارت بعض المصادر الى ان اسم طليطلة جاء من كلمة (تولاطو)[8] ، أو (تولاظو)[9] ، واصل هاتين التسميتين

---

(١) ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٩–٤٠ ؛ ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص ٨٩٢.

(٢) ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٩–٤٠ ؛ ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص ٨٩٢.

(٣) الطبرى ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، ج١ ، دار سويدان ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ٤٨١ ؛ البكرى ، جغرافية الاندلس واوروبا ، ص ٦٢ ؛ السّمعانى ، الامام ابي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، الانساب ، تحقيق : محمد عوامه ، ج ٨ ، ط٢ ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٢٤٨ ؛ ابي الفداء ، السلطان الملك عماد الدين اسماعيل بن محمد ، تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود ، والبارون ماك كوكين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص ١٧٦ ؛ القلقشندى ، ابو العباس ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ ؛ الزبيدى ، ج٧ ، ص ٤٢١ ؛ انظر مورينو ، مانويل جوميث ، الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور السيد محمود عبد العزيز سالم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ، ص ٢٣٢.

(٤) الزبيدى ، ج ٧ ، ص ٤٢١ .

(٥) مجمع طليطلة الثالث ، ص ٨٧.

(٦) الموسوعة البريطانية ، مجلد ٢٢ ، ص ٢٧٦ ، WILLIAM BENTON, ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, VOLUME, 22, p. 276, PRINTED IN THE U.S.A.,1966.

(٧) كولان ، ص ٨٠ – ٨١ ؛ WILLIAM, ENC., VOL , 22, p. 276.

(٨) البكرى ، جغرافية ، ص ٨٦.

(٩) الحميرى ، ص ٢٣.

(لاتيني) مأخوذ من لفظة (TOLETUM) ، وقد عربّها المسلمون فيما بعد فلفظت (١) (طُليطِلة)، وتعني ان الفرح والبشر سيعمّان من سكن هذه البقعة من الارض . (٢)

موقع طليطلة : (Toledo)

تقع مدينة طليطلة في وسط شبه جزيرة ايبيريا تقريبا (٣) ، وهذا يعطي موقعها اهمية كبرى ، وتجثم المدينة على مرتفع من الارض (٤) ، ويمتاز سطحها بتعدد المرتفعات

---

(١) كولان، ص ٨٠-٨١؛ بينما ورد في مرجع آخر ان التسمية رومانية مأخوذة من لفظة (TOLETUM)، انظر GERMA'N , P. 776.

(٢) البكري، جغرافية ، ص ٨٦؛ابن غالب م:١، ج٢، ص ٢٨٨؛ابن سعيد، علي بن موسى، المُغرب في حُلي المغرب ، تحقيق وتعليق : د. شوقي ضيف ، ج٢، دار المعارف مصر، ص ٩، وسأشير له ب ابن سعيد، الكتاب ؛ ابي الفداء، ص ١٧٧ ؛ المقّري، نفح الطيب ، ج١، ص ١٦١.

(٣) ابن صاعد، القاضي ابي القاسم صاعد بن صاعد الاندلسي ، طبقات الامم ،نشر وتذييل : الاب لويس اليسوعي ، بيروت ، ١٩١٢م ، ص ٦٣، وسأشير له ب ابن صاعد؛الادريسي، الشريف الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، وسأشير به ب الادريسي ، صفة ، طبعة ليدن، ١٩٦٨م ، ص ١٧٣ ؛المرّاكشي، عبدالواحد ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من لدن فتح الاندلس الى آخر عصر الموحدين ، تحقيق : الاستاذ محمد العريان ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٢٩، وسأشير له ب المرّاكشي ؛ شيخ الربوة ، شمس الدين ابي عبدالله الدمشقي ، نخبة الدهر في عجائب البّر والبحر ، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية ، بطربورغ ، ١٨٦٥م، ص ٢٤٤؛ الحميري ، ص ١٣٠ ؛ وانظر د. مؤنس ، حسين، فجر الاندلس ، ص ٧.

(٤) الاصطخري ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الكرخي ، المسالك والممالك، تحقيق : الدكتور محمد جابر ، دار القلم ، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٦؛ابي الفداء ، ص ١٧٧ ؛ القلقشندي ، صبح ، ج ٥، ص ٢٨٨؛ الحميري ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ المكناسي ، محمد بن عثمان ، الاكسير في فكاك الأسير ، تحقيق : محمد الفاسي ، الرباط، ١٩٦٥م، ص ١٤٦، وسأشير له ب المكناسي ؛ الورداني ، علي بن سالم ، الرحلة الاندلسية ، ١٩ سبتمبر ١٨٨٧م، أوراق ، مجلة ثقافية يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة ، م:٥ - ٦، ١٩٨٢، ١٩٨٣ م ، ص ١٢٢ ؛وانظر مؤنس ، فجر ، ص ٧.

الجليـــــة [1] ، يحيط بها نهر (التاجه) وروافده من ثلاث جهات [2] ، هي الشرق والغـــرب والجنوب [3] ، كما ورد في كتاب مانويل مورينو ان زيادة الربض [4] التابع لطليطلة ، مـــن جهة الشمال ، التي يحيط بها الجانب المسوّر للمدينة [5] .

اما الجهة الرابعة فيحيط بها سور عظيم [6] ، وهي المواجهة للمتجه نحو مجريـط [7] ، وهي المعروفة اليوم بمدريد (Madrid) ، وقال ابن حيّان ان شكل مدينة طليطلـــة قريب من الاستدارة شبيه بثُريا وتقدر المسافة التي يحيط بها الحائط حول طليطلـــة بثلاثة أميال [8] .

وتُعتبر طليطلة من اكثر مدن الاندلس مناعة وحصانة وقوة [9] ، لاحاطة سبعة مـــن

---

(١) الاصطخرى ، ص ٣٦ ؛ ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ؛ وانظر WILLIAM, ENCC. BRITANNICA, VOL. 22. p. 276

(٢) الاصطخرى ، ص ٣٦ ؛ ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ وقال ان نهر التاجه يشكل حـــول طليطلة ما يقارب ثلثي دائرة كحذوة فرس ، الادريسي ، صفة ، ص ١٨٨ ؛ ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٩-٤٠ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ ؛ ابي الفداء ، ص ١٧٧ ؛ ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص ٨٩٢ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ ؛ الحميرى ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص١٦٤ ؛ المكناسي ، ص ١٤٦ .

(٣) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٤) الربض ، هو ما حول المدينة ، فربض طليطلة ، يعني ما حولها ، انظر ابن منظـور ، ابي الفضل جمال الدين محمد الافريقي المصرى ، لسان العرب ، ج ٩ ، الطبعـــة الاولى ، المطبعة الميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٠٠- ١٣٠٧هـ ، ص ١٢ .

(٥) مورينو ، ص ٢٣٥ .

(٦) المسعودى ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهـر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج١ ، ص ١٦١ ؛ الادريسي ، صفة ، ص ١٨٨ ؛ الحميرى ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ انظر مورينو ، ص ٢٣٥ .

(٧) المكناسي ، ص ١٤٦ .

(٨) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٩) اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر بن واضح ، كتاب البلدان ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ؛ الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٨١ ؛ المسعودى ، مروج ، ج١ ، ص ١٦١ ؛ الادريســـــي ، صفة ، ص ١٨٨ ؛ ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن سعيـــــد ، المُغرب ، الكتاب ، ج٢ ، ص ٩ ؛ ابي الفداء ، ص ١٧٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ ؛ الحميرى ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

الجبال العالية بموقعها ، فقد ذكرت الموسوعة الانجليزية (١) ان المرتفعات الجبلية تحيط بطليطلة من جهتي الشرق والجنوب وان مياه نهر التاجه Rio Tajo تفصلها عن تلال جواديانا Guadiana من الجنوب (٢) .

وهذا يفسّر سرّ أهمية طليطلة لجميع الامم التي تعاقبت على حكم شبه جزيرة ايبيريا .

فقد ذكر في أحد المصادر أن مدينة طليطلة بنيت في عهد القيصر (اكتنيان) مع مدن اخرى في بداية القرن الميلادى الاول (٣) . بينما اورد أرسلان ان المؤرخ الروماني (تيتليف) ذكر ان الرومانيين استولوا على طليطلة سنة ١٩٢ قبل الميلاد (٤) ، وجاء في الموسوعة الانجليزية (٥) ان الرومان سيطروا على طليطلة سنة ١٩٣ قبل الميلاد .

ثم اتخذها القوط الغربيون عاصمة لهم (٦) ، في عهد الملك ليوفيخلدو LEOVIGILDO

---

(١) الاصطخرى ، ص ٣٦ .

(٢) WILLIAM, ENC., BRITANICA, VOL. 22, p.276.

(٣) ابن سعيد ، المغرب ، الكتاب ، ج ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ؛ وانظر ابن سعيد ، المُغرب ، ج ٢ ، صحيفة المعهد المصرى في مدريد ، طبعة دار المعارف ، عدد ١-٢ ، ١٩٥٦ م ، ص ٢٠٣ ؛ وانظر العذرى ، احمد بن عمر بن انس ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق : د. عبد العزيز الأهواني ، مطبوعات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، سنة ١٩٦٥م ، ص ١٧٢ .

(٤) ارسلان ، شكيب ، الحلل السندسية ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

(٥) WILLIAM, ENC., BRITANICA, VOL., 22, p.276.

(٦) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن ، فتوح افريقيا والاندلس ، تحقيق وتقديم :عبد الله انيس الطبّاع ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٠ ؛ ابن قتيبة ، قصة فتح الاندلس ، وهي مأخوذة من كتاب الامامة والسياسة ، مجريط ، ١٨٦٨م ، ص ١٢٥ ؛ قال الواقدى في (البلاذرى) ، ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله انيس الطباع وعمر انيس الطباع ، بيروت ، ١٩٥٨م ، ص ٣٣٣ ؛ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني ، كتاب البلدان ، ليدن ، ١٣٠٢هـ ، ص ٨٢ ؛ ابن خرداذبه ، ابي القاسم عبيد الله ، المسالك والممالك ، بريل ، ١٨٨٩ ، ص ٨٩ ؛ ابن جعفر ، قدامة ، الخراج وصناعة الكتابة ، تعليق : الدكتور محمد الزبيدى ، العراق ، ١٩٨١ ، ص ٣٤٩ ؛ المسعودى ، مروج ، ج١ ، ص ١٦١ ؛ ابن القوطية القرطبي ، تاريخ افتتاح الاندلس ، مجريط ، ١٨٦٨م ، ص ٢ ؛ لمؤلف مجهول ، أخبار فتح الاندلس وذكر

عام ٥٦٨م، حيث قرر أن يتخذ طليطلة عاصمة له، بعد ان آلت مقاليد الحكم اليه .(١)

قد لا يكون هنالك تعارض بين تاريخ استيلاء الرومانيين على طليطلة وبين تاريخ بنائها، ويفسر لنا ذلك ان الرومانيين استولوا في البداية على موقع المدينة ولم تكن قد اتخذت شكل المدينة بعد، بل كانت مجرد بلدة كما اشار ارسلان (٢)، ثم بعد ذلك تم بناء المدينة مع مدن أُخرى كمدن رئيسة في شبه الجزيرة الايبيرية في عهد القيصر (اكتنيان).

تابع هامش رقم (٦) صفحة ٧

امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط ، ١٨٦٧م، ص ١٦٠٥؛ ابن صاعد، ص ٦٣؛ ابن حيّان، م:٥، ص ٢٧٢، ٢٧٤؛ البكري، جغرافية ، ص ٨٧؛ الادريسي، نبذة ، ص ١٩١؛ الادريسي، صفة، ص ١٧٤، ١٨٧؛ ابن غالب ، م:١، ج٢، ص ٢٨٨؛ المرّاكشي، ص ٢٩، ابن الشباط ، م:١٤، ص ١٠٤، ١٢٠، ١٣٩؛ ابن عذارى المرّاكشي، ج٢، ص ١٤؛ ابي الفداء، ص ١٧٧؛ ابن خلدون، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر، م:٤، ق:٢، بيروت ، ١٩٦٨م، ص ٢٥٢؛ القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٢٣٨؛ الحميرى، ص ١٣٣، ١٧٥، ١٧٦؛ قال ابن حيّان والخزاشني في (المقّرى) ، نفح، ج١، ص ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٠؛ الزياني ، ابو القاسم ، الترجمانة الكبرى في اخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق : عبد الكريم الفيلالي، مطبعة فضالة ـ المحمدية، ص ٨٩.

(١) JOSE MARIA PEMAN DE LAREAL ACADEMIA ESPANOLA, LA HISTORIO DE ESPAN'A CONTADA CON SENCILEZ, BUENOS AIRES, EDITORIALES REUNIDAS, S.A. COCHABAMBA,158,ANO. MC ML., وورد ان طليطلة اصبحت عاصمة البلاد عام ٥٦٧م في عهد اتانجلد، انظر ارسلان ، الحلل ، ج١، ص ٣٦٣، وجاء رسم لفظة اسم الملك في كتاب الدكتور السيد عبد العزيز سالم (اتانا خيلد) انظر د. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٥٥؛ بينما اورد القلقشندى ان القوط اتخذوها عاصمة لهم في عهد الملك (دخشوش) ولم يشر الى سنة اتخاذ القوط طليطلة عاصمة لهم، انظر القلقشندى ، صبح ، ج ٥، ص ٢٣٨ ـ ٢٤١.

(٢) ارسلان ، الحلل ، ج١، ص ٣٦٢؛ وانظر PEDRO AGUAUBLEYE, MAUAL HISTORIA DE ESPAN'A , p. 350, MADRID, 1958.

مصادر المياه :-

استمد اقليم طليطلة مياهه سواء للزراعة او للشرب من اربعة مصادر، وذلك من خلال الاشارات التي وردت في بعضها ، فأولهما : نهر التاجه الذى يزود مدينة طليطلة وبعض المناطق التابعة لها بالمياه[1] ، من خلال النهر نفسه ، وروافده وخاصة وادى رانخويز (ARANJUEZ)، ووادي خرمة[2] ، وقد استفادت مدينة طلبيرة من موقعها على نهر التاجه[3] . وثانيهما : الاودية والجداول الصغيرة التي وردت الاشارة على انها تغذى مزروعات وبساتين وادى الحجارة بالمياه اللازمة[4] ، ومن امثلة الاودية وادى شقوبية ، والذى يوفر كميات كبيرة من المياه لمنطقة شقوبية[5] .

والمصدر الثالث من مصادر المياه ، مياه الآبار، وقد وردت الاشارة الى بئرين يبعد الاول ٢٥ ميلا عن طليطلة قرب قرية تقع على طريقها[6]، واما الثاني فيبعد عشرة أميال عنها باتجاه طريق مجريط[7] ، وقد وردت الاشارة الى هذين البئرين على ان ماءهما عذب وليس بهما علق[8] ، جاءت الرواية مشيرة الى انهما مصدرا شفاء لمن به داء العلق .

ولا بدّ ان يكون هناك آبار اخرى ، لأن هذين البئرين ذُكرا بالتخصيص لأن مياههما تستعمل كعلاج[9] ، وذكر المكناسي انه كان يوجد بطليطلة آبار في زمن المسلمين .

واما المصدر الرابع فهو العيون، وقد ورد ما يفيد وجود عين بالقرب من حصن وقش[10] ، وعينا ماء في قرية فنيشرة[11] ، اذا نضبت احداهما جرت الاخرى ، واما شرب اهل طليطلة فقد كان من عين ماء ، على درجة عالية من العذوبة ، سُحبت مياهها الى داخل المدينة من فوق القنطرة التي على نهر التاجه ، وتم ايصالها الى المدينة[12] .

---

(١) الموسوعة الانجليزية ، م:٢٢، ص ٢٧٥.
(٢) المكناسي، ص ٧٩، ٨١، ١٤٥، ١٤٦.
(٣) ياقوت ، ج٤، ص ٣٧.
(٤) الحميرى ، ص ١٩٣.
(٥) المكناسي ، ص ١٢٩ ، واسمه (Eresma) وواد آخر يسمى (Clamores)، ص ١٣١.
(٦) الحميرى ، ص ١٣٥.
(٧) الحميرى ، ص ١٣٥.
(٨) الحميرى ، ص ١٣٥.
(٩) المكناسي ، ص ١٤٩.
(١٠) الحميرى ، ص ١٣٥.
(١١) الحميرى ، ص ١٣٤.
(١٢) المكناسي ، ص ١٤٩.

المنتوجات الزراعية :-

طليطلة محاطة بالبساتين والاشجار والكروم (١)، فقد اشتهرت بالغلات والتجارة والاسواق (٢)، حيث كانت لها سوق عظيمة (٣)، وكذلك فان اقليم الشارات والجبال المحيطة بها اكسبتها شهرة بالنسبة لتربية الابقار والاغنام، التي تدّر على هذه المنطقة الاموال (٤)، من خلال المتاجرة بها الى المناطق الاخرى .

تمتاز طليطلة بلطافة هوائها وطيبة تربتها وجودة زرعها (٥)، ولهذا يقال أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير (٦)، وكان يوضع القمح بطون الاهراء ثم يوجد سليما لم تصله الآفات (٧).

ومن هذه الاشارة نتبين طبيعة مناخ وتربة طليطلة وخبرة اهلها بكيفية حفظ غلالهم، كما ان زعفران طليطلة على درجة عالية من الجودة، حيث كان يُحمل الى البلاد الاخرى للتجارة به (٨)، وكذلك الصبغ السماوي (٩)، الذى اشتهرت به طليطلة كان صبغا مميزا.

بهذا اخلص الى القول أن مدينة طليطلة امتازت بموقعها الجغرافي المتوسط بالنسبة لشبه الجزيرة الايبيرية، وكذلك بموقعها الاستراتيجي الذى يمتاز بحصانة طبيعية أكسبها أياه نهر التاجه، والموقع المرتفع للمدينة. وسيلاحظ مدى انعكاس طبيعة وخواص مدينة طليطلة على موقف سكان المدينة السياسي ابّان العهود الاسلامية التي تعاقبت على طليطلة.

---

(١) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١١١ ؛الادريسي، صفة، ص ١٨٨ ؛ابن سعيد، المغرب، الكتاب، ج٢، ص ٩ ؛ابي الغداء، ص ١٧٧ ؛القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٨٨ ؛الحميرى، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) ابن حوقل، ص ١١١. (٣) ابن حوقل، ص ١١١.

(٤) الادريسي، صفة، ص ١٨٨ ؛الحميرى، ص ١٣٣.

(٥) ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨ ؛ القزويني، ص ٥٤٦.

(٦) البكرى، جغرافية، ص ٨٨ ؛ ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨ ؛القزويني، ص ٥٤٥ ؛ابن عبد الحق، ج٢، ص ٢٩٢ ؛ قال الرازى في (المقّرى)، ج١، ص ١٤٣.

(٧) ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨.

(٨) البكرى، جغرافية، ص ٨٨ ؛ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨ ؛ ياقوت، ج٤، ص ٤٠ ؛الحميرى، ص ١٣٣ ؛ قال الرازى في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ١٤٣.

(٩) البكرى، جغرافية، ص ٨٨ ؛ الحميرى، ص ١٣٣ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ١٤٣.

ثانيا : الاحوال الاجتماعية السائدة في طليطلة قبيل الفتح الاسلامي :

لمحة عن اوضاع السكان ، وتقسيماتهم الاجتماعية :

تعاقبت الامم على شبه الجزيرة الايبيرية في الازمان السالفة (١) ، الى ان دخلها القوط الغربيون ، واتخذوا طليطلة عاصمة لهم (٢) ، وكان هؤلاء القوط يدينون بالديانة المسيحية على مذهب الاريوسية (٣) ، علما بان سكان شبه الجزيرة الايبيرية كانوا يدينون بالديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي (٤) ، فقام القوط باضطهادهم حتى تم تحويل القوط عن اريوسيتهم الى الكاثوليكية في عهد الملك ركريد (RECAREDO) (٥) في مجمع

---

(١) اختلفت تسمياتهم وترتيبهم في المصادر العربية ، فذكر الحميرى الاندلش والافارقة والاشبان والشبونقات ومن ثم القوط. انظر الحميرى، ص ٦٤؛ وذكر ابن عذارى الاندلش والافارقة والاشبانية والبشترلقات والقوط. ابن عذارى، ج٢، ص ١-٣؛وانظر ما ذكره القلقشندى عن تلك الامم:الاندليش والاباريون والاشبانية والشبونقات والابنيّون والشوانيون والفندالس ومن ثم القوط الغربيين،القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٣٦-٢٤١.

(٢) الحميرى، ص ٥-٦؛ وانظر قول ابن حيّان في المقّرى، نفح ، ج١، ص ١٣٨.

(٣) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٨٧-٨٨. والاريوسية (ARIANISME) نشأت في اواخر القرن الثالث الميلادى وانتشرت في بداية القرن الرابع الميلادى على يد اريوس الاسكندرى، ومذهب اريوس الوحدانية حيث ينفي الوهية (كلمة الله) المجسدة في السيد المسيح عليه السلام ، بينما كان المسيح عليه السلام معتبرا في نظر الكاثوليك الاها ثانيا وابن الاله بوحدة الجوهر تجمعت فيه كل صفات الالوهية ، بينما يرى اريوس واتباعه انه ليس باله خالد قدير لا أول له ولا آخر. انظر ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن ابي بكر، هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، المدينة المنورة ، ١٣٩٦هـ، ص ١٦٦، ١٧١؛ وانظر صفر، احمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج١، دار النشر، بوسلامه ، تونس ، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) ZUGASTI, P.JUAN ANTONIO, EL CONCILLO III DE TOLEDO, PRECEDIDA DE UN PRÓLOGO POR D. FRANCISCO JAVIER SIMONET, MADRID, 1891, p.88.

وسأشير له باللغة العربية المجمع الطليطلي الثالث نظرا لأن النص منشور باللغة العربية ، فيكون المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٨٨.

(٥) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ذكر ان المجمع حدث سنة ٦٢٧ م؛ وانظر ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٠، فقد اشار الى تحول في عهد الملك ركريد الى الكاثوليكية حيث ان الملك ريكريد الاول حكم من سنة ٥٨٦-٦٠١م بينما ركريد الثاني لم يحكم سوى بضعة شهور، لذلك أميل الى ان المجمع انعقد في طليطلة في عهد ركريد الاول ، عام ٥٨٩م، انظر D.FRANCISCO, p.103 ، وانظر الحميرى، ص ٥٦، فقد وردت فيه اشارة الى مثل هذا. وانظر D. FRANCISCO DIAZ CARMONA, DE HISTORIA DE ESPANA, p.103. BARCELONA, 1911.

طليطلة الثالث، بحضور ثمانين اسقفا، من بينهم اساقفة شبه الجزيرة الايبيرية الستة الكبار، ورجوع قبائل القوط الغربيين عن اريوسيتهم واعتناقهم الكاثوليكية، واعتبار من بقي على الاريوسية ملعونا (١)، أدى هذا التحول الى معارضة الاريوسية واضطهادها، فالاضطهاد الاريوسي للكاثوليك، ومن ثم العكس، فبعد اعتناق الملك للمذهب الكاثوليكي وارجاعه القوط الى الكاثوليكية، وتعميم المذهب الكاثوليكي ودعمه مما جعل البلاد تعيش حالة ضعف وفوضى (٢)، وثورات وسفك دماء لوقف عملية الكثلكة، حيث اتخذ القوط الاريوسيون عدة تجمعات وانتفاضات، فاولى تلك الانتفاضات حدثت في مقاطعة سبتمانيا بزعامة القس الاريوسي أتالكو (ATALOCO)، مع رجلين آخرين من القوط، فقد ثار هؤلاء وسلموا المقاطعة لملك برغونيا (BORGONA) وكان اسم الحاكم خونترام (GONTRAM) الا ان هذه الثورة لم تنجح حيث استطاع الملك القوطي ريكريدو الاول القضاء على الثورة والقائمين عليها سنة ٥٨٨م بواسطة الجنرال القوطي كلاوديو حيث انتصر عليهم واستولى على سبتمانيا (٣).

وثاني تلك الثورات التي حدثت من قبل الاريوسيين وقعت احداثها في ماردة (MERIDA) سنة ٥٨٧م بزعامة الاسقف الاريوسي سونا (SUNNA) ونبيل قوطيا يدعى فيتريكو (VITERICO) ولكنها لاقت الفشل وتم القضاء عليها (٤)، واما المحاولة الثالثة للثورة ضد ركريد الاول فحدثت عام ٥٨٨م في طليطلة العاصمة بزعامة الاسقف الاريوسي (ULDINA) ومربية ريكريد (GOLSUINTA) الا ان الثورة لم تنجح وتم القضاء

تابع هامش رقم (٥) صفحه ١١

فقد ذكر ان ركريد الاول حاول ان يقضي على الخلافات الدينية السائدة في شبه الجزيرة الايبيرية ووقف الهجوم ضد الكاثوليك وذكر ان المجمع عقد في عام ٥٨٩م، وانظر بدرو، فقد ذكر ان المجمع حدث سنة ٥٨٩م في شهر أيار.
PEDRO, MANUAL, TOMO 1, p. 351, 1967.

(١) المجمع الطليطلي الثالث، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ٩٨؛ وانظر PEDRO AGUADO BLYE, MANUAL HISTORIA DE ESPAN'A, TOMO 1, MADRID,1967,p.CAPITULOU,351,366. الا انه ذكر ان المجمع حضره ٦٢ اسقفا.

(٢) المجمع الطليطلي الثالث، ص ١١١؛ وانظر D.FRANCISCO., p. 103-110.

(٣) D. FRANCISCO., P. 103; PEDRO, MANUAL, TOMO 1,1967.p.350-354.

(٤) D. FRANCISCO., P. 103; PEDRO, MANUAL, TOMO 1,1967.p.350-354.

عليها ، مما حدا بالمربية القيام بالانتحار لكي لا تقع في الاسر (١) واما شريكها في الثورة البطريق فقد اودع السجن (٢) .

ثم آلت مقاليد الحكم بعد ركريد الاول الى ابنه ليوفا الثاني(LIUVA II) قام هذا الملك في بداية عهده بالعفو عن النبيل القوطي الذى قام بثورة ضد والده وهو المدعو البطريق ، ولكن البطريق أنشب ثورة جديدة ضد ليوفا الثاني، واستطاع هذه المرة قتل ليوفا بعد سنتين من حكمه أي من عام ٦٠١-٦٠٣م، مما جعل العرش في متناول يده ، فسنحت الفرصة امامه لارجاع الاريوسية الى اسبانيا ومسكها زمام الامور من جديد ، ولكنه لم يوفق في مساعيه فقد حاول فرض هذا الامر بصرامة ، ولم يحاول ذلك من خلال المناظرة والحجة ، حيث دفع هذا الوضع أهالي طليطلة للقيام بثورة ضده ، وحالفهم الحظ في ذلك حيث تمكنوا من قتله داخل قصره ، فأستطيع القول ان مدة حكم فيتيريكو (VITERICO) ما بين ٦٠٣-٦١٠م كانت المحاولة الاخيرة البارزة للاريوسيين لاعادة معتقدهم الى السيادة على اجواء شبه جزيرة ايبيريا من جديد (٣) .

والى قريب من الكلام السابق أشار ابن الأثير عند ذكره للملك ركريد ومجمع الاساقفة ، حيث ذكر ان ثائرا قوطيا يدعى (بتريق) قام بثورة على ابن ركريد واستطاع ان يستولي على مقاليد الحكم ، الا ان عدم رضا الناس دفع بأحد المقربين، من الحاكم الجديد الى القيام بقتله (٤) .

وحققت الكاثوليكية انتصارها التام على الاريوسية في عهد الملك سيسبوتو (SISEBUTO) خلال فترة حكمه الممتدة بين عامي ٦١٢-٦٢٠ (٥) يلاحظ مما سبق فشل المحاولات التي قام بها الاريوسيون المتمسكون بعقيدتهم والذين كانوا في الغالب من رجال الدين لاعادة مذهبهم للوجود أو على الاقل المحافظة عليه ، كما ان اعتناق ركريد كان اعتناقا سياسيا ولم يكن عن قناعة ، وذلك لتحقيق الوفاق بين رعايا الدولة القوطية ذات الاغلبية الكاثوليكية ، وازالة المشاكل وعناصر الضعف والتفرق في دولتهم .

---

(١) D. FRANCISCO., P.103, 104; PEDRO, TOMO 1, P. 350-354.

(٢) D. FRANCISCO., P.104.

(٣) D. FRANCISCO., P. 104.

(٤) ابن الاثير ، ج٤، ص ٥٦٠.

(٥) D. FRANCISCO., P. 104-105.

يضاف الى الاضطهاد السابق بنوعيه ، اضطهاد آخر من نوع مختلف عن الاول اذ ان الكاثوليك وبعد أن تمكنوا من بسط مذهبهم على منافسيهم الاريوسيين، توجهوا هذه المرة الى اضطهاد اليهود (١) ، الذين كانوا موجودين بأعداد كبيرة في شبه الجزيرة الايبيرية ، يتبين ذلك من خلال ما ورد من اشارات في بعض المصادر العربية ، فمنذ الفتح الاسلامي ضم المسلمون اليهود الى قصبات المدن والاقاليم نظرا للعداوة بينهم وبين الكاثوليك (٢)، فما لاقاه اليهود من اضطهاد ديني ومصادرة املاكهم بل استرقاقهم ، جعلهم يتمنون الخلاص من هذا الوضع على أيدى قادمين جدد ربما يخلصونهم من ذلك الوضع (٣) .

حيث صدرت في اكثر عهود ملوك شبه الجزيرة الايبيرية الكاثوليك قرارات ضد اليهود ، ففي عهد الملك سيسبوتو (SISEBUTO) اصدر اوامره ضد اليهود الذين كانوا يعيشون في ايبيريا حيث كانت تلك الأوامر من خلال مرسوم نص على تعميد اليهود ، واذا لم يتعمدوا فيجب عليهم ان يُهجّروا من البلاد ، وقد تبنى المجمع الرابع الذى انعقد في طليطلة ذلك الموقف (٤) .

ونتيجة لتلك الظروف اضطرت مجموعة كبيرة من اليهود قدرت بالالاف ، اعتناق الكاثوليكية ولكنهم بقوا سرّا يمارسون عقائدهم اليهودية (٥) ، اما بالنسبة للذين رفضوا التعميد ، فبدأت السلطات الأيبيرية في ملاحقتهم حتى تمّ لهم اخراجهم من داخل المملكة عام ٦١٣م (٦) .

---

(١) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٩٤ ، ١١١ .

(٢) اخبار مجموعة ، ص ١٤، ١٦ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ .

(٣) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٩٤ ؛ وانظر طرخان ،ابراهيم علي ، المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى ، ص ٥١ ؛ وانظر العَبادى ، احمد مختار ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص ٢٥٩-٢٦٠ ؛ مكي ، سامي ، دراسات في الادب الاندلسي ، ص ٤٧ ؛ وانظر D. FRANCISCO.,P.104-106 .

(٤) D. FRANCISCO.,P. 105.

(٥) D. FRANCISCO.,P. 105.

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

وتوفي هذا الملك سيسبوتو (SISEBUTO) في عام ٦٢٠م حيث تدور الشبهات حول قيام اليهود بدس السمّ له[١]. ساد الفترة التي اعقبت وفاة سيسبوتو (SISEBUTO)، عهد من الفوضى والاضطراب، فانتهز اليهود تلك الظروف وعادوا بعد أن هُجّروا في عهد الملك السابق (SISEBUTO) الى شبه الجزيرة الايبيرية[٢].

وفي عهد الملك تشينتيليا (CHINTILA) الذى حكم ما بين سنتيّ ٦٣٠–٦٤٠ م، صدرت قوانين عن المجمع الطليطلي السادس ضد اليهود، حيث تم وضع بند بين قرارات المجمع نص على ان يحلف الملك، بأنه لن يسمح لأى شخص بالبقاء داخل الدولة اذا لم يكن كاثوليكي المذهب[٣]، ونتيجة لهذا القرار تظاهر اليهود بالدخول في النصرانية، ولكنهم ظلّوا يمارسون ديانتهم اليهودية سرّاً[٤]، وقام الملك اخيكا (EGLCA) الذى حكم من ٦٨٧–٧٠١م بمصادرة املاك اليهود وملاحقتهم ايضا[٥] والاشارة الاخيرة التي بين ايدينا عن اوضاع اليهود تلك هي التي كشفت لنا عن اوضاعهم عند قدوم المسلمين، حيث ان الملك غيطشة (WITIZA) سمح لليهود المشتتين بالعودة الى (اسبانيا) علما بان فترة حكم غيطشة امتدت ما بين عام ٧٠١م الى ٧٠٩م[٦]. مما سبق يلاحظ ان فئة اليهود نالها الاذلال والقهر خلال الفترة السابقة للفتح الاسلامي، ومن الطبيعي ان يكره أي مظلوم وأي مقهور من أوقع به الظلم واوقع عليه القهر، فمن هذه الناحية نجد ان شريحة اليهود والتي رأينا انها كانت موجودة في شبه الجزيرة الايبيرية، كانت تتطلّع للخلاص من تلك الظروف.

ومن عوامل الضعف في المجتمع الايبيرى وخاصة في اواخر عهد الدولة القوطية حيث كان سكان شبه الجزيرة الايبيرية يئنون تحت وطأة الصراع الطبقي القاتل الذى طحن الطبقات الشعبية، التي كانت مستغلة من قِبل الطبقات العليا المتنفذة، فالمجتمع القوطي كان منقسما الى طبقات سيطر بعضها على بعض[٧]، فالطبقة الاولى: تتكون من الملك

---

(١) D. FRANCISCO., P. 105
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٥–١٠٦.
(٣) المرجع السابق، ص ١٠٦.
(٤) المرجع السابق، ص ١٠٦.
(٥) المرجع السابق، ص ١١٢.
(٦) المرجع السابق، ص ١١٢.
(٧) د. العَبادى، في التاريخ العباسي والاندلسي، ص ٢٥٩؛ د. العَبادى، في تاريخ المغرب، ط ٢، ص ٥١.

والنبلاء ، وكانت متميزة في الحقوق والمراكز [(١)] ، وتمتعت بالنفوذ الواسع والممتلكات الشاسعة ، التي كانت معفاة من الضرائب ، وكانت مقاليد الحكم بيدها وهي تسيّر شؤون الدولة [(٢)] .

والطبقة الثانية : طبقة رجال الكنيسة ،الذين كانت لهم السلطة في مجمع طليطلة ، وكانت هذه الطبقة تشارك الطبقة الاولى في ادارة دفة الحكم ، وتمتعت هي الاخرى بالنفوذ الواسع ، واحيانا طغت سلطات رجال الدين على النبلاء نظرا لدور الدين في تصورات عوام الناس خصوصا في العصور الوسطى الاوروبية .

وكانت ممتلكاتهم الواسعة معفاة من الضرائب [(٣)] ، هاتان الفئتان شكلتا معا فئة عاشت على حساب بقية الشعب ، الرازح تحت وطأة الفقر والظلم والاستعباد ، وتسخيرهم لتلك الفئة القليلة بالنسبة لمجموع السكان .

الطبقة الثالثة : الطبقة الوسطى تأتي بعد سابقتيها ، الا انه كان عليها مساعدة الحكومة ودفع الضرائب ، وتتكون هذه الطبقة في الغالب من سكان المدن تجارا كانوا او صناعا ،او زراعا من المُلاك الصغار [(٤)] ، وقد كانت مثقلة بالضرائب والمضايقات .

---

(١) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ١٤ ، ١١٠ ، ١١٦ ؛ د . العّبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٥٩ ؛ د . العّبادي ، في تاريخ المغرب ، ص ٥١ ؛ د . مكي ، دراسات ، ص ٤٧ ؛ د . طرخان ، ابراهيم ، دولة القوط الغربيين ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ؛ د . بيضون ، ابراهيم ، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٦٥ ؛ د . سالم ، عبد العزيز ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٨ ؛ مرار ، حسن ، تاريخ العرب في الاندلس ، دار الفرجاني ، القاهرة ، طرابلس ، لندن ، ١٩٨٤م ، ص ٦٢ .

(٢) د . العّبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٥٩ ؛ د . العبادي ، في تاريخ المغرب ، ص ٥١-٥٢ ؛ د . الركابي ، جودت ، في الادب الاندلسي ، ص ١٠ ؛ د . مكي ، ص ٤٧ ؛ د . بيضون ، ص ٦٣ ؛ د . سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٥٨ ؛ مرار ، ص ٦٢ .

(٣) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ؛ د . العّبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٥٩-٢٦٠ ؛ د . العّبادي ، في تاريخ المغرب ، ص ٥٢ ؛ د . طرخان ، دولة ، ص ١٤٠ ؛ د . مؤنس ، حسين ، فجر ، ط١ ، ١٩٥٩ ، ص ٢٣٠٩ ؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، القسم الاول ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠ ؛ ابو خليل ، شوقي ، فتح الاندلس ، ط ١ ، دمشق ، ١٩٧٦م ، ص ٣٤ .

(٤) د . العبادي ، في التاريخ العباسي ، ص ٢٥٩-٢٦٠ ؛ د . الركابي ، ص ١٠ ؛ د . مؤنس ، ص ٢١ ؛ د . بيضون ، ص ٦٥ ؛ ابو خليل ، ص ٣٤ ؛ مكي ، ص ٤٧ ؛ مرار ، ص ٦٢ .

والطبقة الرابعة : هي طبقة العامة والعبيد، وتضم هذه الطبقة معظم افـــراد المجتمع الايبيرى ، الا انها كانت اكثر الطبقات من حيث الواجبات واقلهن حقوقا ، قسم منهم كان يعمل في اراضي النبلاء ورجال الدين، فهم عبيد لهؤلاء المالكين، ينتقلـــون مع الارض ويباعون معها اذا بيعت ويتوارثون كما يتوارث المتاع ، ويدخل ضمن هذه الطبقة فئة العبيد التي كانت تتزايد اعدادها عندما كانت تنشب الحروب (١) .

أما الطبقة الخامسة : فكانت تتألف من اليهود، وكانت هذه الفئة مسيطرة علـــى النواحي المالية والاقتصادية في شبه الجزيرة الايبيرية ، كما انهم كانوا يعملـــون في وظائف حكومية تتعلق بالشؤون المحاسبية والمالية ، الا انهم كانوا مبغوضين مـــن بقية ابناء الشعب ، نظرا لمراباتهم وامتصاصهم لجهد الناس واستغلالهم لاصحـــاب الحاجات من الضعفاء (٢) ، يضاف الى ذلك العداوة الدينية بين اليهود والكاثوليـــك، وقد تعرّض اليهود لمشاكل كثيرة في شبه الجزيرة الايبيرية كما رأينا ، ولهذا فانهـــم كانوا ناقمين على الاوضاع السائدة ، لانهم كانوا مظلومين في عقائدهم ومهددّين فـــي ممتلكاتهم ، اذ كانوا يخسرونها عندما تزيد شدة العداوة لهم من قبل الكاثوليك.

ومما سبق يتبين، أن معظم المجتمع القوطي في شبه الجزيرة الايبيرية ، كــــان مغلوبا على امره ومستاءً من السلطة ومن النظام الحاكم وكان يعاني منه شتى اصنـــاف الظلم والعسف والارهاق والاذلال ، هذا بالنسبة للمجتمع العام، وشريحة طليطلة العاصمة لا بدّ أن تكون اكثر وضوحا لصورة المجتمع بشكل عام، فكل الظلم والفساد والترف يكون عادة أشد وضوحا في العاصمة .

أخلص الى القول بان الاحوال السائدة في طليطلة قبيل الفتح الاسلامي كانـــت مفككة ، فالقوي والاقدر يمتص ويرهق الاضعف ، وكل فئة تحاول ان تطغى على الفئـــات الاخرى، ويحصل الطغيان الاكثر علـــى العامة البؤساء والاقلية المنبوذة عقائديـــا ،

---

(١) د. العبادى، في التاريخ العباسي، ص ٢٦٠؛ د. مؤنس ، ص ٢١؛ د. طرخان، المسلمون، ص ٥١؛ عنان، القسم الاول ، ص ٣٠-٣١؛ مكي، ص ٤٧-٤٨؛ د. بيضون، ص ٦٥.

(٢) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٩٤؛ د. العبادى، في التاريخ العباسي، ص ٢٦؛ د. طرخان، المسلمون، ص ٥١؛ د. مكي، ص ٤٨؛ د. فروخ، عمر، ص ٧٧؛ د. بيضـــون، ص ٦٣.

ومثل هذا المجتمع المحطم لا يمكن ان يصمد أمام أي غزو خارجي لشبه الجزيرة الايبيرية ، لأن مثل هؤلاء ليسوا على استعداد للتضحية من أجل من ظلمهم واستذلهم وعاش على عرقهم وجهدهم ، في ظل هذا الوضع السائد كانت بلاد الشمال الافريقي المواجهة لاسبانيا تعيش تحت الحكم الاسلامي وتشهد انتشار الاسلام وتطبيق قيم العدالة والتمدن.

نظام الحكم في شبه الجزيرة الايبيرية قبل الفتح الاسلامي

ومن عوامل ضعف وتفسخ المجتمع القوطي أنّ نظام الحكم في اسبانيا كان نظاما ملكيا انتخابيا ، حيث يتم انتخاب الملك من بين النبلاء القوط ، وهذا يفسح المجال أمام التنافس والتناحر والتصارع والتمحور بين فئات القوط واقوى المرشحين، وبالتالي تمحور بقية فئات المجتمع التي لا تختار برغبتها بل عليها أن تفعل ما تمليه ولاءات اسيادها ،هذا الوضع اضعف المجتمع القوطي واوقع فيه القتال والتخاصم والتقاطع لسنوات طويلة (١) .

كان هذا بشكل عام أمّا الذى كان يحدث على ارض الواقع ، فقد كان الصراع ينشب بعد نهاية حكم كل ملك حيث يدور الصراع بين ذرية الملك والطامعين في العرش ، ومن هنا كانت تبدأ الفتن والاضطرابات الدموية لاقرار ملك جديد على العرش ، وبعد تغلب هذا الظافر الجديد يبدأ بالضغط على طبقة النبلاء ومجمع طليطلة للاعتراف به رسميا في مجمع طليطلة ، وهذا ما فعله الثائر تشيندس بينتو (CHINDAS VINTO) حيث انه قام باضطهاد معارضيه من طبقة النبلاء ، مما دفعهم للاعتراف باحقيّته في الملك، بعد أن قام باسقاط حكم الملك الذى سبقه تولغا (TULGA) وامتد حكمه من ٦٤١-٦٥٢م (٢) .

وكذلك فعلُ الملك ايرفيخيو (ERIGIO) عندما قام بانتزاع الملك من سلفه واmبا (WAMBA) عام ٦٨٠م (٣) .

---

(١) طرخان، المسلمون، ص ٥٣؛ سالم ، تاريخ ، ص ٥٧ ؛ العّبادى، في التاريخ العباسي ، ص ٢٦٠.

(٢) D. FRANCISCO, P. 106-107.

(٣) D. FRANCISCO, P.107-100,111.

وبعد ان ينال الملك الجديد الاعتراف الرسمي يقوم بتثبيت الامور لصالحـــه وتسيير أمور الدولة ، وبعد أن يتم له ذلك يقوم بأخذ العهد لابنه من بعده ، كما فعل تشينتيلا (CHINTILA) عندما قام باخذ العهد لابنه تولغا (TULGA) من بعـده ، علما بانه نال الملكية بطريقة الانتخاب ولم ينلها عن طريقة الوراثة ، مثلما أراد هو ان تكون وراثية لابنه من بعده (١) ، ممّا أدّى الى قيام ثورة بزعامة تشيندس بينتـو (CHINDAS VINTO) تمكن من خلالها هذا الثائر من الوصول الى العرش ، عـام ٦٤١م ، عندما استطاع ان يزيل من وجهه الملك السابق تولغا (TULGA) (٢) .

وثائر الأمس الذى كان يرفض ولاية العهد والوراثة في منصب الملكية ، يصبـح هو الذى يسعى اليها ، وينفذها بمحاولته جعلها في نسله ، خلال حياته لكي تصبح فيهم بعد مماته ، وهذا هو ما وقع به تشيندس بينتو (CHINDAS VINTO) عندما قـام بتعيين ابنه ريشس بينتو (RECES VINTO) عام ٦٤٩م وليا للعهد (٣) ، ايضا استطاع الملك اخيكا (EGICA) أن يستصدر قرارا من مجمع طليطلة الخامس عشر عام ٦٨٨ م بتولية ابنه غيطشه (WITZA) وليا للعهد وليخلفه بعد وفاته (٤) .

الا انه وبعد وفاة الملك كانت تثور طبقة النبلاء والطامعين الذين أكرهوا على قبول ابن الملك السابق لولاية العهد ولخلافة ابيه ، فمثلا بعد وفاة (CHINDAS VINTO) لم تكن طبقة النبلاء والمتنفذين لترضى عن ذلك الوضع لان تولّي (RECESVINTO) العرش اعتبر اغتصابا لحقهم في الاختيار ولانهم لم يريدوا ان تصبح الملكية ملكية وراثية (٥) ، فقامت ضده ثورة بزعامة فرويا (FROYA) الا انها فشلت في تحقيق هدفها بالاطاحة (RECES VINTO) (٦) .

ويرافق تغيير الملك في الغالب ، وتولي ملك جديد ملاحقة وابعاد انصار الملـك السابق كما حدث عندما تولى الملك (EGICA) العرش ، فقد استطاع ان يحصل مـن المجمع الخامس عشر الذى انعقد في طليطلة عام ٦٨٨م ، على عفو شامل عن انصار جـده

---

(١) D. FRANCISCO, P. 106.

(٢) D. FRANCISCO, P.106-107.

(٣) D. FRANCISCO, P. 107.

(٤) D. FRANCISCO, P.112; JOSE PALNCO ROMERO,HISTORIN ESPA'N, TOMO 1, P. MADRID, 1914.

(٥) D. FRANCISCO, P. 107.

(٦) D. FRANCISCO, P. 107.

الملك وامبا الذين كانوا ملاحقين في عهد الملك ايرفيخيو (ERIGIO)[1] ، وكذلك قام ايرفيخيو هو الآخر بالحصول على قرار من المجمع الطليطلي الثاني عشر، بالعفو عن ثائر سابق وهو باولو (POULO) الذى كان قد ثار ضد الملك وامبا ، ونصّب من نفسه ملكا ، ولكن الملك وامبا استطاع القضاء على ثورته وتمكن من أسره[2] .

يضاف الى ذلك ما حصل في أواخر الدولة القوطية في عهد الملك غيطشه (WITZA) الذى حكم من ٧٠١-٧٠٩هـ والذى ولّى ابنه وقلة (ACHILA) ولاية العهد من بعده ، وقد كان صغير السن، مما ادّى الى تذمر الطامعين في العرش من النبلاء وكبار القادة ، من قرار غيطشة ، لان ابنه صغير السن[3] ، وشارك الابن في حياة والده بمسؤولية الحكم عندما بعثه والده ليحكم في مقاطعات الشمال[4] في مناطق نربونة تحت وصاية شريف قوطي يدعى رتشيسيندو (RECHISINDO)[5] ، ليتمرس على شؤون الحكم .

علما بان قرار غيطشة غير شرعي لان القرار يُرسخ جعل الملكية وراثية ، ويكون بذلك قد خالف الرغبة عند طبقة النبلاء ومجمع طليطلة بان تكون الملكية انتخابية وليست وراثية جبرية ، ولهذا قام غيطشة باتباع سياسة صارمة تجاه طبقة النبلاء ، حيث قام بتجريدها من عدة صلاحيات[6] ، مما جعل نفوس طبقة النبلاء تمتلئ حقدا تجاه غيطشة وابنه من بعده ، وعلى ما يبدو انهم قبلوا ذلك العهد ، لينتهزوا الفرصة المواتية للثورة ، لتحقيق مآربهم ، وكذلك انتهج غيطشة سياسة منع حمل الاسلحة ، لكي يضبط الامور ويحول بذلك دون قيام ثورة ضده[7] .

ولكن فرصة طبقة النبلاء والمتنفذين والطامعين قد جاءتهم عندما توفي غيطشة في طليطلة تاركا خلفه ثلاثة أبناء صغار هم وقلة (ACHILA)، والمُند (OLMUNDO)

---

(١) D. FRANCISCO, P. 112.
(٢) D. FRANCISCO, P. 108,111.
(٣) مؤنس ، فجر ، ص ١٣-١٤ ؛ سالم ، تاريخ ، ص ٥٩ ؛ D. FRANCISCO, P. 114.
(٤) سالم ، تاريخ ، ص ٥٩.
(٥) D. FRANCISCO , P.114.
(٦) D. FRANCISCO , P.112.
(٧) D. FRANCISCO, P. 112.

وارطباس (ARDABASTO) [1]، وكان كبيرهم ـ وهو وليّ العهد ـ موجودا في مقاطعات الشمال ، فاستغلوا هذه الفرصة الثمينة ، حيث لم تتمكن زوجة غيطشة من الاحتفاظ بالعرش رغم محاولتها ادارة امور الحكم في المملكة ، من العاصمة طليطلة حتى قدوم ابنها ، فقام المناهضون لاسرة غيطشة بحسم الأمر لصالح أحد كبار القادة وهو لذريق [2] (RODRIGO) [3] وكان يشغل منصب دوق باطقة (BETICA) [4] .

وفي هذه الحالة اصبح في اسبانيا معسكران الاول : معسكر اسرة غيطشة ، والذى كان يرى البعض انه صاحب الحق والملك الشرعي ، بينما كان المعسكر الثاني بقيادة لذريق وانصاره حيث اعتبروا ان قرار غيطشة بتولية ابنه ، حقا قد غُصبوه بالاكراه وآن لهم ارجاع الحق الى نصابه ونفذّوا رغبتهم باختيار لذريق ليصبح ملكهم .

ولهذا تضاربت الاراء حول المعسكرين حيث يرى بعض المؤرخين أنّ لذريق لم يكن من أهل المُلك [5] ، بينما اشار آخرون الى انه كان حفيد الملك (CHINAVINTO) من طرف والده (TEODOFREDO) [6] .

ولكن لم يكن ليستسلم آل غيطشة واصدقاؤه والمقربون منه الذين ارتبطوا بـه ، وربطوا مصيرهم باسرته وخاصة على ما يبدو عند قيام غيطشة بتولية ابنه ولاية العهد ، فقام شقيق غيطشة أوباس (OPPAS) اسقف مدينة اشبيلية ، بالاضافة الى شقيقه الآخر والبارز في شبه الجزيرة الايبيرية (SISBERTO) بثورة ضد لذريق وانصاره لاسترجاع العرش ، ولكن لذريق تغلب على جميع معارضيه ومنهم (RECHISINDO) [7] وابناء غيطشة

---

(١) وذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة ان ولديه ششبرت وابّه ويبدو ان الامر اختلط عليه فلم يفرق بين اولاده واخوته والاسمان اللذان ذكرهما هما اخوى غيطشة وليس ولداه ، انظر اخبار مجموعة ، ص ١٠٠٥ ؛ D.FRANCISCO,P.114;PEDRO,P.399

(٢) ابن القوطية ، ص ٢ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٥ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦١ ؛ وانظر ابن الشباط ، م ٤١ ، ص ١٠٦ ؛ الحميرى ، ص ٦ ؛ قال ابن حيان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص٢٤٨ .

(٣) ابن القوطية ، ص ٢ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٥ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦١ ؛ الحميرى ، ص ٦ ، ١٩٣-١٩٤ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) وكذلك قال الخزائني فيه ايضا ، نفح ، ج١ ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ، ٢٥٧-٢٥٨ .

(٤) JOES ,TOMO. 1,P.219.

(٥) اخبار مجموعة ، ص ٥ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦١ ؛ الحميرى ، صفة ، ص ٦ ، ١٩٣-١٩٤ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٦) D. FRANCISCO, P.114.

(٧) D. FRANCISCO, P. 114.

وتم له النصر عليهم، فصادر ممتلكاتهم (١)، صادف ذلك حدوث ثورة في شمال شبه الجزيرة الايبيرية، قام بها البشكنش (٢)، وامتد حكمه ما بين سنة ٧٠٩-٧١١م (٣).

ويلاحظ في التاريخ الايبيري وخاصة بعد ريكاريد الاول ـ الذي يعود الفضل له في تأسيس مملكة اسبانية الكاثوليكية (٤)، ان شمال اسبانيا كان يشكل بؤرة معارضة ومركزا لقيام الثورات ضد نظام الحكم المتواجد في طليطلة (٥)، ومأمنا للمعارضين ولمن يلجأ الى هذه المنطقة فرارا أو استعدادا للثورة ضد المسيطر على عرش طليطلة (٦).

وتسلم لذريق للعرش لم يكن برغبة الجميع، لأن بعض ابناء الملوك لم يكونوا راضين عن لذريق وحكمه، مما دعاهم للتشاور والانهزام امام المسلمين لكي يتخلصوا من لذريق وعهده، وبعد ذلك يختارون للحكم من يرتؤونه (٧)، وظهر هذا الموقف بشكل بارز من اولاد غيطشة ومكيدتهم ضد لذريق عند قدوم الجيش الاسلامي وانضمامهم اليه (٨).

ومن العوامل التي كان لها تأثير في انهاك قوة اسبانيا قبل الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية، الصراع ما بين دولة القوط وبين الوجود البيزنطي في

---

(١) D. FRANCISCO,P. 114.

(٢) ابن حبيب، عبدالملك، الجزء الخاص بتاريخ الاندلس، محمود مكي، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد، عدد١-٢، م:٥، ١٣٧٧هـ، ص٢٢٤، وسأشير له بـ ابن حبيب، م:٥؛ ابن خلكان، ابو العباس، شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج٤، الطبعة الاولى، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م، ص ٤٠٤، وسأشير له ابن خلكان؛ الحميري، ص ٩؛ وذكر العبادي ان تلك الثورة هي ثورة البشكنش سكان نافرا في اقصى شمال اسبانيا، انظر العبادي، دراسات، ص ٣٠؛ وانظر D. FRANCISCO, P. 114.

(٣) D. FRANCISCO, P. 114.

(٤) المجمع الطليطلي الثالث، ص ٨٧-٨٩، ٩٧-٩٨؛ D. FRANCISCO, P. 104.

(٥) D. FRANCISCO, P.103,106,107,108. (٦) D. FRANCISCO, 106,108.

(٧) اخبار مجموعة، ص ٧-٨؛ قال ابن حيّان في (المقّري)، نفح، ج١، ص ٢٣٢؛ وانظر المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٧.

(٨) ابن القوطية، ص ٣؛ ابن الشباط، م:١٤، ص ١٠٦؛ الحميري، ص ١٠؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٤٨-٢٤٩، ٢٥٧-٢٥٨.

جنوب شبه الجزيرة الايبيرية ، حيث دارت معارك بين الجانبين كان منها معركة عـــام ٦١٤م ، التي حدثت في عهد الملك سيسبوتو (SISEBUTO) ، والتي كانت الغلبة فيها للقوطيين حيث قلصوا سيطرة البيزنطيين (١)، ولكنّ انهاء الوجود البيزنطي تمّ في عهـــد الملك (SUINTILA) بشكل نهائي – والذى حكم من سنة ٦٢١-٦٣١م بعد كفاح استمـــر حتى عام ٦٢٤م – ، حيث اضطرهم اخيرا الى ترك شبه الجزيرة الجنوبي (٢).

ومن اسباب ضعف المجتمع القوطي ايضا حياة الترف واللهو وسياسة تبديـــــد الاموال (٣)، والقسوة والجبروتية التي اتبعها بعض ملوك القوط ، والمحاولات التي كـــان يقوم بها معتلوا العرش بمحاولتهم التأثير على المجامع التي كانت تعقد في طليطلـــة مثلماحدث في المجمع الرابع حيث طالب الملك (SISENANDO)، المجمع الرابـــع ان يصدر قرارا يجرد فيه اسرة (SUINTILA) من العرش وفعلا اتخذ المجمع ذلك القرار (٤).

ومن مساوئ المجتمع القوطي ايضا وضع الفواصل بين عنصري السكان، القـــوط والايبيريين، اذ أن الملك فرويا (FROYA) سنّ قوانين تمنع الزواج المختلط بـــين الاسبان والقوطيين، في الربع الثالث من القرن السابع الميلادى (٥) وبهذا يكون قـــد زاد في ضعف وتفكك المجتمع القوطي في شبه الجزيرة الايبيرية ، وبالتالي اضعاف التلاحم بين الجانبين، بل وضع الحواجز والعراقيل امام امتزاج الشعبين.

وردت ايضا اشارة اخرى في بعض المصادر تدل على تمزق وانقسام سياسي فيالمجتمع القوطي، اذ ان لذريق كان مشغولا باخماد ثورة في شمال شبه الجزيرة الايبيرية عنـــد دخول طارق بن زياد البلاد (٦)، اذ يلاحظ من تلك الاشارة ، رداءة الوضع السياسي الداخلـي

---

(١) D. FRANCISCO, P. 105. (٢) D. FRANCISCO, P. 105.

(٣) ومن هؤلاء الملوك الملك تولغا (TULGA)، حيث بددّ الاموال D.FRANCISCO,P.106

(٤) PEDRO, P.366; D.FRANCISCO,P. 106. وانظر نفس الصفحة عن القسوة فـــي القوانين للمخالفين في العقيدة والدين.

(٥) D. FRANCISCO, P. 106

(٦) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤؛الحميرى، ص ٩؛العبادى، دراسات، ص ٣٠.

في شبه جزيرة ايبيريا ، وفي الوقت نفسه دراية وتخطيط من جانب المسلمين حيث انهم استغلوا فرصة انشغال الملك بمحاربة ثورة نشبت ضده ، فكان دخول المسلمين الاندلس في تلك الاحوال.

ولم يكن المجال الصحي والاقتصادى بأحسن من الاوضاع الاجتماعية والسياسية بل ان مجاعة حدثت في شبه الجزيرة الايبيرية في سنوات ٨٨ و٨٩ و ٩٠ هـ، وزاد الأمر تعقيدا حدوث وباء، قضى على عدد كبير من سكان شبه الجزيرة الايبيرية (١) ، وفي الوقت نفسه باتت احوالها على درجة من الضعف الاقتصادى.

والذى يعنينا هنا هو ان حالة شبه الجزيرة الايبيرية كانت متردية ، من حيث طبيعة الاحوال الاقتصادية السيئة التي نتجت عن المجاعة التي ذكرها صاحب كتاب أخبار مجموعة (٢) ، التي رافقها انتشار امراض ، وبالتالي استنزاف طاقة اسبانيا البشرية وقدراتها الاقتصادية .

وانّ تردّى حالة شبه جزيرة ايبيريا السياسية ونقمة بعض الذين رأوا في لذريق غاصبا حق الملك الذى كان من المفروض ان يكون من نصيبهم ، كل هذه الامور وربما قيام ثورات اخرى لطامعين في العرش ، جعل قدرات اسبانيا الاقتصادية محطمة ، وان تلك الثورات والاحوال السياسية والمجاعة جعلت على ما يبدو الدولة تفكر بفرض ضرائب لتعبئة القدرات العسكرية وبالتالي لتثبيت الاوضاع السياسية لصالح الملك لذريق ، مما جعل سكان شبه الجزيرة الايبيرية يعيشون في حالة تذمر وقلق من تلك الاوضاع ، فانعكس ذلك على نظام الحكم ، مما ادّى الى نقمة الشعب ضده .

قضية يليان وابنته فلوريندا FLORINDA (٣)

جاءت المعلومات التي اوردتها بعض المصادر عن شخصية يليان متضاربة ، من حيث كيفية رسم اسمه ، وعن اصله ، وعن مكانته ، وعن علاقاته بكل من البيزنطيين والقبوط والمسلمين، وكذلك عن الدور الذى قام به خلال الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية ،

---

(١) اخبار مجموعة ، ص ٨-٩. (٢) اخبار مجموعة ، ص ٨-٩.

(٣) فلوريندا عُرفت في المصادر الاسبانية باسم (GEVA) يعني القحبة انظر D. FRANCISCO, P. 115.

وعن امكاناته التي وضعها تحت تصرف المسلمين، كما ان قضية ابنته ، هي الاخرى تثير الكثير من التساؤلات ، عن مدى صحتها ووجودها في عالم الحقيقة ، ومن الامور التي تتبادر الى الذهن، الأسباب الكامنة وراء مواقف يليان، هل هي دينية ؟ أم سياسية ؟ أم ردة فعل للانتقام من الملك لذريق الذى اغتصب ابنته فلوريندا؟ على ذمة بعض الروايات ، وما أساس ذلك من الصحة والواقع.(١)

فأما بالنسبة لضبط اسم يليان فقد ورد في المصادر العربية على عدة أوجه ، الوجه الاول : بليان(٢) ، والوجه الثاني: اليان(٣) ، والوجه الثالث : بلبان(٤) ، والوجه

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا والاندلس، ص ٧٣؛ اخبار مجموعة ، ص ٥؛ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الله التوزرى، الاكتفاء في أخبار الخلفاء ،(احمد مختار العّبادى، نمان جديدان) ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م:١٣ ، مدريد ، ١٩٦٥-١٩٦٦م ، ص ٤٣ ، وسأشير له ب ابن الكردبوس ؛ المرّاكشي ، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤ ، ص ٥٦١؛ لسان الدين بن الخطيب ، الوزير محمد،الاحاطة في اخبار غرناطة ، ج١ ، ط١ ، مطبعة الموسوعات ، مصر، ١٣١٩هـ، ص ١٦ ، وسأشير له ابن الخطيب ، الاحاطة ؛ ابن خلدون، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٣ ؛ القلقشندى، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى، ص ٧؛ المقّرى، نفح، ج١ ، ص ٢٥١-٢٥٢ ؛الناصرى،ابوالعبّاس احمد بن خالد ، كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق وتعليق : ابني المؤلف محمد وجعفر، ج١ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤م ، ص ٩٨. وسأشير له بالناصرى .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٥ ؛ ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس، ج١ ، طبعة ١٩٥٤ ، ص ١٠٢٠٧١ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٣ ؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ٥،٤ ؛ القلقشندى، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى، ص ٧؛ قال الخزاشني في (المقّرى)، نفح، ج١ ، ص ٢٥١ ؛ الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨.

(٣) ابن الفرضي، ج١ ، طبعة ١٩٥٤ ، ص ١٠٢٠٧١ ،٢٢٢ ؛ الرقيق القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم ، تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، تونس ، ص ٤٥ ؛ البكرى، ابي عبيد ، المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، طبعة سنة ١٨٥٧م ، ص ١٠٤ ، وسأشير له بالبكرى، المُغرب ؛ ابن ابي دينار ، المؤنس ، ص ٣٦.

(٤) ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق ٢ ، ص ٢٩٩.

الرابع : يوليان ، وورد اسمه بالاسباني خوليان (JULIAN) (١) (٢) ، ويظهر ان هذا الاختلاف ناتج عن طريقة كتابة الاسم ، وربما ان ذلك ناتج عن دقة سماع الناسخين ، أو سقوط النقطتين في بليان مثلاً .

واختلفت اراء المؤرخين المسلمين بشدة حول جنسية يليان ، ومنطقة حكمه ونفوذه ، وحول تبعيته السياسية ، فابن عذارى وصفه بانه علج (٣) ، وانه كان حاكماً للجزيرة الخضراء (٤) ، اما ابن الفرضي فقد حدد أصل (اليان) بانه قوطي الجنسية (٥) ، بينما نعت الرقيق القيرواني (اليان) بانه رجل رومي ، وانه كان موجودا في طنجة ، وكان من اشراف قومه (٦) ، واكتفى البكرى بوصف (اليان) بانه صاحب سبته (٧) ، واما ابن خلدون فاعتبر ان يليان (بليان) هو ملك غماره ، وان طنجة كانت جزءاً من املاكه (٨) .

وعرّف ابن الاثير يوليان بانه بطريق من الروم التقى بعقبة بن نافع في منطقة طنجة (٩) ، بينما ذكر ابن القوطية ان يليان كان يتردد ما بين الاندلس وبلاد البربر كتاجر ، وانه كان اعجميا (١٠) .

''... ويجلب الى لذريق عتاق الخيل والبزاة من ذلك الجانب فتوفيت زوجة التاجر وتركت له ابنة جميلة فامره لوذريق بالتوجه الى العدوة فاعتذر له بوفاة زوجته وانّه ليس له أحد يترك ابنته معه فامر لذريق بادخالها القصر فوقعت عين لذريق عليها فاستحسن بها فنالها فأعلمت اباها بذلك عند قدومه ، فقال للوذريق اني تركت خيلا وبزاة لم تر مثلها فأذن له في التوجه فيها وبعث معه المال وقصد طارق ابن زياد فرغبه في الاندلس ...''(١١).

---

(١) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٠٦ .

(٢) D. FRANCISCO, P.114, 115; PEDRO, MAUAL, P.398. MADRID. 1958.

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٤ . (٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥ .

(٥) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٧١ ، ١٠٣ ، ٢٢٢ ، طبعة ١٩٥٤م .

(٦) الرقيق القيرواني ، ص ٤٥ .

(٧) وامتازت سبتة بحصانة ومتانة موقعها الاستراتيجي ، انظر البكرى ، المغرب ، ص ١٠٤ .

(٨) ابن خلدون ، العبر ، م: ٤ ، ق: ٢ ، ص ٣٩٩ .

(٩) ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٠٦ . (١٠) ابن القوطية ، ص ٧ .

(١١) ابن القوطية ، ص ٨ .

ويليان هذا كان حاكما لمدينة سبتة (١) ، وذكر ابن الكردبوس ان يليان كـــــان حاكما لمدينتي سبتة وطنجة (٢) ، وقيل ايضا بان يليان كان حاكما للجزيرة الخضراء (٣) .

من الروايات السابقة يتبين ان الاختلاف قد وقع في جنسية يليان وحُدّد هـــــذا الامر في كونه قوطيا (٤) ، او روميا (٥) ، او بربريا (٦) ، وجاءت الاراء الاخرى عامة حيـــــث اكتفت بانه كان علجا (٧) ، أو اعجميا (٨) ، هذا من حيث اصل يليان.

اما من حيث عمل يليان فابن القوطية كما رأينا قد خص عمله بانه كان فـــي التجارة ما بين الاندلس وبلاد البربر يتاجر في الخيول وبعض انواع الطيور مثـــــل الصقور (البزاة) (٩) ، بينما اكتفت اراء اخرى بوصف (يليان) بانه كان رجلا شريفا في قومه (١٠) ، ورأى ثالث بانه كان بطريقا (١١) ، انما جاء التحديد وبشكل اوضح من بعـــــض المصادر في كونه كان حاكما لمدينة سبتة (١٢) ، ومدينة طنجة (١٣) ، وماحولهما (١٤) ، الان هذا

---

(١) ابن عبدالحكم ، فتوح افريقيا والاندلس ، ص ٧٣؛ البكرى، المغرب ، ص ١٠٤ ؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٤٢؛الحميرى، ص ٧؛ قال الخزائني في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٥١؛ الناصرى، ج١، ص ٩٨.

(٢) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٣.

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا والاندلس ، ص ٧٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج ٤، ص ٥٦١؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٥.

(٤) انظر ابن الفرضي، ج١، ص ٧١، ١٠٣، ٢٢٢، طبعة ١٩٥٤م.

(٥) الرقيق القيرواني، ص ٤٥؛ابن الأثير، ج٤، ص ١٠٦؛ابن عذارى، ج١، ص ٢٦.

(٦) انظر ابن خلدون، العبر،م:٤، ق:٢، ص ٣٩٩، وقد ذكر ان يليان كان ملك غمـــارة البربرية.

(٧) ابن عذارى ، ج٢، ص ٤.

(٨) ابن القوطية ، ص ٨.

(٩) ابن القوطية ، ص ٨.

(١٠) الرقيق القيرواني ، ص ٤٥.

(١١) ابن الاثير، ج٤، ص ١٠٦.

(١٢) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣؛ البكرى، المُغرب، ص ١٠٤؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٦٥١؛القلقشندى، صبح، ج ٥ ، ص ٢٤٢؛الحميرى، ص ٧؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥١؛ الناصرى، ج١، ص ٩٨.

(١٣) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٣؛ابن عذارى، ج٢، ص ٥؛ وهذا قول ابن القطان وذكر ابن عذارى ان يليان كان ملكا وشريفا ، وهو من الروم ، يحكم مدينة طنجه ، ابن عذارى، ج١، ص ٢٦، ابن خلدون، العبر، م:٤، ق:٢، ص ٣٩٩.

(١٤) البكرى، المغرب ، ص ١٠٨؛ وهذا ما يفهم مما ذكره ابن خلدون، م:٤، ق:٢،ص ٣٩٩.

الرأي قد خالف فيه بعض المؤرخين حيث ذكروا ان يليان كان حاكما للجزيرة الخضراء[1]، او ملكا لغمارة[2]، ويبدو ان هذا الخلط قد جاء نتيجة علاقات يليان الحسنة مع جيرانه البربر.

واعتقد ان يليان كان روميا (بيزنطيا)، فلفظة رومي عند المسلمين كانت تطلق لتدل على البيزنطيين واحيانا على كل المسيحيين، حيث كان يعتبرهم المسلمون روما[3] وقد حدد كل من الرقيق القيرواني وابن الاثير وابن عذارى يليان بانه كان رجلا من الروم يحكم منطقة طنجة[4]، اما الاشارة التي دلت على ان يليان كان قوطيا، فيظهر ان ذلك الرأي ناتج عن علاقة يليان بالقوط وقربه منهم، واميل الى اعتبار ان يليان كان حاكما بيزنطيا لمنطقة سبتة وطنجة وما حولهما، على اعتبار ان الاراضي الواقعة ما بين بلاد الشام ومصر غربا حتى المحيط الاطلسي كانت من املاك الدولة البيزنطية، الا ان المد الاسلامي، وحركة الفتوح الاسلامية المتجهة نحو الغرب، وكذلك الحالة التي وصلت اليها بيزنطة بعد هزائمها على يد القوة الاسلامية الناشئة، وكذلك البعد المكاني عن المركز بالنسبة ليوليان، يظهر ان هذه الامور جعلت يليان يصير الى وضع كان فيه شبه مستقل، في ظل هذه الظروف والأوضاع من المحتمل انه قام بمد يد الصداقة لحكام شبه الجزيرة الايبيرية، على اعتبار ان الجانبين تربطهما علاقة

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣؛ المراكشي، ص ٣٣؛ ابن الأثير، ج٤، ص٥٦١؛ ابن عذارى، ج٢، ص٥.

(٢) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٣٩٩.

(٣) انظر مثلا المصادر التالية فانها كانت تطلق لفظ الروم على نصارى الممالك النصرانية في الاجزاء الشمالية من ايبيريا، انظر الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٩، ٧٣، ١١٠، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨؛ انظر النويري، ج٢٣، ص ٤٢٠؛ انظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧١، ٢٦٩؛ انظر الحلل، ص ٣٦، ٤٢، ٦٩؛ انظر المقري، نفح، ج١، ص ٣١٨، ٣٦٦، ٣٩٩، ٤١٦؛ ج٤، ص ٣٦٧.

(٤) الرقيق القيرواني، ص ٤٥؛ ابن الاثير، ج٤، ص ١٠٦؛ ابن عذارى، ج١، ص ٢٦؛ وذكر ان يليان كان حاكما روميا يمتاز بالدهاء والعقل، وعندما اقترب عقبة من طنجة وجه اليه رسله يستلطفه، وكذلك بعث له هدية عظيمة، وسأله المسالمة، وان ينزل على حكمه فقبل منه، واجتمع به، وسأله عن الاندلس، فعظم عليه امرها.

الديانة المسيحية ، وعلى اعتبار ان يليان كان بيزنطيا ، كما ان اجزاء من شبه الجزيرة الايبيرية كانت هي الاخرى تابعة لبيزنطة (١) ، لهذه الامور وللمصالح المشتركة بينهما تم هذا التقارب ، وربما ايضا لصدّ المخاطر المحتملة ، التي ادت الى انسلاخ يليان عن بيزنطة .

وقد ذهب الدكتور حسين مؤنس الى مثل هذا الرأى حيث ذكر انه من المحتمل ان يكون يليان قد مدّ يد المودّة الى ملوك اسبانيا ، في منتصف القرن السابع الميلادى ، واستطاع ان يقيم معهم علاقات على مستوى معين من الثقة مقابل التبعية لهم ما دام الدين المسيحي يجمعهم في وجه المخاطر (٢) .

فمن هذه العلاقة جاء اعتبار يليان من قِبل بعض المؤرخين على انه كان من أصل قوطي ، أمّا الرأى القائل بانه كان بربريا (٣) ، فلا يرقى للواقع ، وكذلك الاراء الاخرى .

وهكذا يتضح لنا أصل يليان البيزنطي ذى التبعية القوطية ، مع كونه كان حاكما لمدينتي سبتة وطنجة وما جاورهما ، وعمله هذا لا ينفى عنه التعامل بالتجارة ، فوضعه كحاكم لمنطقة محدودة ، لا يمنع ولا ينافي عملية التجارة ، فربما ان الرأى القائل بانه كان يتاجر بالخيل وبالطيور وخاصة الصقور منها (البزاة) (٤) ، على درجة من الواقعية والصحة ، فما دام على علاقة طيبة مع ملوك شبه الجزيرة الايبيرية ، فمن باب اولى انه كان يتنقل بين بلاد شمال افريقيا وبين ايبيريا لأغراض التجارة .

اما من حيث علاقة يليان بالمسلمين فهذه العلاقة موضع اختلاف اراء المؤرخين ، وكذلك موضع تساؤلات ، تحيّر الدراسين بالنسبة لهذه الفترة ولهذه المنطقة ، فقد ذكرت بعض المصادر العربية بأن القائد المسلم عقبة بن نافع التقى يليان في عام ٦٢هـ في

---

(١) D. FRANCISCO, P. 104,105.

(٢) د. مؤنس ، فجر ، ص ٥٤ .

(٣) ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٩٩ .

(٤) ابن القوطية ، ص ٨ .

مدينة طنجة[1] ، وقدم بوليان لعقبة هدية حسنة[2] ، وكان ذلك خلال ولاية عقبة الثانية عندما توجه الى بلاد المغرب ، فابن خلدون ذكر ان (بلبان) صاحب طنجة[3] ، اطاع عقبة ابن نافع ودلّه على بلاد البربر[4] ، وقام بتقديم هدايا وتحف لعقبة بن نافع ، اما المالكي فانه لم يذكر بليان بالاسم انما اشار الى اللقاء في طنجة واجابة الناس عن تساؤلات عقبة بن نافع حول احوال البربر[5] .

اما ما اورده البكري فانه على جانب عظيم من الاهمية ، حيث ذكر ان اليان حاكم مدينة سبتة خرج الى لقاء عقبة بن نافع عندما وصل عقبة الى ارض المغرب ، بهدايا وتحف ، وان اليان كان راغبا في الحصول على الأمان من عقبة بن نافع فاقرّ عقبة بن نافع اليان في موضعه ، ثم دخل المسلمون مدينة سبتة فيما بعد بالصلح وعمروها[6] .

وجاءت رواية في كتاب الرقيق القيرواني ، تحكي ما دار بين عقبة بن نافع وبين بليان ، اذ تقول ، ان عقبة بن نافع سار بعملية الفتح الاسلامي غربا حتى وصل مدينة طنجة ، وخلال ذلك الوقت ، لقيه (اليان) وكان شريفا في قومه ، وقام اليان بتقديم هدية حسنة لعقبة ، فلاطفه ، فنزل على حكمه ، بعد هذا سأل عقبة اليان عن بحر الاندلس فقال له : "انّه محفوظ لا يرام" ، فقال له : "دلّني على حال البربر والروم" ، فأفاده باخبارهم ، واستوضح عقبة عن امر البربر في منطقة السوس الادنى ، فعرّفهم له اليان ، بانهم قوم لا يدينون بالنصرانية ، ولم يدخلوا في دين ، يأكلون الميتة ويشربون الدم من انعامهم ، وهم امثال البهائم ، ويكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه ، ثم توجه عقبة ابن نافع بعد ذلك الى البربر[7] .

---

(١) الرقيق القيرواني ، ص ٤٤-٤٥ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ١٠٦ .

(٢) الرقيق القيرواني ، ص ٤٥ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ١٠٦ ؛ ابن عذارى ، ج١ ، ص ٢٦ ؛ وقال ان الهدية عظيمة .

(٣) ابن عذارى ، ج١ ، ص ٢٤ ، ٢٦ .   (٤) ابن خلدون ، م٤ ، ق٢ ، ص ٣٩٩ .

(٥) المالكي ، ابو بكر عبد الله بن ابي عبدالله ، رياض النفوس ، في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهّادهم وعبّادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج١ ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص ٢٤ .

(٦) البكري ، المغرب ، ص ١٠٤ .   (٧) الرقيق القيرواني ، ص ٤٤-٤٥ .

وكما ان ابن الاثير ذكر رواية قريبة جدا من رواية الرقيق القيرواني، وضح فيها ان لقاء عقبة بن نافع بيوليان كان عام ٦٢هـ، عندما نزل عقبة طنجة فاهدى بليان هذا الى عقبة بن نافع هدية حسنة، ونزل على حكمه وسأل عقبة بيوليان عن أحوال الاندلس، فنصحه بيوليان بالابتعاد عن تلك المنطقة، كما سأله عن البربر فافاده باخبارهم واحوالهم، ثم توجه عقبة نحو منطقة السوس الادنى، وهى تقع غرب طنجة (١).

مما سبق يلاحظ ما يلى : ان يليان كان حاكما لمدينتى سبتة وطنجة وما حولهما، وكما ان مدينة طنجة كانت تعرف بالخضراء (٢). ومن هنا يتضح الالتباس الذى وقع فيه ابن عذارى، عندما خلط بين معنى طنجة وهو الخضراء وبين الجزيرة الخضراء في الاندلس، متصورا أن بليان كان حاكما للجزيرة الخضراء في الاندلس.

ومن هذه الروايات يتبين ان يليان قام بتوجيه نظر عقبة بن نافع لتثبيت الاوضاع في مناطق البربر، وتصفية بعض الجيوب، اولا قبل التفكير بفتح الاندلس، ومن سؤال عقبة ليليان عن الاندلس يلاحظ ان التفكير الاسلامى كان منذ وقت مبكر من القرن السابع الميلادى الموافق القرن الاول الهجرى، قد بدأ يتطلّع الى المنطقة المقابلة لطنجة وهي الاندلس (٣)، ولم يكن الفتح الاسلامى فيما بعد مجرد اندفاع كما صورته بعض الروايات التى جاءت بها بعض المصادر العربية فى عهد موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد (٤). ويظهر ان شبه الجزيرة الايبيرية كانت في تلك الفترة على درجة من القوة والتماسك، حيث يتطلب من الذى يفكر بالتوجه اليها ان يثّبت اوضاعه وخطوط مواصلاته، وينتظر الفرصة المواتية للقيام بما فكّر به، وهذا ما أشار اليه أحد المؤرخين الاسبان عندما أشار الى أن المسلمين فى افريقيا في عهد الملك وامبا (WAMBA) حاولوا احتلال الجزيرة الخضراء، ولكن حملتهم فشلت وتم انتصار وامبا عليهم في سنة ٦٧٧م (٥)، ومن المعروف ان العصر الذهبي لاسبانيا قد انتهى بانتهاء حكم وامبا عام ٦٨٠م، وان

---

(١) ابن الاثير، جـ١، ص١٠٦. (٢) ابن القوطية، ص١٥.

(٣) الرقيق القيرواني، ص٤٥؛ ابن الاثير، جـ٤، ص١٠٦؛ وانظر المالكي، جـ١، ص٢٤.

(٤) ابن الكردبوس، م:١٣، ص٤٤؛ ابن عذارى، جـ٢، ص٦.

(٥) D. FRANCISCO, P. 110.

حالة من الضعف والانحلال والسقوط قد دبت في اوصالها (١) ، وهذه الحادثة ان صحت فهي خير دليل على وضوح التفكير الجدّي لدى المسلمين لغزو شبه الجزيرة الايبيرية ، وما تلك الحملة الا عبارة عن اختبار للقوة الذاتية للمسلمين من جانب ، ولقوة اسبانيا من الجانب الاخر ، وقد اكدت بعض المصادر العربية ان الاندلس في عهد عقبة كانت على درجة من القوة والمنعة ، ولهذا اشار بليان على عقبة ان يؤجل هذا الموضوع ، حتى يصفّي الثورات في منطقة المغرب (٢) .

امّا من حيث طبيعة اللقاء الذي تمّ بين القائد العربي المسلم عقبة بن نافع وبين بليان البيزنطي الحاكم لمدينتي سبتة وطنجة ، ذي التبعية القوطية ، وان اللقاء قد تمّ بمدينة طنجة علما أن طنجة من أملاك بليان ، وكان لقاء وديا قدّم بليان فيه لعقبة هدية حسنة وتحفا ، والمهم في هذه الروايات ان بليان نزل على حكم عقبة ، وانه كان راغبا في الامان ، فكان له ذلك. ١

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن عن ماهية الهدية التي قُدّمت لعقبة ، وكذلك التحف ، هل هي اموال وذهب (٣) ؟ وما حاجة عقبة لتلك الاموال ؟ وهل خرج عقبة ليتلقى الهدايا الثمينة خلال جهاده ؟ الذي أعرفه ان عقبة لم يصل الى تلك المناطق النائية لتقبّل الهدايا من اموال ومتاع وغيرها بل جاء لنشر الاسلام ، واعتقد ان الهدية الحسنة التي قدّمها بليان لعقبة ما هي الا مدينة طنجة ، مقابل احتفاظ بليان بمدينة سبتة ، حيث تنازل عن حكم طنجة لعقبة ، ان هذا اللقاء جعل بليان يتقرب للمسلمين ، وتكون بينه وبين المسلمين مودّة ويصعب علينا ان نعتقد انها مجرد صداقة ، ومما سبق من الروايات يمكنني تحديد بعض الالفاظ التي لها دلالات معينة ، التي استطيع من خلالها كشف الغموض الذي يلّف علاقة بليان بالمسلمين ومدى تعاونه معهم ، فابن خلدون ذكر ان بليان اطاع عقبة (٤) ، فما هو موضوع الطاعة ، هل اطاع بليان عقبة باتّباع ما يدعو اليه

---

(١) D. FRANCISCO, P. 108-109,110.

(٢) الرقيق القيرواني ، ص ٤٤-٤٥ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص١٠٦ ؛ وانظر المالكي ، ج ١ ، ص ٢٤ . فقد ذكر بانه أجيب على تساؤل عقبة بن نافع حول الاندلس وبحرها .

(٣) انظر الرقيق القيرواني ، ص ٤٥ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص١٠٦ ؛ ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٣٩٩ .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٣٩٩ .

عقبة وهو الاسلام ؟ ام اطاعه بالمعاهدة ، من هذه الرواية استدّل ان يليان قد اسلم باستجابته دعوة عقبة .

كما ان رواية الرقيق القيرواني ، يُستدل منها على اسلام يليان ، حيث ذكر ان عقبة عندما وصل الى طنجة لقيه اليان، وقام بتقديم هدية حسنة لعقبة ونتيجة لملاطفة عقبة يليان، نزل الاخير على حكم الاول (١) ، يعني هذا ان عقبة قام بمعاملة يليان باللطف والمعاملة الاسلامية الحسنة ، فكانت نتيجة الملاطفة ان نزل يليان على حكم عقبة ، والسؤال الذى يُطرح في هذا المقام، ما هو حكم عقبة ؟ فإمّا ان يكون يليان قد اسلم ، او عاهد المسلمين مقابل عدم قيامه بالاعتداء عليهم او مناصرة اعدائهم ، والسماح لهم بنشر الاسلام في بلاده ، وما دام النزول على الحكم لم يُوضح وما دامت الملاطفة استهوت قلب يليان، فأميل الى الاعتقاد ان يليان على حسب ما يفهم من رواية الرقيق القيرواني أنه قد اسلم ، ولكن ربما انه بقي يكتم اسلامه لمصلحته ولمصلحة المسلمين، وخاصة اذا ما كان يتاجر بين شبه جزيرة ايبيريا (٢) ، وما يعرف الآن ببلاد شمال افريقيا ، حيث يكون عينا وعونا للمسلمين في ترحاله ، وهذا ما يفهم من ردّ يليان على سؤال عقبة عن الاندلس ، حيث كانت نصيحته للمسلمين نتيجة لخبرته بالتريث وعدم المجازفة ، حتى يتم تصفية الجيوب ،وتثبيت الاوضاع وخطوط المواصلات فى مناطق البربر، حتى تسنح الفرصة المواتية (٣) ، ويبدو ان قدوم يليان على طارق بن زياد وموسى بن نصير (٤) ، كان لفرصة رأها يليان، وهي ان حالة شبه جزيرة ايبيريا اصبحت ممزقة وضعيفة ، بسبب الاوضاع الداخلية من نزاع حول العرش ، وثورات ضد لذريق (٥) ، وان الفرصة مواتيه للفتح،

---

(١) الرقيق القيروانى ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(٢) ابن القوطية ، ص ٨ .

(٣) الرقيق القيرواني، ص ٤٤-٤٥ ؛ ابن الاثير، ج٤، ص ١٠٦ ؛ وانظر المالكي فهذا ما يفهم مما اورده عن اجابة تساؤل عقبة عن الاندلس وبحرها علما بانه لم يذكر يليان بالاسم، المالكي ، ج١، ص ٢٤ .

(٤) الرقيق القيرواني، ص ٧٣؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٤ ؛ابن عذارى، ج٢، ص ٦ .

(٥) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢ ؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤ ؛ الحميرى، ص ٩ ؛ العبادى، دراسات ، ص ٣٠ ؛ انظر هذا الفصل ، نظام الحكم فى ايبيريا عشية الفتح الاسلامي، ص ٢٠-٢٢ . D. FRANCISCO, P. 114.

فقام بتأدية واجبه وخدماته للمسلمين بعد مضي حوالي ثلاثة عقود بعد لقـــائه الاول بالمسلمين في زمن عقبه بن نافع.

ويُستدل ايضا على اسلام يليان من القرائن التي وردت في متن نص رواية الرقيق القيرواني، عندما قام يليان بالاجابة عن تساؤل عقبة عن البربر، فذكر له ان البربر المقصودين في سؤال عقبة "يكفرون بالله عز وجل ولا يعرفونه"(١)، وهذا دليل على ترجيح كون يليان قد اسلم، فلفظ يليان يكفرون بالله لا يعرفونه ـ إذا قالهاـ دليل على انه قد اسلم، ويعرف الله عز وجل، واذا ما عرف الله فانه لا بّد وان يتبع أوامره، باعتناق الاسلام كدين.

أما رواية ابن الاثير(٢)، فهي تؤكد ما ذهبت اليه من ان نزول يليان على حكـــم عقبة ما هو الا النزول على اعتناق الاسلام.

اما ما اورده البكري فانه يدّل على ان يليان كان راغبا في الحصول على الامان، فامنّه عقبه واقرّه في موضعه(٣)، فهو لا يقطع باسلام يليان، ويُفهم منه ان يليان اخـــذ الامان له وبقى، حاكما على موضعه، وربما ان ذلك يعني ان يليان لم يسلم ولكنـــه عاهد المسلمين وعقد معهم صلحا، من هذه الاشارات جميعا أستطيع القول ان يليان إمّـا ان يكون قد اسلم، وبقى كاتما اسلامه ليستفيد منه المسلمون، وَلِمَ لا يسلم ويدخـــل الاسلام الى قلبه، ومن المعلوم ان دور المسلمين في زمن عقبة كان زمن نشر الاســـلام ومبادئه وعدالة قيمه وَمُثله، فمن المحتمل ان يكون يليان قد اسلم، ونظرا لاسلامه كان موقفه فيما بعد من الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية، موقف المؤيد وهذا ما اميل الى ترجيحه.

وإمّا ان يكون قد نزل على حكم عقبة، بأخذه العهد من عقبة له ولمدينته سبتة، وفي هذه الحالة يدفع الجزية ويبقى على بلده وحاكما لرعيته، مقابل عدم الاعتـــداء عليه، وعدم وقوفه مع أي جهة تواجه المسلمين، وهذا ما فهمه ذلك الجيل من المسلمين(٤).

---

(١) الرقيق القيرواني، ص٤٥.

(٢) ابن الاثير، ج٤، ص١٠٦.

(٣) البكري، المغرب، ص١٠٤.

(٤) ويتضح من خلال مقابلة وفد المسلمين لملك فارس يزدجرد، انظر ابن الأثير، م:٢، ص ٤٥٦-٤٥٧.

وهذا ما يفسّر لنا موقف يليان من المسلمين عندما فكروا جديًا بالتوجه لشبه الجزيرة الايبيرية (١)، وقيامه بمساعدتهم ووضع كل خبرته ومعلوماته تحت تصرفهم ، ايضا هذه الروايات تدحض الاقوال التي عزت الفتح الاسلامي الى شخصية يليان، نظرا لنقمته على لذريق لاغتصاب الشاني وقيامه بهتك عرض ابنة الاول التي كانت موجودة في القصر الملكي بطليطلة (٢) .

هذه العلاقة المميزة المبكرة ما بين المسلمين ويليان لخير دليل واصدق برهان على نفي القصة التى وردت في بعض المصادر العربية .

ولا يُعقل ان يترك المسلمون مدينة سبتة خلفهم ويفكرّوا بمهاجمة شبه جزيرة ايبيريا ، كما أوحت بعض المصادر (٣)، بأن عدم المهاجمة كان لمناعة سبتة ، ولكن سبتة لم تكن لِتُعيقَ المسلمين لو انهم أرادوا الاستيلاء عليها ، علما بان اجتياحهم لايبيريا ومحاصرتهم العديد من المدن الحصينة واستيلاءهم عليها (٤) ، كان اصعب وأشق عليهم من فتح سبتة ، وهذه الاشارة تدعم ما ذهبتُ اليه كون يليان قد اسلم وهو الاحتمال الارجح، أو ان يكون قد عاهد، ولم يترك المسلمون سبتة خلفهم لمناعتها أو لأنهم لم يطيقوها .

ومن الجدير بالذكر ان ذرية يليان قد نزلوا الاندلس ، وسكنوا في مدينة قرطبة ، وبرزوا فيها كعلماء مبرزين في العلوم الشرعية ، متبعين منهج الحجة والاقناع والدليل، ولم يكونوا يرضون بالتقليد (٥) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣؛ اخبار مجموعة ، ص ٥، ٦، ٧؛ ابن الاثير، ج٤ ، ص ٥٦٢ ، ٥٦٣؛ ابن الشباط ، م:١٤، ص ١٠٦ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣؛ أخبار مجموعة ، ص ٥؛ ابن الكردبوس،م:١٣، ص ٤٣؛ المرّاكشي ، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٦؛ والى هذا المفهوم اشار ابن خلدون، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٣؛ القلقشندي، صبح ج ٥ ، ص ٢٤٢؛ الحميري، ص ٧؛ المقّري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥١-٢٥٢؛ الناصري، ج١ ، ص٩٨ .

(٣) اخبار مجموعة ، ص ٤ . (٤) ابن عذاري ، ج٢ ، ص ١٤ .

(٥) من ذرية يليان برز في الاندلس ايوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكايش ابن اليان القوطي، وابنه سليمان بن ايوب ، وحفيده احمد بن سليمان بن ايوب، وقد عاش الثلاثة فى القرن الرابع الهجرى، انظر ابن الفرضي ، تاريخ العلماء ج ١ ، ص ٧١، ١٠٢-١٠٣ ، ٢٢٢ ، طبعة مصر، ١٩٥٤م .

وذكر البكري مصير مدينة سبتة وذرية يليان، عندما اشار الى ان المسلمين دخلوا سبتة صلحا بعد ان اقر عقبة بن نافع يليان على موضعه (١) ، وهذا يدّل على ان مصير مدينة سبتة اخيرا هو الآخر صار للمسلمين، ربما كان ذلك عند انتشار وتقوية قواعد الاسلام في افريقية (٢) والمغرب الذى هو الجزء الغربي من شمال افريقيا الحالي، ويظهر ان ذلك كان في عهد موسى بن نصير، عندما ثبّت الامور وعقد العزم على التوجه الى شبه الجزيرة الايبيرية (٣) ، بعد ان استطاع تثبيت الامور في الشمال الافريقي ،اذ لم يعد لاخفاء يليان امره مع المسلمين من ضرورة ، والذى كان ربما لاتقاء شرّ القبائل البربرية التي تحيط بسبتة والتي كانت ترتد عن الاسلام هذا من جهة ، واتقاء شرّ الايبيريين من جهة اخرى، وقد دخل العرب المسلمون مدينة سبتة عندما استقرت الاوضاع ، ولم يخرجوا منها الى ان قامت ثورة البرابرة في بلاد المغرب ، وبالذات بربر طنجة ، فأخرجوا العرب المسلمين من مدينة سبتة (٤) ، ولربما ان ذرية يليان خرجوا من سبتة ، مع طالعة بلج بن بشر التي توجهت الى الاندلس اتقاء شرّ ثورة البربر فى بلاد المغرب، ولنجدة العرب المسلمين في الاندلس من بربر الاندلس وقد كان ذلك في بداية العقد الثالث من المائة الثانية من الهجرة (٥) .

واميل الى الاعتقاد بان ذرية يليان هاجرت الى الاندلس بعد سقوط مدينتهم سبتة في يد البربر (٦) ، هذا الواقع يدّل على اسلام ابيهم ، وفى الوقت نفسه يدّل من طرف آخر

---

(١) البكري ، المغرب ، ص ١٠٤.

(٢) افريقية : كانت تطلق على المنطقة التي تمتّد من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا ، وعرضها من البحر الى الرمال التي هي أوّل بلاد السودان: البكري،المغرب، ص ٢١. وقال ياقوت : ان افريقية اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قُبالة جزيرة مقلية ، وينتهي آخرها الى قبالة جزيرة الاندلس : ياقوت ، ج١ ، ص ٢٢٨. وقال السّراج: ان المناطق الاولى من جهة الشرق من بلاد المغرب عُرفت بافريقية :السّراج الوزير محمد بن محمد الاندلسي، الحلل السُندسية فى الاخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠م، ص ٢٣٥.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٤ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٢.

(٤) البكري ، المغرب ، ص ١٠٤.

(٥) اخبار مجموعة ، ص ٣٠-٤١ ؛ ابن عذارى، ج١ ، ص ٥٤-٥٦ ؛ ويفهم ايضا من رواية البكري ما يدّل على هذا المفهوم، البكري، المغرب ، ص ١٠٤.

(٦) البكري ، المغرب ، ص ١٠٤.

على معاهدة ابيهم للمسلمين، فرحيلهم الى الاندلس واسلام الاحفاد لا يعني بالضرورة اسلام الاجداد، فكثير من الامم التى خضعت للاسلام لم تُسلم بداية، ولكن الاجيال التالية اصبحت تدين بالاسلام، بفضل سماحة وعدالة الاسلام، مع انني ارجح ان يليان قد اسلم، ولهذا السبب كان موقفه المتضامن مع المسلمين بل والمشجع لهم على افتتاح الاندلس.(١)

قضية ابنة يليان فلوريندا : (FLORINDA)

أوردت بعض المصادر العربية ان هناك عادة كانت متبعة في شبه جزيرة ايبيريا، وهي ان يرسل اكابر واعيان وقواد الدولة ابناءهم الذين يريدون ان ينوّهوا بهم الى قصر الملك بطليطلة، ليتأدبوا ويتعلموا ما ينفعهم من امور حياتهم وليقوموا على خدمة الملك،(٢) وعندما يبلغ هؤلاء سن الزواج يزوجهم الملك من بعضهم البعض فيزوج الفتاة للشاب الذى يكافيء والدها،(٣) لتزداد الروابط ويقوم بتجهيزهم، استئلافا لاباءهم ولذراريهم في المستقبل.(٤)

ومن هذا القبيل وردت روايات تشير الى ان يليان ارسل ابنته فلوريندا الى قصر الملك في مدينة طليطلة.(٥)

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣؛ أخبار مجموعة، ص ٥، ٦، ٧؛ ابن الاثير، ج ٤، ص ٥٦٢، ٥٦٣؛ ابن الشباط، م:١٤، ص ١٠٦.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣؛ أخبار مجموعة، ص ٥؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ق : ٢، ص ٢٥٣؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ الحميرى، ص ٧؛ قال الخزائنى في(المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٥١؛ الناصرى، ج١، ص ٩٧.

(٣) اخبار مجموعة، ص ٥؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٤٢؛ الحميرى، ص ٧؛ الناصرى، ج١، ص ٩٨.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٥؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ الحميرى، ص ٧؛ الناصري، ج١، ص ٩٨.

(٥) أخبار مجموعة، ص ٥؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ الحميرى، ص ٨؛ قال الخزائني في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٥١؛ الناصرى، ج١، ص ٩٧.

وقد بالغت الروايات في قضية اغتصاب الملك لذريق ابنة يليان البالغة الجمال[(١)] ثم احتيال الفتاة لاخبار والدها[(٢)]، وعودة يليان في فصل الشتاء على غير عادته وتلطفه مع لذريق لاخذ ابنته، متعللا بان امها مريضة ويريد ان يُسعف الام ببنتها قبل ان يوافيها الاجل[(٣)]، في حين اورد مصدر آخر ان يليان كان تاجرا فتوفيت زوجه، وتركت له ابنة جميلة فامره لذريق بالتوجه الى المغرب، ولكنّ يليان اعتذر اليه بوفاة زوجته، وعدم وجود شخص يتكفل برعاية ابنته خلال فترة غيابه، فما كان من لذريق الا ان اصدر اوامره بضمها الى القصر، ولكنها اُغتصبت من لذريق، فقامت باخبار والدها بما فعله الملك[(٤)]، وكذلك صورت بعض الروايات ان الفتح الاسلامي جاء نتيجة تصميم يليان على ادخال المسلمين الى ايبيريا للانتقام من لذريق، وقيام يليان من فوره بترغيب المسلمين في ايبيريا وحثّه المتواصل لهم على مهاجمتها[(٥)].

والملاحظة التي تؤخذ على رواية ابن القوطية انها اعتبرت ان يليان كان يسكن في شبه الجزيرة الايبيرية[(٦)] مع ان يليان كان يسكن في مدينة سبتة، كما

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣؛ اخبار مجموعة، ص ٥؛ ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ط ١، ص ١٦؛ ابن خلدون، العبر، م ٤: ص ٢٥٣ وقد اشار الى قريب مما ورد في المتن؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ الحميري، ص ٧؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥١ - ٢٥٢؛ الناصري، ج١، ص ٩٨.

(٢) اخبار مجموعة، ص ٥، وذكر بانه كُتب لابيها؛ ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٤؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ الحميري، ص ٧؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٣) ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٣-٤٤، وذكر ان يليان جاء في الصيف على غير عادته؛ ابن خلدون، العبر، م ٤: ق ٢: ص ٢٥٣، وذكر ان يليان اخذ ابنته دون ان يُفصّل؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢، اشار فقط الى تلطف يليان في عملية اخذ ابنته، الحميري، ص ٧؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٢؛ الناصري، ج١، ص ٩٨.

(٤) ابن القوطية، ص ٨.

(٥) اخبار مجموعة، ص ٥-٦؛ ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٤؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٥؛ الحميري، ص ٨؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٢؛ الناصري، ج١، ص ٩٨، بقوله للذريق بانه سيحضر له طيورا في المرّة القادمة لم ير مثلها ويقصد المسلمين.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣؛ اخبار مجموعة، ص ٤؛ البكري، المغرب، ص ١٠٤؛ ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٣؛ المرّاكشي، ص ٣٣؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ القلقشندي، صبح، ج٥، ص ٢٤٢؛ الحميري، ص ٧؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥١؛ الناصري، ج١، ص ٩٧.

ان روايته قد خالفت روايات اخرى قالت بان يليان استطاع ان يحتال على لذريق لكي يتمكن من اخذ ابنته ، بادّعائه بان والدة الفتاة كانت على حافة الموت ، وانها تريد ان ترى ابنتها قبل ان تنتقل الى عالم آخر غير عالم الدنيا (١) .

وهذه الرواية ايضا تختلف عن الروايات الاخرى التي قالت ان وجود فلوريندا في قصر الملك بطليطلة كان نتيجة عادة كانت متبعة في شبه الجزيرة الايبيرية ، وهي ان يرسل اكابر القوم أولادهم الى القصر الملكي ليتأدّبوا بآداب الملوك (٢) .

مما سبق أخلص الى القول ، بالنسبة لقضية ابنة يليان، ان هذه القضية لم تكن موجودة على ارض الواقع ، لأنها تصور الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية كأنه لم يكن ليحدث لولا وقوع عملية اغتصاب فلوريندا ، والتي ادت الى نقمة يليان واحتيال والدها على لذريق لاخذها معه ، كون امها في النزع الاخير من حياتها وتوّد رؤية فلذة كبدها (٣) .

وكذلك كما مرّ ان يليان كان يسكن مدينة سبتة ، وله علاقات ممتازة مع المسلمين (٤) وكانت هذه العلاقات سابقة لعهد لذريق (٥) الذى تولى الحكم سنة ٧٠٩م تقريبا ، فلا يعقل ما دام على علاقات حسنة مع المسلمين ان يقوم بابعاد ابنته عنه الى منطقة اخرى، ما دام يتمتع بالحماية ، ولا يخاف قوة مهاجمة ، فلماذا يرسل ابنته الى مدينة طليطلة ؟ وهل كان الارسال في عهد لذريق ام في عهد سابق لعهده ؟ هذا اذا ما اعتبرنا ان يليان كان قوطيا ، وانه كان على عهد مع المسلمين ولم يكن مسلما .

---

(١) ابن الكردبوس ، م ١٣: ، ص ٤٣-٤٤ ، وذكر انه جاء في الصيف على غير عادته ؛ ابن خلدون ،العبر ، م ٤: ، ق ٢: ، ص ٢٥٣ ؛القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛الحميرى ، ص ٧ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٢ ؛ الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ؛أخبار مجموعة ، ص ٥ ؛ابن الكردبوس، م ١٣: ، ص ٤٣ ؛ المرّاكشي ، ص ٢٣ ؛ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦١ ؛ابن خلدون،م ٤: ، ق٢ ، ص ٢٥٣ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى ، ٧ ؛المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥١ ؛الناصرى ، ج١ ، ص ٩٧ .

(٣) ابن الكردبوس ، م ١٣: ، ص ٤٣-٤٤ ؛ابن خلدون،م ٤: ، ق ٢: ، ص ٢٥٣ ؛القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛الحميرى ، ص ٧ ؛المقّرى،نفح ، ج١ ،ص ٢٥٢ ؛الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٤) الرقيق القيروانى ، ص ٤٤-٤٥ ؛البكرى ،المغرب ، ص ١٠٤ ؛ابن الاثير ، ج٤ ، ص ١٠٦ ؛ابن خلدون ، م ٤: ، ق ٢: ، ص ٣٩٩ .

(٥) D. FRANCISCO, P. 114.

وفي عهد لذريق اضطربت حالة ايبيريا ، وكانت تعيش حالة فوضى وضعف وثورات، وحالة اقتصادية متردية (١)، فكيف بهذا اليوليان يرسل ابنته الى منطقة غير آمنة بل ومضطربة ، واصلا لم تكن هناك أى فرصة هدوء واستقرار في عهد لذريق، وهذا ما سنراه في النقطة التالية وهي بيت طليطلة .

وأميل الى القول ان هذه العادة لم تكن موجودة على أرض الواقع بل وُجدت فيما بعد في نصوص وروايات المصادر التي كتبت عن تلك الفترة من الزمن، والتي ادخلت عليها تلك الامور، لأن شخص يليان كما عرفنا ان لم يكن قد اسلم، فانه قد عاهد المسلمين، وهم القوة القوية في تلك المنطقة، وفي تلك الحقبة من الزمن، فمن باب أولى ان يصطنع القوة الاسلامية، وان لا يتعامل مع قوّة بات الضعف والانحلال ينخر في كيانها، والفوضى تسرى في مرافقها العسكرية والسياسية والاقتصادية (٢)، وكيف يرسل ابنته ويبعدها عنه الى ما خلف البحار، وهو في مدينة سبتة (٣)، الى ايدى غير آمنة وهو ليس من ذلك العنصر الحاكم في شبه الجزيرة الايبيرية (٤)، ولنفترض جدلا انه ارسلها، فمتى ارسلها؟ علما أنّ علاقات يليان بدأت مع المسلمين عام ٦٢هـ (٥)، فإن كانت عملية ارسال الفتاة قبل فترة علاقاته بالمسلمين، فالفتاة قد كُبُرت واصبح عمرها يناهز الثلاثين عاما، وذلك يتضح من خلال التدقيق بين عامي لقاء يليان بعقبة بن نافع، وبين اعتلاء لذريق العرش في ايبيريا، ومن ثمّ دخول المسلمين الاندلس (٦)، ولا أظن ان الفتاة تبقى بدون زواج في ذلك الزمن طيلة هذه المدّة من العمر.

---

(١) انظر الفصل الاول، الاوضاع في ايبيريا في عهد لذريق ، ص ٢٠ ـ ٢٤ ؛ وانظر ابن حبيب ، م ٥: ص ٢٢٢ ؛ اخبار مجموعة ، ص ٨-٩ ؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤ ؛ الحميرى، ص ٩ ؛ العبادى، دراسات ، ص ٣٠ ؛ وانظر D. FRANCISCO, P. 114.

(٢) انظر هذا الفصل ص ٢٢-٢٤ ، ٣٤-٣٥.

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٤ ؛ البكرى، المغرب، ص١٠٤ ؛ ابن الكردبوس، م ١٣: ص ٤٣ ؛ المرّاكشي، ص ٣٣ ؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى، ص ٧ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص٢٥١ ؛ الناصرى، ج١، ص ٩٧.

(٤) انظر هذا الفصل، ص ٢٨ - ٢٩. (٥) ابن الاثير ، ج٤، ص ١٠٦.

(٦) بدأت بدايات دخول سرايا المسلمين لشبه جزيرة ايبيريا في عام ٩٠-٩١ هـ، انظر اخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ ابن الكردبوس ، م ١٣: ص ٤٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٥ ؛ الزياني ، ص ٩٤.

وان كان قد ارسلها بعد ذلك اللقاء الذى تمّ بينه وبين عقبة ، وكان قد بقي على نصرانيته فهل يعقل ان يتركها في مدينة طليطلة في فترة سادها النزاع بين لذريق من جهة واولاد غيطشة واسرته ومناصريه من جهة اخرى، على مقاليد الحكم وما رافق ذلك من فوضى وحروب (١).

وان كان يليان قد ارسل ابنته الى طليطلة على سبيل الغرض في عهد لذريق بسبب وفاة امها كما اشار احد المصادر (٢) ، فينفي هذا القول ما يلي : ان الرواية افترضت يليان تاجرا يسكن ايبيريا (٣) ، ايضا ردّت هذه الرواية رواية اخرى في كون ام الفتاة ما زالت حية وان يليان جاء لاخذ ابنته لتراها والدتُها المريضة قبل ان يوافيها الاجل (٤) ، فهذه الاراء تنقض نفسها بنفسها ، وايضا اذا ما اخذنا الاراء القائلة بعلاقة حميمة بين يليان وغيطشة واولاده من بعده (٥) ، لا بدّ وان نحكم بأن يليان لا يُعقل ان يترك ابنته في طليطلة ، بل ليس من الجائز القول انه ذهب لاحضارها اذا ما كان من انصار اسرة غيطشة واولاده اعداء لذريق، وكذلك إن كان مسلما لا يعقل ان يذهب الى طليطلة ، بل اصلا لا يَقبل العقل ان يكون يليان قد ترك ابنته في طليطلة بيد أناس غير مسلمين.

لذا استطيع القول أنّ الاقوال التي قالت بالأحداث المتعلقة بابنة يليان لايمكن ان تصدق او يقبلها عقل أو أى تفكير علمي ،او تدقيق تاريخي في الروايات ، وما اظنّ الّا ان ايراد تلك الروايات ما هو الا تقليل من قيمة الفتوح الاسلامية والتخطيط الذى كانت تنتهجه قيادة المسلمين على جميع المستويات والمراحل، للتقليل من الدور الذى لعبته حضارة الاسلام في تلك المنطقة وتأثيرها في الحضارة الانسانية ، فإن لم تكن تلك الروايات مقصود فيها الطعن في الفتح الاسلامي فعلى أغلب التقديرات انها من اختراع القُصّاص واصحاب المجالس التي تتندر بطرائف وغرائب وعجائب ، ربمايقوموا باختراعها وتأليفها ،او اختراع وتأليف البعض منها ، لأغراض في نفوسهم .

---

(١) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢ ؛ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤ ؛الحميرى، ص ٩ ؛القبادى، دراسات، ص ٣٠؛ وانظر D. FRANCISCO, P. 114 ؛ وانظر هذا البحث ، ص ٢٣ — ٢٤.

(٢) ابن القوطية ، ص ٨. (٣) ابن القوطية ، ص ٨.

(٤) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٣–٤٤ ؛ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٣ ؛القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢ ؛الحميرى، ص ٧ ؛المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٢ ؛الناصرى، ج١، ص ٩٨.

(٥) الرقيق القيرواني، ص ٧٣، وذكر ما يفيد ان هناك علاقة حسنة بين اولاد غيطشه ويليان، ولكنه اخطأ في ذكر اسم يليان لابن غيطشة ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص٦ ؛ وانظر D. FRANCISCO, P. 115

بيت طليطلة

كثرت عملية ذكر التنبوءات وبعض الامور الخارقة ، التي سبقت ورافقت عملية الفتح الاسلامي للاندلس (١) .

فذكرت بعض المصادر أنه كان يوجد في مدينة طليطلة بيت يقوم على شؤونه مجموعة من رجال الدين، وان عادة متعارفا عليها كانت متبعة ، ففي بداية حكم كل ملك جديد كان عليه ان يضع قفلا على ذلك البيت ، كما فعل من سبقوه ، فلما تقلد لذريق مقاليد الحكم في شبه جزيرة ايبيريا ، جاء اليه المسؤولون عن البيت وطلبوا منه ان يفعل كما فعل اسلافه ، بوضع قفل على ذلك البيت ، ولكنه رفض ذلك، لانه لن يقفل دون ان يعلم ما في البيت (٢) ، وذكر ابن حبيب ان ذلك الحدث قد تم قبل ايام يسيرة من الفتح الاسلامي (٣) ، وان لذريق امرّ على فتحه لكي لا يموت بغم ذلك البيت ، ولكن القائمين على ذلك البيت منّوه (٤) بان يجمعوا له مقدار ما يتصوره من المال فيه ، بشرط ان لا يفتحه ، ويصبح بفعله ذلك قد افسد سنن الذين سبقوه ، لان اسلافه اعلم منه وادرى بما فعلوا ، ولم يجرءوا على القيام بما فكر به (٥) ، وذكرت بعض المصادر ان لذريق ظن ان ذلك البيت هو بيت مال قد احترمته الملوك (٦) ، ولكن لذريق امرّ على رأيه وقام بفتح البيت ،

---

(١) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٦-٤٠٩ ؛ وانظر المقّري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٤٠ ، وما بعدها .

(٢) قال الليث بن سعد في (ابن حبيب) م :٥ ، ص ٢٢٥ ؛ ابن عبد الحكم ،فتوح افريقيا والاندلس ، ص ٧٤ ؛ ابن قتيبة الامامة ، ص ١٢٨ ؛ ابن الفقيه ، ص ٨٣ ؛ المسعودي ، اخبار الزمان ، ص ٩٦-٩٧ ؛ ابن الكردبوس ، م :١٣ ، ص ٦ ؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦٧ ؛ ابن الشباط ، م :١٤ ، ص ١٠٣-١٠٤ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٩-٤١٠ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٣ ؛ ابن الوردي ، زين الدين ابو حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ط ٢ ، مطبعة مصطفى البابي واولاده ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م ، ص ٢٠٦ ، وذكر ان آكابر الدولة حاولوا الانكار عليه ؛ القلقشندي ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ؛ القلقشندي ، مآثر الاناقة ، ج١ ، ص١٣٤-١٣٥ ، الحميري ؛ ص ٦-٧ ، ١٣٠-١٣١ ؛ المقّري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥١ .

(٣) ابن حبيب ، م :٥ ، ص ٩-١٠ .

(٤) ابن حبيب ، م :٥ ، ص ٢٢٥ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤١٠ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٣ ، ابن الوردي ، خريدة ، ص ٢٦ ؛ القزويني ، اثار البلاد والعباد ، ص ٥٤٦-٥٤٧ .

(٥) ابن حبيب ، م :٥ ، ص ٢٢٥ ؛ ابن الكردبوس ، م :١٣ ، ص ٤٣ ؛ ابن الشباط ، م :١٤ ، ص ١٠٣ ؛ القلقشندي ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ؛ القلقشندي ، مآثر ، ج١ ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٦) الحميري ، ص ٦-٧ ، ١٣٠-١٣١ ؛ المقّري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥١ .

فلم يجد فيه سوى تابوت من خشب ، وتابع لذريق ما صمم على معرفته ، ففتح التابوت فلم يجد فيه الا اشكالا وصورا على هيئة العرب متعممين بالعمائم متقلدين سيوفهم ، متنكبين قسيّهم ، راكبين على خيولهم العربية ، ومكتوب على هذا الرق كلام معناه ،ان الامة التي تشبه هذه الصور، سيدخلون هذه البلاد، عندما يتم فتح البيت الذى فيه التابوت وفيه تلك الصور (١)، وزاد ابن خلكان، أن لذريق وجد المائدة في ذلك البيت (٢)، وان مُلك اليونان سيزول في حالة فتح ذلك البيت (٣)، ووردت اشارة اخرى عند ابن خلكان، بان ذلك البيت كان بمثابة بيت حكمة ، وان تلك الأشياء التي وجدت في البيت ، انما هي عبارة عن طلاسم ، وضعت في تابوت ، ووضع التابوت في ذلك البيت ، وتأكيدا لحفظ ذلك البيت ، جرت العادة أن يقوم كل ملك بوضع قفل على ذلك البيت (٤)، وبعد ان قام لذريق بفتح بيت طليطلة امر بارجاع الأقفال الى ذلك البيت ، ووضع الحراس على البيت (٥).

وذكر ابن الشبّاط رواية جديدة أرجعها الى صاحب كتاب المعرب على محاسن اهل المغرب ، عن الصور والمكان التي وُجدت فيه ، فذكر بانه كان بقصر الملك داماس تحت الارض ، مكان فيه صور المرمر تشتمل العباء والشمال متعممة بالعمائم ، وقبل دخول المسلمين شبه الجزيرة ، حُفر موضع لأمر ما ، فوجد الذين قاموا بالحفر صور المرمر ، وقد كان يوجد في طليطلة فيلسوف من الروم وكان عالما بتواريخهم وسِيَرهم ، فسألوه عنها ، فقال : ظهور هذه الصور يدل على ظهور قوم لباسهم هذا الزى ، ولا بدّ لهم من الحلول بها (٦).

---

(١) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٥؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٤؛ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٨؛ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٣؛ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٧؛ابن الشباط، م:١٤، ص ١٠٤؛ابن خلكان، ج٤، ص ٤١٠-٤١١؛ابن عذاري، ج٢، ص ٣؛ابن السوردى، خريدة ، ص ٢٦؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤١؛ القلقشندى، مآثر، ج١، ص ١٣٤-١٣٥؛ الحميرى، ص ٦-٧، ١٣٠-١٣١؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥١.

(٢) ابن خلكان، ج٤، ص ٤١٠. (٣) ابن خلكان ، ج٤، ص ٤١٠.

(٤) ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٦، ٤٠٩-٤١٠.

(٥) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣؛القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤١؛الحميرى، ص ٦-٧،١٣٠-١٣١؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥١.

(٦) ابن الشباط، م:١٤، ص ١٠٤-١٠٥، ويرجع روايته الى صاحب كتاب المعرب على محاسن اهل المغرب .

وكان يوجد في طليطلة بيت شان ، هو بيت الملوك، الذى كان يُوضع فيه تاج الملك المتوفى ، موضوعا عليه اسم الملك ، ومدة حكمه ، وعدد سنوات حياته (١) ، ونسبة الى هذا البيت كانت تعرف طليطلة بمدينة الملوك (٢) .

مما سبق يلاحظ ما يلي: ان بيت طليطلة يقوم على شؤونه مجموعة من رجال الدين، وان هناك تقليدا متبعا كان يجرى في طليطلة في بداية اعتلاء كل ملك جديد العرش، إذ كان عليه أن يُقفل باب البيت ، وأن الملك الجديد لذريق لم يفعل ذلك التقليد بل طُلب منه ان يفعل فرفض كونه لا يريد ان يُقفل دون معرفة .

- اصرار لذريق على فتح البيت .
- ان ذلك الحدث قد وقع قبل أيام يسيرة من الفتح الاسلامي.
- مفاوضة القائمين على البيت للذريق بأن يُعطوه مقدارا من المال بمقدار ما يتصوره بداخل ذلك البيت .

أشار ابن خلكان الى ان موجودات بيت طليطلة كانت طلاسم وُضعت في تابوت ، ووضع التابوت في البيت ، وسُمي بيت الحكمة ، وان عملية وضع قفل على الباب من قِبل كل ملك جديد يعتلي العرش جرت كعادة (٣) ، ويبدو ان تلك الطلاسم التي أشارت اليها العديد من المصادر على انها اشكال وصور للعرب (٤) ، يمكن أن تكون تلك الصور، هي صور المرمر، التي عُثر عليها في بيت تحت قصر الملك داماس ، فاستغربها القوط ، وسألوا فيلسوفا عن كُنه هذه الصور، فذكر أن قوما سيدخلون تلك البلاد ، لباسهم ذلك الزي الموجود في الصور(٥).

---

(١) قال الليث بن سعد في (ابن حبيب) ، م:٥، ص ٢٢٥ ; وانظر ابن الفقيه ، ص ٨٢، ولم يُشر ماذا كان يُكتب على التاج ; الضبي، بغية الملتمس ، ص ٩-١٠ .

(٢) قال الليث بن سعد في (الضبي)، بغية الملتمس، ص ٩ ; ياقوت ، ج٤، ص ٤٠ ;القزويني ، ص ٥٤٦ ;ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٢٢٦ ;ابن عذارى، ج٢، ص ١٢ ; المقّرى، ج١ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) ابن خلكان ، ج٤، ص ٤٠٩-٤١٠ .

(٤) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٥ ;ابن عبد الحكم ،فتوح افريقيا ، ص ٧٤ ;ابن قتيبة ،الامامة ، ص ٢٨ ;المسعودى، اخبار الزمان، ص ٩٦-٩٧ ;ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٣ ;ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٧ ; ابن الشباط، م:١٤، ص ١٠٤ ;ابن خلكان، ج٤، ص ٤١٠ ;ابن عذارى، ج٤، ص٣ ; القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤١ ;القلقشندى، مآثر الاناقة ، ج١، ص ١٣٤-١٣٥ ;الحميرى، ص ٦-٧، ١٣٠-١٣١ ; قال الخزائني في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٥١ .

(٥) ابن الشباط ، م:١٤، ص ١٠٤-١٠٥ .

وربما ان تفسير الفيلسوف لهذا الحدث ناتج عن رؤيته لأوضاع شبه جزيرة ايبيريا الاقتصادية والصحية والسياسية والاجتماعية المتردية ، وظهور المسلمين على الجانب الآخر لبحر الزقاق المواجه لاسبانيا كقوة كبيرة ذات رسالة تريد أن تنشرها (١) ، ويظهر ان تفسير الفيلسوف لتلك الصور كان لتوعية شعبه الى خطر المسلمين، عن طريق هذه الصور، لدق ناقوس الخطر والتنبيه الى قوة المسلمين مع المقارنة بحالة الضعف الشديد في قوة اسبانيا في ذلك الوقت ، ومن جهة ثانية لدعوة جميع الاراء والجهات المتنافرة في ايبيريا الى رص الصفوف والتوحد .

ولو ان تلك الصور رُدّت كما زعمت بعض المصادر الى البيت ، والى وضع الحرّاس عليه (٢) ، لوجدها المسلمون عند قيامهم بفتح طليطلة ، مع انهم وجدوا المائدة والتيجان التي ذكرتها المصادر موجودة في بيت طليطلة الثاني (٣) .

ويظهر ان الخلط قد وقع في تأويل الفيلسوف لصور المرمر من ناحية ، وبين حادثة اصرار لذريق على فتح بيت طليطلة ؟!

واميل الى كون تلك الصور والاشكال طلاسم قديمة وجدت بطريق الصدفة ،او رسومات وقع بعض الشبه بينها وبين أشكال العرب ، فحاول ذلك الفيلسوف التنبيه الى الخطر القادم من المسلمين الذين اصبحوا لا يفصلهم عن اسبانيا سوى المضيق مع مراعاة انهم في أوج قوتهم ومجدهم ، والى حالة اسبانيا السياسية السيئة ، الناتجة عن العداء بين

---

(١) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧ ؛ ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج١ ، ١٩٧١م ، ص ٢٠٢ ؛ د . العبادى ، دراسات ، ص ١٢٠٧ .

(٢) ابن الكردبوس ، م ١٣: ، ص ٤٣ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤١ ؛ الحميرى ، ص ٦-٧ ، ١٣٠-١٣١ ؛ قال الخزائني في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥١ .

(٣) قال الليث بن سعد في (ابن حبيب) م ٥: ، ص ٢٢٥ ، وذكر ان موسى وجد في طليطلة بيتا فيه ٢٥ تاجا ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٨ ، وذكر عن ابن عياض عن رجل من أهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس عند فتح البيت وقد وُجدت فيه المائدة ؛ ابن القفيه ، ص ٨٢ ، وذكر انه وُجد في أحد بيتي طليطلة عدد من التيجان لملوكها ، وكذلك وجدت مائدة سليمان ، الضبّي ، ص ٩-١٠ ، وذكر رواية عن الليث بن سعد ان موسى وجد في طليطلة بيتا يقال له بيت الملوك ، وقد وُجد فيه ٢٥ تاجا .

لذريق وافراد اسرة الملك السابق وأنصارهم ، وعن ثورة الشمال [١]، وايضا حالة اسبانيا الاجتماعية ، والتي طحن بها افراد الشعب من مغار المزارعين والحرفيين والتجار وعامة الشعب والعبيد واليهود، على أيدي طبقتي النبلاء ورجال الدين [٢]، وكذلك المجاعـة والوباء اللذان قضيا على مقدرات وخيرات شبه جزيرة ايبيريا من جهة ، والقضاء على عدد كبير من سكانها ، وقد حدث ذلك في سنوات ٨٨، ٨٩، ٩٠هـ، مع بدايات تفكير المسلمين بغزو تلك البلاد [٣]، فقد بدأ غزوها الحقيقي في سنة ٩٢هـ [٤]، وقد سبق هذا الحدث التاريخي وصول بعض السرايا التي ارسلها المسلمون قبل ذلك الى شبه جزيرة ايبيريا [٥]، ومن المحتمل ان يكون الخلط قد وقع بين بيت الطلاسم الذي يضم الصور او الرسومات،والبيت الذي حاول القائمون عليه ثني عزم لذريق عن فتحه ، بعرضهم عليه توفير مبلغ من المال بقدر ما يتصور لذريق ما هو موجود في ذلك البيت [٦]، والاشارة التي وردت في أحد المصادر دلت على ان زمن هذه الحادثة ، كان قبل الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة بأيام يسيرة [٧]، علما بان سريتي بليان وطريف حدثتا سنتي ٩٠ و ٩١هـ [٨]، وان ثورة الشمال

---

(١) انظر هذا الفصل ص ٢٠ – ٢٢ ؛ابن حبيب ، م:١٥، ص ٢٢٢؛ابن خلكان، ج٤، ص٤٠٤؛ الحميرى، ص ٩، وذكر العبادى ان تلك الثورة هي ثورة البشكنس سكان نافرا في اقصى شمال اسبانيا ، انظر العبادى ، دراسات ، ص ٣٠ ؛ D.Francisco,P.114.

(٢) د. العبادى، في التاريخ العباسي، ص ٢٥٩؛ د. مكي، دراسات ، ص ٤٧؛ سالم ، تاريخ ، ص ٥٨.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ٨–٩.

(٤) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧١؛المسعودى، أخبار، ص ٩٧؛ أخبار مجموعة ، ص ٦؛ الضبي، ص ٢؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٢؛ابن الشباط،م:٤، ص ١٠٣.

(٥) فقد وقعت سرية طريف بن مالك ، في سنة ٩١هـ، انظر، اخبار مجموعة ، ص ٦؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الشباط ، م:١٤، ص ١٠٣؛ الحميرى، ص ٨؛ابن ابي دينار، ص ٣٦؛ وأشير الى ان غارة بليان على جنوب الاندلس كانت في سنة ٩٠هـ، انظر، الحميرى، ص ٨.

(٦) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٥؛ابن خلكان، ج٢، ص ٤١٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣.

(٧) ابن حبيب ، م:٥، ص ٩–١٠، كما رأينا ان سريتي بليان وطريف حدثتا سنتي ٩٠و٩١هـ بينما ثورة الشمال حدثت عند دخول المسلمين الاندلس سنة ٩٢هـ.

(٨) انظر هذه الصفحة الهامش رقم (٥).

حدثت عند دخول المسلمين الاندلس سنة ٩٢هـ[(١)]، وواضح من تلك الاشارة ان هدف لذريق من فتح البيت هو المال فقط وليس غيره، ولهذا اميل الى الاعتقاد بان فتح لذريق للبيت كان في زمن اشتعال ثورة الشمال، وقد كان بحاجة ماسة الى تلك الاموال، فأُقدم على فعلته، ولكن السؤال الذى يتبادر الى فرض نفسه، هو لِمن هذا المال ؟.

أفادت الاشارات التي وردت في بعض المصادر ان القائمين على البيت هم قساوسة وقماطة وشمامسة، من رجال الدين المسيحي، وانهم ضجوا من رغبة لذريق بفتح ذلك البيت مع عدد من مؤمني الديانة النصرانية، وقيّدوا عرضهم السالف الذكر، بشرط ان لا يعتدى لذريق على ذلك البيت[(٢)].

فالبيت أصلا يقوم على شؤونه رجال الدين، والذين تصدوا للذريق، هم رجال الدين،وايضا وردت اشارة الى كون ذلك البيت قد وُجدت فيه المائدة[(٣)]، والمائدة: هي عبارة عن اداة يُوضع عليها الانجيل والمصاحف النصرانية في الأعياد والصلوات وهي مصنوعة من مواد ثمينة، فقد كان يوصي بعض الاغنياء عندما تحضرهم الوفاة باموالهم أو قسم منها للكنيسة فتُصنع من تلك الاموال ادوات مثل المائدة، تتعلق بالامور الدينية[(٤)] ومن الاشارات الثلاث أستطيع القول أن البيت الذى اراد لذريق فتحه ما هو الا بيت أو حجرة في كنيسة طليطلة الكبيرة، يوجد فيه اموال وذخائر وجواهر وغيرها من المواد الثمينة التي كان يُوصى بها او لربما يُهدى بها الى الكنيسة تقربا للرب، طلبا لمغفرته ورضوانه.

---

(١) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤؛الحميرى، ص ٩؛ وانظر العبادي، دراسات، ص ٣٠.

(٢) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٥؛ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٨؛ وانظر القزويني، ص ٥٤٦ — ٥٤٧.

(٣) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٨ وذكر ان طارقا وجد المائدة في كنيسة طليطلة العظمى؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤١٠؛الحميرى، ص ٤ـ وذكر ان طارقا وجدها في كنيسة طليطلة؛المقّرى، نفح، ج١، ص ١٣٥ وجدها طارق في الكنيسة.

(٤) ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢١؛الحميرى، ص١٣٢، وأشار الى انها كانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧٢، فقد قال انه زُعم انها كانت مائدة سليمان عليه السلام؛انظر ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٦؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٥؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩٢؛ابن الكردبوس م:١٣، ص ٤٨.

ومال السيد عبد العزيز سالم الى ان لذريق قد اعتدى على اموال الكنائس وذخائرها ، التي كانت محفوظة في غرفتين مغلقتين بكنيستي سان بابلو وسان بدرو بطليطلة (١).

اما بالنسبة للأموال التي عرضها رجال الدين على لذريق (٢)، فيبدو ان ذلك المال سيجمعونه من خلال فرض ضرائب او وسائل اخرى، بصفة كونهم ممثلين في مجمع طليطلة ، ولهم النفوذ الكبير والواسع في البلاد ، لثني عزم لذريق وابعاده عن التفكير بالاستيلاء على اموال الكنائس (٣)، والذى كان بحاجة له ، ربما لتمويل حملته التي قادها بنفسه للقضاء على الثورة (٤) التي نشبت ضده في شمال شبه جزيرة ايبيريا ، مع الأخذ بعين الاعتبار الاوضاع العصيبة التي عصفت بشبه جزيرة ايبيريا في تلك الفترة ، وربما ايضا لتحصين البلاد للوقوف في وجه المسلمين الذين بدأت غاراتهم على تلك البلاد كسرية طريف بن مالك (٥)، وسرية يليان (٦)، علما بانهما قد سبقتا نشوب ثورة الشمال ، وكما لاحظنا ان قضية لذريق مع البيت كانت قبل أيام يسيره من الفتح (٧)، هذا هو الذى جعلني أميل الى القول بان البيت الذى أشارت اليه المصادر ما هو الا بيت مال الكنيسة ، ونظرا لحاجة لذريق للاموال الطائلة في ظل الظروف القاسية والصعبة التي كانت تمر بها ايبيريا قبيل الفتح الاسلامي بفترة قصيرة جدا ، صمم على فتح ذلك البيت.

---

(١) سالم ، تاريخ ، ص ٦١.

(٢) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٥؛ ابن خلكان ، ج٢ ، ص ٤١٠؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣.

(٣) المجمع الطليطلي الثالث ، ص ٨٧، ٨٨، ٩٨؛ وانظر طرخان ، المسلمون ، ص ٥١.

(٤) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٢؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤؛ الحميرى ، ص ٩؛ العبادى ، دراسات ، ص ٣٠.

(٥) اخبار مجموعة ، ص ٦؛ ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦١؛ ابن الشباط ، م:١٤ ، ص ١٠٣ ؛ الحميرى ، ص ٨؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٦.

(٦) الحميرى ، ص ٨.

(٧) ابن حبيب ، م: ٥ ، ص ٩-١٠.

اما قضية العادة المتبعة في كون كل ملك كان يقوم عند اعتلائه العرش بوضع قفل على ذلك البيت، والبيت المقصود في الروايات يمكن ان يكون بيت المال، ولربما ان وضع القفل من الملك رأس الدولة والقائم على امور سياستها، على بيت اموال الكنيسة الكبيرة في طليطلة ،فكانت بمثابة تأكيد حفظ السلطة السياسية لتلك الاموال ولحرمتها ،من كل الايادي التي ربما تفكر بالقيام بمدّ ايديها الى تلك الذخائر، بالاضافة الى حفظ تلك الاموال من السلطة الدينية الكنسية، لاظهار تلك الاموال بمظهر القداسة والحرمة والمنعة لكي لا يفكر أحد من كبار الساسة بالاستيلاء عليها. (١)

ولكن الامر الذى يُتحفظ عليه بالنسبة لهذا الطرح هو ان الاشارة كما أسلفت وردت زمن فعلة لذريق مع بيت اموال الكنيسة، وقد حدثت قبيل الفتح الاسلامي بأيام قليلة (٢)، بينما طُلبُ وضع الأقفال كان يحدث عند اعتلاء الملك العرش فور تنصيبه. (٣)

---

(١) قال الليث بن سعد في ابن (حبيب)، م:٥، ص ٢٢٥؛ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٤؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٨؛ابن الفقيه، ص ٨٣؛ المسعودى، اخبار، ص٩٦-٩٧؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦؛ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٧؛ ابن الشباط، م : ١٤، ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٩-٤١٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤١؛ القلقشندى، مآثر الاناقة، ج١، ص ١٣٤-١٣٥؛ الحميرى، ص٦-٧، ١٣٠-١٣١؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥١.

(٢) ابن حبيب، م:٥، ص ٩-١٠.

(٣) انظر ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٥؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا ،ص ٧٤؛ابن قتيبه، الامامة، ص ١٢٨؛ المسعودى، اخبار الزمان، ص ٩٦، ٩٧؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٧؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٣-١٠٤؛ابن خلكان، ج ٤، ص ٤٠٩-٤١٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤١؛ القلقشندى، مآثر الاناقة، ج١، ص ١٣٤-١٣٥؛الحميرى، ص ٦-٧، ١٣٠-١٣١؛ المقرى، نفح، ج ١، ص ٢٥١.

الفصل الثاني

الفتح الاسلامي وأثره على طليطلة

فترة موسى بن نصير وقائده طارق بن زياد

أولا : ١• الفتح ، المشاورات بين موسى بن نصير والخليفة الوليد بن عبدالملك•

٢• تنفيذ الخطة : أ ـ السرايا•

ب/ـ حملة طارق بن زياد على الأندلس•

ج/ـ عبور موسى الى الاندلس ودخوله طليطلة•

د/ـ فتح المناطق الشمالية من الاندلس•

٣• ايعاز الخليفه الوليد بوقف عملية الفتح وعودة موسى وطارق الى الشام•

ثانيا : أثر الفتح الاسلامي على طليطلة•

المشاورات والخطة :-

لم يكن الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الايبيرية عملية انسيابية دون تخطيط مسبق، اذ ان الاوضاع فيها قد تغيّرت بمجيء لذريق الى سدة الحكم (١) ، بينما كانت الاوضاع في الجهة المقابلة من بحر الزقاق قد دانت لحكم المسلمين واستتبت الاوضاع فيها لصالحهم (٢) ، هذه الظروف دفعت المسلمين لتنفيذ ما فهمه ذلك الجيل منهم، حيث كان عليهم ان ينشروا الاسلام في كل المناطق (٣)، فذكرت بعض المصادر أنّ مشاورات قد جرت بين موسى بن نصير الوالي المسلم على الشمال الافريقي في القيروان (٤) ، والخليفة الاموي

---

(١) انظر ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤؛ الحميري، ص ٩؛ العبادي، دراسات ، ص ٣٠؛ وانظر الفصل الاول من هذا البحث ، ص ٢٠ - ٢٢، ٢٣ - ٢٤•

(٢) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠؛ أخبار مجموعة ، ص ٤؛ الرقيق القيرواني، ص ٧٩؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٣•

(٣) ويتبين ذلك من خلال مقابلة وفد المسلمين لملك فارس يزدجرد، انظر ابن الأثير، ج٢، ص ٤٥٦-٤٥٧•

(٤) القيروان: مدينة تونسية تقع في البلاد التي كانت تعرف بافريقية : السرّاج، ج١ ، ق:١، ص ٢٤٤• اختطها عقبة بن نافع في فترة ولايته الأولى على بلاد (افريقية) في اوائل منتصف القرن الاول الهجري: انظر: المعفري، ق:١، ص ٢٤٧؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص ١٩٦؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا ، ص ٥٤-٥٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ق:٣، ص ١٠٧٦؛ البكري، معجم ، ج٣، م:٢، ص ١١٠٥؛ ياقوت ، ج٤، ص ٤٢١-٤٢٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ، ج٣، ص ٤٢١؛ ابن عذارى، ج١، ص ١٩-٢٠؛ الدباغ، معالم، ص ٧-١٠•

الوليد بن عبد الملك الموجود في دمشق حول فتح الاندلس ، وطلب الاذن لبدء تنفيذ العملية ، ولكن الوليد بن عبد الملك اكدّ على موسى بن نصير بأن لا يُقدم على ذلك العمل الا بعد ان يتأكد من أوضاع الاندلس ، ويتسنى ذلك من خلال ارسال السرايا لتلك البلاد ، لاختبار قوّتها (١) ، والتعرف على مسالكها ، والتأكد من قدرة المسلمين على القيام بالمهاجمة بجيش فاتح فيما بعد .

فقد ورد في كتاب صاحب أخبار مجموعة ، – وهو مجهول المؤلف – اذ قال: "كتب موسى الى الخليفة الوليد وما دعاه اليه يليان ، فكتب اليه أن خضها بالسرايا حتى تختبر ، ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال ، فكتب اليه انه ليس ببحر وانّما هو خليج يخبر عمّا خلفه ، فكتب اليه وان كان فاختبره بالسرايا فبعث رجلا ..." (٢) أي أن المشاورات من المحتمل ان تكون قد بدأت في أوائل سنة ٩٠هـ ، حيث أنّ صاحب كتاب أخبار مجموعة ذكر ان المشاورات حدثت بعد ان استطاع موسى ان يثبّت الاوضاع ويثبت الأمن في سواحل المغرب وكان ذلك سنة ٨٩هـ (٣) .

هذه الرواية تؤكد أن هناك رغبة كانت عند موسى للقيام بفتح الاندلس ، انّما كان يريد ان يحصل على موافقة الخليفة ، ليقوم بتنفيذ ما عزم عليه ، وموقف الخلافة تلخص في اصرار الخليفة الوليد على ارسال السرايا الى الاندلس لاختبار مكامن القوة والضعف فيها لرسم الخطة المناسبة واعداد العدة الملائمة للفتح ، وتدّل هذه الرواية ايضا على حرص الخليفة على ارواح المسلمين ، وخاصة انهم سيكونون منفصلين عن خطوط الامدادات البرية ، وتأكيد موسى على انه ليس ببحر بل خليج ضيق ، وكذلك يتبين حرص ورغبة موسى في القيام بهذا الفتح ، ويتضح ان فتح الاندلس كان نتيجة تشاور وتداول بين الخليفة وعامله على حكم افريقية موسى بن نصير ، وان مهاجمة الاندلس لم تكن مجرد نزوة او فلتة قام بها قائد دون تخطيط واعداد ، أو دون موافقة من رأس الدولة الامّوية في الشام .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٥–٦ ، ابن الكردبوس ، م: ١٣ ، ص ٤٥ ، ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٥–٦ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٤ ، وانظر ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٢ .

كما ان رواية وردت عند ابن الكردبوس تقول : "ان موسى أعلم الوليد بنيته مهاجمة الاندلس ، فراجعه الوليد أن خذها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر"(١).

ومن هذا القبيل وردت رواية ابن عذارى التي ذكر فيها ان موسى استشار الوليد ابن عبد الملك، امّا مراسلة ، وهو الارجح، وامّا محادثة بأن ذهب بنفسه اليه ، فأشار الوليد عليه بان يقوم باختبار شبه جزيرة ايبيريا بالسرايا ، لكي لا يقع المسلمون في الخطر والمهالك ، فبعث موسى عند ذلك رجلا ...(٢).

وأميل الى الاخذ برأى ابن عذارى القائل بان المشاورات تمّت بين الخليفة الوليد وموسى مراسلة ، فعن طريق الرسائل يبيّن موسى ما يريد فعله ، فلم يقطع المسافة بين افريقية ودمشق ما دامت الرسالة تفي بالمطلوب .

تنفيذ الخطة :-السرايا -

تباينت المعلومات التي تدور حول المقدمات الاولى للفتح الاسلامي للاندلس ، فذكرت بعض المصادر انه بعد المشاورات التي جرت بين الوليد وموسى ، قام الاخير بارسال سريّة في شهر رمضان من عام ٩١ للهجرة بقيادة أحد رجاله ويدعى طريف - ويكنّى أبا زرعة - على رأس قوة صغيرة قدّرت باربعمائة رجل ومعهم مائة فرس ، وقد تمّ نقلهم في أربعة مراكب ، حتى نزلوا في جزيرة يقال لها جزيرة الأندلس ، وسميت جزيرة طريف نسبة لهذا القائد بسبب نزوله بها ، فبقي بها الى ان اكتمل حضور اصحابه ، ثم نهض فأغار منها على ما يليها الى الجزيرة الخضراء ، وقد غنم وسبى ، وتمكن من الرجوع الى قاعدته سالما(٣).

ومن الجدير بالذكر ان سنة ٩١هـ كانت سنة خير في شبه الجزيرة الايبيرية على خلاف سنوات المجاعة التي سبقتها وهي سنوات ٨٨، ٨٩، ٩٠هـ(٤).

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٥.

(٢) ابن عذارى ، ج ٢، ص ٥.

(٣) أخبار مجموعه ، ص ٦؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٥، ص ٤؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٣.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٨-٩.

وورد عند ابن الكردبوس : ان موسى بن نصير طلب من يليان القيام بشنّ غارة على شبه الجزيرة الايبيرية لعدم معرفة المسلمين بها ولوجود البحر فاصلا بين العدوتين، وليتأكد من ان يليان قد قطع جميع الخيوط مع أهل المنطقة المنوى مهاجمتها ، وان المسلمين سيكونون من وراء يليان، فانصرف يليان وجاز في مركبين، بعد ان حشد جنده، فحل بالجزيرة الخضراء، فشنّ الغارة وحرق وسبى وقتل وغنم، ورجع وقد امتلأت ايديهم خيرا، فشاع الخبر في المسلمين (١)، ثم اجتمع ناس من البربر نحو ثلاثة آلاف راجل وقدّموا عليهم أبا زرعة طريف بن مالك المعافرى، وجاز بهم، فحل في جزيرة (٢)، فسميت طريفا، واصبحت تعرف باسمه، فشنّ غارة، تمكن فيها من الرجوع بسلام ومعه السبي بعد ان قتل اعدادا منهم (٣)، فكتب يليان الى موسى بالفتح، وكتب به موسى الى الوليد بن عبد الملك (٤).

كما ان الذى اثبته المقرى في كتابه يشبه ما ذُكر في الروايه السابقه حيث ذكر ان موسى اتفق مع يليان، وطلب منه موسى ان يقوم بشنّ غارة على قومه .. ففعل يليان ذلك، وجمع جمعا من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء، فاغار وقتل وسبى وغنم. واقام اياما ثم رجع سالما بمن معه، وشاع الخبر عند المسلمين... وكان ذلك عقب سنة ٩٠هـ ، فكتب موسى الى الوليد يخبره بالذى دعاه اليه يليان من أمر الاندلس ، ويستأذنه في عبورها ، فكتب اليه الوليد ان خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ، وحتى لا تغرر بالمسلمين في المهالك، فردّ عليه موسى انه ليس ببحر، وانما هو خليج يرى الناظر ما خلفه ، فكتب اليه : وان كان، فلا بدّ من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه . فبعث موسى عند ذلك رجلا من اصحابه يدعى طريفا في أربعمائة رجل، معهم مائة فرس سار بهم في اربعة مراكب ، فنزل في جزيرة طريف واقام بها اياما حتى تتام اليه أصحابه ، ثم أغار على الجزيرة فأصاب سبيا ومالا وامتعة . وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٩١هـ ، فلما رأى الناس ذلك تسرّعوا بالدخول (٥).

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص٤٥.

(٢) كانت تعرف باسم جزيرة الحمامات (Las palomas) وتقع على مقربة من مدينة طريف الحالية : د. مؤنس ،فجر ، ص٦٧ ؛ د. سالم ، تاريخ ، ص٧٠.

(٣) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص٤٥-٤٦. (٤) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص٤٦.

(٥) المقرى ، نفح، جا ، ص٢٥٣.

تحليل الروايات المتعلقة بالسرايا :

تحليل الرواية الاولى: ذكرت هذه الرواية زمن ارسال السرية وحددته في شهر رمضان من عام ٩١ للهجرة ، كما بيّنت الرواية أيضا عدد الجند باربعمائة رجل ، معهم مائة فرس، وان الطريقة التي اتبعت في نقلهم كانت بواسطة أربعة مراكب ، وعلى دفعات (١)، أى ان الخطة التي اتبعت كانت التغطية والتمويه على أعين الاعداء ، حيث انهم كانوا يصلون على دفعات ، ولم يظهروا على حقيقتهم حتى اكتمل نزولهم دون ان يشعر بهم القوط ، حيث اتسّمت هذه السرية بالسرّية ، والمباغتة ، وسرعة الهجوم ، ومن ثمّ العودة بسلام ، ومن الجدير بالملاحظة هنا انّ هذه السرية حدثت في عام عمّ فيه الخير أنحاء شبه الجزيرة الايبيرية ، على عكس سنوات المجاعة التي سبقت ذلك العام (٢) .

ولا أستبعد ان تكون السفن الاربع التي نقلت عليها قوات طريف ، هي سفن يليان ، حرصا على انجاح المهمة ، وهي عبارة عن استطلاع واستكشاف أوضاع وأحوال شبه الجزيرة ، سواء التعرف على الطرق أو تلك الامور المتعلقة برد فعل العدو ، ومعرفة قدراته ، ومدى مقاومة الناس .

والنقطة التي وقع الخلط فيها على ما يظهر: هي القول ان اسم جزيرة الاندلس كان يطلق على المكان الذى سميّ فيما بعد بجزيرة طريف (٣) ، وهذا القول ليس من الدقة والواقعية في شيء ، حيث ان لفظة الاندلس او اندلوسيا كانت تطلق على منطقة جنوب شبه الجزيرة ، وليس على تلك النقطة المحددة التي عُرفت بجزيرة طريف (٤) .

أما الرواية الثانية : فهي ذات دلالات ، منها ان سرية بقيادة يليان قد أغارت على جنوب شبه الجزيرة الايبيرية ، وذلك نتيجة لطلب موسى بن نصير منه القيام بذلك، ليتأكد موسى ان جميع الروابط قد قطعت بين يليان وأهل شبه الجزيرة الايبيرية وانه صادق في علاقاته مع المسلمين (٥) .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٦-٨-٩ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٥ ؛ وانظر المقرى، نفح ، ج١، ص ٢٥٣ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٨-٩ . (٣) أخبار مجموعة ، ص ٦ .

(٤) د. العبادى، في تاريخ المغرب ، ص ١٩ ؛ الحجي، التاريخ، ص ٣٧ ؛ وانظر كولان ، ص ١٧ ؛ وانظر حسين ، ص ٦٠ .

(٥) ابن الكردبوس ، م ١٣، ص ٤٥ .

ان قيام يليان بمهاجمة الجزيرة الخضراء كان بواسطة مركبين وانهما كانا من املاكه ، وقد تمكن من مباغتتهم، ولكن يؤخذ على هذه الرواية ، انها توحي وكأن اندفاع المسلمين للاغارة على جنوب شبه جزيرة ايبيريا ما كان الا للغنائم ، بعد أن شاع خبر الغنائم التي أحضرها يليان معه بعد إغارته على منطقة الجزيرة الخضراء (١) ، وكذلك مما يؤخذ عليها انها جعلت ان حشدا من البربر قدّر بثلاثة آلاف رجل ، اجتمعوا وقدّموا عليهم طريف بن مالك ، وعبر بهم الى الجزيرة ، فشنّ الغارة ورجع سالما (٢) ، حيث انّ هذا القول مردود ، لانه من المعلوم لدينا ان جميع الامور كانت تدرس ، وتصدر عن الوالي موسى بن نصير مع ارسال المعلومات الأولية لمركز الخلافة في دمشق اولا بأول (٣) ، فكيف للبربر ان يجتمعوا فقط لمجرد الغنائم ويأمّروا عليهم طريفا دون علم القائد المسؤول ؟! (٤)

فسرية طريف لا بدّ وان تكون قد وقعت باذن وعلم مسبقين من موسى بن نصير ، وكذلك التخطيط والتدبير منه ايضا ، ويستدل من هذه الرواية على ان سرية يليان كانت سابقة لسرية طريف ، فبعد نجاح يليان أرسل موسى للخليفة الوليد كتابا يطلعه فيه على نجاح السرية وما حققته من نتائج (٥) ، هذا الأمر وضّح مدى علم جميع القيادات الاسلامية بمجريات الاحداث ، ومدى التنسيق والتنظيم والترابط فيما بينها في تقدير المسؤولية وتحمل التبعات المتعلقة والمترتبة على دور كل منهم .

واشار الحميري الى ان غارة يليان كانت في سنة ٩٠هـ (٦) ، أي بعد انتهاء عهد غيطشة وتولي لذريق لمقاليد الامور في شبه الجزيرة الايبيرية ، وكذلك قبل سرية طريف ، لأن سرية طريف كانت في سنة ٩١هـ (٧) .

---

(١) ابن الكردبوس ، م١٣: ، ص٤٥ .
(٢) ابن الكردبوس ، م١٣: ، ص ٤٥-٤٦ .
(٣) اخبار مجموعة ، ص ٥-٦ ؛ابن الكردبوس ، م١٣: ، ص ٤٥ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥ ، اذ انهم ذكروا ان المشاورات قد جرت بين الوليد وموسى .
(٤) ابن الكردبوس ، م١٣: ، ص ٤٥ .
(٥) ابن الكردبوس ، م١٣: ، ص ٤٦ .
(٦) الحميرى ، ص ٨ .
(٧) الحميرى ، ص ٨ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦١ ؛ابن الشبّاط ، م١٤: ، ص ١٠٣ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٤ ؛المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٣ ؛ابن ابي دينار ، ص٣٦ .

وتوحي رواية المقري بأن بليان من جنس القاطنين في شبه جزيرة ايبيريا ، كما انها تبيّن ان بليان نفّذ ما أمره به موسى، من القيام بشن غارة على شبه جزيرة ايبيريا، وان بليان قام بحشد جمع من أتباعه ، وعبر الى شبه الجزيرة على مركبين، وقد تكللت عمليته بالنجاح ، واستطاع ان يعود سالما بعد ان غنم ، كما ان الرواية جعلت المدة التي استغرقتها السرية بعدة أيام، كما انها حدّدت زمن السريه بانه كان في أواخر سنة ٩٠هـ (١) .

ويفهم من الرواية ايضا ان سرية بليان كانت دون علم الخليفة الوليد وان موسى، وبعد ان تمّت مهمة بليان بنجاح ، كتب للوليد يخبره بالذى حدث ، فردّ عليه الاخير ان يختبرها ، فبعث موسى عند ذلك أحد قواده ويدعى طريفا ، على رأس قوة قدّرت باربعمائة رجل ومائة فرس ، وقد توجهوا الى الاندلس على ظهر أربع سفن ، فنزل في جزيرة طريف ، وبقي بها أياما حتى اكتمل وصول اصحابه ، ثمّ اغار على الجزيرة فغنم وأسر، وقد بينت الرواية ايضا ان زمن سرية طريف كان في شهر رمضان سنة ٩١هـ (٢) .
كما ان الرواية وضّحت ان رغبة الناس في العبور كانت بعد سرية طريف ، وهو اقرب (٣) للقبول به من القول الذى قال بأن تشجع الناس في العبور كان بعد سرية بليان (٤) .
وأخلص الى القول بان سرّية بليان كانت في أواخر سنة ٩٠هـ (٥) ، بينما كانت سرية طريف في رمضان من سنة ٩١ (٦) ، ومن هاتين السريتين وما تمخض عنهما من نتائج، يكون قد تكوّن لدى موسى بن نصير صورة واضحة عن طبيعة الأرض المنوى فتحها ، وكذلك تكوين فكرة عسكرية عن المنطقة وعن الطرق فيها، وردّة فعل السكان وكذلك ردّة فعل السلطة الحاكمة ، وبهذا العمل تصبح عملية دراسة متطلبات واحتياجات المواجهة القادمة أسهل وادق منها ، لو لم تحدث هاتان السريتان، ومن فوائد بث السرايا وضع خطة الامداد والخطط العسكرية المناسبة والملائمة ، والاحتمالات التي ربما تواجه او تفاجىء المسلمين.

---

(١) المقّرى، نفح، جـ١، ص ٢٥٣. (٢) المقّرى، نفح، جـ١، ص ٢٥٣.
(٣) المقّرى، نفح، جـ١، ص ٢٥٣؛ وهذا هو قول صاحب كتاب أخبار مجموعة ، ص ٦.
(٤) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٥. (٥) الحميرى ، ص ٨.
(٦) أخبار مجموعة ، ص ٦؛ ابن الأثير، جـ٤، ص ٥٦١؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٣؛ ابن عذارى ، جـ٢، ص ٤؛ المقّرى، نفح، جـ١، ص ٢٥٣؛ ابن ابي دينار، ص ٣٦.

مما سبق يلاحظ ان التفكير بمهاجمة الاندلس لم يكن تصرفا فرديا من قائد فرد او من الوالي المسلم على ولاية مغرب الدولة الاسلامية ، بل كان نتيجة لخطة ومشاورات بين الوالي ومعاوينه من جهة (١) ، وبين مركز الخلافة في الشام من جهة أخرى (٢) ، أي ان الدولة كانت على علم بما سيجرى ، ومن المؤكد ان هذا الوضع قد احتاج الى دراسة عميقة لاوضاع البلاد المنوى فتحها ، وأوضاع المسلمين وقدراتهم ، وقد كان لطلب الخليفة الوليد من قائده موسى بن نصير القيام ببّث السرايا لاختبار المنطقة قبل ان يغرر بالمسلمين في منطقة بعيدة عن مركزهم ، يفصلها البحر عن خطوط الامدادات والمواصلات (٣) ، الأثر الكبير والتخطيط العسكرى السليم في عملية الفتح.

حملة طارق بن زياد على الاندلس :

بعد ان اكتملت استعدادات المسلمين التي أعدت للقيام بفتح الاندلس أقدم القائد موسى بن نصير – والي افريقية – على اختيار أحد قواده ، وهو طارق بن زياد ليكون قائد الحملة الاولى، أو الجيش الأول (٤) ، وكان ذلك في عام ٩٢هـ ،

---

(١) ابن القوطيه ، ص ٨.

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ٥–٦ ؛ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص٤ ٥.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٥–٦ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤ ٥.

(٤) العصفرى، ق:١، تحقيق : سهيل زكار، ص ٤٠٤ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠–١٢١، وقد ذكر ابن قتيبة ان مسير طارق كان في رجب سنة ٩٣هـ، ومن ثمّ ناقض نفسه بقوله وبعد ذلك عبر موسى في شهر صفر من سنة ٩٣هـ، يعني ذلك ان طارقا قد دخل الى الاندلس في الشهر السابع من سنة ٩٣هـ، واما موسى فقد عبر في سنة ٩٣هـ في شهر صفر أى في الشهر الثاني فكيف يعبر موسى بعد طارق ، وفي الوقت نفسه يسبقه في العبور بسبعة أشهر، والذى أُميل الى الاخذ به في هذه النقطة ، هو ان الخطأ وقع في السنة اذ ان عبور طارق كان في سنة ٩٢هـ كما حددته معظم المصادر ، وربما ان الخطأ جاء من قِبل الناسخ ؛ ابن القوطية ، ص ٨؛ أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٤ ٦ . فقد ذكر اربعة وجوه ، الوجه الأول : ان أول من دخل الأندلس الفهرّيان من جهة البحر، وكان ذلك سنة ٢٧هـ، والوجه الثاني : ان موسى بن نصير افتتحها عام ٩١هـ، والوجه الثالث : ان طريف بن مالك دخلها سنة ٩١هـ، والوجه الرابع: ان طارقا اول من دخلها سنة ٩١هـ، ودخل بعده موسى سنة ٩٢هـ، ويميل ابن عذارى الى ان قد أثرّا في الاندلس من جهة البحر وأما طريف فكان بمثابة سرية أو غ

ومن المؤسف ان معظم المصادر الاسلامية لم تعط الاهتمام اللازم بكيفية دخول المسلمين الاندلس ، وكيفية عبورهم المضيق ؟ وما هي مواجهة القوط لذلك او استعداداتهم لمواجهة الخطر القادم ، وخاصة انهم رأوا ان غارات المسلمين قد بدأت على جنوب شبه الجزيرة الايبيرية (١) ، فهل من المعقول انهم لم يتخذوا الاجراءات المناسبة ؟ ، أم ان طارقا باغتهم ؟ ، أو بصورة أدق ان الخطة العسكرية التي أتبعت كانت غاية في التخطيط والدقة ، توفرت فيها عناصر الانضباطية ، والمفاجأة ، في أماكن لم يتوقعها الأعداء ؟ .

تابع هامش (٤) صفحة ٥٧

عمله منسوبا الى موسى بن نصير ، فِعلَ المأمور الى الآمر ، ودخلها طارق سنة ٩٢هـ ، وان موسى تبعه بعد ذلك ؛ وقد ذكر كل من الطبري وابن الأثير والذهبي حادثة الفهريان اللذان بعثهما عثمان بن عفان سنة ٢٧هـ ، انظر الطبري ، جـ٤ ، ص ٢٥٥ ؛ وانظر ابن الأثير ، جـ٣ ، ص ٩٣ ؛ وانظر الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، جـ٣ ، مطبعة القدس ، ١٩٢٧م ، ص ١٨٥-١٨٦ ؛ وانظر الى كل من المصادر التالية بالنسبة لسنة الفتح ، وبالنسبة لارسال موسى طارقا للقيام بالفتح : انظر القلقشندي ، صبح ، جـ٥ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ؛ الحميري ، ص ٨-٩ ، ١٦٩-١٧٠ ؛ المقّري ، نفح ، جـ١ ، ص ٢٥٤ و ص ٢٤٩ (عن ابن حيان) ؛ الناصري ، جـ١ ، ص ٩٨ ، ٩٩ ؛ وانظر المصادر التالية بالنسبة لسنة الفتح ، ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧١ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، ط٢ ، ص ٧٠ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٣ ؛ الطبري ، جـ٦ ، ص ٤٦٨ ؛ ابن جعفر ، ص ٣٤٩ ؛ الحُميدي ، ص ٣ ، وذكر ان طارقا استغل فرصة أمكنته ؛ ابن عساكر ، جـ٧ ، ص ٣٨ ؛ الضبّي ، ص ٢ ، وذكر ان طارقا دخل الاندلس بغير اذن موسى ؛ ابن الشبّاط ، م : ١٤ ، ص ١٠٧ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤١ ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ١ ، ص ١٨٠ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ١ ، ص ١٨ ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، جـ٣ ، ص ٦٠٤ ؛ الذهبي ، العبر ، جـ١ ، ص ١٠٧ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ١ ، ص ٩٩ ؛ الزيّاتي ، ص ٨٩ ؛ وانظر ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ١٢٧ فقد ذكر ان الاندلس فتحت في زمن الوليد بن عبدالملك ولم يذكر السنة ؛ وانظر ابن العبري ، غريغوريوس ، ابو الفرج بن اهارون الطبيب الملطيّ ، تاريخ مختصر ، دار الرائد اللبناني ، الحازمية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص ١٩٥ ؛ وانظر القرماني ، ابو العبّاس احمد ابن يوسف بن احمد الدمشقي ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، علم الكتب ، بيروت ، ص ١٣٧ .

(١) أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ ابن الأثير ، جـ٤ ، ص ٥٦١ ؛ ابن الشبّاط ، م : ١٤ ، ص ١٠٣ ؛ الحميري ، ص ٨ ؛ المقّري ، نفح ، جـ١ ، ص ٢٥٣ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٦ .

كذلك هل كانت عملية الانزال على الشاطئ الايبيري من السرعة والامكانات حيث لم يستطع الحرّاس معها المقاومة ؟، من حيث عدد القوات وسرعتها وتنظيمها ، وكذلك من حيث الامكانات البحرية والسرعة في النقل ، وهل كان لدى المسلمين القدرات الحربية البحرية الكافية للوصول الى البّر الايبيري؟ كل هذه الاسئلة يصطدم بها المتفحص والدارس لخطوات الفتح الاسلامي للاندلس ، ولا بدّ له من ان يوضّح لنفسه قبل الآخرين، الخطط العسكرية التي وُضِعت ونفذّت وتمّ نجاحها ، بازالة الضباب الذى يلف روايات الفتح الاسلامي ، وما حكته المصادر عن احداث الفتح.

بعض المصادر العربية لا تتعدى الاحداث التي توردها عن الفتح الاسلامي والطريقة التي تم بها ، سوى ان جيشا مسلما تقدم سواء بعلم القيادات العليا (١)، او بدون علمها (٢)، تقدم نتيجة لرأى رآه القائد او اندفاع انجرّ اليه ، وتمّ له النصر السهل البسيط بقواته القليلة العدد (٣)، على قوات العدو الضخمه ، المؤلفة من الاف مؤلفة والتي تمتلك كل وسائل الحرب (٤)، ولكنّ النصر وبلمح البصر تحقق للقوات الاسلامية (٥).

---

(١) ابن القوطية ، ص ٨، اذ انه ذكر ان موسى طلب الى طارق بن زياد العبور الى الاندلس؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦. ذكر ان دخول طارق قد تمّ بعلم موسى.

(٢) كما توحي بعض الروايات انظر ما ذكره الحميدى، ص ٣؛ وانظر الضبّي، ص ٢، فقد ذكر ان دخول طارق الاندلس قد تمّ دون علم موسى؛ وانظر ما ذكره ابن عذارى، ج٢، ص ٦، عندما اورد رواية عيسى بن محمد كونه ذكر ان طارقا لبّى دعوة القوط الذين استنجدوا به دون الرجوع الى موسى بن نصير.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ٦؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤، اذ ذكر هؤلاء الثلاثة ان القوات التي عبرت مع طارق كانت سبعة آلاف ، في حين ذكرت مصادر اخرى ان القوات التي معه قدرت باثني عشر الفا ، الطبرى، ج٦، ص ٤٦٨؛ ابن الكردبوس ، م ١٣، ص ٤٦، وهناك مصادر اخرى سيرد ذكرها خلال الصفحات القادمة .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٢-١٢٣، وذكر ان قوات لذريق كانت تقدر بـ ٧٠ الفا ؛ ابن الكردبوس ، م ١٣، ص ٤٧، وذكر ان قوات لذريق كانت مائة الف رجل بعتاد كبير؛ القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٤٢ وذكر ان قوات طارق كانت ١٢ الفا بينما قوات لذريق ستمائة الف ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٧ وذكر ان قوات لذريق كانت مائة الف رجل .

(٥) ابن القوطية ، ص ٩؛ الحميدى، ص ٤؛ ابن عساكر، ج٧، ص ٣٨؛ الضبّي، ص٢؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤١١؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣؛ اليافعي، ج١، ص ١٨٠؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١، ص ١٦؛ الذهبي ، العبر، ج١، ص ١٠٦؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٤٩.

هذا النوع من المصادر وبايراده مثل هذه المعلومات عن الاحداث ، لا يعطينا الا اقل القليل ولا يلبّي حاجة الدراسين للاجابة عن الاسئلة التي تدور في تفكيرهم وفي عقولهم .

ولكن من خلال بعض النتف القليلة المتناثرة في بطون بعض المصادر، والتي تكون أحيانا متضاربة في معلوماتها التي توردها ، ربّما يستطيع المتتّبع للاحداث في شبه الجزيرة الايبيرية ان يستشف او يرسم صورة للاحداث والطريقة التي تمّ بها الفتح والخطط التي وضعت ، والكيفية التي تم بها تنفيذها ، ومدى الصعوبات التي واجهت المسلمين في عملية فتوحاتهم للأندلس .

والامور التي لا بدّ من استعراضها في هذا المقام ، هي السفن التي تمّ بها الانتقال الى الشاطئ ، لمن؟ وكم عددها؟ وكذلك عدد القوات التي حُملت في السفن ، والمكان أو الأمكنة التي نزلت بها الاجناد؟ وكيفية نزولها؟ أنزلت دفعة واحدة؟ أم على دفعات؟ ، وتقدير المدة التي استغرقتها عملية نزول الجند؟ وهل كان نزولهم سلميا؟ ام انهم اشتبكوا مع قوات الأعداء الحدودية اذا ما وجدت ؟ .

ومن الامور التي ستبحث في هذا الجزء من الدراسة ، الخطة التي اتبعها طارق ، هل هي الانتشار السريع غير المخطط ؟ أم انه اختار موقع المعركة وفرضه على الاعداء ؟ ايضا ردة فعل القوط ، من حيث المقاومة التي سبقت قدوم الملك من شمال ايبيريا (١) .

ومن الامور المهمة التي لا بدّ من تناولها هنا المقارنة بين قوات الجانبين من حيث العدد والعدة والمعنويات ومن حيث التماسك والالتفاف حول القيادة ، وموقف موسى ابن نصير ايضا من طلب طارق النجدة والامدادات (٢) . وكذلك عن مجريات المعركة وهل كانت موقعة واحدة؟ أم انها معارك امتدت ولم تُحسم نهائيا؟ ، أم انها كانت معركة أُولى

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠-١٢٢ ؛ الحميرى ، ص ٩ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٩-٢٦٤ ؛ وانظر ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ، فقد ورد عنده ان عبور طارق الى الاندلس صادف انشغاله بالقضاء على معادين له .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ وهذا ما يفهم من ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ، اذ انه ذكر ان موسى ندم على تأخره عن طارق بعد وصول كتاب طارق الذى وضح فيه انه فعل ما امره به موسى من العبور الى الاندلس .

فاصلة انتصر فيها المسلمون واستسلمت لهم باقي مناطق ايبيريا . جميع هذه الأمور من واجب الدارس ان يضعها نصب عينيه عند الخوض في تاريخ هذه الحقبة من الزمن في تلك المنطقة ، حتى يجرى فهم الاحداث اللاحقة في هذه المنطقة من العالم .

جاءت طريقة عرض بعض المصادر العربية لعملية عبور طارق وجنده المضيق الى البّر الاندلسي ، وكأن عملية نقل الجيش الاسلامي للاندلس لم تكن لتتم لولا وجود سفن يليان ؟(1). السؤال الذى يُطرح هنا هل كان للمسلمين اسطول بحرىّ ام انهم كانوا مجرد قوات برّية فقط ؟ من المعروف ان المسلمين قد اهتموا بالبحر منذ العهد الراشدى حيث وقعت معركة ذات الصواري بين المسلمين والروم عام ٣١هـ ، وكان النصر فيها حليفا للمسلمين (2) ، وكذلك قيام المسلمين في زمن عثمان بن عفان بمهاجمة قبرص (3) . ومن المؤشرات الدالة على وجود الاسطول البحرى الاسلامي ما أوردته بعض المصادر من أنّ عثمان ابن عفان طلب من عبد الله بن نافع الحصين وعبد الله بن نافع بن عبدالقيس ان يسيرا الى الاندلس في سنة ٢٧هـ (4) ، وهذه الاشارة لا تُحمل محمل مهاجمة شبه الجزيرة الايبيرية بل ربما ان ذلك قصد فيه مهاجمة بعض النواحي او الجزر في البحر الابيض المتوسط الواقعة باتجاه الاندلس .

كما ان الاشارة التي اوردها أحد المؤرخين الاسبان والتي تتلخص في ان المسلمين في افريقية حاولوا احتلال الجزيرة الخضراء ، ولكنّ حملتهم فشلت ، وقد انتصر عليهم

---

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ؛ البلاذرى ، ص ٣٢٣ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٦ ، اذ ذكر انه لم يكن عند المسلمين صناعة غير السفن الاربع التي قدمها يليان ؛ ابن الشبّاط ، م ؛ ١٤ ، ص ١٠٦ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(2) انظر الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٩٠ ، طبعة ١٩٦٣ . فقد وردت اشارة عنده الى اهتمام المسلمين المبكر في البحر ، وذلك عندما قام معاوية بن ابي سفيان وهو في الشام بالاستئذان من عمر بن الخطاب لكي يُعدّ قوات بحرية . انظر الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

(3) الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، طبعة ١٩٦٣ ، وذكر ان ذلك تم عام ٢٨هـ ويقال ان ذلك حدث سنة ٣٣هـ وقول آخر ان ذلك تم سنة ٢٧هـ .

(4) الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٥٥ ؛ ابن الاثير ، ج٣ ، ص ٩٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٤ ؛ الذهبي ، تاريخ ، ج٣ ، ص ١٨٥-١٨٦ . ويظهر ان الرواية اصلها واحد هو الطبرى ، وقد اشار ابن عذارى ان روايته من الطبرى .

الملك وامبا (WAMBA) عام ٦٧٧م ، أي ان ذلك قد حدث عام ٥٨ هـ، ومن اشارة المؤرخ الاسباني والمؤرخين المسلمين أخلص الى القول ان المسلمين كان لديهم اسطول بحرّي في افريقية قبل عشرات السنوات من فتح الاندلس الذى حدث سنة ٩٢ هـ، اذ لا يعقل ان يدخل المسلمون الجزيرة الخضراء بدون سفن حربية ، وأميل الى قبول رأى المؤرخ الاسباني بالنسبة لسنة مهاجمة المسلمين للاندلس ، اكثر من قول الطبرى ومن قال قوله اذ ان المسلمين في سنة ٢٧هـ لم يكونوا قد وطّنوا انفسهم في افريقيه بعد. [1]

ولا اظنّ ان لديهم اسطولا قويا كان بمقدوره ان يتحرك من مصر الى الاندلس بحيث ينجو من السفن البيزنطية وغيرها من السفن في تلك الحقبة الزمنية المبكرة • غير انه كان بمقدور هذا الاسطول البحرى ان يثبت هيبة المسلمين في البحر. وكما ان التاريخ الاسلامي قد شهد حوادث بحرية اشترك فيها المسلمون بقطعهم البحرية ضد أعدائهم ومن ذلك الحملة التي قاموا بها من مناطق افريقية لفتح جزيرة صقلية وغيرها من الجزر [2] • ومن الشواهد على وجود الاسطول البحرى الاسلامي آنذاك غزوة عقبة بن نافع البحر سنة ٤٩هـ، ولم يحدد المكان اذ ذكر انه شتّى بأهل مصر في البحر [3] ، وان هناك دليلا وشاهدا دامغا على توفر السفن لدى المسلمين حيث ان قاعدة بحرية لصناعة السفن قد انشئت في تونس سنة ٨٤هـ [4] ، وهذا يعني ان هذه القاعدة كانت تحت تصرف موسى بن نصير، مباشرة ، وقد بُنيت فيها السفن، اذ ان ابن الشباط ذكر ان موسى طلب بناء مائة سفينة [5] •

---

(١) D. Francisco, p. 110

(٢) انظر العمفرى، ق:١، ص٢٨١؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص١٥٨، فقد ذكرأن موسى بن نصير في عام ٨٥ هـ قام بارسال قوات بحرية بقيادة ابنه عبد الله، فتم له ما اراده ثم هاجم بعد ذلك سردانية.

(٣) الطبرى ، ج ٥، ص ٢٣٢.

(٤) ابن الشبّاط ، م:١٤، ص١٥٧؛ ابن ابي دينار، ص٣٦؛ وذكر المالكي ان حسان بن النعمان هو الذى جعل تونس دار صناعة، المالكي ، ج١، ص٣٧، وربما انالبداية كانت في عهده.

(٥) ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٥٨.

وكما ان اشارة وردت عند العصفرى تذكر ان موسى بن نصير وجّه المغيرة بن ابي بردة العبدى سنة ٨٦هـ، في مراكب فافتتح أولية، وهي اول مداش صقلية من أرض المغرب.(١) وهذه الاشارة تدّل بشكل واضح على ان موسى بن نصير كان يمتلك السفن الحربية الكافية لنقل الجيش وكذلك المحاربة الى جانب القوات البّرية بعد نزولها الى البّر وهذه الغزوة سبقت قيام طارق بن زياد بالعبور الى الاندلس بما يقارب الست سنوات. اذ انها حدثت في ٨٦ هـ.(٢) علما بأنّ عبور طارق كان سنة ٩٢ هـ.(٣)

ومن المؤشرات الدالة على ان المسلمين لم يعتمدوا الاعتماد الكبير الذى صوّرته بعض المصادر على سفن يليان(٤)، ما ذكره ابن قتيبة من ان موسى بن نصير طلب من طارق وهو على منطقة طنجة ان يُتم السفن الستّ التي غنمها سبعا، ثم يسيّرها الى شاطئ البحر ليستعد لشحنها، هذا بعد ان تلقّى موسى رسالة من طارق، كان قد ذكر فيها لموسى انه أصاب ست سفن(٥)، هذه الاشارة تعني ان طارقا غنم تلك السفن الست، وهذا مؤشر على ان طارقا كان لديه عدد من السفن الحربية، التابعة لأوامره مباشرة، فكيف استطاع أن يستولي على تلك السفن ؟ إن لم يكن لديه سفن هو الآخر، وهذا يعني انه كان لديه اسطول بحرى تمكن بواسطته من الاستيلاء على السفن الستّ، فاضافها الى قواته البحرية، فكانت تعزيزا لقواته، وأن طلب موسى من طارق ان يضيف سفينة أخرى لقواته(٦)، لدليل يُستشف منه ان السفن التي كانت بحوزة طارق، كافية لعملية انتقال الجند الاسلامي الى الاندلس لفتحها، ومن الشواهد على ان المسلمين قد اعتمدوا على سفنهم ما ذكره بعض المؤرخين من ان موسى ومنذ ان وجه طارقا الى الاندلس كان يقوم بصناعة السفن حتى صار عنده الكثير.(٧)

---

(١) العصفرى، ق:١، ص ٣٨١. (٢) العصفرى، ق:١، ص ٣٨١.

(٣) العصفرى، ق:١، ص ٤٠٤؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧١؛ البلاذرى، ص ٣٢٣؛ الطبرى، جـ٦، ص ٤٨٨؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٧؛ ابن عذارى، جـ٢، ص ٦٠٤؛ الحميرى، ١٦٩-١٧٠؛ القلقشندى، صبح، جـ ٥، ص ٢٤١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، طبعة ٢، ١٩٥٩م، ص ٢٢٤.

(٤) انظر ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص٧٢؛ أخبار مجموعة، ص٦؛ ابن الشبّاط م:١٤، ص١٠٦.

(٥) ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٠-١٢١. (٦) ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٠-١٢١.

(٧) أخبار مجموعة، ص ٧؛ المقرى، نفح، جـ١، ص ٢٥٧.

وكذلك من دلالات رواية ابن قتيبة (١) ان الاستعداد لفتح الاندلس قد أُقرّ وأُعدّ له الاعداد الكافي ، ولم يكن يليان وسفنه الباعث على فتح الاندلس او العامل الرئيس فيها ، كما لم يكن لسفنه تأثير كبير في الفتح أيّ بمعنى ان المسلمين لم يكونوا بحاجة ماسّة لسفن يليان، الّا اذا ما كانت الرغبة في الاستفادة من سفنه القيام بنقل قوات اسلامية بهيئة تجار لمحاولة مباغتة العدو، او المساعدة في نقل الخيل والعتاد أو مواد غذائية وتموينية زيادة في الحرص ، وتوفير الامكانات الكافية واللازمة لعملية الفتح.

اما من حيث عدد السفن فلم تحدد المصادر التي اطلّعت عليها عدد السفن التي استخدمها طارق بن زياد في عملية فتح الاندلس ، الّا ما ذكرته عن سفن يليان بأنها كانت اربع سفن (٢) ولا بدّ وان تكون السفن كافية لنقل الجيش هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان تكون ليس فقط سفن نقل بل من المفروض ان تكون هناك سفن حربية مقاتلة ، تقوم بتوفير الحماية لعملية انتقال القوات الاسلامية الى البّر لاتخاذ موقعها وتثبيت أقدامها .

والذى أستطيع قوله ان سفن يليان الاربع (٣) ، مضافا اليها السفن الست التي غنمها طارق (٤) ، قد اصبحت عشر سفن ، عدا السفن الاصلية التي كانت تحت إمرة طارق بن زياد، والتي بواسطتها تم الاستيلاء على السفن الست ، كما ان ابن قتيبة (٥) ذكر في روايته السابقة التي ذكرها ، على انه اخذ ما يذكره عن مجموعة من المؤرخين السابقين، حيث انه قال انهم ذكروا (٦) ، وهذا يعزز مكانتها .

ومن الرواية نفسها ايضا تبيّن أن موسى وصف لطارق خطة سيره ، والزمن الذى عليه ان يبدأ فيه بالعبور وكان ذلك في شهر أيار (٧) ، وهذا يكون مفيدا لأن فترة الصيف تكون

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) اخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤ ؛ وانظر المصادر التالية فقد ذكرت ان يليان هيأ لطارق المراكب : ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ؛ ابن الشبّاط، م:١٤ ، ص ١٠٦ ؛ القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤.

(٤) ابن قتيبة ،الامامة ، ص ١٢٠-١٢١.

(٥) ابن قتيبة ،الامامة ، ص ١٢٠-١٢١.

(٦) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠.

(٧) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠-١٢١.

في بدايتها حتى يتمكن من تثبيت اقدام الفتح على شبه الجزيرة الايبيرية قبل حلول الشتاء البارد ، هذه الامور تؤكد ان الفتح كان عملية منظمة خُطط لها بعناية تامة .

اختلفت الاراء حول القوات التي كانت مع طارق بن زياد ، فأحد هذه الآراء قال: انّ القوات التي كانت مع طارق كانت تقدر بسبعة آلاف مقاتل (١) ، وثاني الآراء قال انها ١٢ الفا (٢) ، وثالث الآراء قال انها تقارب عشرة آلاف مقاتل (٣) ، ويظهر ان الرأى الاول هو الصواب ، لأن بعض الأراء ذكرت أن طارقا عندما احسّ وشعر بكثرة القوات التي أعدّت لمواجهته من قبل القوط استغاث بقائده موسى بن نصير طالبا منه النجدة والامدادات ، فامدّه موسى بـ خمسة الآف مقاتل اذ اصبح عدد القوات ١٢ الف مقاتل (٤) ، ومن المحتمل ان الرأى الذى قال ان القوات التي كانت ١٢ الفا (٥) ، قد أضاف اليها قوات المدد .

وان الآراء التي قالت ان الذين كانوا مع طارق يقدر عددهم بـ ١٢ الف مقاتل ، لم تحدّد ان ١٢ الفا قد عبروا مع طارق مباشرة (٦) ، بينما الرأى القائل بأن الذين

---

(١) أخبار مجموعة ، ص٦ ؛ القلقشندى ، صبح ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٦٨ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦ . وذكر ان الذين عُقد لطارق عليهم اثنى عشر الف مقاتل غير المتطوعين ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ ، وضعّف هذا الرأى بقوله وقيل ؛ ابن ابي دينار ، ص٣٦ وقد ذكر ان الذين اشتركوا مع طارق في القتال كانوا ١٢ الف مقاتل ، في حين خالف ابن قتيبة هذا الرأى والرأى الذى سبقه بذكره ان عدد القوات التي توجه بها طارق لفتح الاندلس كانت ١٧٠٠ رجل ، وهذا غير معقول ولا يصدقه عقل ، لانه لو ذهب كسرية لجاز الامر ، ولكنه ذهب فاتحا ، انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢١ ؛ وذكر ذلك ايضا الطرطوشي ، انظر ص ٣٣٤ ؛ وذكر الرقيق القيرواني ان موسى ترك طارقا في طنجة ومعه ١٢ الف فارس ، انظر الرقيق القيرواني ، ص ٧٩ .

(٣) ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ وانظر الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ ، وذكر بان قوات طارق وصلت الى ١٢ الفا ، المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٥) الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٦٨ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٦) الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٦٨ ، اذ ذكر ان طارقا غزا الاندلس في اثنى عشر الفا ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٧ ، ذكر بأن الذين قاتلوا مع طارق في معركة وادى لكة كانوا ١٢ الف رجل بما فيهم الخمسة الآف الذين جاؤا كمدد ؛ وانظر ابن الشبّاط فقد حدّد ان الذين عبروا مع طارق ١٢ الفا ، انظر ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ .

عبروا مع طارق كانوا سبعة آلاف رجل، حُددوا بأنهم عبروا معه (١) . أما الرأى الثالث الذى ذكر ان العدد يقارب ١٠٣٠٠ محارب ، فهو غير بعيد عن رقم ١٢ الفا (٢) . ويضاف الى القوات النظامية ،المتطوعة حيث ذكرت احدى الروايات ان عددا من البربر قد تطوع مع طارق غير الاثني عشر الفا الذين معه (٣) ، ويضاف الى هؤلاء رجال يليان وعيونه الذين كانوا مع طارق (٤) ، ومما سبق يلاحظ ان العددين ٧ آلاف و١٢ الفا قُصد فيهما الجند الاساسيون في الجيش ولم يُحسب عدد المتطوعة ، لأنهم ليسوا مُسجلين على انهم قوات متخصصة ومنظمة .

اما بالنسبة للكيفية التي تمّ بها نزول قوات طارق بن زياد الى البّر الاندلسي ، فمعظم المصادر سكتت عن هذا الموضوع ، ولم توضّح الطريقة التي تمت بها عملية النزول ، هل واجهوا مقاومة ؟ وما هي الخطة التي وُضعت ؟ وهل كُتب لها النجاح ؟ .

فابن خلكان وابن ابي دينار والقلقشندى لم يذكروا سوى أنّ طارقا قد حلّ في الجبل (٥) الذى عُرف بإسمه فيما بعد (٦) ، وكان ذلك في يوم الاثنين في أواخر شهر رجب من عام ٩٢ للهجرة (٧) .

امّا ابن القوطية فإنه اكتفى بالقول ان طارقا دخل مع أصحابه بواسطة السفن ، وان أوّل ما افتتحه مدينة قرطاجنة بكورة الجزيرة (٨) ، وكذلك ذكر البلاذرى ان يليان حمل طارقاً واصحابه الى الاندلس في عام ٩٢هـ بواسطة السفن (٩) .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٦-٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٣) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦ ؛ المقرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٧ ، وقد أخذ معلوماته عن مجموعة من السابقين .

(٥) وكان اسم ذلك الجبل جبل كالبي (Calpe) : انظر د . سالم ، تاريخ ، ص ٧٢ ؛ الترك (د . عفيف) ، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ٥١ . ويُعرف الجبل اليوم باسم (Gibraltar) .

(٦) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ، ٤١١ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٦ .

(٧) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ؛ وانظر القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤١ .

(٨) ابن القوطية ، ص ٩ .

(٩) البلاذرى ، ص ٣٢٣ .

والآن سأورد روايات المصادر الاخرى التي اعطت صورة الى حدّ ما ، او ذكرت معلومة قد تكون مفيدة في رسم وتكوين صورة لاحداث الفتح ، فقد ورد عند ابن الشبّاط ان طارق بن زياد والجند الذين معه عبروا المضيق على دفعات ، ثمّ جاز هو بعدهم حتى توافوا في الجزيرة في جبل يمتاز بالحصانة والمنعة ، عُرف فيما بعد بجبل طارق ، وكان نزول الجيش بهذا الجبل يوم السبت في شهر شعبان سنة ٩٢هـ (١) .

اما ما ذكره ابن عبد الحكم فيتلخص : بأنّ يليان أحضر لطارق المراكب ليلا فحمله فيها الى ذلك المجاز فأكمن فيه نهاره ، فلما أمسى ردّ المراكب الى من بقي من أصحابه ، فحُملوا اليه جميعا ، ولم يشعر بهم أهل الاندلس ، وهم يظنون أن المراكب تجيء وترجع بما كانت تحضره من تجارات ، وكان طارق في آخر فوج ركب فجاز الى أصحابه (٢) .

وهناك رواية ابن خلدون ، اذ يقول فيها ان القوات التي عبرت المضيق مع طارق قُدرت بما يقارب ١٠ آلاف مقاتل ، حيث قام طارق بتقسيم قواته الى قسمين أحدهما بقيادته نزل الجبل ، والآخر بقيادة طريف بن مالك نزل بمكان طريف ، وقد جعلوا على انفسهم الأسوار للتحصن (٣) .

وذكر المرّاكشي ان أوّل مكان نزل به طارق المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء ، نزلها قبيل الفجر وعقد الرايات لأصحابه (٤) .

وأمّا بالنسبة لِما ذكره ابن الكرديوس فهو في غاية الأهمية ، فقد ذكر أن موسى بن نصير قد عقد لطارق بن زياد على ١٢ الفا بين عرب وبربر ، وأمر يليان بالجواز معه بحملته ، وانضم اليه عدد كثير من المتطوعين ، فمضى لسبتة وجاز في مراكبه الى جبل فأرسى فيه فسمي جبل طارق باسمه ، وذلك سنة ٩٢هـ ، ولكنّ طارقا اصطدم ببعض القوات التي كانت منتبهة في مكان كان قد خطط للنزول فيه الى البّر ، الا ان استعدادهم وانتباههم قد فوّت عليه الفرصة ، فمنعوه من النزول ، فعدل عنه ليلا الى موضع وعر فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب ، ونزل منه الى البّر ، وهم لا يشعرون ، فباغتهم وشنّ

---

(١) ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ .   (٢) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص٧٣ .

(٣) ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ وانظر الناصري ، جا ، ص ٩٨ .

(٤) المرّاكشي ، ص ٣٣ .

عليهم غارة وأوقع بهم وغنمهم ، ورحل نحو قرطبة بعد أن أحرق المراكب وقال لأصحابه قاتلوا او موتوا ، مشجعا لهم (١) .

وأمّا المقّرى فقد ذكر عمّن نقل عنهم انهم قالوا ـ بمعنى انه نقل عن جماعة من المؤرخين ـ ان موسى عقد لطارق بن زياد وأرسله على رأس ٧ آلاف من البربر والموالي مع قليل من العرب ، ووجه معه يليان ، فهيأ له يليان المراكب ، فركب طارق في أربع سفن لا صناعة له غيرها ، ونزل في الجبل المنسوب اليه في يوم سبت من شهر شعبان من السنة الثانية والتسعين للهجرة ، ثم أعاد السفن الى القوات التي بقيت تنتظر على البّر المغربي ، فركب من بقي من اصحابه ، ولم تزل السفن تختلف اليهم حتى اكتمل جمعهم عند طارق بالجبل (٢) .

كما ان المقّرى اورد قولا آخر ، ولكنه شكك فيه ورجّح القول الاول وذلك لقوله ، (وقيل)ان طارقا وصل الجبل في ٥ رجب من سنة ٩٢هـ في ١٢ الفا ، اجازهم يليان الى ساحل الاندلس في مراكب التجار الامر الذى لم يشر شكوك وانتباه القوط ، وكان طارق آخرهم وصولا (٣) .

<u>تحليل الرويات السابقة</u> ، يلاحظ على الروايات السابقة ما يلي : ان قسما منها لم يُشر الى مكان نزول طارق وقواته وما واجهه (٤) ، بينما اكتفى قسم ثان بذكره ان طارقا قد نزل في الجبل ـ في سنة ٩٢ هـ ـ الذى سُمي باسمه فيما بعد ، ولم تفصّل الروايات عمّا لاقاه طارق وجنده من مقاومة ان وجدت ؟ والكيفية التي تمّ فيها النزول الى البّر الايبيرى (٥) .

وبالنسبة للقسم الثالث من الروايات فقد أعطى معلومات لا بأس بها ، عن كيفية نزول طارق وما واجهه ، فرواية ابن الشبّاط بيّنت ان عبور طارق المضيق ونزوله في

---

(١) ابن الكردبوس ، م ١٣ ، ص ٤٦-٤٧ ; وهذا ما يفهم من رواية ابن عذارى حيث ذكر ان المسلمين لم يتمكنوا من الصعود الى الجبل الا بصعوبة بالغة ، بسبب الوعورة الشديدة ، وقد تمكنوا من النزول بواسطة براذع الدواب انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩ .

(٢) المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٣) المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٤) البلاذرى ، ص ٣٢٣ ; ابن القوطية ، ص ٩ ; المرّاكشي ، ص ٣٣ .

(٥) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ، ٤١١ ; القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

الجبل ـ المحصّن المنيع الذى سمي باسمه فيما بعد ـ كان على دفعات ، اذ أن طارقاً كان في اخرها ، وقد تمّ ذلك في يوم السبت من شهر شعبان من عام ٩٢هـ (١) . ويؤخذ على هذه الرواية انّها لم تبين فيما اذا واجه طارق مقاومة عند نزوله ام لا ؟ وهل من المعقول ان لا يكون هناك حرّاس وقوات على السواحل علما بان سرايا المسلمين قد بدأت قبل هذا التاريخ بعامين تقريبا (٢) ، أو على اقل تقدير بعام واحد فقط من سرية طريف بن مالك التي حدثت عام ٩١هـ (٣) .

وأمّا الرواية الثانية من القسم الثالث من الروايات وهي : رواية ابن عبد الحكم هذه الرواية أوّل ما يستفاد منها انها حددّت زمن ومدّة العبور، اذ انها بيّنت ان الوقت كان ليلا، وان العبور كان على دفعتين، كان طارق على رأس الدفعة الاولى حيث تمكن من العبور والاختفاء، واستطاع ان يُكمن بقية اليوم التالي، وفي الليلة الثانية وفي المساء أُرجعت المراكب لتحضر من بقي من قوات طارق ، فحُملوا حتى لم يبق منهم احد، وتمّ ذلك دون ان يشعر او يحسّ بهم الاعداء، وهم يظنون أنّ المراكب تجيء وتذهب بمثل ما كانت تفعل في السابق وذلك بقصد المتاجرة (٤) . وتناقض الرواية نفسها بجعلها نزول طارق في الفوج الأول على حين تجعله في نهاية الرواية آخر من نزل (٥) .

اذن الرواية أشارت الى أن عملية النزول قد تمّت بسلام وسريّة دون ان يعلم بها الأيبيريون، ودون اية مقاومة لطارق وقواته (٦) . ولكن التحفظ الذى يؤخذ على هذه الرواية

---

(١) ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٠٦ .

(٢) على اعتبار ان سرية يليان كانت موجهة من المسلمين وهدفها خدمة التخطيط العسكرى للمسلمين وقد حدثت في عام ٩٠ هـ. انظر الحميرى، ص ٨؛ وانظر المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٥٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٦؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤-٥؛ الحميرى، ص ٨؛ المقّرى، نفح، جا، ص ٢٥٣؛ ابن ابي دينار، ص ٣٦.

(٤) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا ، ص ٧٣.

(٥) ابن عبد الحكم، المصدر نفسه ، ص ٧٣.

(٦) ابن عبد الحكم، المصدر نفسه ، ص ٧٣.

التساؤل التالي : هل ان نقل سبعة آلاف مقاتل على اقل تقدير (١) تمّت بهذه السهولة وبهذه السريّة ودون أية مقاومة؟ ألم يكن عند القوط علم بسريتيّ يليان (٢)، وطريف (٣)؟ ألم يستعدّوا أو ألم يتوقعوا رجوع هذه القوات للاغارة ؟او رجوع قوات أكبر؟، اذن فلنر بقية الروايات لكي استطيع أن أقول شيئا في هذا المضمار.

وهناك رواية ابن خلدون، التي قدّرت القوات التي مع طارق بانها تقارب ١٠ الاف مقاتل، كما انها جعلت العبور على قسمين قسم بقيادة طارق بن زياد، وهذا القسم نزل الجبل والقسم الآخر كان بقيادة طريف بن مالك ونزل بالمكان الذى نسب لطريف (٤).

هذه الرواية ربما ان مؤلفها قد وقع في خلط بين سريّة طريف (٥) وقوات طارق، ومن الممكن ان يكون طريف قد سار وتقدم ليؤمّن انتقال طارق وقواته الى الاراضي المنبسطة بعد أن يكون قد تمّ عبور واستقرار قوات طارق على الجبل، وبهذا تتوفر الحماية للقوات الرئيسة عندما تتوغل الى الداخل.

امّا رواية المرّاكشي : فانها ذكرت أن أوّل مكان نزل به طارق هو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء، وأنه نزلها قبيل الفجر وعقد الرايات لاصحابه (٦).

ووجه الاستفادة من هذه الرواية أنها حدّدت زمن نزول طارق بانه الوقت الذى يسبق الفجر، يعني ان النزول كان ليلا، ولكن من المآخذ التي تؤخذ على هذه الرواية أنها جعلت المكان الذى نزل فيه طارق هو الجزيرة الخضراء وهذا ما لا يعقل، اذ أنه خالف الروايات التي ذكرت ان نزول طارق كان في الجبل (٧)، وكذلك كيف يتقدم دون ان

---

(١) اخبار مجموعة، ص ٦؛ وانظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ٦٥ — ٦٦.

(٢) الحميرى، ص ٨؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٣.

(٣) أخبار مجموعة، ص ٦؛ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤، ٥؛الحميرى، ص ٨؛المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٣؛ ابن ابي دينار، ص٣٦.

(٤) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤؛ وانظر الناصرى، ج١، ص ٩٨.

(٥) أخبار مجموعة، ص ٦؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٥.

(٦) المرّاكشي، ص ٣٣.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٢؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٦-٤٧؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٦؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤؛ القلقشندى، ج ٥، ص ٢٤٢؛المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤؛ ابن أبي دينار، ص ٣٦.

يتمنّى له النزول في الجبل ؟ ومن المحتمل انه قصد بذلك ما حصل فيما بعد،أو أنـــه التبس عليه الأمر، حيث أنه خلط بين نزول موسى ونزول طارق .

عاش المقّرى في النصف الأوّل من القرن الحادى عشر للهجرة الموافق للقرن السابع عشر للميلاد، وهو مؤرخ متأخر عن زمن الأحداث التي أتحدث عنها (١)، وهو يوثّق كلامـــه ، بقوله عمّن ينقل عنهم أنّهم قالوا: وهذا يعني انه ينقل عن كتب جماعة من مؤرخـــين سبقوه ، وبذكره أنّ موسى عقد لطارق وأرسله على رأس سبعة آلاف ، هذا تأكيد علـــى أن طارقا سار بعلم موسى وبرأيه ، وان عدد الذين عقد له موسى عليهم سبعة آلاف مقاتـــل، أىّ أن الذين عبروا معه غير المتطوعة سبعة الاف فقط (٢) .

ومن الأمور التي تؤخذ على ما ذكره المقّرى أنه جعل عملية العبور الى جبـــــل طارق بواسطة سفن يليان الأربع، التي ليس له غيرها ، فنزل في الجبل في الصيف في يوم السبت من شهر شعبان من عام ٩٢هـ، الموافق لشهر آب ، أى ان عملية الفتح بدأت فـــي فصل الصيف ، ثم أعيدت السفن لاحضار من بقي من قوات طارق بن زياد ، وقد تم ذلك علـــى دفعات حتى اكتمل جمعهم عند طارق بالجبل (٣) .

كما ان المقّرى ذكر رأيا مخالفا لما رجحه من أقوال المؤرخين، عندما قـــــال: ''وقيل''(٤) أى انه رجح الرأى الاول وشكك في الثاني ، وقد خالفت رواية المقـــرى الثانيه ، روايته الأولى، في زمن العبور من حيث الشهر اذ أن الرواية الثانية جعلته شهر رجب (٥) ، وكذلك في عدد القوات اذ جعلته الرواية الثانية ١٢ الف رجل (٦) ، ومــــن الاختلافات التي بينهما أيضا الكيفية التي تمّ بها العبور اذ أن الرواية الأخـــيرة جعلت العبور على دفعات ، ولكن على مراكب التجار، حيث لم يشعر بهم أحد وكان طـارق آخرهم عبورا ، بينما الرواية الاولى جعلت دخول طارق وقواته على مراكب يليان (٧) .

---

(١) المقّرى، نفح، ج١، ص ١٠-١١ المقدّمة ، المقّرى ، ج٧، ص ١٣٦؛ وانظر الزركلي، ج١، ص ٢٣٧؛ وانظر كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين، ج٢، م١-٢: ، مكتبة المثـــنّى، بيروت ، ودار احياء التراث العربي بيروت ، ص ٧٨.

(٢) المقّرى ، نفح، ج١، ص ٢٥٤.

(٣) المقّرى ، نفح، ج١، ص ٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٥٤.

(٥) المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٥٤.

(٦) المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٥٤.

(٧) المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٥٤.

وأمّا بالنسبة للرواية التي ذكرها ابن الكردبوس : فهي في غاية الأهميّة حيث أنّها الرواية الوحيدة التي ذكرت أن قوة من القوط قد انتبهت لمحاولة نزول طارق الى البّر في جبل طارق فقامت بمنعه من النزول أو بتعبير أدّق اضطرت طارقا الى تغيير خطته في النزول الى البّر، حيث أخرّت عملية النزول واضطرته وقواته الى العدول الى مكان آخر ليلا، الى موضع وَعِر حيث تمكن من النزول الى البّر، ولكن بصعوبة بالغة، حيث استخدم المجاذف وبراذع الدّواب للنزول ، وقام بتسلق المنطقة الوعرة ، وهذه المرّة نزل مع قواته دون أن يعلم او يشعر بهم القوط ، فكانت المفاجأة ، اذ تمكن طارق من شنّ غارة خاطفة عليهم تمّ له بعدها السيطرة على الجبل بعد ان غنمهم ، وكان ذلك سنة ٩٢هـ .(١)

أى ان هذه الرواية بينّت أن هناك خطة كانت مرسومة وواضحة عند طارق، وأن مقاومة القوط قد بدأت عنيفة منذ اللحظة الأولى التي كان طارق يودّ أن يضع أقدامه على أرض شبه جزيرة ايبيريا ، كما أنها وضّحت أن القوط كانوا متنبهين للخطر الاسلامي القادم عليهم ، اذ أن قوات لهم كانت موجودة على المداخل الايبيرية لحمايتها (٢) ، على الرغم من الصعوبات الداخلية التي كانوا يمرّون بها ، اذ صادف ذلك انشغال ملكهم بمحاربة ثورة البشكنس التي اندلعت في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة الايبيرية (٣) .

وكما أظهرت الرواية أن الفتح الاسلامي لشبه جزيرة أيبيريا لم يكن نتيجة لاندفاع فردي من قائد صغير، تمكّن بقوات محدودة من القضاء على سلطان القوط ، وفتح شبه الجزيرة بهذه السرعة ، بل ان هناك خطة مدروسة وقيادة واعية لِما سيترتب على عملية الفتح من مهام ومخاطر.

وجعلت رواية ابن الكردبوس القوات التي كانت تحت امرة طارق ١٢ الفا من العرب والبربر (٤)، كما وأنّها ذكرت أن موسى أمر يليان بالاجتياز مع طارق، والسؤال الذى يتبادر الى الذهن حول هذه النقطة ، ما هي طبيعة السلطة التي يمتاز بها موسى على يليان اذا كان معاهدا؟ هذه الاشارة من المؤشرات التي تدعّم الرأى الذى ملت الى

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦.

(٢) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦.

(٣) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢؛ وانظر ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤؛ وانظر الحميرى ، ص ٩ ؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٥؛ وانظر D. Francisco, p. 114

(٤) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦.

الأخذ به ، في كون يليان كان مسلما (١) ، فاذا لم يكن يليان مسلما فبأى حق يأمر موسى يليان بالتحرك للحرب ؟ وكما لفتت الرواية الانظار الى ان عددا من المتطوعين قد انضم الى قوات طارق الأساسية ، ووصفهم ابن الكردبوس بأنهم كثر (٢) .

مما سبق أخلص الى القول أن عبور طارق بن زياد الى الجبل الذى عُرف باسمه فيما بعد كان بعلم موسى بن نصير والخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، وأن عبوره كان للفتح ولم يكن مجرد غارة خاطفة ، اذ أنّ عملية الفتح كانت مقصودة ، كما أنها كانت مدروسة حسب خطة مرحلية يكون فيها طارق على رأس الحملة الاولى ، وأن العبور كان على ظهر سفن اسلامية ، وليس على سفن يليان الأربع فقط ، ومن القرائن التي تدعم ما ذهبت اليه ، طلب موسى من طارق أن يضيف سفينة سابعة للسفن الست التي غنمها (٣) ، وكذلك من الغزوات التي قام بها المسلمون الى صقلية وغيرها (٤) .

ومن المؤشرات التي تؤيد أن دخول المسلمين الى الأندلس كان على سفن اسلامية ، القول الذى ورد في كتاب اخبار مجموعة وعند المقرى ، حيث ذكر المقرى نقلا عمّن سبقوه من المؤرخين ، أن موسى منذ أن وجه طارقا الى شبه جزيرة ايبيريا ، وهو يقوم بصناعة السفن حتى صار عنده الكثير ، فبعث خمسة آلاف رجل على ظهرها كمدد لطارق ، فأصبحت قوات طارق ١٢ الف مقاتل ، ومعهم يليان في رجاله وعمّاله ، يترصد لهم الأخبار ونقاط الضعف عند القوط (٥) .

هذه المؤشرات تبين أن المسلمين عبروا على سفن اسلامية لأنها كانت متوفرة لديهم ، وأنهم كانوا على علم ودراية بصناعة السفن ، ولا يستبعد أنهم استعانوا بسفن يليان ، وان الاشارات التي كانت تذكر السفن على أنها ليليان (٦) ، ربما خصت الذكر لها فقط كونها سفنا خاصة ، استعان بها الجيش الاسلامي ، ومن الشواهد التي تدعّم الرأى الذى

---

(١) انظر الفصل الاول من هذا البحث ، ص ٣٢ – ٣٥ .
(٢) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦ . (٣) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠–١٢١ .
(٤) العصفرى ، ق:١ ، ص ٣٨١ ; وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٥٨ .
(٥) أخبار مجموعة ، ص ٧ ; وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٧ .
(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ; ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ .

أخذت به بالنسبة لاعتماد المسلمين على مراكبهم الذاتية في العبور الى الأندلس ما ذكره ابن الكردبوس من أن طارقا عبر الى جبل طارق بمراكبه (١) فالضمير المتصل بالمراكب يعود على طارق ، ويستفاد منه التدليل على أن المراكب تعود الى ملكية المسلمين المتمثلة بطارق ، مع الاحتمال أن المراكب هنا تعتبر التابعة له في الاجتياز، ولكنني أميل الى اعتبار أن المراكب هنا مقصود في ملكيتها بأنها للمسلمين.

وبما أنني بصدد التعليق على السفن، فمن الضروري ان أعرّج على القول الذي (٢) يقول بان طارق بن زياد قام باحراق المراكب ، وطلب من قواته الاستبسال في القتال، وحتى يمكنني معالجة هذه القضية ، لا بدّ من طرح عدد من الاسئلة : لماذا أحرق طارق السفن ؟ ولمن كانت السفن ؟.

تبين أنه كان للمسلمين سفنهم ودار صناعتهم (٣) ، فكيف لطارق أن يقوم باحراق السفن ؟! هل كان موقفه ضعيفا حتى يحرقها ؟ اذن لماذا عبر طارق الى العدوة الايبيرية اذا ما اراد أن يحرقها ؟ وهل حرقها يغيّر من الموقف ؟ ايضا هل كان وضع طارق وقواته وضعا يائسا الى هذا الحدّ ؟! وكذلك ألم تكن السفن وسيلة مهمة بل أساسية لنقل الامدادات العسكرية لطارق من قائده موسى، وكذلك نقل البريد والأخبار الى موسى، علما بأن طارقا لم يكن قائدا رئيسا في هذا المجال ، بل ان موسى هو الذى سيّره وكان يتابع ويسيّر الامور ، فكيف للقائد التابع أن ينفرد أو يجرؤ على فعلته تلك ؟ (٤).

الحقيقة انني لا أتصوّر ولا أرى بأيّ حال من الأحوال أن قصد طارق من الحرق كان بث الحماس في نفوس قواته ، إن كان قد تمّ الحرق ؟! علما بانني استبعد هذا الفعل من الحدوث ، لأن طارقا كان مهاجما وكان يريد الفتح، ويتبين ذلك من خلال ارسال السرايا

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦. (٢) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦.

(٣) انظر أخبار مجموعة ، ص ٧؛ انظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٧. فقد ذكرا أن موسى كان يصنع السفن وصار عنده الكثير بعد ارساله طارقا الى الأندلس ؛ وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٥٧، ١٥٨، فقد ذكر انه كان للمسلمين دار صناعة في تونس وقد طلب موسى بناء ١٠٠ سفينة .

(٤) انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٠-١٢١؛ اخبار مجموعة ، ص ٦-٧، فقد ذكر أن طارقا كان يخبر موسى بالوضع فعندما احسّ موسى بحاجة طارق الى قوات ارسل له ٥ الاف بواسطة السفن الاسلامية ؛ وانظر ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦ ؛ وابن عذارى ، ج ٢، ص ٦.

التي جاءت نتيجة مشاورات بين موسى والخليفة الوليد (١) ، وكذلك ان المواجهة بين طارق والقوط قد حدثت في منطقة لم تكن ساحلية أو على شاطئ البحر ، فهو أصبح بعيدا عن المراكب ، ولا يُعقل ان يقوم بحرق السفن علما بانه كان في أمس الحاجة اليها لتنقل (٢) اليه الامدادات وتؤمن حماية مؤخرة قواته . كما ان الطرطوشي وهو من المصادر الأولى التي ذكرت ان طارقا قام خطيبا في قواته بعد ثلاثة أيام من بدء المعركة مع لذريق ، ولكنه لم يذكر الخطبة الطويلة التي ذكرت على انها خطبة طارق ، كما أنه لم يُشر الى موضوع حرق السفن (٣) .

امّا ما ذهبت اليه بعض المصادر من أنّ القوط كانوا يظنون أنها سفن تجار ، وأنهم لم يشعروا بنزول المسلمين (٤) ، فهذا القول مردود كون السفن هذه المرّة كانت والعدد الذى على ظهرها كثير ، ليس كسرّية طريف (٥) حيث عددها محدود ويمكن ان يموّه على الاعداء وخير دليل وشاهد يؤيد ما يذهب العقل اليه . ـ وهو انه ليس من المعقول ، أن يغفل القوط حراسة المضيق ، علما بأنهم قد رأوا حدوث غارة طريف وغارة يليان ، على المنطقة

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٥-٦ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥ .

(٢) ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ ، ورد فيه أن المعركة بين طارق ولذريق كانت في وادى لكة من كورة شذونة ... ; وانظر الحميرى ، ص ١٦٩-١٧٠ ، ١٩٣-١٩٤ ، فقد أشار الى ان المعركة حدثت في كورة شذونة على نهر لكة ، وذكر ان وادى لكة يقع في الجزيرة الخضراء ، الحميرى ، ص ١٩٣-١٩٤ ; وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٨-٢٥٩ .

(٣) الطرطوشي ، ص ٣٣٥ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ; وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦ ، فقد ذكر ان طارقا واصحابه دخلوا على مراكب التجار ; وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

(٥) انظر أخبار مجموعة ، ص ٦ ; ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥ ، فقد ذكرا عن القوة التي كانت مع طريف انها قدرت باربعمائة رجل ; وذكر المقّرى الرقم نفسه ، انظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٣ ، علما بأنه ذكر قولا آخر ضعّفه ، بقوله وقيل دخل طريف في الف رجل ، وقد أشارت المصادر السابقة الى أنّ طريفا استعمل أربعة مراكب للعبور فيها ، فكيف لقوات طارق والتي هي ٧ آلاف رجل بدون المتطوعة وغيرهم من العناصر أن يعبروا متخفّين ، وهذا القول هو اقل تقدير بالنسبة لعدد قوات طارق ، انظر أخبار مجموعة ، ص ٦ ; القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ; المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤ ، بينما ذكر ابن الكردبوس ان قوات طريف كانت ٣ آلاف . ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٥-٤٦ .

الجنوبية من الأندلس _ وهذا ما أشار اليه ابن الكردبوس عندما ذكر أن طارق بن زياد اصطدم بوجود حامية في المكان الذى كان يريد ان ينزل فيه ابتداء (١)، حتى لو أنهم لم يكونوا قد وضعوا حاميات لأصبح من الواجب عليهم في هذه الحالة، وضع قوات لأنهم باتوا يتوقعون قدوم الخطر من جانب المسلمين. (٢)

اما بالنسبة لوقت النزول فان المصادر ذكرت أنّه كان ليلا (٣)، وكما ان المرّاكشي حدد الزمن بأنه كان قبيل الفجر (٤)، أى في وقت يتوقع فيه أن يكون الجميع نياما، وهذا أقرب للحقيقة اذ أن الليل يخفي التحركات، ويزيد من عملية التمويه ومفاجأة العدو، لكي يتم النزول بسلام وبسهولة، ويزيد الليل سترا، ما ذكرته بعض الروايات من أن تاريخ العبور كان في بداية الشهر (٥)، وهذا يجعل القمر غائبا بنوره عن الساحة، مما

---

(١) من المعروف لدينا أن سريتي بليان وطريف قد سبقتا حملة طارق بن زياد وقد حدثت الأولى سنة ٩٠هـ. انظر الحميرى، ص ٨؛ والمقرّى، نفح، جا، ص ٢٥٣، والسرية الثانية حدثت سنة ٩١هـ. انظر اخبار مجموعة، ص ٦؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤؛ الحميرى، ص ٨؛ المقرى، نفح، ج١، ص٢٥٣؛ ابن ابي دينار، ص ٣٦.

(٢) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٦.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣، وذكر أن العبور تم ليلا ثم أعيدت السفن لاحضار بقية القوات، وان الدفعة الاولى أكمنت في النهار.

(٤) المرّاكشي، ص ٣٣.

(٥) انظر ابن الخطيب، الاحاطة، ج١، ص ١٧، وقد ذكر ان دخول طارق الاندلس كان يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢هـ، وذكر انه قيل ان العبور كان في شعبان وكما انه ذكر انه قيل ايضا ان ذلك تمّ في رمضان الموافق لشهر آب، كما أن ابن عساكر ذكر ان دخول طارق كان في رجب سنة ٩٢هـ: ابن عساكر، التهذيب، ج ٧، ص٣٨؛ بينما ذكر ابن الشبّاط أن العبور كان يوم السبت في شعبان سنة ٩٢هـ، انظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٦، ١٠٧، وهو بهذا لا يعارض أنّ العبور كان في بداية الشهر لأنه ذكر أن العبور يوم السّبت وعرّفه ولم يقل يوم سبت، اذ انه يُستشف من هذه الاشارة أنّ ذلك كان في بداية الشهر، كما ان المقّرى نقل عمّن سبقوه كون طارق قد نزل بالجبل يوم سبت سنة ٩٢هـ، في شعبان الموافق لشهر آب، كما أن المقّرى أورد رواية أخرى ولكنه لم يرجحها اذ رجح الرواية الأولى، وذلك ان طارقا وصل الجبل في ٥ رجب، يعني بداية الشهر، انظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤، بينما ورد عند ابن قتيبة ،الامامة، ان موسى عندما طلب الى طارق التحرك ووصف له خطة سيره قال له: ان عليه أن يتحرك في شهر آذار في الحادى والعشرون منه، علما أن المحقق أشار في الهامش الى أن وقت تحرك طارق كان سيبدأ في أيّار، وكذلك اذا ما عبر طارق في ٢١ من الشهر المذكور فان ذلك يكون في اواخر الشهر مما يجعل الحركة سهلة .انظر ابن قتيبة ،الامامة، ص ١٢١-١٢٢.

يضفي عاملا مساعدا على ستر التحركات ، حيث يكون الظلام أشد ، والتحركات غير مكشوفة ، الا أنه ومع كل هذه العوامل فوجئ المسلمون بتيقظ القوط ، مما جعل طارقا يقوم بتغيير مكان نزوله حيث نزل في مكان وعر .(١)

وسيلاحظ ممّا يأتي فيما اذا كانت قوات طارق كلها نزلت في وقت واحد ، أم أنها كانت تنزل على دفعات ، ويتبادر الى العقل السؤال التالي: لماذا النزول على دفعات ؟ هل كان النقص في السفن كما أوحت بعض المصادر (٢) ان كان هذا هو السبب ؟ فلا أعتقد أنه لم يكن لدى المسلمين السفن الكافية لنقل الجيش دفعة واحدة ، امّا اذا كانت الدفعات مقصود فيها فترات النزول ، فلم توضح رواية ابن الكردبوس غير دفعة طارق بن زياد ، وما واجهته من مقاومة من قبل الحامية التي كانت على الجبل ، مما اضطر طارقا الى تغيير مكان النزول (٣) ، وأمّا بالنسبة لدفعة طريف (٤) ، فلا أظن ان ذلك كان واقعا في هذه الفترة الزمنية ، بل ربما أن الخلط بين سرية طريف وحملة طارق هو الذى وقع فيه من قال بهذا القول (٥) .

ربما أن المقصود بالدفعات أن السفن كانت مقسّمة الى مقدمة والى البقية (مؤخرة) ، فعلى المقدمة أن تمهّد الطريق للبقية ، ومن الممكن أيضا أن النزول على دفعات كان لتلافي وتجنب كثرة وشدة الأصوات ، الناتجة عن التجديف ، حتى لا تُثير تحركات المراكب وهي مجتمعة انتباه الاعداء فيتّم النزول بهدوء وسلام ، ومن المحتمل أن الحرّاس عندما اكتشفوا الأمر وقاموا باظهار مقاومة شديدة تجاه طارق ، عندئذ قام طارق بارسال بعض السفن الى منطقة اخرى وعرة ، هي التي تمكنت قواته من النزول فيها بصعوبة بالغة (٦) ، فكانت المفاجأة ، اذ شنت تلك القوات هجوما على الحامية القوطية ، وبعد القضاء عليها نزلت بقية القوات على الجبل.

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦.

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٣ ؛ المقّري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٤. اذ ذكر صاحب كتاب أخبار مجموعة والمقّري ، بأنه لم يكن لدى طارق صناعة غير الاربع سفن التي قدمها يليان اليه ، في حين ان ابن عبدالحكم ذكر ان طارقا ردّ السفن لاحضار البقية .

(٣) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦.

(٤) ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ الناصري ، ج١ ، ص ٩٨ ؛ وهو مؤرخ متأخر جدا عن زمن الأحداث ، انظر الزركلي ، ج١ ، ص ١٢٠ ، واخذ روايته عن ابن خلدون.

(٥) ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤.   (٦) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦.

المواجهة بين طارق والقوات القوطية :-

وبعد أن تمكن طارق بن زياد من السيطرة على الجبل، بدأ بالتحرك صوب المناطق المجاورة والقريبة من الجبل الذى اكتسب اسم طارق[1]، فقام بالتقدم الى قرطاجنة، ثم جزيرة ام حكيم[2]، واستولى على الجزيرة الخضراء[3]، وعندما علم لذريق باخبار تحركات طارق بواسطة مساعديه، وخاصة المدعو تدمير[4]، قام بجمع القوات لمحاربة طارق وكان في ذلك الحين موجودا في الجزء الشمالي من شبه جزيرة ايبيريا، منشغلا بالقضاء على ثورة البشكنس[5]، مما جعل وضعه يزداد سوءا، واختلفت المصادر في الكيفية التي واجه بها لذريق طارقا، هل ذهب بنفسه فورا لملاقاته ؟ أم انه ارسل اليه قوات لمحاربته ومشاغلته حتى يجمع الرجال ويتقدم للقضاء عليه ؟، فبعض الآراء قالت ان لذريق زحف بنفسه الى طارق[6]، في حين ان ابن عذارى أشار الى أن الرازى ذكر ان لذريق قام بارسال القوات تلو القوات لمحاربة طارق ولكنها جميعا هزمت حتى القوات التي كانت بامرة ''بنج'' فعند ذلك زحف لذريق[7]، ويبدو أنه قام بمفاوضة اولاد غيطشة للقدوم اليه ليكونوا يدا واحدة ضد المهاجمين، فما كان من ولدى غيطشة الا أن قدما عليه وهو في

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٣. وقال انها قرية؛ ابن القوطية، ص ٩. وقال انها مدينة وهي بكورة الجزيرة الخضراء.

(٢) ابن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) الادريسي، صفة، ص ١٧٦؛ المرّاكشي، ص ٢٤؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤.

(٤) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢١؛ الطرطوشي، ص ٣٣٤؛ ابن خلكان، ج ٤، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٥) وقد ورد عند ابن القوطية أن لذريق وجّه دعوة لأبناء الملك السابق غيطشة الى مناصرته، انظر ابن القوطية، ص ٣؛ وانظر ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٢؛ وانظر كلا من المصادر التالية حول انشغاله في القضاء على ثورة البشكنس، ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢١؛ وانظر ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤. فقد ذكر أن لذريق كان مشغولا بعدوّ له وقت دخول طارق؛ وانظر الحميرى، ص ٩؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٣٢، ٢٥٥.

(٦) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٢؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٨٥؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٧؛ ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤.

(٧) قال الرازى في (ابن عذارى)، ج٢، ص ٨.

قرطبة ، ولكنهما لم ينزلا معه في عسكره ، كما أشار أحد المصادر ليأمن احدهما جانب الآخر .(١)

وأستطيع القول أن طارقا منذ أن وطئت قدماه أرض الأندلس ، واجه مقاومة ليست سهلة خلال الفترة التي حاول لذريق على ما يبدو اجراء المفاوضات مع القائمين على الثورة البشكنسية ، فكانت الفترة التي تقع ما بين نزول طارق والتي أُختلف في تاريخ حلوله بالجبل ، فقيل انه نزل في اواخر شهر رجب ،(٢) وقيل في بداية شهر شعبان من سنة ٩٢هـ ،(٣) في حين أن تاريخ نشوب المعركة بين طارق ولذريق كانت في أواخر شهر رمضان ، من السنه نفسها ،(٤) يعني أن الفترة التي سبقت اللقاء الحاسم تُقدر بما يقارب الشهرين، هذه الفترة كان فيها طارق كما ذكر الحميرى يقوم بشن الغارات

---

(١) ابن القوطية ، ص ٣٠ وذكر أن لذريق كتب الى أبناء غيطشه لمناصرته .. وحشدوا الثغر ونزلوا شقرندة ولم يدخلوا عليه في قرطبة . وذكر صاحب كتاب أخبارمجموعة أنها تقع بالقرب من قرطبة ورسم كتابتها شقنده ، وقال انها قرية . اخبارمجموعة ، ص ١٠ .

(٢) انظر ابن خلكان، ج ٤ ، ص ٤٠٣، وخالف ابن الخطيب ، في كتابه الاحاطة ، ج١ ، ص ١٧، حيث ذكر أن دخول طارق كان في ٥ رجب من سنة ٩٢هـ ، مع أنه ذكر أنه قبل أن العبور كان في شهر شعبان.

(٣) وانظر القول الذى أخذه "ابن الشبّاط" من كتاب مختصر تاريخ الطبرى، ابن الشبّاط، م ١٤: ، ص ١٠٦ ، حيث ذكر ان عبور طارق كان في يوم السبت من شهر شعبان من عام ٩٢هـ ، ويعني هذا انه أول سبت في شعبان ؛ وانظر الحميرى ، ص ٩٠ وذكر أن دخول طارق الجبل كان في يوم السبت من شعبان من عام ٩٢هـ، وذكر ايضا أنه قيل أن ذلك كان في رجب . وأميل الى أن دخول طارق كان في بداية شهر شعبان أو آخر شهر رجب والفرق ليس كثيرا لا يتعدى بضعة أيام ، واستبعد ان دخول طارق كان في بداية شهر رجب ، فمن المحتمل ان العبور كان يوم ٥ شعبان فوقع في خلط او خطأ .

(٤) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ ؛ وانظر قول الرازى في (ابن عذارى) ، ج ٢ ، ص ٨ ؛ وانظر قول الرازى في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٩ ، فقد ذكروا أن المعركة بدأت في آخر يومين من رمضان واستمرت ثمانية أيام من سنة ٩٢هـ ، بينما ذكر ابن الشبّاط ، ان اللقاء كان في يوم الاحد ٧ شوال الموافق ١٠/٢ ؛ انظر ابن الشبّاط ، م ١٤: ، ص ١٠٧ ، وذكر المقّرى رأيا آخر خالف فيه روايته الاولى، وهو ينقلها عن ابن حيّان ، بان اللقاء كان في ٧ ربيع الاول سنة ٩٢هـ. انظر قول ابن حيان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

منذ أن نزل بالجبل على المناطق المجاورة السهلية ، لتأمين حاجات الجيش الاسلامي وجوده ، من مؤونة ، ومن اظهار هيبة ، ومن تأمين المنطقة الممتدة ما بين جبل طارق والجزيرة الخضراء باتجاه وادى لكة لتكون أرضا آمنة بالنسبة للمسلمين ولخطوط مواصلاتهم (١).

وتضاربت المعلومات التي أوردتها المصادر العربية حول العدد الذى ذكرته بالنسبة لعدد قوات لذريق : فمنها من قال أن قواته بلغت اربعين الف رجل (٢)، وبعضها الآخر قال ان قواته بلغت سبعين الف مقاتل (٣)، وامّا الطرطوشي فذكر ان العدد بلغ تسعين الفا (٤)، بينما قالت مصادر اخرى انها كانت مائة الف رجل (٥)، وقد بالغ بعضها حتى جعل قوات لذريق ستمائة الف محارب (٦)، في حين أن المصادر ذكرت أن قوات طارق كانت اثنى عشر الف رجل (٧) غير المتطوعة (٨).

ولو دُقق النظر في الارقام التي أوردتها المصادر عن قوات لذريق ، وفي الأحوال السياسية والاقتصادية التي بلغت درجة عالية من السوء ، من حيث الصراع على العرش القوطي بين لذريق واولاد غيطشه الطامعين في العرش الناقمين على لذريق (٩)، وكذلك

---

(١) الحميرى، ص ٩؛ وانظر المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٥، فقد أشار الى أن المسلمين قاموا بشنّ عدة غارات قبل مجيء لذريق على الجزيرة، وخبره هذا أخذه عن جماعة من المؤرخين.

(٢) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤؛ وانظر الناصرى، ج١، ص ٩٨، فقد أخذ الرواية عن ابن خلدون.

(٣) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢ ؛ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٢ ؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٤) الطرطوشي ، ص ٣٣٤.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٧؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٧ ؛ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٢؛ قال ابن حيّان في (المقرى)، نفح، ج١، ص ٢٣١، و ص ٢٥٧، (قالوا).

(٦) الحميرى، ص ١٠؛ القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢.

(٧) الطبرى، ج٦، ص ٤٦٨؛ اخبار مجموعة ، ص ٧؛ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦ ؛ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٦؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٤؛ وانظر ف ٢، هذه الدراسة ، ص ٦٥ - ٦٦.

(٨) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٦.

(٩) انظر هذه الدراسة ، ف ١، ص٢٠-٢٢، ٢٣-٢٤، وانظر D. Francisco, p.114

ثورة البشكنس، ومن حيث المجاعة التي عمّت انحاء شبه الجزيرة الايبيرية (١)، والتي (٢) سبقت قدوم المسلمين بما يقارب العامين، وكذلك محاولة لذريق الاستيلاء على ذخائر واموال الكنائس في طليطلة (٣)، لو دُقق في كل هذا لوجد أنه لم يكن باستطاعة لذريق تجنيد مثل هذا العدد الكبير وحشده بالسرعة الفائقة لمواجهة طارق، والتي لم تكن تزيد عن شهرين من بداية دخول طارق وحلوله على الجبل المنسوب اليه، هذا عدا عن فترة وصول الخبر الى لذريق من قِبل (تدمير) (٤)، وما اقتضته مسافة الطريق، لكي يصل رسول تدمير الى لذريق، وبالتالي رسل لذريق الى مختلف انحاء شبه جزيرة ايبيريا لحشد تلك الجموع التي تحدثت عنها المصادر العربية.

أخلص الى القول ان وضع شبه الجزيرة الايبيرية لم يكن يسمح بحشد سبعين (٥) الف أو حتى مائة الف محارب (٦)، ومن باب الاحتياط أميل للاخذ بالرقم الأصغر وهو اربعون الفا من القوط، والسبب في ذلك أن مصدر الرواية جاء من مصادر اسلامية (٧)، والمسلمون بشر ومن طبيعة البشر التقليل من أهمية الخصم والاعداء في اغلب الاحيان وتهويل الامور وتعظيمها، وكذلك لأن المصادر الاسلامية لم تعتمد على احصائية، ولم تستق معلوماتها من قادة من القوط، كانت لهم دراية وعلم بعدد القوات التي كانت تحت إمرة لذريق، فلذلك أقول بالعدد الأقل وهو أقرب للعقل والحقيقة من أي قول آخر، واستطيع القول أن قوات المسلمين الاثني عشر الف مقاتل (٨) واجهوا ٤٠ الفا من قوات القوط (٩).

---

(١) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢١؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٢؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّري) نفح، ج١، ص ٢٣٢، وانظر المصدر نفسه، ص ٢٥٧ (عن عدد من المؤرخين).

(٢) اخبار مجموعة، ص ٨ – ٩.　　(٣) انظر ف ١، ص ٤٢، ٤٧، ٤٨.

(٤) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٢؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢١؛ ابن خلكان، ج٤، ص ٤٠٤.

(٥) الحميري، ص ١٠؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢.

(٦) اخبار مجموعة، ص ٧؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٧؛ ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٢؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٣١، ٢٥٧.

(٧) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤؛ وانظر الناصري، ج١، ص ٩٨ عن ابن خلدون.

(٨) الطبري، ج٦، ص ٤٦٨؛ أخبار مجموعة، ص ٧؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٦؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٦؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٤.

(٩) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤.

وبعد مقارنة سريعة بين الجانبين يلاحظ ان قوات طارق كانت منظمة وواضحة الهدف ومتراصة الصفوف ، وقد جاءت برغبتها ، ومستعدة للاستشهاد في سبيل ما تقاتل من أجله ، في حين أن قوات لذريق ليست متراصّة ، فيوجد فيها عناصر غير راغبة بالقتال أو غير مقتنعة بقيادة لذريق ، وكذلك انّ قوات طارق كانت ترى أن القتال والاستشهاد ينقلهم الى نعيم الآخرة [1]، أمّا قوات لذريق ففيها من العبيد والطبقات المسحوقة من كان يتمنى الخلاص من أسيادهم ، فلن يختلف الوضع كثيرا بالنسبة لمثل هؤلاء المُسترقين، فَلِمَ يموت من أجل من يكره على الأقل في داخل نفسه ، ولا يرى أن في الموت مكسبا له سيحققه ، اذا ما صمد في القتال حتى يُقتل ؟.

بالنسبة لمكان المعركة ، وتحديده ، والنتيجة التي اسفرت عنها ، لا بدّ من القاء نظرة فاحصة على ما ذكرته الروايات حول انشغال الملك القوطي بالتصدى لثورة البشكنس عندما وطئت أقدام المسلمين ارض الاندلس [2]، يتبين من ذلك أن طارقا لم يتقدّم الا في منطقة محددة ، هو الذى حددها اذ كان بامكانه التقدم والتوغل ولكنّه في هذه الحالة سيصبح محاطا بالاعداء ، وسيكون بعيدا عن خطوط امداداته ، اذ أنه اختار المنطقة الجنوبية المواجهة للمضيق ـ الذى يفصل أرض الأندلس عن ارض المغرب ـ، لتكون مسرحا للمعارك بينه وبين القوط .

وبرزت قيمة اختيار طارق لأرض المعركة عندما ارسل طالبا المدد من موسى بن نصير، عندما وصلته الاخبار بان هناك حشودا كبيرة من القوط [3]، شارحا لموسى ما حققه من نتائج، اذ بيّن له انه قام بفتح الجزيرة الخضراء، واصبح الطريق اليها تحت سيطرته ، كما ان المناطق القريبة منها والتابعة لها صارت في قبضته الى البحيرة [4].

---

(١) ابن القوطية ، ص ٣ ؛أخبار مجموعة ، ص ٧ ـ ٨ ؛ابن الشبّاط ، م :١٤، ص ١٠٦-١٠٧ وهو ينقل عن مختصر تاريخ الطبرى؛ الحميرى، ص ١٠ ؛ المقّرى، نفح، ج١ ، ص ٢٣٢ ، عن (ابن حيّان) ، ص ٢٥٧-٢٥٨ عن جماعة من المؤرخين.

(٢) ابن حبيب ، م :٥، ص ٢٢٢ ؛ابن قتيبة ،الامامة ، ص ١٢١ ؛ابن الاثير، ج٤، ص ٥٦٢ ؛المقّرى، نفح، ج١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٥٧.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ ابن الاثير، ج ٤، ص ٥٦٢.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٧.

وقد وردت تسميات متعددة للمكان الذى دارت فيه المعركة بين طارق ولذريق، فمن هذه التسميات معركة نهر لكة، الموجود في كورة (١) شذونة (٢)، وموقعة وادى لكة – من اعمال شذونه – (٣)، ووادى بكة، في كورة شذونة (٤)، وكما انه ذكر أنّ اللقاء كان بفحص (٥) شريش (٦)، وهناك القول الذى ذكره صاحب كتاب أخبار مجموعة بأنّ المعركة بدأت بالجزيرة بالمكان الذى يُدعى البحيرة (٧)، ووردت اشارة عند ابن الشبّاط تقول: بسان مدينة شذونة شهدت هزيمة لذريق، وكان مصدر روايته كتاب اختصار اقتباس الانوار (٨).

ولكي يُمكن التوصل الى معرفة مجريات الأحداث، كأقرب ما تكون الى وقوعها على ارض الحقيقة، لا بدّ من تتبع الاسماء الجغرافية، التي ذُكرت في المصادر على انها المكان الذى جرت فيه أحداث المعركة التي دارت بين المسلمين بقيادة طارق، والقوط بقيادة لذريق، على خريطة الاندلس، ولنأخذ الخريطة التي قام الدكتور حتاملة باعدادها في كتابه التهجير القسري لمسلمي الاندلس (٩)، فنلاحظ أنّ البحيرة التي أشار اليها أحد المصادر (١٠)، ما هي الآ بحيرة لاخندا Laguna de La Janda (١١) وهي تقع في الجنوب الشرقي لمدينة شذونة، وكما ان شريش تقع في الشمال الغربي

---

(١) والكورة عبارة عن الصقع أو الناحية، ويطلق اللفظ ايضا على المدينة، انظر ابن الشبّاط، م: ١٤، ص ١٤٣؛ وانظر ياقوت، ج١، ص ٣٧.

(٢) ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٢–٥٦٣؛ ابن الأبّار، الحلة، ج٢، ص ٣٣٣؛ الحميرى، ص ١٦٩–١٧٠.

(٣) ابن الشبّاط، م: ١٤، ص ١٠٦؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨؛ الحميرى، ص ١٩٣–١٩٤؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٤٩، ٢٥٨.

(٤) ابن القوطية، ص ٧.

(٥) الفحص: لفظ اطلقه الأندلسيون على كل موضع يُسكن سهلا كان أو جبلا بشرط أن يُزرع. انظر ياقوت، ج ٤، ص ٢٣٦.

(٦) ابن خلدون، م: ٤، ق: ٢، ص ٢٥٤.

(٧) اخبار مجموعة، ص ٨ – ٩.

(٨) ابن الشبّاط، م: ١٤، ص ١٠٧.

(٩) د. حتاملة، محمد عبده، التهجير القسرى لمسلمي الاندلس في عهد الملك فيليب الثاني، الطبعه الاولى، عمّان، الاردن، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، الخريطة ص ٣٢–٣٣.

(١٠) اخبار مجموعة، ص ٧.

(١١) د. حتاملة، التهجير، ص ٣٢–٣٣، حسب وضعها على الخريطة.

لشذونة [1]، وهي مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهي قاعدة هذه الكورة [2].

واستطيع القول ان المعركة كانت بدايتها عند البحيرة، ولكن المعركة لم تحسم في هذا المكان، وقد وردت اشارة عند ابن الشبّاط والمقري وكان مصدر الرواية عندهما ''الرازي'' حيث قال: ان المعركة وبعد انقضاء ثمانية أيام استمرت، حيث قام طارق بمحاصرة مدينة شذونة الى أن تمكن من افتتاحها بالقوة [3]، وهذا يعني ان المعركة لم تنته أو تتوقف بعد الأيام الثمانية، بل انها استمرت في كورة شذونة حتّى وصلت المدينة نفسها، حيث ذكر ابن الشبّاط ان بها كانت هزيمة لذريق [4]، وقد تواصلت عمليات المسلمين في المنطقة قبل ان يتوجهوا الى مدينة استجة [5] (Ecija).

ويرى الدكتور العبادي ان المعركة لم تكن محدودة في مكان واحد، بل كانت معركة كورة شذونة بأسرها، جنوبها وشمالها، نظرا للحشود الضخمة، والاهمية البالغة التي ستترتب على نتيجة المعركة [6].

ويتضح الأمر اكثر من ذلك اذا أُخذ بعين الاعتبار ان هذه المعركة استمّرت ثمانية أيام، منذ اليومين الأخيرين من شهر رمضان، وحتّى اليوم الخامس من شوال من سنة ٩٢هـ [7]،

---

(١) د. حتاملة، التهجير، ص ٣٢-٣٣.

(٢) ياقوت، ج٣، ص ٣٤٠.

(٣) ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٧؛ انظر المقري، نفح، ج١، ص ٢٦٠.

(٤) قال صاحب كتاب اختصار اقتباس الأنوار في (ابن الشبّاط)، م:١٤، ص ١٠٧.

(٥) قال الرازي في (المقري)، نفح، ج١، ص ٢٦٠. ذكر أنّ طارقا بعد فتحه مدينة شذونه سار الى موررور، ثم الى قرمونه، قبل ان يتوجه الى استجة.

(٦) د. العبادي، نصان، م:١٤، ص ٣٩.

(٧) ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣؛ ابن الأبّار، الحلة، ص ٣٣٢؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص١٠٧، وذكر ان المعركة كانت في ٧ شوال الموافق ٢ تشرين الأوّل؛ وانظر ابن عذاري، ج٢، ص ٨، وذكر قولا للواقدي بأن المعركة كانت من الصّباح حتى المساء، انظر ابن عذاري، ج٢، ص ٧، وكما ورد فيه ان المسلمين لم يرفعوا السيف عن القوط ثلاثة أيام متوالية انظر ابن عذاري، ج٢، ص ٧-٨؛ وذكر ذلك ايضا ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٧٧؛ وانظر الحميري، ص ١٦٩-١٧٠؛ وانظر قول الرازي في (المقري)، نفح، ج١، ص ٢٥٩. كما وردت رواية عند المقري عن ابن حيّان، قالت أن المعركة حدثت في ٧ ربيع الأوّل من سنة ٩٢هـ، انظر قول ابن حيّان في المقري، نفح، ج١، ص ٢٤٩؛ وانظر ابن ابي دينار، ص ٣٦.

ثم عادت المعركة واستمرت بعد الأيام الثمانية، حيث انتقلت الى مدينة شذونة نفسها[1]. فمن المحتمل جدا ان يكون هناك انسحابات وتراجعات واعادة تنظيم صفوف وما تخلل ذلك من مطاردات، وخاصة بعد انسحاب المعارضين للذريق، وبقاء القوات الموجودة في القلب صامدة[2]، وهذا يعني أن لذريق قد انسحب وأعاد تنظيم قواته في مكان آخر ثم عاود القتال الى ان انتهت المعركة لصالح المسلمين.

وامّا بالنسبة للقول الذى ذكر ان اللقاء قد حدث بفحص شريش[3]، فمن المعقول جدا ان تكون تسمية لاحدى المواقع التي دارت بين الجانبين، فلربما أن الانسحاب قد صار اليها.

امّا بالنسبة لقضية انسحاب ابناء غيطشة من المعركة ومعهم بعض القادة، فانهم استفادوا من الظرف السانح وقاموا باستغلاله بصورة جيدة، وذلك بتدبير أمر الانسحاب من المعركة نكاية بلذريق لتدور الدائرة عليه، وبهذا تسنح لهم الفرصة لاختيار من يرتؤون بدلا منه كما أشارت بعض المصادر[4]، وقد ورد في مصادر أخرى انهما راسلا طارقا يخبرانه بانهم سينسحبون من المعركة وينضمون اليه مقابل اعطائهم ضياع والدهم[5].

ومن خلال تمعّن في الروايات: أجدها قد اختلفت في الكيفية التي انسحب بها ابناء غيطشة، ففي بعض المصادر وردت روايات أفادت أن انسحاب ابناء غيطشة تمّ بعد

---

(١) انظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٧؛ وانظر قول الرازى في (المقّرى)، نفح، جا، ص٢٦٠.

(٢) أخبار مجموعة، ص ٨-٩.   (٣) ابن خلدون، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٤.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٧-٨؛ وانظر قول صاحب كتاب مختصر تاريخ الطبرى في (ابن الشبّاط)، م:١٤، ص ١٠٦-١٠٧، ولكنه ذكر ان ابناء الملك السابق قد قُتلا، وقوله هذا مخالف للمصادر الاخرى التي ذكرت انهم انسحبوا، وانضموا للمسلمين، بل ان بعض المصادر جعلتهم يذهبون الى موسى ومن ثمّ الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ليقرّ لهم عهدهم مع طارق؛ ارجع الى ابن القوطية، ص ٣-٤، وذكر ان المند سكن اشبيلية، وارطباس سكن قرطبة، ورملة سكن طليطلة، ابن القوطية، ص ٥؛ وانظر المقّرى، نفح، جا، ص ٢٥٧-٢٥٨، وذكر ان مصدر اخباره مأخوذ عن مجموعة من المؤرخين السابقين.

(٥) ابن القوطية، ص ٣؛ الحميرى، ص ١٠؛ وانظر المقّرى، نفح، جا، ص ٢٥٨، وذكر بانه قيل، وهذا يعني انّه ضعف هذا الرأي.

المراسلة بينهم وبين طارق (١) ، بينما ورد في بعضها الآخر ما يفيد من ان الانسحاب كان أولا (٢) ، وكما يبدو ان المراسلة كانت بعد ذلك، والذى أراه أن الرغبة في الانسحاب كانت موجودة ، لوجود النقمة على لذريق ، ولكن وعلى ما يظهر أنه ونتيجة لشدّة المعركة وضراوتها ، وثبات المسلمين والشجاعة التي ابدوها ، ـ وقد ورد في بعض المصادر ان المعركة كانت حامية الوطيس ، حتى ظنّ الناس ان لا ينجو أحد (٣) ـ ، قررّ ابناء غيطشة الانسحاب ، لاضعاف لذريق ، لأنّ انتصاره يعني حسم أمر شبه الجزيرة الايبيرية لصالحه ، لأن الانتصار سيثبتّ دعائم حكمه ويزيد من شعبيته ، ويمكّنه من الامساك بزمام الأمور ، لكون المعركة جرت في جنوب ايبيريا ، فلو كانت في الشمال مركز المعارضة (٤) ، فمن الممكن أن ابناء غيطشة والناقمين سيقفون جانبا ، انتظارا للنتائج فان انتصر لذريق يقوموا بالانقضاض عليه في منطقة معادية له وثائرة ضده ، ولكن والحالة هذه جاء قرارهم الانضمام لقوات طارق للاطمئنان على ان نهاية لذريق ستكون في هذه المعركة ، ولا أظنّ أبناء غيطشة كانوا يظنون ان المسلمين سينسحبون ، لأنه معلوم لديهم ان المسلمين لم يفعلوا ذلك في افريقية والمغرب ، فكيف ينسحبون من الاندلس ؟! وما هو الدافع ؟، وقد ورد في بعض المصادر ما يشير الى أن اعتقاد ابناء غيطشة عن المسلمين كان يرى بأنهم ما جاؤوا الا للغنائم وانهم سينسحبون حين تمتلئ أيديهم بالخيرات والغنائم (٥) !.

---

(١) ابن القوطية ، ص ٣ ؛ الحميرى، ص ١٠ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٨.

(٢) اخبار مجموعة ، ص ٧ـ٨، ورد فيه أن الانسحاب كان نكاية بلذريق وقد تمّ ذلك قبل الوصول الى أرض المعركة ، عندما سمعوا بقوة المسلمين، ورأوا أن المسلمين لن يظلّوا في بلادهم ؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٦ـ١٠٧ رواية مختصر تاريخ الطبرى، ذكر فيها انهما انسحبا ولكنهما قُتلا، ودون الاشارة الى المراسلة ؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٧ـ٢٥٨.

(٣) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا ، ص ٧٧؛ وانظر اخبار مجموعة ، ص ٩/٨، فقد ذكر ان القتال كان شديدا ، فانسحب الناقمون من صفوف لذريق ؛ انظر الطبرى، ج٦، ص ٤٦٨ ذكر ان القتال كان شديدا حتى مقتل لذريق .

(٤) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٢ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢١ ؛ابن الاثير، ج ٤ ، ص ٥٦٢ ؛ الحميرى ، ص ٩ ؛ المقّرى، نفح، ج١ ، ص ٢٣٢، ٢٥٥.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٧ـ ٨؛ وانظر قول صاحب كتاب مختصر تاريخ الطبرى في (ابن الشبّاط) ، م:١٤، ص ١٠٦ ؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٥٧ـ٢٥٨.

وأستطيع القول أن أمر أبناء غيطشة قد ضُخّم وأعطى قدرا أكبر من حجمه ، وذلك لكون بعض المصادر جعلت لهم الدور المؤثر والبارز الذى قلب الموازين لصالح المسلمين[(١)].

وجاء في أحد المصادر أن المكان الذى اختاره طارق ليكون أرضا للمعركة، كان عبارة عن أرض منبسطة[(٢)] ، وكان هذا بمثابة عامل مساعد للمسلمين لكونهم سيخوضون معركتهم في منطقة واسعة سهلية ، وميزة هذا الاختيار أنه سيجنبهم كمائن قد ينصبها لهم الاعداء في الممرات الجبلية الوعرة ، وسيكفيهم المفاجآت .

مصير الملك القوطي : تباينت الاراء التي أوردتها المصادر العربية حول المصير الذى آل اليه لذريق ، فمن المصادر من قال أنه قتل[(٣)] ، ومنها من قال انه لم يُعثر له على أثر الا خفه وفرسه الأبيض[(٤)] ، ويُتوقع في هذه الحالة أنه غرق ، ومن جازم انه غرق في النهر أو الوادى[(٥)] ، ومن قائل انه جرح ، ولم يُعلم مصيره[(٦)] ، ومن المصادر من رأى انه

---

(١) ابن القوطية ، ص ٣-٤ ، ويبدو ان ابن القوطية تأثر بعائلته حيث أن جدته سارة هي ابنة المند بن غيطشة ، فكان هذا التأثير ، انظر المصدر نفسه ، ص ٤-٦ .

(٢) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٥ .

(٣) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٢ ؛ العصفرى ، ق:١ ، ص ٤٠٤ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٧ ؛ابن قتيبة ،الامامة ، ص ١٢٢-١٢٤ ؛الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٦٨ ؛المسعودى ، مروج ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛الطرطوشي ، ص ٢٣٥ ؛المرّاكشي ، ص ٣٤ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤١١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣ ، وذكر ان مقتله كان في قرطاجنة ، وهذا غير معقول لأن المعركة كانت في كورة شذونة ولم تكن على الساحل ، وهناك رأى آخر ذكره ابن عذارى ان مقتل لذريق كان في وادى الطين ، هذا يعني انه غرق ، انظر المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٩ ، وذكر انه لم يُسمع له خبر ، ولم يعثر عليه حيّا أو ميتا ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٣٤ .

(٥) انظر ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٨ ، فقد ذكر انه لم يعرف له خبر ، ويرى انه عندما اراد الاختباء في الوادى ، صادف غديرا ، ولم يوجد الا خفّه ، فيعتقد انه غرق ومات في الغدير ؛ وانظر ابن الاثير ، ج٤ ، ص ٥٦٢-٥٦٣ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨ ، ذكر انه لم يُعرف له موضع ولم يوجد جسده ، وانما وجد خفّه ولم يرجّح ابن عذارى القتل ولا الغرق .

(٦) ابن القوطية ، ص ٧ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٨ ، وضعّف المقّرى هذه الرواية .

اثقل نفسه بالسلاح ورمى بنفسه في وادى بكة ، ولم يعثر عليه (١) ، وهناك خبر ابن الشبّاط الذى قال انه افلت من المعركة الاولى (٢) ، الى المكان الذى يقال له السواقي .

ويلاحظ مما سبق أن الآراء تدور حول مقتل لذريق او غرقه سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وفي كلتا الحالتين أنهت الاراء التي قالت بهذه الاقوال حياة لذريق في هذه الموقعة وفي المكان الذى دارت فيه رحى المعركة (٣) ، وخالف ابن الشبّاط تلك الاقوال بقوله أن لذريق نجا الى المكان المسمّى بالسواقي (٤) وهي رواية وحيدة خالفت المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع ، وقد ذكر العبادى ان فحوى رواية ابن الشبّاط لم يذكره احد من المؤرخين سوى مؤلف مجهول ، في كتابه المتعلق بفتح الاندلس (٥) ، ويرى العبادى أن لذريق غرق في الوادى ، عندما اراد ان يختفي فيه ، ولكن دون ان تُعرف شخصيته (٦) . ويمكنني القول بأن لذريق لم يقتل في بداية المعركة ، وفي المكان الأول الذى دارت عليه المعركة ، وانما انتهى امره بعد ان انسحب ابناء غيطشة ، وابتعدت المعركة قليلا عن المكان الأوّل ، عندما انسحب ليعاود تنظيم صفوفه ، بعد الخلل الذى أصابها بانسحاب المعارضين له ، وأرى أنه جُرح في اواخر المعركة (٧) ، فهرب بعد ان دارت الدائرة على قواته وتمزقت وتراجعت عن المكان الذى كان هو فيه ، فأراد ان يختبئ في احد الأمكنة التي ظنّها آمنه في الوادى ، وحالته هذه من الجراح والخوف والاجهاد ، حاول أن ينجو بنفسه بعد ان ولّت قواته مدحورة ، فجاء حظه في منطقة طينيّة انزلقت تحت أقدامه ، فغرق ، ولم يستطع النهوض لما فيه من جراح واعياء ، وربما شدّه نزف .

---

(١) ابن القوطية ، ص ٧ .

(٢) ابن الشبّاط ، م ١٤ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن حبيب ، م ٥ ، ص ٢٢٢ ؛ العصفرى ، ق ١ ، ص ٤٠٤ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ٢٢-١٢٤ ؛ الطبرى ، ج ٦ ، ص ٤٦٨ ؛ المسعودى ، مروج ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛ الطرطوشي ، ص ٣٣٥ ؛ المرّاكشي ، ص ٣٤ ؛ ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٤١١ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٣ ، ٧ ؛ المقّرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٤٩ ؛ وبالنسبة للغرق انظر ابن الكردبوس ، م ١٢ ، ص ٤٨ ؛ ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٥٦٢-٥٦٣ .

(٤) ابن الشبّاط ، م ١٤ ، ص ١٠٧ .

(٥) د . العبادى ، نصان جديدان ، م ١٣ ، ص ٢٧ .

(٦) د . العبادى ، نصان ، م ١٣ ، ص ٣٢-٣٣ ؛ وهذا هو رأى ابن الكردبوس ، م ١٢ ، ص ٤٨ .

(٧) ابن القوطية ، ص ٧ .

ولا أؤيد بحال من الأحوال رأى بعض المصادر ان طارقا قتل لذريق واحتز رأسه وبعث به الى موسى، وقيام موسى بدوره بارسال الرأس الى الشام (١) ، فلو كان الأمر كذلك لعم الخبر وشاع ولوجد عدد ممن ادعى أنه قاتله وكذلك لما كان هناك حيرة واختلاف في المصير الذى لقيه لذريق .

تابع طارق مسيرة الفتح الى موروور وقرمونة (٢) ، مواصلا عملياته العسكرية في الأندلس متوجها صوب مدينة استجة (Ecija) (٣) ، مطاردا فلول القوط مصمما على أن لا يتيح لهم فرصة لتجميع قواتهم وملاقاته مرّة أخرى، ومع ذلك وجد أن أهل استجة ومعهم عدد كثير من الذين دحرتهم قواته في المعارك السابقة قد تحصّنوا فيها (٤) ، حيث ان أحد المصادر بيّن أن طارقا قام بمحاصرة استجة لعدة شهور حتى تمكن من السيطرة عليها (٥) ، ولا أستبعد أن تكون استجة قد اصبحت مكانا لتجمّع المحاربين القوط ، لايقاف تقدم القوات الاسلامية ، وكانت امتدادا لمعارك شذونة .

وقد كانت موقعة استجة قاسية بالنسبة للمسلمين، فقد جُرح الكثير منهم ، كما ان عددا كبيرا قد استشهد، ولكنّ نتيجة المعركة انتهت أخيرا لصالحهم (٦) ، وقد وُصفت هذه الموقعة بأنها ومعركة كورة شذونة ، كانتا من الشدّة والضراوة بحيث لم يواجه المسلمون

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٣-١٢٤ ؛ ابن القوطية ، ص ٣-٤ ؛الطرطوشي، ص ٣٣٥.

(٢) انظر قول الرازى في (المقرى) ، نفح، جا، ص ٢٦٠ ؛ وكما جاء في ابن الكردبوس أنه وبعد القضاء على لذريق قامت عساكر المسلمين بالانتشار في الجزيرة ، انظر ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٤٨ ؛ وورد في بعض المصادر أن موسى بن نصير هو الذى فتح قرمونة ، انظر ابن الأثير، ج٤، ص ٦٤ ؛ انظر ابن عذارى ، ج٢، ص ١٣.

(٣) ابن القوطية ، ص ٩ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٩، ذكر ان طارقا اتجه الى مضيق الجزيرة ثم تابع سيره الى استجة ، ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨-٩ ،(كلام صاحب كتاب أخبار مجموعة نفسه).

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٩، ذكر أن الغالبية من فلول قوات لذريق قد لجأت الى استجة ؛ وانظر ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨-٩ ؛ وقول الرازى في(المقرى) ، نفح، جا ، ص ٢٦٠.

(٥) انظر ما قاله صاحب كتاب اختصار اقتباس الأنوار في (ابن الشبّاط) ، م:١٤، ص ١١٢.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣ ؛ابن عذارى، ج٢، ص ٨-٩ ؛ قال الرازى في (المقرى) ، نفح، جا ، ص ٢٦٠.

بعدهما صعوبات كالتي واجهوها فيهما [١] ، ممّا أدّى الى كسر شوكة القوط والايبيريين ، فكانت الفترة ما بين هاتين الموقعتين ، والنتائج التي ترتبت عليهما المفتاح الذى عبر من خلاله المسلمون الى بقية انحاء شبه الجزيرة الايبيرية ، وكان من آثار هذه المعارك هروب الكثير من أولى الشأن والقوة وفرسان القوط باتجاه العاصمة طليطلة ، اذ أن فلول استجة ، والقوات التي تركت قرطبة وربما غيرها من القوات المندحرة قد ولّت وجهها شطر طليطلة [٢] .

ومن مدينة استجة ونتيجة على ما يبدو لما لحق بالقوات الاسلامية من خسائر بشرية ؛ ولما تستلزمه متطلبات عملية الحصار ومواصلة الفتح ، قام طارق بطلب العون من قائده موسى ، حيث أن بعض المصادر ذكرت أن موسى ندم على تأخره عن طارق [٣] ، بعد أن أخبره طارق بأنّه بامسّ الحاجة للامدادات [٤] ، فما كان من موسى الا أن طلب من ابنه مروان ـ الموجود في منطقة طنجة بالمغرب ـ [٥] ، التوجه وبسرعة لنجدة طارق [٦] ، وأمّا بالنسبة لموسى فانه تحرك هو الآخر من القيروان [٧] ، فكان وصول موسى بعد وصول ابنه ، حيث سبقه مروان في الوصول الى الأندلس [٨] .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨ـ ٩ ؛ قال الرازى في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ٩ ، فقد ذكر انه ونتيجة لما اصاب أهل الاندلس من ذعر نتيجة لتوغل طارق هرب بعضهم الى طليطلة وتحصنّوا في المدن ، وانظر المصدر نفسه ، ص ١٠ فقد ذكر ان مغيثا وجد أن عظماء أهل قرطبة قد رحلوا الى طليطلة ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩ ؛ وانظر قول الرازى في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ، وذكر أنه بعد مقتل لذريق كتب طارق الى موسى " أن الامم قد تداعت علينا من كل جهة فالغوث الغوث " ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص١٣ فقد ذكر بأنه يقال أن عبور موسى كان بسبب استنجاد طارق به ، وقد جعل عبور موسى في شهر رمضان من عام ٩٣هـ ، بينما جعل ابن قتيبة العبور في شهر صفر من السنة نفسها ، المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٥) الضبّي ، ص ٨ وذكر أن مروان بن موسى كان على طنجة قبيل عبور طارق ولكنّه ولأمر ما رجع الى والده موسى .

(٦) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ .

(٧) الضبّي ، ص ٨ ؛ المرّاكشي ، ص ٣٤ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ ابن ابي دينار ، ص٣٦ ؛ الناصرى ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٨) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ .

وقد جاء في بعض المصادر أن موسى خلال مسيره وتوجهه الى الأندلس التقى بابناء غيطشة ، ـ وهذا بطبيعة الحال بعد معارك كورة شذونة والقضاء على وجود لذريق ـ، وقد كان اللقاء في المغرب (١) ، ولهذا استطيع القول أن طلب الاستغاثة الذي وجهه طارق لموسى (٢) ، كان بعد معارك كورة شذونة ، وما لاقاه من مقاومة ، وما أصاب قواته من خسائر في استجة (٣) ، علما بان الأخبار تضاربت حول الأسباب الكامنة وراء عبور موسى بن نصير الى الأندلس والذي سأتناوله في نهاية هذا الفصل .

وعودة الى استجة ، فبعد أن انتهى طارق من أمرها ، كان لا بدّ له من مواصلة فتوحاته ، لأن التوقف في عمليات الفتح معناه اتاحة الفرصة للقوط لتجميع صفوفهم من جديد ، وكذلك فقدان أهميّة الهجوم الذي بدأه طارق ، الذي ربما ينعكس ليصبح هجوما مضادا ، ولقد وردت في بعض المصادر أقوال جعلت من يليان المحرّض لطارق للتوجه الى العاصمة طليطلة ، والقيام بتقسيم قواته قبل أن يجتمع عليه القوم ويختاروا لهم ملكا ، يجمع قواتهم ، ويضمّد جراحاتهم ثم يستعد للمواجهة القادمة ، فأشار يليان على طارق بالتوجه الى طليطلة مع ادلاء من أعوانه (٤) ، فقام طارق بارسال قسم من قواته الى بعض المناطق الجنوبية من الأندلس ، فقد ورد أنه قام بارسال مغيث الرومي مولى الوليد الى قرطبة على رأس ٧٠٠ فارس (٥) ، وأرسل قوات أخرى الى مالقة (٦) ، وكما أنه بعث قسما من

---

(١) ابن القوطية ، ص ٤ ؛ المقّري، نفح، ج١ ، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢ ، ص ١٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ابن عذارى، ج٢ ، ص ٨-٩ ؛ قال الرازي في (المقّري) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ٩ ؛ابن الخطيب، الاحاطة ، ج١ ، ص ١٦-١٧، وذكر ان يليان لمّح الى أن معظم القوط في طليطلة ، وعليه ان يشاغل القوم قبل النظر في أمورهم والاجتماع الى رؤسائهم .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ٩-١٠ وذكر أن التحرك كان من استجة ؛ المقّري، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ١١. "وقال انه تم افتتاحها ولكنّ علوجها لجأوا الى جبال رية الحصينة" ؛ ابن الخطيب ،الاحاطة ، ج١ ، ص ١٧ ؛ المقّري، نفح ، ج١ ، ص ٢٦١.

قواته الى غرناطة مدينة البيرة قديما [١]، لتأمين هذه الجيوب الخلفية ليتحقق لـه التقدم بأمان الى طليطلة ، وهو مطمئن على خطوط مواصلاته .

وأرى أن طارقا كان هو الأخر يرى الرأى الذى رآه يليان، اذ أنه لم يكن باستطاعته البقاء في الجنوب دون أن يسيطر على الأقل على العاصمة طليطلة ، وخاصة انه شعر كما يظهر بتجمع أهل النجدة والفرسان واصحاب الرأى في طليطلة ، حيث ذكر أن الفرسان وذوى الرأى في قرطبة بعد معركة استجة قد توجهوا الى طليطلة [٢]، ومن المرجح كذلك أن تكون فلول قوات لذريق قد ذهبت الى طليطلة [٣]، فتوجه طارق اليها بمعظم الجيش ، ولم يكن أمامه أية فرصة للانتظار لمشاورة موسى بالأمر، حيث قالت بعض المصادر أن سبب غضب موسى على طارق كان بسبب تقدم الأخير، الأمر الذى سينتج عنه تعريض المسلمين

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٠؛ ابن الأثير، ج ٤ ، ص ٥٦٣ . كما أنه أضاف قائلا : بأن طارقا ارسل قوات الى تدمير؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١١ وذكر ان هذا الجيش تقدم نحو مرسية (تدمير)، ثم تقدم معظم الجيش ، ثم لحق بطارق وهو على طليطلة . وهذا يعني أنه لم يتم الفتح بعد ؛ وانظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج ١ ، ص ١٧ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦١ .

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ٩، ١٠ . فقد أشار الى أن الراعي الذى امسك به المسلمون بقرية شقندة ـ بالقرب من قرطبة ـ أخبر مغيثا بأن هؤلاء قد ذهبوا الى طليطلة . وانظر المصدر نفسه ، ص ١٤، فقد ورد فيه ان الحاكم الذى بقي بقرطبة ، هو الاخر حاول الفرار خلال اشتداد الحصار باتجاه طليطلة ؛ وانظر ابن الأثير، ج ٤ ، ص ٥٦٣؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٣؛ ابن الأثير، ج ٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١١؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص ١٧؛ المقّرى ، نفح، ج١ ، ص ٢٦١ .

للأخطار[1] .

امّا بالنسبة لقرطبة ، فقد ورد أن الذى افتتحها هو مغيث مولى الوليد[2] ، وورد أيضا ان الذى افتتحها هو طارق[3] . وأميل الى القول بان طارقا كان متوجها من استجة الى طليطلة مارا بجوار قرطبة ، فمن المرجح في هذه الحالة ان كبار قادة القوط والمتنفذين والفرسان في قرطبة عندما سمعوا بتقدم طارق، وربما بمجرد سماعهم بوصول النجدة اليه ـ نجدة مروان بن موسى ـ قد فرّوا[4] ، أو قرّروا الذهاب وبسرعة للدفاع عن طليطلة ، فهي بنظرهم أهّم من قرطبة ، وطارق لم يكن بعيدا عن الساحة ومجريات الأحداث ، فشعر بما حدث ، فقام بارسال مغيث الرومي على رأس قوات محدودة للسيطرة على قرطبة ، وفعلا هذا ما حدث ، فانه لم يكن موجودا في قرطبة من القوات المحاربة سوى حامية من اربعمائة رجل كما ذكر أحد المصادر، فتمّ فتحها[5] ، وكان الكثير منهم قد ذهب الى

---

(١) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٣ ؛ اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص ٢٨٥ ؛ وانظر قول الطبرى في (ابن الاثير) ، ج٤، ص ٥٧٦ ؛ وانظر قول الطبرى في (ابن تغرى بردى) ،النجوم ، ج ١، ص ٢٢٦. وورد عند البلاذرى أن موسى أرسل الى طارق كتاب تأنيب بسبب عبوره الى الأندلس دون علمه وامره ان لا يجاوز قرطبة ، وسار موسى الى قرطبة ، وبعد أن اعتذر اليه طارق، قام بارسالة لفتح طليطلة .انظر البلاذرى، ص ٣٢٣. بات من المعلوم أن طارقا لم يتقدم الى الاندلس الآ بعد مشاورات بين الخلافة وموسى فأرى إن كان هناك توبيخ فانه حدث في طليطلة ولم يكن في قرطبة للتقدم ، ولكن الذى يرتاح العقل الى الأخذ به هو ان تحرك موسى كان لنجدة طارق ولاكمال الخطة الموضوعة ، وعرفنا من خلال الفصل الثاني ان طارقا كان يقوم بمراسلة موسى باستمرار، مثلا بعد نزوله الجبل وقُبيل معركته مع لذريق أرسل يطلب المدد ، والسؤال الذى يفرض نفسه هنا أين كان موسى طيلة فترة الفتح الاولى حتى انه لم يرى انه فطن الى ان طارقا دخل الى الاندلس دون اذنه الآ في فترة متأخرة جدا .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٠-١١ ؛ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٩-١٠ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص ١٧ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) انظر الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١. حيث ورد عنده ما يفهم منه أن طارقا هو الذى افتتح قرطبة ، حيث ذكر ان طارقا لم يمرّ سوى بقرطبة عندما كان قاصدا طليطلة ؛ وانظر الضبيّ ، ص ٨. فقد ورد عنده ان طارقا استولى على قرطبة ، وهنا لا يوجد تخصيص فلربما ان المقصود ان قواته هي التي استولت عليها او انه هو الذى امر بذلك فنُسب الفتح اليه ؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٦١. وذكر انه يقال ان طارقا هو الذى افتتح قرطبة بمعنى انّه ضعّف هذا القول واخذ بغيره .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٠.

طليطلة .[1]

فتح طليطلة : جاءت المعلومات التي أوردتها بعض الروايات حول فتح طليطلة سطحية لا تفي بالمراد ولا تجلو الحقيقة التي يتطلّع اليها الدارسون لتاريخ هذه المدينة ، فقد جاءت أخبار بعض المصادر لا تتعدّى القول انّ طارقا عندما وصل طليطلة وجدها خالية ، وقد تسنّى له افتتاحها بدون مقاومة[2] ، بينما ورد في مصادر اخرى ان طارقا فتح طليطلة والمناطق المجاورة لها[3] ، ومما يفيد ذلك حيث ذكر صاحب كتاب اخبار مجموعة ان طارقا عندما وصل طليطلة ترك بعض رجاله فيها ، ثم تابع فتوحاته[4] . وهذه الاشارات توضح أن عملية الفتح لم تكن سهلة كما ذكرت بعض المصادر الاخرى رقم (٢) لأن عملية فتح العاصمة تحتاج الى جهد لِما سيواجها من مقاومة ، وانه قام بضمّ اليهود اليها نظرا للعداوة بينهم وبين الكاثوليك ، حيث استفاد المسلمون من الكبت الذى عانته الطائفة اليهودية[5] المستضعفة من قبل الطبقة الكاثوليكية الحاكمة في تثبيت الأوضاع الداخلية في المناطق المفتوحة وذلك باحضار اليهود من الأرياف الى مدينة الاقليم[6] لمساعدة المسلمين في تثبيت حكمهم في البلاد المفتوحة ، وبعد ذلك قام بمطاردة الفلول القوطية التي هربت من طليطلة بالاضافة الى العناصر التي كانت مضطهدة من قِبل الأكثرية النصرانية ، الا وهم

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٩، ١٠ .

(٢) انظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ . وذكر ان طارقا وجدها خالية الا من اليهود ومعهم قليل من السكان ؛ وانظر الحميرى ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ ؛ وانظر ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٧ فقد ورد فيه ان موسى هو الذى وجه طارقا الى طليطلة .

(٣) ابن القوطية ، ص ٩-١٠ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الكردبوس ، م ١٣ ، ص ٤٨ ، ولم تشر هذه المصادر الى ان طارقا قد وجد طليطلة خالية ، ومما يفهم من كلامهم ان طليطلة لم تكن سهلة الفتح حيث ذكروا انه فتحها وهذا بطبيعة الحال لا يتّم الا كما تمّ في استجة وعلى أقل تقدير مثل قرطبة حيث قاومت الحامية التي في داخلها ثلاثة أشهر ، أنظر بالنسبة لهذه النقطة : أخبار مجموعة ، ص ١٠ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ وانظر ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٣٤ . فقد اكتفى بالقول ان طارقا دخل طليطلة .

(٥) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ الحميرى ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ وانظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .

(٦) انظر اخبار مجموعة ، ص ١٢ ، ١٣ . فقد ورد فيه أن سياسة المسلمين التي أتبعت خلال فترة فتح الاندلس ، كانت اذا وجدوا يهودا ضمّوهم الى القصبة .

اليهود[1] ، فاتجه صوب وادى الحجارة[2] ، ثم سار الى مدينة المائدة حتى وصلها ، متابعـا خططه العسكرية للتمكن من المضيّ في عمليات الفتح قدما[3] . ولقد وردت رواية في أحـد المصادر تشير الى أن طارقا بعد أن انتهى من أمر مدينة المائدة توجة الى المدينـة الحصينة حيث يقول فيها : ''ثم مضى طارق الى المدينة التي تحصنّوا بها خلـف الجبل ، فأصاب بها حليا ومالا ، ورجع ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ٩٣هـ، وقيل انـه لم يرجع ، بل اقتحم أرض جليقية واخترقها حتى انتهى الى مدينة استرقه ، فدوّخ الجهة ، وانصرف الى طليطلة والله اعلم''[4].

وقد جاء في بعض المصادر انه وبعد الانتهاء من أمر مدينة المائدة سار طـارق الى مدينة امايه ، فاصاب بها حليا ولم ... ثم رجع الى طليطلة في سنة ٩٣هـ[5] ، وبعـد كلمة (ولم) يوجد فراغ في الكتاب نفسه[6] ، أي ان بعض الكلمات قد سقطت .

ومما سبق يلاحظ ان المقّرى أشار الى ان طارقا لم يعد الى طليطلة بعد المدينـة المحصنّة[7] ، بينما أشار ابن الأثير الى أن طارقا عاد الى طليطلة بعد ان حقق مـا أراد من مدينة ماية (أماية) في سنة ٩٣هـ[8] ، في حين أن صاحب كتاب أخبار مجموعة ، ذكر هـو الآخر ان طارقا اتجه الى مدينة امايـه بعد مدينة المائدة واصاب بها مبتغاه[9] ، وبيـد أن هناك قطعا للمعلومات في كتابه حول رجوعه أو عدم رجوعه ، فبعد ذكره لما أصاب في

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ولم يشر الى اليهود ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابـن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ وانظر الحميرى ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في(المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤-٢٦٥ فقد أشار الى أن طارقا واصل تحركه وراء الذين فرّوا مـن أهل طليطلة .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ وانظر قول ابن حيّان في(المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(٤) انظر قول ابن حيّان في(المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٤-١٥ .

(٦) أخبار مجموعة ، ص ١٥ .

(٧) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(٨) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ .

(٩) أخبار مجموعة ، ص ١٥ .

تلك المدينة ، وضع كلمة (ولم) ثم فراغ (١) ، ولو قورنت الرواية مع رواية ابن حيّان التي اثبتها المقري لأكمل الفراغ ، "ولم يتجاوزها الى طليطلة سنة ٩٣هـ" (٢) ، ولكن مؤلف الكتاب قال بعد الفراغ أن طارقا رجع الى طليطلة في سنة ٩٣هـ (٣) ، والرجوع هنا هل كان بعد مضي فترة لا بأس بها من وجوده في مدينة امايه (امامه) او حولها؟أم أن الرجوع كان بعد التقائه بموسى ؟ هذا الموضوع لا بدّ من بحثه فيما بعد لمحاولة الوصول الى نتيجة مقنعة .

وهناك من المصادر من قال ان طارقا رجع بعد ان تقدم من طليطلة الى وادى الحجارة ثم الى مدينة المائدة ، وانه رجع منها الى طليطلة بعد ان اصاب مالا وحليا كثيرا ، وذكر ان هذا الرأى هو رأى الأغلبية (٤) ، كما ان الادريسي هو الآخر ادلى بدلوه في هذا المجال حيث ذكر ان طارقا بعد ان اتجه صوب طليطلة ولم يكن له قصد بعد ان انتهى من امر قرطبة سواها ، فتّم له مراده ، ثم واصل سيره الى وادى الحجارة ، ومن ثمّ الى مدينة المائدة التي تقع خلف الجبل ، فأصاب بها الحلي والأموال ثم رجع من المائدة الى طليطلة (٥) ، وذكرت بعض المصادر ان طارقا عاد بعد هذه العمليات العسكرية الى طليطلة في سنة ٩٣هـ (٦) ، وكما أن بعض المصادر أوردت اقوالا ضعّفتها بقولها وقيل: ان طارقا تابع سير فتوحاته الى المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة الايبيريّة حتى انتهى الى ارض جليقية ، وخاصة مدينة استرقه ، وبعد ذلك عاد الى طليطلة سنة ٩٣هـ (٧) . وبعضها جعله يبقى بها حتى وصول موسى بن نصير (٨) .

---

(١) اخبار مجموعة ، ص ١٥ .

(٢) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٥ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٥ .

(٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ .

(٥) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١-١٩٢ .

(٦) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١-١٩٢ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ الحميرى ، ص ١٣٥ .

(٧) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٢ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ الحميرى ، ص ١٣٥ .

(٨) ابن القوطية ، ص ٩-١٠ ؛ وانظر ابن الكردبوس ، م ١٣ ، ص ٤٩ فانه ذكر ان طارقا وصل الى الشمال ثم عاد الى قرطبة بعد ان ملّ الناس وذكر ان دخول موسى كان في هذا الظرف .

وهنا لا بدّ من وقفة مراجعة لما قالته المصادر حول فتح طارق لطليطلة ، بادئ ذي بدء لا بدّ من الاعتقاد أنه من غير المعقول أن يهجر السكان مدينة طليطلة ، وخاصة عامة الناس ، وان عدم اشارة المصادر الى أن سكان مدن وقرى الجزيرة الخضراء ، وكورة شذونة قد هجروا مناطقهم ، وكذلك أهل استجة وقرطبة ، عندما تقدّم اليها المسلمون لدليل على عدم دقة الاخبار التي قالت بخلو طليطلة حين دخلها طارق ، لذلك أرى ان الأخبار التي قالت بأن طليطلة كانت خالية وقت دخول طارق اياها (١) ، تحتاج الى مزيد من التأني والتروي والتردد قبل ان يقدم المرء على قبول ما جاءت به ، اذ أنني أرى ان الخلو الذى أشارت اليه المصادر ، كان خلوا من المدافعين والقادة والقوات العسكرية ورجالات الدولة وفرسان القوط وغيرهم من المتنفذين ، الذين استطيع القول (٢) بأنهم قد انسحبوا وتجمعوا في أماكن قريبة من طليطلة ، امتازت بالوعورة والحصانة ، لكيّ يكسبوا أكبر قدر من الوقت ، مستفيدين من الحماية الطبيعيّة المتمثلة في الجبال المحيطة بطليطلة التي أشارت اليها بعض المصادر على أنها مناطق حصينة واقعة في منطقة الجبال المجاورة لطليطلة (٣) لكي تصلهم النجدات من مختلف أنحاء شبه الجزيرة الايبيرية ، من المتحمسين للقتال والمصمّمين على الدفاع عن ممتلكاتهم ومكتسباتهم ، ويتمكنوا من استدراج طارق وقواته الى الممرات الجبلية والمناطق الصعبة لكي يقع في كمائنهم ، ويبعدوه في الوقت نفسه عن خطوط مواصلاته وامداداته ، لينقضّوا عليه .

---

(١) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ الحميرى ، ص ١٢٤–١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

(٢) انظر الحميرى ، ص ١٢٤–١٢٥ حيث ورد فيه روايه أخذها عمّن سبقوه من المؤرخين ، تقول : ''أن طارقا توجه الى طليطلة وانه قد وجدها خالية قد فرّ أهلها عنها فضمّ اليها اليهود وخلّى بها رجالا من اصحابه ، وسار خلف الذين فرّوا من طليطلة فاتجه الى وادى الحجارة ...'' ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٦٤–٢٦٥ فقد ذكر ان طارقا تبع الذين فرّوا من طليطلة ، ليلحق بهم قبل ان يتجمعوا ويزدادوا قوة .

(٣) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤–٢٦٥ ؛ وانظر الحميرى ، ص ١٢٤ – ١٣٥ فقد ورد عنده ما يدلل على ذلك عندما أشار الى ان طارقا تابع سيره وراء الذين فرّوا من طليطلة ؛ وانظر الى كل من المصادر الآتية بالنسبة لكون المناطق التي سلكها طارق بعد طليطلة كانت وعرة وجبلية : انظر اخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ .

ومع كل هذا لا يمكنني التسليم بان طارقا قد وجد مدينة طليطلة فارغة فاتحة ذراعيها لاستقباله ، اذ أن طارقا واجه مقاومة شرسة من فلول القوط الذين تجمعوا في استجة بالاضافة الى من بها (١)، وبما ان أحد المصادر أشار الى أن ذلك الحصار استمر عدة أشهر (٢)، وكذلك قول احدى الروايات ان مدينة قرطبة وخاصة منطقة الكنيسة الكبيرة قد قاومت وصمدت ثلاثة أشهر (٣)، اذن فكيف بطليطلة التي امتازت واشتهرت بحصانتها ومنعتها الطبيعية ، حيث يحيط بها نهر التاجه من جهاتها الثلاث بالاضافة الى الموقع الجبلي الذي تجثم عليه ، والذي يحيط بها (٤)، ويجب ان لا يُنسى أن طليطلة هذه هي العاصمة التي من المفروض أن تكون أقوى المدن الايبيرية ، واكثرها صمودا وتحمّلا في اوقات الشدائد نظرا لكونها المركز الرئيس التي تتجمع حوله القوى الايبيريّة ، والتي يبدوأن المصادر الاسلامية نسيت ذلك عندما وصلت في حديثها الى طليطلة .

ومن خلال الاشارات السابقة التي ذكرت أنّ هناك أعدادا من فلول القوط ورجالاتهم وفرسانهم وقادتهم قد انسحبوا أو هربوا الى طليطلة وسبقوا طارقا اليها (٥) . فما هو دورهم ؟ لِم لم يقاتلوا كما قاتلت فلولهم جنبا الى جنب مع مدينة استجة (٦) ؟ ، أم أن هناك خطة كانت قد وُضعت لاستدراج طارق الى المناطق المحيطة بطليطلة لابعاده اكبر قدر مستطاع عن خطوط مواصلاته وامداداته وجرّه الى مناطق وعرة يكونون هم الذين اختاروها هذه المّرة ؟ .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٨-٩ ؛ وانظر قول الرازي في (المقّري) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر ما قاله صاحب كتاب اختصار اقتباس الانوار في (ابن الشبّاط) ، م ١٤: ، ص ١١٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٣ - ١٤ .

(٤) انظر ابن الشبّاط ، م ١٤: ، ص ١٢ فقد ذكر ان طليطلة اشدّ المدن حصانة ومنعة ؛ وانظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، ص ٥ - ٧ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٩-١٠ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٩ ؛ وانظر قول الرازي في (المقّري) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٦) انظر اخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٨-٩ ؛ وانظر قول الرازي في (المقّري) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٠ . فقد ذكروا ان قسما من فلول قوات لذريق لجأت الى استجة وبقيت فيها طيلة فترة المعركة .

ومع ذلك لا بدّ من القول ان هناك مقاومة شديدة قد واجهت طارقا عندما أراد أن يستولي على طليطلة ، وان الفراغ والخلو الذى اشارت اليه بعض المصادر (١)، ما هو الا الخلو الذى لا ينبغي لعاصمة مثل طليطلة ان تكون فيه ، اذ انهم كما أتصور قاموا بوضع حاميات في طليطلة للمقاومة ولتعطيل طارق ، وليتمكنوا من استقدام النجدات والقوات من مختلف انحاء شبه جزيرة ايبيريا ، وربما ليتجهزوا حلول فصل الشتاء البارد ، اذ لا يُعقل ان لا تقاوم طليطلة العاصمة المنيعة الحصينة بينما غيرها من المدن يبدي مقاومة عنيفة يستمرّ معها الحصار أشهرا ، ومثال ذلك المدن الثلاث التالية : وهنّ على سبيل المثال لا الحصر استجة (٢) ، واشبيلية (٣) ، وماردة (٤) .

ومما سبق يلاحظ استمرار طارق بمواصلة عمليات الفتح بعد استيلائه على طليطلة ، في المناطق الواقعة خلف الجبال المجاورة لطليطلة مثل وادى الحجارة والمائدة (٥) ، والمدينة المحصنة (٦) ، اماية (٧) ، (مايه) (٨) ، مطاردا فلول القوات التي تركت طليطلة وخاصة الذين ذهبوا الى المدينة المحصنة ، والذين تحصنوا فيها ، وقد استطاع ان يغنم اموالا وحليا اصابها في تلك المدينة ، وانه حاول العودة الى طليطلة ولكنه لم يستطع تجاوز

---

(١) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ الحميرى ، ص ١٢٤-١٢٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

(٢) ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٣ ؛ وانظر المصادر التالية بالنسبة لشدّة المقاومة وضراوة المعركة ، اخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٨ - ٩ ؛ وانظر قول الرازى في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٧ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٧-١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤-٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤ - ١٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٦) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٤ - ١٥ .

(٨) ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٥٦٤ .

المدينة المحصنة ليصل الى طليطلة سنة ٩٣هـ (١)، بمعنى انه كان ينوى العودة الى طليطلة ولكنه لم يتمكن من العودة اليها ، هنا تتبادر الى المخيّلة بعض التساؤلات : لِم لم يستطع طارق العودة الى طليطلة ؟ مع انه خرج لمطاردة بعض فلول القوط الذين خرجوا من طليطلة (٢)، هل ان طارقا بدأ بالاشتباك في تلك المناطق الوعرة الصعبة المسالك مع مجموعات قوطية اخذت تواجهه ؟ حتى انه ما ان يتمكن من القضاء على مجموعة حتى تبدأ مجموعة اخرى في محاربته ومشاغلته وانه ونتيجة لذلك او لغيره من الامور التي قد تحدث في مثل هذا الموقف لم يستطع العودة الى طليطلة .

ام انه قد حدث في طليطلة ما حدث في اشبيلية بعد أن تقدم موسى الى ماردة ، وفي خلال محاصرته ايّاها قام بعض من فرّ من اشبيلية الى باجة ولبلة باستغلال الوضع وعادوا الى اشبيلية وقتلوا من فيها من المسلمين الآ من استطاع الفرار (٣)، فلِمَ لم يحدث هذا في طليطلة العاصمة ، والتي كان من المفروض أن تكون مركزا لتحريض وتجميع كل الطاقات للوقوف في وجه المسلمين أكثر من غيرها من المدن ؟.

وربما أن ملاحقة طارق للذين خرجوا من طليطلة (٤) كانت مكيدة قد أعدّت لاستدراجه الى المناطق الجبلية التي هي خلف طليطلة لايقاعه في شركها ، وفي الوقت الذى يبتعد طارق فيه عن طليطلة ، تقوم مجموعات بالعودة الى طليطلة ، بالاضافة الى من فيها ، بالقضاء على الحامية التي فيها من المسلمين ومن معهم من اليهود (٥)، وبهذا يكونون قد تمكنوا من حصر قوات طارق لكي يبدأوا عمليات مهاجمة ومحاصرة وشن هجمات على قواته لاضعافه وقطع امداداته وارباكه ، واشغاله حتى يحلّ برد الشتاء الشديد الذى سيكون حليفهم في هذه الحالة لكونهم أهل البلاد وادرى باحوال الشتاء والاودية ، ومتطلبات الشتاء ، وكذلك لتعودهم على برودة ايبيريا ، وربما لوصول نجدات لصالحهم

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤-٢٦٥ ؛ وقد ورد في مصادر اخرى انه رجع الى طليطلة ، انظر الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٢.

(٢) الحميرى ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١.

(٤) الحميرى ، ص ١٣٤ - ١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٢ ، ١٤ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ الحميرى ، ص ١٣٤ - ١٣٥.

مما سيعزز موقفهم ، ولقد اشارت رواية ابن حيّان التي وردت في (المقرى) الى هذا المعنى الذى ذهبت اليه حيث ذكرت ان طارقا لم يستطع العودة الى طليطلة سنة ٩٣ هـ عندما رجع من المدينة المحصنة (١) ، الامر الذى سيجعله في مثل هذه الحالة يقاتل في معارك مستمرة في ارض وعرة ومسالك جبلية صعبة بعيدا عن طرق امداداته ، وحتى لو انه تمكن من الانسحاب فسيعرّض نفسه للخطر ، الذى سيواجهه من كل المناطق ، وبالتالي سيفقد ما حققه ، وقد يتحول الموقف لصالح الايبيريين ، الأمر الذى سيجعل قواته تفقد الروح المعنوية العالية التي كانت تتحلى بها ، ممّا سيكلفه في النهاية خسائر باهظة .

عبور موسى الى الأندلس :

في هذا الوضع والظرف الخطير الذى اندفع اليه طارق كان عبور موسى ووصوله أرض الأندلس ، حيث رأينا ان طارقا قد توغل الى منطقة الأندلس الوسطى المتمثلة في طليطلة وما جاورها من مناطق مثل وادى الحجارة ومدينة المائدة والجبال المحيطة (٢) ، دون ان تُؤَمِّنَ الجهة الغربية من الأندلس وبالتالي المنطقة الوسطى الغربية المقابلة لطليطلة ، فكان عبور موسى من هذا الجانب اذ بدأ بالتقدم في هذا الاتجاه ، ولم يسلك الخط الذى سلكه طارق في فتوحاته (٣) ، اذ لم تعد قوات طارق كافية للحفاظ على المكتسبات التي حققتها ، بل لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ان وجودها وانتشارها أصبح يشكل خطرا على سلامتها ، اذا لم يكن في حسبان خطة المسلمين ارسال تعزيزات جديدة تساعد في

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٥ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ وانظر قول ابن حيّان ، في(المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٦-١٧ ؛ وانظر ابن القوطية ، ص ١٠ ، فانه ذكر ان موسى لم يسلك الطريق الذى سلكه طارق ، وانظر الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٢ : اذ ذكر ان موسى سار في خط سير في عمليات الفتح الى مناطق لم يسبق لطارق ان مرّ بها ، كما أن الادريسي ذكر رواية الرازى التي تقول ان موسى اجتاز من جبل القردة المعروف بمرسى موسى الى جهة الخضراء ، فارتاح فيها ، وتشاور مع رؤوس القوم على كيفية الدخول ، فكان رأيهم السير الى اشبيلية ومن ثمّ يتابعون الفتح بهذا الاتجاه الغربي ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٩٨ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤-١٥ فقال : وسار موسى من شذونة الى قرمونة ثم الى اشبيلية ثم الى ماردة ، ومن ثم اتجه الى طليطلة ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٩ .

ترسيخ الوجود الاسلامي في الأندلس ، لتقوم هذه القوات الجديدة بتقوية دعائم وجودها ، بفتح مناطق جديدة ، وبتأمين خطوط مواصلات أوسع وأكثر أمنا من ذى قبل، وتقوم بالسير بفتوحاتها في جانب مواز لخطوط الفتح الذى سار عليها طارق، وهذا هو ما حصل ، اذ انتهج موسى هذا الطريق حيث نزل في منطقة غير المنطقة التي نزل بها طارق حيث ورد انه اجتاز من جبل القردة ــ الذى عُرف باسمه ــ الى جهة الجزيرة الخضراء (١)، ومنها الى اشبيلية ومن ثمّ توجه الى ماردة ، ثمّ كان اللقاء بطارق (٢) .

ولقد واجه موسى مقاومة صعبة في المناطق التي سلكها في فتوحاته ، حيث ذُكر انه واجه مقاومة قوية في اشبيلية (٣)، ثم تقدم الى ماردة ، ولقد استعصى عليه فتحها لعدة أشهر (٤) ، حتّى ان احد المصادر ذكر ان موسى استعمل الدبابة لأول مرة في الحصار لاختراق الاسوار المحصنة لماردة (٥) ، وفي تلك الحال الذى هو عليها جاءته الأخبار من الذين نجوا

---

(١) انظر قول الرازى في (الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٨ . وقد وردت فيه رواية لابن حبيب لم تجزم بالمكان الذى عبر منه موسى فقد ذكرت الرواية بأنه قيل أن عبور موسى كان من تونس ، وكما انه قيل ان العبور كان من جبل القردة المعروف باسم موسى والواقع بالقرب من سبتة ، انظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ وانظر ابن القوطية ، ص ٩؛ فقد أيّد ان عبورموسى كان من مرسى بسبته ، وانظر المصدر نفسه ، ص ٤ حيث وردت الاشارة الى ان عبور موسى كان من المغرب وليس من تونس، عندما التقى باولاد غيطشه ؛ وانظر (المقّرى)، نفح ، جا، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٦ ــ ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤، ص ٥٦٥ـ٥٦٥ وذكر انه بعد الخضراء اتجه نحو قرمونة ؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ١٥ـ١٦ ؛ انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح، جا، ص ٢٦٩ ــ ٢٧٠ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٦ ؛ ابن الأثير ، ج٤، ص ٥٦٤ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٤ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح ، جا، ص ٢٦٩ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٧ ؛ ابن الأثير ، ج٤، ص ٥٦٤ـ٥٦٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٤ـ١٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، جا، ص ٢٧٠ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٨ . الدبابة : آلة عسكرية كانت تستخدم لنقب الأسوار، الغاية منها حماية الجند المكلفين باحداث ثغرة في الدفاعات الحصينة للأعداء خلال فترة الحصار، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة للهجرة في حصارالطائف : ابن اسحاق ، ق:٢، جا ، ج٢، ص ٤٨٣ ، علما أن الدبابة كانت تصنع من مواد خشبية قوية مغطاة بالجلود .

من اشبيلية من جنده الذين ابقاهم فيها كحامية تحافظ على الفتح وعلى خطوط المواصلات ، بأن مجموعات من باجة ولبلة قد انضمّت الى اشبيلية وقاموا بقتل ما يقارب ثمانين رجلا من قواته التي خلّفها فيها ، فصبر حتى انتهى من أمر ماردة ، حيث تمكن من السيطرة عليها ، عند ذلك قام بارسال قوات من جيشه بقيادة ابنه عبد العزيز لاخضاع اشبيلية ، فكان له ما اراد (١) .

ومما سبق يلاحظ أن هناك مقاومة شديدة كانت تواجه القوات الاسلامية ، ليست فقط قوات طارق وحدها ، بل وقوات موسى التي كان يقودها بنفسه ، اذ أنه ما ان ابتعد موسى عن اشبيلية ، حتى انتفض أهل اشبيلية مع القوات الجديدة التي جاءتهم من مناطق مجاورة (٢) ، ولو أُمعن النظر فيما سبق ، وَطُبّق ذلك على وضع طارق ، اذن لَتُوصّل الى الحقيقة التالية : أن طارقا قد أصبح في مأزق سواء بسبب تقدمه وتوغله في أرض شبه جزيرة ايبيريا ، او حتى انه لو بقي بدون تحرّك ، لواجه حربا في المناطق التي سيطر عليها ولوصلت الى أعدائه نجدات من مختلف انحاء شبه جزيرة ايبيريا ، ولهذا يجب اعتبار عبور موسى بمثابة ضرورة عسكرية مُلّحة اقتضاها الموقف ، حيث طبيعة شبه الجزيرة الايبيرية الواسعة والصعبة المسالك ، والمُغايرة لمناخ المناطق التي انطلق منها الفاتحون، هذا من جهة ، وقلة قوات طارق بالنسبة لاتساع ايبيريا من جهة اخرى.

سبق وأن تبين أن فتح الأندلس كان نتيجة لخطة مدروسة (٣) ، وان موسى نفسه كان على اطلاع مستمر بمجريات الاحداث ومستجداتها (٤) ، ولهذا أستطيع القول أن عبوره كان بسبب الاوضاع العسكرية في الأندلس والمقاومة الصعبة التي واجهها المسلمون فيها ولهذا

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ٥٠ – ٥٢ ، ٥٧ .

(٤) ومثال ذلك كتاب طارق الى موسى قبل وقعة شذونة يطلب النجدة ويعرّفه ما وصل اليه الفتح . انظر اخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٢ . وكذلك كتاب طارق بعد وقعة شذونة عندما استغاث بموسى . انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ؛ وانظر ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٤٠٤ .

أستطيع دفع قول من قال من المؤرخين بأن عبور موسى كان نتيجة لرغبته في المساهمة في اعمال الفتح [(١)]، أو كان نتيجة لما جرى في نفسه من حسد لطارق وما حققه من انجازات [(٢)]، ولا أرى أن طارقا قد تجاوز منطقة قد حُددّت حسب ما زعمته بعض المصادر [(٣)]، بل ان تقدم موسى كان نتيجة حتمية اقتضتها طبيعة المعركة العسكرية السياسية اذ أنه لم يكن يريد أن يترك للقوط أية فرصة لأخذ أنفاسهم للاجتماع والمشاورة واختيار حاكم جديد لهم، يجمع قواهم حوله لمواجهة الخطر الداهم، وفعل موسى هذا يخفف وطء المقاومة القوطية، وَيُضعف من روحها المعنوية، اذ أن عبور قوات جديدة تبقي كل منطقة تقاتل بمفردها الا ما قد يأتيها من مساعدات اقليمية محدودة من بعض المتحمسين، كما حدث في اشبيلية [(٤)].

---

(١) ابن الأثير، ج٤، ص٥٦٤؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص١١٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص١٣؛ ابن أبي دينار، ص٣٦-٣٧.

(٢) انظر ابن حبيب، م:٥، ص٢٢٣ فقد ذكر أن سبب العبور كان الغضب الشديد على طارق؛ وانظر اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٨٥. فقد ذكر أن موسى لحق طارقا بسبب بعض الأخبار التي وردت عليه وكان غاضبا على طارق؛ وانظر ابن القوطية، ص ٩؛ وانظر اخبار مجموعة، ص٦، فقد ذكر ان موسى نتيجة حسده طارقا لم يسلك الطريق الذي سلكه؛ وانظر الحميدى، ص٣-٤؛ وانظر قول ابن حبيب في الادريسي، نبذة، ص١٩٤؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص٤٩، وزعم ان موسى حسد طارقا على وصوله الى شمال ايبيريا مما دفعه الى العبور اليها؛ وانظر ابن عذاري، ج٢، ص١٣، فقد ضعّف القول ان موسى اجتاز الى الاندلس بسبب حسده طارقا وذلك بقوله وقيل، وانظر ابن خلدون م:٤ ق:٢، ص٢٥٤؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقرى)، نفح، ج١، ص ٢٦٩؛ وانظر الناصرى، ج١، ص٩٨.

(٣) انظر أخبار مجموعة، ص١٨ فقد ورد فيه أن موسى أنبّ طارقا على مخالفته رأيه؛ وانظر الادريسي، نبذة، ص١٩٢ قال ان موسى أخذ على طارق امعانه وتوغله بدون امره؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص١٢١ حيث ذكر ان موسى عاتب طارقا على التوغل بدون اذنه؛ وانظر قول ابن القطّان في (ابن عذارى)، ج٢، ص١٣. "وقيل انما حمله (موسى) على الجواز للاندلس تعدّى طارق ما أمره به، الا يتعدّى قرطبة على قول، أو موضع هزيمة لذريق على قول". ردّ هذا القول هو تضعيف المؤلف نفسه لهذا الرأى، وكذلك ليس من المعقول أو الامر السليم أن يبقى حيث انتصر فانه بهذا سيوفر للاعداء فرصة الاجتماع والتشاور والعودة لقتاله.

(٤) أخبار مجموعة، ص١٨؛ ابن الأثير، ج٤، ص٥٦٥؛ ابن عذارى، ج٢، ص١٥؛ قال ابن حيّان في (المقرى)، نفح، ج١، ص٢٧١.

ومن الجدير بالملاحظة أن موسى كان يُعدّ السفن منذ عبور طارق الى الأندلس لاستعمالها وقت اللزوم (١)، وهذا يبيّن أن موسى كان في مخططه ومنذ البداية، العبور الى الأندلس وارسال قوات أخرى لدعم قوات طارق، لتثبيت الفتح اذ استطيع القول أنه ومنذ أن كانت المشاورات بين موسى والخليفة الوليد حول فتح الاندلس (٢)، كان واضحا في ذهن موسى عملية الفتح ومتطلباتها، وأنه كان قد أعدّ لكل مرحلة احتياجاتها، كانت هناك السرايا (٣)، ومن ثم عبور طارق (٤)، ومن ثمّ عبور مروان بن موسى (٥)، واخيرا وصول موسى بنفسه الى الأندلس (٦).

وأما بالنسبة لما أوردته المصادر من اخبار حول تاريخ عبور موسى الى الأندلس وتاريخ لقائه بطارق فقد جاءت متباينة أشدّ التباين، فأحد هذه الآراء قال أن عبور موسى كان في شهر رجب من عام ٩٣هـ (٧)، أي بمعنى ان العبور كان في الشهر السابع من سنة ٩٣ هـ، وأمّا الرأي الثاني فقد قال: أن دخول موسى الأندلس كان في شهر رمضان

---

(١) أخبار مجموعة، ص ٧؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٥٨ فقد جاء عنده أن موسى أوصى على بناء ١٠٠ سفينة؛ وانظر المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٧.

(٢) اخبار مجموعة، ص ٥-٦؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٥؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٥.

(٣) اخبار مجموعة، ص ٦؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٥-٤٦؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦١؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٣؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤؛ الحميري، ص ٨؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٥٣؛ ابن ابي دينار، ص ٣٦.

(٤) العصفري، ق:١، ص ٤٠٤؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٠-١٢١؛ ابن القوطية، ص ٨؛ اخبار مجموعة، ص ٦؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٤٦؛ وانظر ف ٢، من هذه الدراسة، ص ٥٧.

(٥) ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٧) انظر ابن حبيب، م:٥، ص ٢٣١؛ وانظر الطبري، ج ٦، ص ٤٨١؛ الحميدى، ص ٤؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ١٩٤. وذكر أن تحرك موسى من افريقية كان في رجب في حين انه وصل الى الاندلس في شهر رمضان أى ان مسافة الطريق من تونس عبر المغرب الى سواحل الاندلس الجنوبية استغرقت شهرين تقريبا؛ وانظر ابن الأثير، ج٤، ص ٥٧٦، وذكر أن الطبرى قال ان موسى سار لفتح الاندلس في رجب؛ المرّاكشي، ص ٣٤؛ وانظر القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢؛ وانظر قول الرازى في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧٧.

من السنة الثالثة والتسعين للهجرة (١) ، بمعنى أن العبور كان في الشهر التاسع ، بينما ذكر الرأى الثالث أن ذلك تمّ في شهر جمادى الأولى من السنة الهجرية السابقة نفسها (٢) ، ـ يعني الشهر الخامس ـ ، في حين أن الرأى الرابع كان يرى ان تحرك موسى كان في شهر محرّم من عام ٩٢ هـ (٣) ، وهناك الرأى الخامس قال ان عبور موسى كان في شهر صفر من سنة ٩٣ هـ (٤) .

ومما سبق يلاحظ ان جميع الآراء (٥) السابقة جعلت عبور موسى في سنة ٩٣هـ ، وعودة سريعة الى عبور طارق الذى قلت انه من المرجح أن عبوره كان في شهر شعبان من سنة ٩٢ هـ (٦) ، أى في الشهر الثامن من عام ٩٢هـ، في حين أن معركة كورة شذونة كانت في اوائل شهر شوال من السنة نفسها (٧) ، أى في الشهر العاشر الهجرى ، ومع ذلك ان المطاردات والمعارك استمرت في الكورة نفسها (٨) ، وبعد ذلك توجه طارق الى استجة ، ولقد مرّ انه قام بمحاصرتها لعدة أشهر حتى تمكن من فتحها (٩) ، فيمكنني تقدير الزمن الذى كان فيه طارق على ابواب طليطلة ، أنه كان بداية سنة ٩٣ هـ تقريبا ، سواء كان قريبا

---

(١) اخبار مجموعة ، ص ١٥ ؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٤ فقد ذكر ان موسى وصل الى الاندلس في رمضان ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ قال صاحب كتاب مختصر تاريخ الطبرى في (ابن الشبّاط) ، م:١٤ ، ص ١١٧ وذكر أن موسى حلّ بساحل الأندلس في رمضان من سنة ٩٣هـ ، ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٣ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٥١ .

(٣) العصفرى ، ق:١ ، ص ٤٠٦ (عوانة) ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٢ (قيل) .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ .

(٥) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٣١ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ؛ العصفرى ، ق:١ ، ص ٤٠٦ ؛ الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ الحُميدى ، ص ٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٢ ، ١٩٤ ؛ الضبّي ، ص ٨ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٥١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ، ٥٧٦ ؛ ابن الشبّاط ، م :١٤ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٣ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ .

(٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ٧٦ رقم (٥) ، ص ٧٨ .

(٧) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٢–٥٦٣ ؛ ابن الأبّار ، الحلة ، ج٢ ، ص ٣٣٢ ؛ ابن الشبّاط ، م :١٤ ، ص ١٠٧ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨ ؛ الحميرى ، ص ١٦٩–١٧٠ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

(٨) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ٨٣ – ٨٦ .

(٩) ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٣ .

أو محاصرا أو متوجها الى طليطلة ، نظرا لمسافة الطريق ، اذ لو ان الحصار كان ثلاثة أشهر، وان وصول طارق الى استجة كان في اواخر شهر شوال ، لكان طارق على أبواب طليطلة في شهر صفر، اذا ما أُخذ بعين الاعتبار حصار استجة ومسافة الطريق بين استجة وطليطلة ، وما قد تكون واجهته قواته من مقاومة في الطريق.

ولو أُعتبر أنّ طلب الاستغاثة الذى وجهه طارق الى موسى (١) ، كان خلال حصار استجة أو بعد الانتهاء من الحصار لأمكن القول ان تحرك موسى كان في شهر محرم من سنة ٩٣ هـ ، من بداية تحركه من تونس وحتى حل بساحل الأندلس ، كان ذلك في شهر صفر، نظرا لما قاله ابن حبيب في الادريسي ، من أن مسافة ما بين تونس وساحل الأندلس مرورا بالمغرب استغرقت حوالي شهرين (٢)، ولكن التاريخ الذى ذكره كان بين شهرَي رجب ورمضان، وحتى لو انه لم يدم حصار استجة اشهرا ، واحتاج فتحها شهرا فقط ـ أى من اواخر شهر شوّال الى اواخر شهر ذى القعدة وهو الشهر الحادى عشر من اشهر السنة الهجرية ٩٢هـ ـ لأمكن القول ان طارقا كان بحاجة الى فترة تقارب الشهر حتى يصل طليطلة مستثنى منه ما قد يواجهه من الأعداء في الطريق ، ومن صعوبة منطقة طليطلة ، وبذلك استطيع أن اخلص الى القول أنّ طارقا كان قريبا من طليطلة في بداية سنة ٩٣هـ ، ونظرا لما أخذت به من أن طارقا قام بالاستغاثة بموسى من استجة (٣) ، وأن الأخير لبّى ذلك فورا باصدار أوامره الى ولده مروان الموجود في طنجة (٤) ، بالتحرك فورا الى الأندلس ، وانه قد سبق والده اليها (٥) ، ولم يكتف موسى بذلك بل هو الآخر سارع الى العبور (٦) ، لذلك كلّه يمكنني ترجيح الرأى الذى قال أن عبور موسى كان في شهر صفر من سنة ٩٣هـ (٧) ، نظرا لحاجة المسلمين في الأندلس الى وجوده والى عبور قوات جديدة تعوّض الخسائر التي لحقت بهم في معارك شذونة واستجة ، وما اقتضته عملية الفتح من ارسال قوات الى بعض المناطق الجنوبية في الأندلس (٨) ، ومن الجدير بالذكر أن موسى منذ أن بعث طارقا ، كان يُعدّ سفنا حيث انه

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.   (٢) انظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٤.

(٣) انظر هذه الدراسة ف ٢ ، ص ٩٠.

(٤) الضبّي ، ص ٨.   (٥) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.

(٦) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.   (٧) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.

(٨) أخبار مجموعة ، ص ١٠ ؛ ابن الأثير، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩-١٠ ؛ ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج١ ، ص ١٧ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦١.

طلب اعداد مائة سفينة (١) ، وهذا يعني أنه سيتوجه الى الأندلس في فترة من فترات الفتح ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان المصدر الذى وردت فيه الرواية التي تقول ان عبور موسى كان في صفر ، كان من أقرب المؤرخين الى فترة الأحداث ، اذ أنه عاش في القرن الثالث الهجرى (٢) .

وعودة الى القول الذى جعل اللقاء الذى تمّ بين موسى وأبناء غيطشة ، خلال توجه موسى الى الأندلس ، في الأراضي المغربية ، في أعقاب هزيمة القوط في معركة شذونة والتي تقرر فيها نهاية وجود لذريق (٣) ، والتي كانت في شهر شوال من عام ٩٢هـ (٤) ، لهذا السبب ولطبيعة الأوضاع في الأندلس وما واجهته قوات طارق من صعوبات ، وما كانت عليه من قلة عدد (٥) ، ونظرا للمقاومة التي ابدتها بعض المدن القوطية (٦) ، استطيع القول أنّ عبور موسى الى الأندلس كان في الربع الأول من سنة ٩٣هـ (٧) ، ولم يكن في الربع الثالث

---

(١) انظر ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٥٨ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ٧ ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٥٧ .

(٢) فقد توفي ابن قتيبة في شهر رجب من عام ٢٧٦ هـ : انظر ابن الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص ١٧١ ؛ انظر ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج٣ ، ط٢ ، ص ٣٥٨ ؛ وانظر الزركلي ، ج٤ ، ص ١٣٧ ، وانظر نجم ، محمد ، كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ـ من هو مؤلفه ؟ ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، م:١٤ ، ١٩٦١م ، ص ١٣٢ فقد بين ان كتاب الامامة والسياسة منسوب الى ابن قتيبة ، وانه لمؤلف مجهول عاش في الفترة نفسها تقريبا ؛ وانظر خليل ، سعيد صالح موسى ، الامامة والسياسة لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى ، ق:١ ، سنة ١٩٧٨م (ر ، ج) ، ص ٣٧ ، فقد اعتقد ان سنة وفاة المؤلف كانت قُبيل منتصف القرن الثالث الهجرى .

(٣) ابن القوطية ، ص ٤ ؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

(٤) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٢-٥٦٣ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٣٣ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٧ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨ ؛ الحميرى ، ص ١٦٩-١٧٠ ؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٥٩ .

(٥) حيث كانت قواته ١٢٠٠٠ مقاتل غير المتطوعة ، انظر ابن الكردبوس ، م:١٤ ، ص ٤٦ ؛ وانظر الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٦٨ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٠٦ ؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٥٤ ؛ ابن ابي دينار ، ص ٣٦ .

(٦) ومثال ذلك مدينة استجة : انظر أخبار مجموعة ، ص ٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨-٩ ؛ قال الرازى في (المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٠ .

(٧) انظر المصادر التالية فقد ذكرت ان عبور موسى كان في شهر محرم : العصفرى ، ق:١ ، ص ٤٠٦ (عوانة) ؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٧٢ (قيل) ، وذكر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ان العبور كان في شهر صفر ، وشهرى محرم وصفر مع شهر ربيع الاول تشكل الربع الاول من السنة الهجرية .

من السنة نفسها كما ذكرت بعض المصادر [(١)] ، نظرا للحاجة الماسّة لوجوده وقواته لمواصلة الفتح .

وأرى أن موسى التقى بطارق في الربع الأخير من سنة ٩٣هـ وليس في الربع الأخير من سنة ٩٤هـ، كما ذكرت بعض المصادر ـ حيث قالت ان موسى تحرك باتجاه طليطلة في أواخر شهر شوّال [(٢)] ـ، لأنّ ذلك يعني أن فترة فتوحات موسى قبل أن يصل الى المنطقة التي التقى فيها طارقا قد استغرقت سنة كاملة وبعضا من السنة الثانية ، على أساس أن الأخبار التي وردت في بعض المصادر ذكرت ان موسى عبر الى الاندلس في شهر رجب [(٣)] ، او رمضان من عام ٩٣هـ [(٤)] ، وكذلك لأن عبور موسى كان امرا ضروريا اقتضته طبيعة الفتح الاسلامي ، وما واجهه طارق من صعوبات ، وما يتطلّبه الموقف من امدادات وزيادة في عدد القوات .

ومن الأمور التي تؤخذ على هذه الأخبار أنها جعلت ان فتوحات موسى واجهت مقاومة أشدّ من المقاومة التي واجهت فتوحات طارق وبالتالي فان موسى لم يصل الى منطقة طليطلة الاّ بعد عام ونيف تقريبا من ابتداء عملياته في الأندلس [(٥)] ، فلا يمكنني أخذ هذه الأقوال بحذافيرها ، بل استطيع القول أن شهر شوّال من سنة ٩٤هـ الذى أشارت اليه

---

(١) الطبرى، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ أخبار مجموعة ، ص ١٥ ؛ الحميدى، ص ٤ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ الضبّي ، ص ٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤، ٥٧٦ ؛ المرّاكشي ، ص ٢٤ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ١٣ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ المقرى، نفح، ج١ ، ص ٢٦٩، ٢٧٧ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ١٤ـ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٣) الطبرى، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ الحميدى، ص ٤ ؛ الضبّي ، ص ٨ ؛ الطبرى في (ابن الأثير) ، ج ٤ ، ص ٥٧٦ ؛ المرّاكشي ، ص ٢٤ ؛ القلقشندى، صبح ، ج٤ ، ص ٢٤٢ ؛ قال الرازى في (المقرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٧ .

(٤) قال ابن حبيب في الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ، وهو رأيه ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ١٣ ؛ قال ابن حيّان في (المقرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى، ج٢ ، ص ١٤ـ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقرى) ، نفح، ج١ ، ص ٢٧١ .

بعض المصادر على أنه بداية تحرك موسى نحو طليطلة (١) ، ما هو الا شهر شوّال من سنة ٩٣ هـ ، اذا ما أخذ بعين الاعتبار ان عبور موسى كان في الربع الاول من سنة ٩٣هـ (٢) ، والقول بأن محاصرته اشبيلية وماردة قد استمرّت لعدة شهور لكل منهما (٣) .

وهذا يتفق مع القول على انه تحرك من ماردة باتجاه طليطلة في اواخر شهر شوّال (٤) ، ولكنني ارى ان شهر شوّال هو شهر شوّال من عام ٩٣ هـ ، على اعتبار أن عبور موسى كان في شهر صفر من عام ٩٣ هـ (٥) ، ويؤيد ما ملت الى القول به ، وورود رواية عند الادريسي وعند ابن الشبّاط تؤكد ان موسى قد كان في طليطلة في شهر ذى الحجة من عام ٩٣ هـ ، وأنه ضحّى بها (٦) ، وبمعنى آخر انه كان بطليطلة في الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية اذ أن الأضحية عند المسلمين تكون في أيّام عيد الأضحى المبارك الذى يكون في العاشر من ذى الحجة من كل عام .

واستطيع تقدير الزمن الذى كان فيه لقاء طارق وموسى أنه كان في شهرذىالقعدة من عام ٩٣ هـ ، نظرا لتحرك موسى من ماردة الذى بدأ في أواخر الشهر العاشر ، وهو شهر شوّال (٧) ، من العام نفسه ، وحتّى تمكن موسى من الوصول الى المكان الذى التقى فيه طارقا أستطيع القول أن اللقاء كان في شهر ذى القعدة من عام ٩٣ هـ .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤-١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٢) انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ؛ العصفرى ، ق:١ ، ص ٤٠٦ ؛ المقّرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ؛ وانظر الصفحة السابقة .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٦ ، ١٧ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ، ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤-١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤-١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٥) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ .

(٦) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢١ .

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤- ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

ومما أدعم به الرأى الذى ارتأيته ، كون عبور موسى كان لاستنجاد طارق به ، اذ لا يُعقل أن يبقى موسى فترة سنة وبعض الشهور من سنة ثانية يحاصر مدنا ، ولا يتقدم لِما هو أهمّ وهو تثبيت الوجود الاسلامي في منطقة طليطلة بالقضاء على القوات المعادية التي انسحبت وأخذت تتجمع في الجبال القريبة من طليطلة (٢) ، والتي لم يستطع بسببها طارق العودة الى طليطلة (٣) ، اذ انه من غير المعقول ان يظلّ موسى من شهر رمضان عام ٩٣ هـ (٤) ، الى شهر شوّال من عام ٩٤ هـ (٥) في المنطقة الممتدة من اشبيلية الى ماردة ، طيلة هذه الفترة الطويلة جدا بالنسبة لما حققه طارق . (١)

<u>مكان اللقاء:</u>

وامّا بالنسبة للمكان الذى التقى فيه موسى بطارق ، فقد جاءت المعلومات التي تدور حوله في المصادر مختلفة ، فمصادر تقول ان اللقاء كان في قرطبة (٦) ، واخرى تقول

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤٠٤ .

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ١٤ ؛ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ـ ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٢ ؛ الحميرى ، ص ١٣٤ـ ١٣٥ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ـ ٢٦٥ . فقد ورد فيها ما يفهم منه ، من أن القوات التي اضطرت للخروج من طليطلة قامت بالتحصن في المناطق التي خلف الجبال المحيطة بطليطلة ، مما حدا بطارق اللّحاق بهم فورا ، وبدأ بالتوجه الى وادي الحجارة والمائدة والمدينة التي أُشير اليها بانها قد تحصنت فيها بعض القوات القوطية ، وهذه الاشارات تبين ان طارقا اندفع خلفهم لمطاردتهم وعدم تمكينهم من جمع شتاتهم .

(٣) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٥ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٣ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٦ ، ١٧ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٤ـ١٥ ؛ قال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٨٥ ؛ قال الواقدى في (الطبرى) ، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ وانظر الحميدى ، ص ٤ فقد ورد فيه ما يفهم منه ان اللقاء كان بقرطبة ؛ وانظر المرّاكشي ، ص ٣٤ . فقد ذكر ان موسى توعدّ طارقا ان هو تجاوز قرطبة ؛ وانظر ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٦ (الطبرى) ؛ وقد جاء عند ابن الأبّار ان طارقا وبعد دخوله طليطلة ، كتب الى موسى يعرّفه أخبار الفتح ، فما كان من موسى الا ان أمر طارقا بعدم تجاوز قرطبة . انظر ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٢٤ . وهذا القول فيه تناقض اذ كيف لموسى ان يطلب من طارق عدم تجاوز قرطبة مع ان طارقا وقواته قد تجاوزوا طليطلة .

ان اللقاء كان في طليطلة (١) ، وخص بعضها الآخر المكان أكثر عندما بيّن ان اللقاء قد جرى على مقربة من طليطلة ، عندما توجه موسى اليها من ماردة فخرج طارق للقائه فتمّ اللقاء على مقربة منها ثم رجعا اليها (٢) ، وثالثة تقول ان اللقاء كان في كورة طلبيرة (٣) ، في حين ان الادريسي ذكر بان موسى "سار حتى انتهى الى طليطلة فلما بلغ وادى المعرض اعترض جيوشه فسمّي الوادى بذلك فعرف من معه فلما قرب من طليطلة خرج اليه طارق بن زياد .. ووبخه على استبداده عليه وانما كان أمره ان لا يمعن فاعتذر طارق اليه .." (٤) .

وامّا صاحب كتاب أخبار مجموعة فلقد ذكر انه بلغ طارقا تقدم موسى باتجاه طليطلة ، فخرج لاستقباله فلقيه بكورة طلبيرة بموضع يقال له (باند) ولكن موسى وضع على رأس طارق السوط وانّبه على مخالفة رأيه (٥) .

وعودة الى المكان الذى اختلفت المصادر حوله ، والذى التقى فيه موسى بطارق ، فامّا بالنسبة للقول الذى جعل قرطبة مكان اللقاء (٦) ، فهذا القول ردّته بعض المصادر وضعفته ، فمنها من ذكر انه (يقال) (٧) ، بمعنى انها ضعفت مثل هذا القول ، هذا من ناحية ،

---

(١) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ ، وقال ان الكثير من المؤرخين قد اتفقوا على أن اللقاء قد تم على طليطلة .

(٢) ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢١ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ويفهم من كلامه ان اللقاء كان على مقربة من طليطلة حيث ذكر ان موسى وطارقا سارا الى طليطلة بعد اللقاء ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ فقد ورد فيه رأى يفيد هذا المعنى مثل ابن الأثير .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ، ١٩ ؛ وانظر قول الرازى في (ابن عذارى) ، ج٢ ، ص ١٦ حيث ذكر أن طارقا خرج من طليطلة عندما بلغه تحرك موسى اليه فلقيه على مقربة من طلبيرة ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ وذكر ان موسى سار ومعه طارق الى طليطلة . تعريف طلبيرة : طلبيرة من المدن التابعة لطليطلة ، انظر ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ ؛ وانظر الادريسي ، صفة ، ص ١٨٧ ؛ وانظر ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٧- ٣٨ وتقع على نهر تاجه ، وتبعد عن طليطلة سبعون ميلا . انظر ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٧ ؛ الحميرى ، ص ١٢٨ .

(٤) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٨ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٨٥ ؛ قال الواقدى في (الطبرى) ، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ وانظر الحميدي ، ص ٤ ؛ المرّاكشي ، ص ٣٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ . (الطبرى) .

(٧) انظر الضبّي ، ص ٩ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ، حيث ذكر بانه قيل ان موسى وجد طارقا بقرطبة مع انه رجح ان طارقا كان بطليطلة وقال بأن هذا هو رأي الغالبية .

ومن ناحية أخرى معارضة هذا القول لمعظم روايات المصادر التي تحدثت حول الفتح الاسلامي للأندلس (١)، والتي ورد فيها ان طارقا توجه الى طليطلة لفتحها، فتمكن من ذلك، وان موسى نزل واتجه باتجاه اشبيلية ثم ماردة ومن ثمّ تقدّم باتجاه طليطلة (٢)، وان موسى التقى بطارق ثم سار معه الى طليطلة (٣).

ومن الممكن أن الخطأ الذى وقعت فيه الروايات، التي جعلت مكان اللقاء بين موسى وطارق قرطبة، قد التبس عليها الأمر اذ خلطت بين عودة موسى في عام ٩٤هـ الى قرطبة، وارساله طارقا الى طليطلة (٤) - التي يعتقد أنها كانت بعد حلول فصل الشتاء الذى لا تتحرك فيه القوات فعاد موسى يرتب الأمور حتى ينقضي فصل الشتاء البارد، وقد كان توجيهه طارقا لطليطلة للبقاء فيها للحفاظ على انجازات الفتح، استعدادا للجولات القادمة لمتابعة مسيرة الفتح، التي كان يهدف من ورائها الى فتح كل أنحاء شبه جزيرة ايبيريا - وبين لقاء موسى وطارق وقت الفتح في المنطقة الوسطى من الاندلس في منطقة طلبيرة (٥)، فقالت تلك الروايات ان موسى قد التقى بطارق في قرطبة ثمّ وجّهه الى طليطلة ليفتتحها (٦)، فمن هنا جاء الالتباس الذى وقع فيه بعض المؤرخين حول مكان

---

(١) أخبار مجموعة، ص ١٤؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩١؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٤؛ ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ٣٣٤؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٢؛ الحميرى، ص ١٣٤-١٣٥؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) اخبار مجموعة، ص ١٦ - ١٨؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٤ - ٥٦٥؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٦؛ قال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٣) أخبار مجموعة، ص ١٨؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩٣-١٩٤؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢١؛ قال الرازى في (ابن عذارى)، ج٢، ص ١٦؛ قال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧١.

(٤) انظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٢ فقد ذكر انه بعد العتاب بين موسى وطارق، طلب موسى من طارق ان يواصل عملياته بينما عاد موسى الى قرطبة فمضىّ بها سنة ٩٤ هـ. والمقصود هنا أن ذلك كان بعد أن ضحّ موسى بطليطلة عام ٩٣هـ، أى أن عودة موسى الى قرطبة كانت بعد عمليات وفتوحات عام ٩٤ هـ. انظر بالنسبة للتفحية المصدر نفسه، م:١٤، ص ١٢١؛ وانظر الادريسي، نبذة، ص ١٩٤، ٢٠٤.

(٥) أخبار مجموعة، ص ١٨؛ قال الرازى في (ابن عذارى)، ج٢، ص ١٦؛ قال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٨١.

(٦) انظر قول الواقدى في (الطبرى)، ج٦، ص ٤٨١.

لقاء موسى بطارق وظنّهم ان ذلك كان في قرطبة (١) .

وامّا بالنسبة للرأى الذى ذكر ان مكان اللقاء هو طليطلة (٢) ، فيؤخذ عليه ان طليطلة واسعة فهل هي العاصمة المدينة ؟ أم ان اللقاء كان في اقليم طليطلة وفي مكان قريب من العاصمة ؟، فقامت بعض المصادر بنسبة اللقاء الى لفظ طليطلة العاصمة على اعتبار أن اللقاء كان في منطقتها ، علما بأن شبه الجزيرة الايبيرية كانت مقسمة الى ستة أجزاء من ضمنها القسم الرابع وعاصمته طليطلة العاصمة (٣) .

وكما ان قول بعض المصادر بان اللقاء كان على مقربة من طليطلة ، وان طارقا خرج لاستقبال موسى فيه (٤) ، ان في هذا القول لاشارة الى أن اللقاء لم يتمّ في المدينة نفسها ، بل كان في المكان الذى خرج اليه طارق والتقى فيه بموسى ، ويجب ان لا يُنسى ان طليطلة لم تكن في قبضة طارق حسب ما أشارت به بعض المصادر (٥) ، وكما ان بعض المصادر الاخرى ذكرت ان اللقاء كان بكورة طلبيرة - أى في منطقتها - (٦) ، علما أن طلبيرة نفسها كانت من أعمال طليطلة (٧) ، وكذلك بسبب ذكر أحد المصادر ان موسى قام باستعراض قواته في وادى المعرض قُبيل وصول طارق (٨) ، وذكر مصدر آخر أن اللقاء كان في (باسد) (٩) ، ولذلك أستطيع أن أخلص الى القول بان اللقاء كان في ولاية طليطلة ، في أحد الأماكن التابعة لاحدى المناطق التابعة لها ، وهي منطقة طلبيرة في منطقة (باسد) والتي تقع بين طليطلة وطلبيرة ، والتي هي أقرب لطلبيرة منها الى طليطلة ، ويتضح ذلك من خلال

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٨٥ ؛ قال الواقدى في (الطبرى) ، ج٦ ، ص ٤٨١ ؛ وانظر الحميدى ، ص ٤ ؛ وانظر المرّاكشي ، ص ٣٤ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ (الطبرى) .

(٢) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ (رأى كثير من المؤرخين) .

(٣) البكرى ، جغرافية ، ص ٥٩ ، ٦٢-٦٣ .

(٤) ابن الشبّاط ، م: ١٤ ، ص ١٢١ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٤-١٥ ؛ أنظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .

(٦) أخبار مجموعة ، ص ١٨-١٩ ؛ قال الرازى في (ابن عذارى) ، ج٢ ، ص ١٦ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٧) ابن غالب ، م: ١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ ؛ وانظر الادريسي ، صفة ، ص ١٨٧ ؛ ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٧-٣٨ ؛ ابن سعيد ، المُغرب ، الكتاب ، ج٢ ، ص ٧ .

(٨) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣ .

(٩) اخبار مجموعة ، ص ١٨ .

قول أحد المصادر أن منطقة (ماسد) التي تمّ بها اللقاء كانت تابعة لطليرة (١) ، ولا بدّ من عودة الى وضع طارق الذى كان قد أصبح خارج طليطلة بعد أن تمردت عليه وظل يقاتل في مناطق متعددة من المناطق المجاورة لها ، نظرا لحصانتها (٢) ، ففي هذا الوضع تقدم موسى باتجاه طليطلة وعندما وصل تلك المنطقة توقع مواجهة بينه وبين تجمعات من القوات القوطية ستقع في منطقة وعرة ، فأرسل الى طارق أن يحضر اليه لكي تجتمع كلتا القوتين معا ليشتركا في معركة حاسمة ضد تلك التجمعات ، وقد ورد أن طارقا عندما بلغه أمر تقدم موسى توجه للقائه (٣) ، وهنا كلمة بلغ تشير الى أنه قد وصله بلاغ من موسى بذلك ، فالمراسلة كانت أمرا طبيعيا بينهما ، اذ لا بدّ من أن موسى كان قد أرسل يخبر طارقا بتحركاته ووجهته ومكان اللقاء.

وقد ذكر الادريسي ان موسى قام باستعراض قواته قبل أن يصله طارق في وادي المعرض ، فتعرّف على من معه (٤) ، فالسؤال الذى يُطرح هنا لِم قام موسى باستعراض قواته ؟ وبالذات في تلك المنطقة ، وهل كان موسى لا يعرف قواته حتى يستعرضها في ذلك المكان ليتعرف عليها ؟! ، قد يكون الهدف الذى رمى اليه موسى من هذا الاستعراض هو تفقد الجند وما لحق بهم من خسائر ومعرفة مدى استعدادهم ، وبث روح القتال عندهم ليكونوا على اهبة الاستعداد للجولات القادمة ، وكما ان السؤال الذى يفرض نفسه هنا : لِمَ لم ينتظر طارق حتى يقدم موسى عليه ؟ لِمَ ولماذا كلف طارق نفسه وقواته عناء السفر لمسافة عشرات الكيلومترات ؟ هل كان ذلك الخروج فقط لمجرّد استقبال وتعظيم القائد موسى بن نصير كما توحي بعض المصادر؟ (٥) .

لا أرى بأيّ وجه من الوجوه ان خروج طارق كان فقط لمجردّ استقبال موسى ، علما أن طارقا لم يكن في طليطلة بل كان في منطقة الجبال المجاورة لطليطلة في منطقة المدينة

---

(١) اخبار مجموعة ، ص ١٨.

(٢) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٤-٢٦٥ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ١٤ - ١٥.

(٣) اخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣.

(٤) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣.

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣.

المحصّنة ، اذ لم يستطع العودة اليها (١) ، وكما ان موسى أصبح هو الآخر معرضا للمخاطر لِما سيواجهه من قوات الأعداء ، وُيستشف ذلك من خلال قيامه باستعراض لقواته في وادى المعرض وقد تمّ ذلك قُبيل وصول طارق (٢) ، ممّا يدلّ على أن مواجهة ستقع بين موسى وبين قوات معادية في تلك المنطقة ، الأمر الذى تطلّب أن تجتمع قوات القائدين معا لمواجهة العدّو ، وحسم المعركة لصالح المسلمين ، اذ لو تمكنت تلك القوات من الحاق الهزيمة بقوات المسلمين مجتمعة ، لادّى ذلك الى تدمير القوات الاسلامية والتي ستكون بالتالي بداية هزائمهم واندحارهم عن الاندلس وتدمير خططهم .

وقد بيّن صاحب كتاب أخبار مجموعة مكان اللقاء بالتحديد ، حيث ذكر أن اللقاء تمّ في منطقة (باسد) (٣) ، وهذا المكان الذى التقى فيه القائدان كان بعد استعراض موسى لقواته في وادى المعرض ، ولقد قالت بعض الاراء (٤) ان قوات قوطية قد تجمعّت في طريق موسى في شعاب جبال سيرا دي فرانشيا (Sierra de Francia) الواقعة في شمال وادى آنة وأقامت تلك القوات تنتظر الفرصة للقضاء على قوات موسى (٥) ، وقد قيل ان تلك القوات كانت بقيادة لذريق حيث دارت رحى معركة عُرفت بالسواقي ، وتمّ قتل لذريق في تلك الموقعة (٦) ، علما بأنّني ملت الى القول بان لذريق قد انتهى أمره بعد المعارك التي خاضها طارق (٧) ، وان السواقي هي الاخرى كانت في منطقة شذونة (٨) . لذلك أرى أن معركة قوية قد حدثت في تلك المنطقة التي التقى فيها موسى طارقا ، اقتضت اجتماع القائدين موسى وطارق نظرا لاهميّة المكان ، من ناحية صعوبة المنطقة ووعورتها وربما لِعظم الحشود الموجودة فيها ، ولكي يتم القضاء على تلك القوات حتى يتمكن المسلمون من مواصلة الفتح بأقلّ الخسائر ، وبأقل وقت وجهد ، فكانت المعركة وكان النصر فيها حليفا للمسلمين .

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقّري) ، نفح ، ح١ ، ص ٢٦٤–٢٦٥ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ١٤ – ١٥ .

(٢) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٨ .

(٤) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣ .

(٥) انظر د. مؤنس ، فجر ، ص ٩٧ ؛ وانظر د. سالم ، تاريخ ، ص ٩٧ .

(٦) د. سالم ، تاريخ ، ص ٩٧–٩٩ .

(٧) انظر ف ٢ من هذه الدراسة ، ص ٨٧ – ٨٨ .

(٨) انظر د. العبادى ، نصان ، م: ١٤ ، ص ٣٢ ؛ فقد ذكر ان السواقي كانت في كورة شذونة .

مما سبق أخلص الى القول ان عبور موسى كان نتيجة لاستنجاد طارق به (١) ، وان خطة مدروسة ومعدّة كانت موجودة لفتح شبه الجزيرة الايبيريّة ، وان موسى كان يعدّ العدّة لكي يعبر ، ولكنّه كان ينتظر اللحظة المناسبة لذلك ، لتدعيم موقف طارق ، ولمواصلة الفتوحات معه (٢) ، كما كانت السرايا بداية استكشافية (٣) ، كانت حملة طارق مقدمة ، لعبور قوات أكبر تحت قيادة موسى شخصيا ، وقد سبق وأن بينّت ان تحرك طارق للقاء قائده كان نتيجة لظروف عسكرية ، اقتضت اجتماعهما ، لمواجهة الاخطار المحدقة (٤) ، وكما بينّت أن مراسلات كانت تجرى بين القائدين (٥) ، وان موسى كان على علم بعبور طارق وبتحركاته ، وكما ان الطريق الذى سلكه موسى في فتوحاته ، المُغاير لطريق طارق وكذلك وصول القائدين الى المنطقة الوسطى من الاندلس المتمثلة في المناطق الواقعة ما بين طليطلة وطلبيرة والجبال المحيطة ، والمناطق المجاورة ، لاشارات واضحة على ان الامور كانت طبيعية بين القائدين ، وأنه لم يكن هناك حسد من موسى لطارق (٦) ، أو أنه كان غاضبا عليه لمنطقة تجاوزها (٧) ، فلكل ما سبق لا يمكن ان تُقبل الاقوال التي قالت أن موسى قام بتوبيخ طارق ،

---

(١) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٤.

(٢) انظر اخبار مجموعة ، ص ٧ فقد ذكر ان موسى كان يعدّ السفن منذ أن ارسل طارقا ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٥٧ ؛ وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٥٨ اذ أشار الى ان موسى طلب اعداد ١٠٠ سفينة .

(٣) انظر هذه الدراسة ف ٢ ، ص ٥١ وما بعدها ، وانظر ص ٥٧.

(٤) انظر فصل ٢ من هذه الدراسة ، ص ١١٥ - ١١٦.

(٥) انظر ف ٢ ، ص ٥٠ - ٥٢ ، ٥٧.

(٦) انظر اخبار مجموعة ، ص ٦ ؛ الحميدى ، ص ٣ - ٤ ؛ انظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ؛ نبذة ، ص ١٩٤ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٩ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٤ ؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح ، جا ، ص ٢٦٩.

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٨ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٣ ، (ابن القطان) .

وايذائه بالسوط ، فَلِمَ يفعل موسى ذلك بطارق مع انه هو نفسه أصبح في مأزق بسبب[(١)] القوات المحتشدة لمواجهته[(٢)] .

فلا أرى بحال من الاحوال أن هناك ضربا قد حدث ، أو انتقاما قد حلّ بطارق، ولو حدث مثل هذا الأمر لأختلف على موسى جند طارق الذين حققوا معه الانتصارات المتوالية، ولكنّ الأمر بتصوّري كان أمرا طبيعيا، وإن كان هناك شيء من هذا القبيل فانه لا يتعدّى العتاب[(٣)]، وانه لأمر طبيعيّ أن يحدث بين القائد المسؤول والقائد التابع أو المساعد مثل ذلك العتاب .

وبعد ان تمّ لهما القضاء على تلك القوات بعد اللقاء[(٤)] اتجه القائدان الى طليطلة،

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٨ ذكر ان موسى أوثق طارقا وحبسه وهمّ بقتله؛ الادريسي ، نبذة، ص ١٩٣؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ٤٩ - ٥٠ ذكر ان موسى ضرب طارقا بالسوط، وانظر أخبار مجموعة، ص ١٩، ولم يقل مثل قول السابقين بل قال ان موسى أنبّ طارقا ووضع السوط فقط على رأسه؛ بينما ذكر ابن عذارى ان موسى وبخّ طارقا ولم يكن راضيا عنه ، انظر ابن عذارى ، ج٢، ص١٦، وورد عنده انه قيل ان موسى وضع السوط على رأسه، وقيل انه ضربه اسواطا كثيرة وحلق رأسه، وهو لا يرى مثل هذه الاراء اذ شكك فيها بقوله وقيل ولم يقتنع بما جاء فيها حول هذه الحادثة؛ في حين ان مصادر اخرى لم ترى مثل هذا الرأى بل أشارت الى ان هناك عتابا قد جرى بين موسى وطارق حول اندفاع الأخير اكثر من اللازم، فقدّم القائد التابع عذره للقائد المسؤول فرضي عنه وعذره وقبل أسبابه التي لا بدّ وانه قد ذكرها لقائده التي جعلته يتوغل ، انظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ١٩٤؛ ومصدر الراوية عن التابعي علي بن رباح الذى كان حاضرا وكان قد دخل مع موسى ؛ وانظر الى كل من المصادر التالية: البلاذرى ، ص ٣٢٣ الا ان الاعتذار كما اشار كان بسبب دخول طارق الاندلس بدون علمه؛ وانظر الطبرى ، ج ٦، ص ٤٨١؛ وانظر ابن تغري بردي ، ج١، ص ٢٢٦ (الطبرى).

(٢) انظر ف ٢ من هذه الدراسة ، ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) انظر الطبرى ، ج ٦، ص ٤٨١؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ١٩٤، فقد اشارا الى انه لم يحدث سوى المعاتبة بين القائدين.

(٤) اخبار مجموعة، ص ١٨؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩٣-١٩٤؛ ابن الأثير، ج ٤، ص ٥٦٥؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢١؛ قال الرازى في (ابن عذارى)، ج٢، ص ١٦؛ وقال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

التي كانت قد خرجت من قبضة المسلمين (١) ، والتي من المرجح أن يكون قد حدث فيها مـــا حدث في اشبيلية ، ولهذا كان من الطبيعي أن يسير القائدان الى طليطلة لاعادة فتحها (٢)، فدخلاها ، وكانت أيام عيد الاضحى قد هلّت ، وحان وقتها ، فأمضيا العيد في طليطلة سنة ٩٣ هـ (٣) ، وهذا أمر مقبول جدا لكون موسى قد تحرك من ماردة في شهر شوّال بعد عيدالفطر (٤)، وكما ارتأيت ان ذلك كان في سنة ٩٣ هـ، بسبب الاشارة السابقة التي أكدّت أن موســى كان في اواخر سنة ٩٣ هـ ، في طليطلة (٥) ، ولعدم معقولية أن يبقى موسى سنة ونيف فــي المنطقة الممتدة من اشبيلية الى ماردة (٦) ، فكان تحرك موسى الى طليطلة في أواخر شهر عيد الفطر ، وكان شهر ذى القعدة هو شهر الحسم بالنسبة لمناطق طليطلة (٧)، حيث قام بعد ذلك القائدان بالتوجه الى طليطلة ، فأعادا فتحها ، وقدأدركهما عيد الاضحى فيها ، بعد أن تمّ فتحها بالشكل المعقول الذى يُقبل لعاصمة مثل طليطلة ، التي امتازت بحصانـــة ومنعة ، حيث كانت لا يضاهيها في ذلك مدينة أخرى في ايبيريا (٨) .

غنائم طليطلة : لقد أسهبت المصادر في ذكر الغنائم التي غنمها المسلمون من شبــه

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٦٤- ٢٦٥ فهو يشير الى هــــذا المعنى ، وانظر أخبار مجموعة، ص ١٤- ١٥ فالفراغ وكما اتصور هو عدم استطاعــة طارق العودة الى طليطلة .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٨، ابن الأثير ، ج٤، ص ٥٦٥، ابن عذارى ، ج٢، ص ١٥، وانظــــر قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧١.

(٣) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٤، ابن الشبّاط ، م: ١٤، ص ١٢١ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٨، ابن الأثير ، ج٤، ص ٥٦٥، ابن عذارى، ج٢، ص ١٤ - ١٥، قـــال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧١، وانظر هذه الدراسة ، ف ٢، ص ١٠٩-١١١ .

(٥) الادريسي، نبذة ، ص ١٩٤، ابن الشبّاط ، م: ١٤، ص ١٢١ .

(٦) انظر اخبار مجموعة ، ص ١٦، ١٧، ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٤- ٥٦٥، ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٥، قول ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧١.

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٨، ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥، ابن عذارى، ج٢، ص ١٤ - ١٥، قـــال ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح، ج١، ص ٢٧١.

(٨) انظر هذه الدراسة، ف ١، ص ٥ - ٧.

الجزيرة الايبيرية والمتمثلة في الكنوز والطنافس والحُلي والاموال[١] ، والتيجان الملوكية[٢] ، والمائدة العظيمة الفريدة في نوعها[٣] ، حيث لم أر المصادر تبالغ في الغنائم التي حصل عليها المسلمون ، كما هو الحال بالنسبة لغنائم الأندلس وخصوصا غنائم طليطلة ، مما يوحي للدارس لتاريخ الفتح الاسلامي للأندلس وللدارس لتاريخ طليطلة بشكل خاص ، كأن طليطلة كانت ممتلئة بتلك الجواهر والطنافس بشكل يشعر

---

(١) لقد جاء في بعض المصادر روايات متعددة حول الكميات الهائلة التي وجدها المسلمون في طليطلة من الصفائح المعدنية الثمينة ومختلف أنواع الاحجار الكريمة : حيث ذكرت تلك الروايات أن رجلين من المسلمين كانا يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والياقوت واللؤلؤ ، وبعد أن تعبا من حملها لثقلها أنزلاها وضرباها بالفأس ، فأخذا نصفا وتركا نصفها الآخر،ولقد كان يمرّ الناس على تلك الأشياء فلا يلتفتون اليها لِما في ايديهم، مما هو أنفس منها، انظر ابن حبيب ، م:٥، ص٢٢٦؛ ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص٧٨؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٣٠- ١٣١؛ وانظر الادريسي ، نبذة، ص ١٩٤- ١٩٥ فقد أشار الى قريب من هذا المعنى؛ وانظر الادريسي، صفة، ص ١٨٨ فقد ذكر أن المسلمين غنموا الكثير من آنية الذهب والفضة؛ وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٣٢-١٣٣؛ وانظر قول ابن حيّان في (المقري) ، نفح، ج١، ص٥٦٥، فانه ذكر أن طارقا أصاب حليّا ومالا من المدينة المحصنة .

(٢) فقد جاء في احدى الروايات ان المسلمين قد وجدوا ٢٤ تاجا من تيجان الملوك السابقين . انظر ابن قتيبة، الامامة، ص١٢٥؛ وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤، ص١٢٦- ١٢٧، وهي عن (ابن قتيبة)؛ وجاء في رواية اخرى ان عدد التيجان كان ٢٥ تاجا . انظر قول ابن حبيب عن ابن سعد في (الضبّي)، ص٩؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص٤٨؛ بينما جاء في رواية ثالثة ان عدد التيجان كان ١٧٠ : انظر الادريسي ، صفة ، ص١٨٧ - ١٨٨؛ الحميرى، ص١٣١، وقد أُشير الى انها كانت مرصعة بالدّر واصناف الحجارة الثمينة .

(٣) انظر ابن حبيب ، م:٥ ، ص٢٢٦؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٥ - ١٢٩؛ أخبار مجموعة، ص ١٤ - ١٥؛ ابن خلكان ، ج٤، ص٤١١؛ ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٢٠،١٢١ .

المرؤ معه ، كأنها كانت من أغنى أصقاع المعمورة قاطبة (١) ، علما بانه أصبح معروفا أن الأندلس قد مرّت بمجاعة ووباء في السنوات الثلاث الأخيرة من العقد التاسع من القرن الأول الهجري ، حيث أخذت تلك السنوات معها الأخضر واليابس ، اذ تسببت بالقضاء على أعداد كبيرة من سكان شبه جزيرة ايبيريا من جرّاء الوباء الذى نتج عن المجاعة والقحط (٢) ، الذى لا بدّ من انّه قضى على نسبة عالية من الثروة الحيوانية فيها .

وكما أن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت قد مرّت بها شبه الجزيرة الايبيرية ، كان لها الدور الواضح في استنفاد طاقاتها الاقتصادية (٣) ، كما ان لذريق كان قد حاول أن يستولى على كنوز وذخائر الكنائس في طليطلة ، ممّا جعله يواجه موجة قويّة من الرفض والاستنكار على هذا الفعل ، من قبل الفعاليات الدينية والاجتماعية ضد رغبته تلك ، ومحاولتهم تأمين المبلغ الذى يحدده لذريق نفسه ، مقابل عدم مسّ ممتلكات الكنائس (٤) ، هذا الامر يشير اشارة بيّنة الى أن الملك القوطي كان بامسّ الحاجة للأموال لتمويل حملته ضد ثورة البشكنس في الشمال ، التي صادف وقوعها قدوم المسلمين (٥) .

---

(١) لقد جاء في الروايات أن موسى أمر بضرب الأوتاد لخيله تحت جدار البيت ، فلم تدخل عند الضرب ، ويا لهول المفاجأة ! فقد وُجِدَ أن السبب كان وجود صفائح الذهب والفضة حول البيت ، انظر قول ابن سعد في (ابن حبيب) ، م :٥ ، ص ٢٢٦؛ وانظر قول ابن سعد في (ابن قتيبة) ، الامامة ، ص ١٢٩-١٣٠ ؛ وانظر قول ابن سعد في (ابن الشبّاط) ، م :١٤ ، ص ١٣٢-١٣٣ . وكما ذكرت المصادر ان رجلا جاء الى موسى في طليطلة ليدله على كنز فذهب معه رجال من اصحاب موسى فحفر هؤلاء فكشفوا عن كنز كبير مُترع بالجوهر والياقوت والزمرد والزبرجد ولشدّة ما رأوا فقد دُهشوا ، انظر قول ابن سعد في (ابن عبد الحكم) ، فتوح افريقيا ، ص ٧٨؛ وانظر قول ابن حبيب عن ابن سعد في (الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٥ . وقد جاء في الحميرى أيضا انه وُجِدَ بطليطلة ١٠٠٠ سيف ملوكية مرصعة بالمجوهرات . انظر الحميرى، ص ١٣١ . هذا عدا المائدة التي غطّت على كل ما سبق ذكره .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٨ -٩ ؛ وانظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، ص ٢٤ ، ٤٦ .

(٣) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، الاحوال الاجتماعية السائدة في طليطلة قبيل الفتح الاسلامي ، ص ١١- ٢٤ .

(٤) انظر الفصل الأول من هذه الدراسة ، بيت طليطلة ، ص ٤٢، ٤٤ ، ٤٧ - ٤٨ .

(٥) انظر ف ١ ، بيت طليطلة : ص ٤٧ ، ٤٨ ، وانظر ف ٢ ، ص ٧٨ .

وما دامت الأوضاع كذلك فمن أين تلك الكنوز والأموال الوافرة ، التي أصبح المسلمون من كثرتها زاهدين فيها ، حيث جاء في احدى الروايات ان فرسان المسلمين كانوا يضربون بعض تلك الأواني بالفؤوس ليأخذوا ما استطاعوا حمله معهم مخلفين وراءهم الباقي دون الالتفات اليه من كثرة الغنائم (١) .

ان تلك الأقوال فيها مبالغات كثيرة عن الغنائم التي استولى عليها المسلمون ، لذلك أرى أن أموالا وغنائم لا بأس بها قد وجدها المسلمون في طليطلة ، ولكنّها لم تكن بالحجم الذى صورتها به المصادر (٢) ، وربما ان المبالغة قد حدثت لوجود تيجان الملوك السابقين (٣) ، المائدة (٤) ، وبعض الأواني الذهبية وغيرها من المعادن الثمينة في طليطلة ، ـ بصفتها العاصمة التي يوجد فيها الأثرياء والأغنياء ـ (٥) ، مما حدا بأصحاب الروايات الى المبالغة في ذلك وهذا أمر طبيعي في أن يُوجد نوع من المبالغات في الأخبار وخاصة بعد تداولها عبر ألاجيال الأمر الذى قد يضخّمها ويجعلها تخرج عن حدود العقل والواقع .

---

(١) ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٦؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ٧٨؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٠-١٣١؛ وانظر الادريسي ، نبذة ، ١٩٤- ١٩٥ فقد أشار الى قريب من ذلك.

(٢) انظر ف ٢ ، من هذه الدراسة ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٥ ؛ الادريسي ، صفة ، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ الضبّي ، ص ٩ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٨ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ ؛الحميرى ، ص ١٣١ .

(٤) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٦ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٢٥ ؛ ابن الفقيه ، ص ٨٢ ؛ قال الواقدى في (الطبرى) ، ج ٦ ، ص ٤٨١ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٢ وذكر ان أهل التاريخ يزعمون ان المائدة لم تكن في طليطلة ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٨ ؛ المرّاكشي ، ص ٣٥ ؛ابن خلكان ، ج٤ ، ص ٤١١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣ ؛الحميرى ، ص ٤-٥ ؛المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ١٣٥ ؛ وقد جاء في بعض المصادر انها لم تكن في طليطلة بل وُجدت في مدينة المائدة التي اخذها الفارون من أهل طليطلة اليها ، انظر اخبار مجموعة ، ص ١٤ - ١٥ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ .

(٥) انظر قول ابن سعد في (ابن حبيب) ، م:٥ ، ص ٢٢٦ ؛ قال ابن سعد في(ابن عبدالحكم) ، فتوح افريقيا ، ص ٧٨؛ قال ابن سعد في(ابن قتيبة) ،الامامة ، ص ١٢٩-١٣٠ ؛ قال ابن سعد في(الادريسي) ، نبذة ، ص ١٩٥ ، وقال ان طارقا وجد في طليطلة من الخزائن والأموال ما لا حصر له ؛الادريسي ، صفة ، ص ١٨٧-١٨٨ ؛ قال ابن سعد في (ابن الشبّاط) ، م:١٤ ، ص ١٣٢- ١٣٣ ؛ وانظر الحميرى ، ص ١٣١ .

فتح المناطق الشمالية من شبه الجزيرة الايبيرية :-

بعد أن أمضى موسى فترة من الوقت في طليطلة ، كان خلالها يقوم بتنظيم الأوضاع الأندلسية ، ورسم الخطط المستقبلية القادمة في الفتح، منتهزا هذه الفرصة في اعطاء فترة من الراحة للمقاتلة لازالة العناء والجهد الذى أصابهم من جرّاء عمليات الفتح السابقة ، فكان خلال شهر ذى الحجة من عام ٩٣هـ (١) ، يُمضي ومعه طارق فترة اعداد وتنظيم، ومراجعات ومشاورات، وبعد ذلك تقدم موسى ومعه مساعده طارق بن زياد باتجاه الشمال لمواصلة عمليات الفتح في المناطق الشمالية (٢) ، وكانت وجهته سرقسطة ، وقد جاءت اشارة في بعض المصادر (٣) تشير الى أن موسى تقدم من طليطلة في بداية سنة ٩٤ هـ ، حيث جعل من طارق وقواته (٤) مقدمة للركب العسكرى المتقدم ، في حين سار هو بجيوشه خلفه ، وكانت في هذه الفترة سرقسطة ومناطقها وجهتهما (٥) ، فتّم فتحها بعد حصار وقتال شديدين (٦) ، وذكر أنه تم فتح بلاد البشكنس في هذه الفترة أيضا (٧) ، وقام ومعه صاحبه أيضا باخضاع

---

(١) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة ، ص ١٩٤ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤، ص ١٢١.

(٢) انظر قول ابن حيّان في (المقّرى) ، نفح، ج١ ، ص ٢٧٣ ؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٦ ؛ وانظر المصادر التالية : ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٢-١٣٤ ؛ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٩ ، فقد ذكرت ان موسى خرج من طليطلة فطلب اليه الجلالقة الصلح فصالحهم ، وغزا البشكنس ، فتوغّل في بلادهم حتى أتوا قوما كالبهائم ثم مال الى الافرنج حتى وصل سرقسطة وافتتحها ، هذا الكلام يشير الى أن موسى سار الى الجلالقة والبشكنس قبل سرقسطة ، والذى أراه أن موسى سار أولا باتجاه الاجزاء الشمالية المتاخمة لبلاد الافرنج، ولم يكن خط سيره باتجاه الجلالقة ، وأرى أن ذلك قد وقع في سنة ٩٥ هـ .

(٣) قال الرازى عن ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٣.

(٤) قال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧٣.

(٥) قال ابن حيّان في(المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٣ ؛ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥ ؛ابن عذارى، ج ٢، ص ١٦.

(٦) انظر ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٢-١٣٤ فقد ذكر ان فتح سرقسطة تمّ بعد حصار وقتال شديد ولكن وجهة موسى كانت اولا نحو الجلالقة ؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٩ ، كلام ابن قتيبة نفسه ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٦، ولم يشيروا الى الحصار.

(٧) انظر ابن حبيب ، م:٥، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٢-١٣٤ ؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٩ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ١٦ ، وذكر ان المسلمين توغّلوا في هذه المنطقة .

المناطق القريبة من سرقسطة [(١)] ، حتى ان بعض المصادر ذكرت ان المسلمين قد توغلوا في ذلك الاتجاه ، بعد أن جاوزوا منطقة سرقسطة ، حيث سيطروا على المناطق المتاخمة لبلاد الافرنج [(٢)] ، وبعد أن تمّ فتح تلك المناطق السرقسطية كان قد بلغ التعب والتراخي في همم المسلمين وعزائمهم مبلغا عظيما ، حيث جاءت الأخبار التاريخية مشيرة الى أن تذمرا ومللا وتعبا ، قد أصاب الجند ، فقام أناس من ذوي الشأن في الجيش بنقل تلك الأحوال والأقوال الى موسى ، فقرر عند ذلك العودة [(٣)] ، وكان ذلك في سنة ٩٤هـ ، اذ جاء في بعض المصادر أنّه ضحّى بقرطبة عام ٩٤هـ [(٤)] ، ويبدو أن ذلك قد صادف حلول الشتاء ببرده الشديد ، فكانت رجعة موسى الى قرطبة ، وتسييره طارقا الى طليطلة [(٥)] ، فأمضى كل منهما الوقت في

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقرى) ، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٣ ؛ وانظر ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٢-١٣٤ ؛ اخبار مجموعة ، ص ١٩ ؛ ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٥ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٣١ .

(٢) انظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٢٦٥ ؛ وانظر ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٦ ؛ وانظر قول الرازى عن ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ واشار كل من ابن حبيب وابن قتيبة والادريسي أن التوغل تمّ بعد فتح بلاد البشكنس .

(٣) ابن حبيب ، م:٥ ، ص ٢٢٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٦-١٣٨ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٣١-١٣٢ ؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ ، فقد جاء فيما أورده أن سبب العودة كان وجود قول أن هذا المكان هو حدّ مُلك العرب وكان مكتوبا بالعربية ، وكان المكان في بلاد الافرنج ، طبعا هذه خرافة ، فمن هو الذى كتب ذلك بالعربية ، وهي اشارة غير مباشرة الى عدم رغبة المسلمين في مواصلة الفتح في تلك المنطقة في ذلك الوقت .

(٤) انظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ ؛ وانظر ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٢ فقد ذكر ان موسى مضىّ سنة ٩٤ هـ في قرطبة ، ولا يُعقل أن يمضي السنة كلها بل هي فترة الشتاء كما اظن .

(٥) انظر قول الرازى عن ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ حيث ذكر ان موسى رجع الى طليطلة بعد الانتهاء من المناطق السرقسطية المتاخمة لبلاد الفرنجة ؛ وانظر الطبرى ، ج٦ ، ص ٤٨١ فقد ذكر أن موسى غضب على طارق ووجهه الى طليطلة (هذا عندما دخل موسى الى الاندلس) ولكنّني أرى أن ارسال طارق الى طليطلة كان في سنة ٩٤ هـ بعد عودة موسى وطارق من المناطق السرقسطية . فعاد موسى الى قرطبة ، ووجه طارقا الى طليطلة ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٦ (قول الطبرى) .

تنظيم وترتيب شؤون البلاد والعباد (١)، هذه الفترة أيضا كانت بمثابة استراحة للجند لينهضوا مرّة اخرى لمواصلة عمليات الفتح من جديد بروح ومعنويات عالية ونفسيات أكثر حماسة ورغبة في الجهاد ومتابعة الفتح.

وقد ورد في بعض المصادر أن رسولا للوليد قد وصل خلال عودة موسى من المناطق السرقسطية المتاخمة لبلاد الافرنج، والتقى به في قرطبة (٢)، وكان التعب والتراخي قد عملا عملهما بقوات موسى (٣)، وكان هذا الرسول هو مغيث الرومي وقد جاء حاملا مطالبة الخلافة لموسى بالخروج من الاندلس والحضور (٤)، علما أن موسى كان قد أرسل للخلافة مبيّنا ما وصلت اليه الفتوح، ويُعتقد انه قام بشرح خططه في مواصلة عمليات الفتح، وقد جاء في أحد المصادر أن مغيثا كان هو رسول موسى للوليد (٥)، في حين أن مصدرا آخر قد ذكر أن رسول موسى كان التابعي علي بن رباح (٦).

ويبدو ان ردّ الخليفة الوليد بعد أن سمع عن فتوح الأندلس، جاء بالطلب الى موسى الخروج من الأندلس والقدوم عليه، بسبب أخبار قد وصلته عن توغل موسى، اذ ورد قول لابن حبيب في (الادريسي)، أن الوليد قد انزعج عندما علم بتوغل موسى، وعند ذلك بعث كتابه مع مغيث، ومن الممكن في هذه الحالة أن استدعاء موسى كان لمراجعته في الأمر (٧)

---

(١) انظر قول ابن حيّان في (المقّري، نفح، ج١، ص ٢٧٣ حيث ذكر أن موسى بعد أن انتهى من فتوحاته في مناطق سرقسطة، اقام فترة من الوقت يهيئ الامور لبقاء المسلمين، وتنظيم الأوضاع الجديدة.

(٢) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣.

(٣) ابن حبيب، م:٥، ص ٢٢٧؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٣٦-١٣٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٢؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٣١-١٣٢.

(٤) ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقّري، نفح، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤ فقد ذكر أن طلب الوليد من مغيث ان يطلب الى موسى العودة الى افريقية.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٨١، وقال: ان مغيثا توجه الى الوليد، ثم عاد ومعه كتاب من الوليد الى موسى.

(٦) ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٦-١٢٧ وذكر ان موسى أرسله عندما دخل طليطلة ومعه وفد، ويبدو أن مغيثا كان من ضمن الوفد.

(٧) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤.

شخصيا ومناقشته في مدى العواقب التي ستترتب على التقدم والتوغل في أراض بعيدة عن مركز الخلافة ، تفصلها عن باقي جسم الدولة البحار، اذ من المحتمل أن هواجس الوليد قد زادت حول موسى وما قد يُقدم عليه من مواصلة لعمليات الفتح فيقوم بالاندفاع الى بلاد الفرنجة، الأمر الذى قد يجرّ على المسلمين المصائب والخسائر الفادحة ، بسبب التوغل في مناطق شاسعة وفي بحر من الأعداء ، دون ارساء قواعد الاسلام في المناطق التي تمّ فتحها ، ويظهر ان ذلك هو الأقرب للحقيقة ، اذ أن الوليد عرف من الوفد وربما من مغيث بالذات عن تحركات موسى وخططه (١) .

وصل مغيث الرومي حاملا معه أوامر الوليد المتعلقة بعودة موسى، وقد كان موسى عازما على الانتهاء من أمر شبه الجزيرة وخاصة منطقة جلّيقية (٢) ، ليتسنى للمسلمين اقامة دائمة دون مشكلات ، ولتثبيت جذور ودعائم الاسلام في تلك المنطقة ، فقام بعرض الأمر على مغيث لاقناعه بالتريث عليه حتى ينتهي مما كان قد عزم على تحقيقه ، وأظنّ أن ذلك تمّ بالاقناع ، تارة بسبب مصلحة الاسلام والمسلمين في الأندلس ، والتي تتطلب اكمال الفتح ، وبالاغراء تارة أخرى حيث ورد أن موسى قام بعرض المكان الذى عُرف ببلاط مغيث عليه ، والذى يقع في قرطبة بما يحويه من أرض وشجر، مقابل الانتظار حتى يُنفّذ ما عزم عليه ، فقبل مغيث ذلك (٣) .

وكما أرى ان مغيثا الرومي قد اقتنع بوجهة نظر موسى، فشارك معه بعد ذلك بالجهاد في مناطق جلّيقية (٤) ، اذ ليس من المقبول أن يتوسل قائد مثل موسى الى مغيث كي يمهله لينتهي مما قد عزم على تحقيقه (٥) ، وهو بالطبع لصالح المسلمين ، ولكن فيما

---

(١) قال ابن حبيب في(الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ : انه اتصل بالوليد تَقحُّم موسى بالمسلمين في الاندلس ، فاقلقه ذلك ، وبعث مولاه مغيثا لثني موسى واعادته الى افريقية .

(٢) انظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ وانظر ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦ ؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣ .

(٣) ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٢ ؛ قال ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ ؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦ وهذا ما يفهم من كلامه ؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦ فقد ذكر ان موسى لاطف مغيثا ليخلّيَ بينه وبين ما عزم عليه ، ويسير هو معه أياما ويكون بفعله ذلك شريكا له في الثواب والمغنم، فقبل مغيث .

(٤) الادريسي ، نبذة ، ص ٢٠٤ ؛ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣ ؛المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦ .

(٥) المقّرى ، نفح، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

يظهر أن طلب الوليد في المرّة الاولى لم يكن بالشدّة والتأكيد الذى كان عليه في المرّة الثانية، حيث كان لدى موسى مجال لاقتناص فرصة لمتابعة الفتح ، اذ أن طلب الوليد في المرّة الاولى كان مجرّد طلب الى موسى أن يأتيه (١) ، بينما في المرّة الثانية كان قد وكل بموسى الرسول الذى بعثه - وهو ابو نصر - حتى يخرجه من الأندلس (٢)، فهنا كان الأمر مؤكدا، وعدم اعطاء موسى أية فرصة للمماطلة، فانقاد موسى في المرّة الثانية (٣)، وكما ان هنالك فرقا بين مغيث وأبي نصر، اذ أن الأوّل شارك بالفتوحات في الاندلس (٤)، فكانت صلته بتلك المنطقة أكثر من الثاني، حيث كان أكثر تفهّما للوضع ولمتطلباته، وأكثر رغبة في أمر الفتح.

وعودة الى مجريات الفتح، فبعد أن مضى موسى فترة من الوقت في قرطبة، لم تحددها المصادر، الا انه بات معروفا أن موسى كان في الشهر الثاني عشر - ذى الحجة - من عام ٩٤هـ في قرطبة (٥)، والتي مكّنت الجند من أخذ فترة من الراحة، واصلاح الشأن لمواصلة عمليات الفتح بعزيمة جديدة ومعنويات مرتفعة، وقد جاء في الأخبار التاريخية ان موسى سار ومعه مغيث لفتح جليّقية (٦)، فاستبطأ الوليد قدوم موسى ومغيث، فقام بارسال رسول آخر هو أبو نصر الى الأندلس وأمره أن يتوكل بموسى حتّى يأتي به اليه، فكان

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦؛ وانظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤ حيث ورد فيه أن أمر الوليد لموسى كان التعنيف واعادته الى افريقية.

(٢) قال ابن حبيب في (الادريسي)، ص ٢٠٥؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦، ٢٨٠.

(٣) ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦؛ وانظر ابن القوطية، ص ١٠ وذكر أن موسى عاد من منطقة جليّقية بعد أن أتاه أمر الوليد بالعودة، ولكنه لم يُشر الى الرسول الأوّل.

(٤) أخبار مجموعة، ص ١٠؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٩- ١٠؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٥) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤.

(٦) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦.

وصول الرسول الى موسى في صدر سنة ٩٥ هـ .(١)

ومن الاشارة التي قالت أن موسى كان في شهر ١٢ هـ في قرطبة(٢) ، أستطيع القول أن تحرك موسى مرّة أخرى للفتح كان في سنة ٩٥ هـ، وَيُستَدل كذلك مما ورد في رواية الادريسي على أن موسى توجه في بداية سنة ٩٥ هـ الى الشمال لمواصلة عمليات الفتح في جليّقية(٣) ، وكما يُستَدل من الرواية على أن وصول أبي نصر كان في الاشهر الاولى من سنة ٩٥ هـ ، عندما كان موسى منشغلا بفتوحاته في مناطق جليّقية ، التي لم تكن قد فُتحت من قبل .(٤)

أمّا عن كيفية تحرك موسى في فتوحاته عام ٩٥ هـ، فان المعلومات جاءت شحيحة ، لا تكاد تُبين الصورة التي تم بها اكمال فتح شمال الأندلس ، ولكن من خلال الاشارات التي جاءت في بعض المصادر، التي قالت ان همّ موسى كان منصبّا على فتح المناطق الجليّقية(٥) ، وان رسول الوليد الثاني قد قدم عليه وهو في منطقتها(٦) ، وكذلك دلالة

---

(١) قال ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤–٢٠٥ ؛ وانظر ابن الشبّاط م:١٤ ، ص ١٢٣ ؛ المقّري، نفح، ج١ ، ص ٢٧٦ ولم يشر الاخيران الى وقت وصول الرسول الثاني ؛ وانظر ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ق:٢ ، ص ٢٥٥ وذكر أن الوليد علم أن موسى كان يريد مواصلة عمليات الفتح فاشتد قلقه على المسلمين فأرسل له رسولا ، اصرّ عليه في عودته .

(٢) قال ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ص ٢٠٤ .

(٣) قال ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤–٢٠٥ على اعتبار أن موسى في شهر ١٢ من سنة ٩٤ هـ كان في قرطبة ، وان وصول الرسول الثاني كان في صدر سنة ٩٥ هـ وانه التقى بموسى في لك بجليّقية ، هذا يبين ان موسى تحرك في بداية سنة ٩٥هـ، وكذلك مما ورد في المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ ، من ان موسى تحرك لفتح مناطق سرقسطة في مستهل عام ٩٤ هـ، وهذا يدلّ على انه تحرك في بداية سنة ٩٥ هـ كذلك .

(٤) المقّري، نفح، ج١ ، ص ٢٧٥ حيث ذكر ان العرب لم يدخلوا جليّقية قبل دخول موسى ايّاها .

(٥) انظر المقّري، نفح، ج١ ، ص ٢٧٥ ؛ وانظر ابن الأثير، ج٤ ، ص ٥٦٦ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٣ .

(٦) انظر ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٦ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٣ ؛المقّري، نفح ، ج١ ، ص ٢٧٦ ، فقد ذكروا ان الرسول وجد موسى في مدينة لك بجليّقية ؛ وانظر ابن القوطية ، ص ١٠ فقد أشار الى ان أمر الوليد جاء الى موسى بعد لقائه بطارق في مدينة استرقة فعادا .

بعض الاشارات على أن موسى قد توجه لفتح مناطق جليّقية في بداية سنة ٩٥ هـ [(١)]، كل هـذه المؤشرات وضّحت ان موسى كان يريد منطقة جليّقية، وبما انه في قرطبة [(٢)]، فمن البديهي أن يتحرك من قرطبة باتجاه جليّقية في الاتجاه الشمالي الغربي، ليصل اليها، وقد جاء في أحد المصادر ان طارقا قد تحرّك من ماردة باتجاه جليّقية، فدخلها، ووافى طارقا بمدينة استرقة، ثم جاء أمر الوليد بالرجوع، فرجع، وتوثق من أمر المواقع والحصون التي سيقيم فيها المطمون، ثم استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس، وأسكنه اشبيلية ثم تابع سيره الى الوليد [(٣)].

والمقصود من هذه الرواية، والذى أستطيع فهمه من دلالاتها، هو أن موسى سلك طريقا غير طريق طارق [(٥)]، حيث ان طارقا فيما يبدو قد توجه من طليطلة [(٤)]، شمالا في خط فتوحات، ليتلاقى هو وموسى أخيرا في المناطق الشمالية الغربية من شمال الأندلس، وفي الوقت نفسه يكون موسى قد تقدم من قرطبة الى ماردة ثمّ الى جليّقية لمواصلة عملياته وتنفيذ مخطط الفتح فكل من القائدين عليه أن يقوم بفتح مناطق تكون مُكمّلة في نتيجتها لفتوحات الآخر للانتهاء من أمر فتح الأندلس جميعه، ولكن مما يؤخذ على الرواية أنها قد جعلت تقدم موسى من ماردة حيث لم تشر الى نزوله طليطلة عام ٩٣ هـ [(٦)]، وحتى أنها لم تشر الى فتوحات سرقسطة [(٨)]، فخلطت بين فتوحات موسى عام ٩٣ هـ في ماردة وغيرها [(٧)].

---

(١) انظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤-٢٠٥ حيث جاء فيه انّ موسى كان في شهر ١٢ من سنة ٩٤هـ في قرطبة وان وصول رسول الوليد الثاني قد وصل الى موسى وهو في مناطق جليّقية في الاشهر الاولى من سنة ٩٥ هـ، وهذه دلالات واضحة على ان موسى في أغلب الظنّ انه قد توجه للفتح في مناطق جليّقية في بداية سنة ٩٥هـ، كما حدث في سنة ٩٤هـ، انظر المصدر نفسه، ص ٢٠٣ (ابن حبيب).

(٢) انظر قول ابن حبيب في الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤؛ وانظر ابن الشبّاط، م:١٤، ص١٢٢.

(٣) ابن القوطية، ص ١٠.

(٤) ابن القوطية، ص ١٠.

(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ١٢٤.

(٦) انظر قول ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ١٩٤؛ وابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢١.

(٧) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٨) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ١٠٢-١٠٣، ١٠٩-١١٠.

وسير موسى من قرطبة الى جليّقية عام ٩٥ هـ[(١)] ، الأمر الطبيعي الذى عليه أن ينجزه ، مـا دام قد انتهى من أمر المناطق الشمالية المتاخمة لبلاد الافرنج ، مناطق سرقسطة وبـلاد البشكنس[(٢)] ، فأرى أن موسى قد تقدم من قرطبة باتجاه خط ماردة ثم تابع الى جليّقيـة ، فكانت فتوحاته في تلك المنطقة عام ٩٥ هـ .

وأما ما ذُكـر عـن الفتح في منطقة جليقية فهو لا يكاد يروى ظمأ العطـاش لمعرفة حقيقة وأحداث ما جرى في تلك الزاوية من أرض الأندلس ، التي كان لها أثـر بارز فيما بعد على الوجود الاسلامي في الأندلس ، والذى سأتطرق اليه في الفصل الرابع باذن الله ، ولكن هناك اشارات بسيطة ومهمة في الوقت نفسه ، اوردها المقّرى ، حيث قـال أن موسى قام بفتح حصن بـارو وحصن لك ، وانه أقام في لك ، ومنها بث السرايا حـتى تمكنت من بلوغ صخرة بلاي على البحر الاخضر (الاطلسي)[(٣)] .

وبينما هو في مدينة لك وافاه رسول الوليد أبو نصر ، الذى أمرّ على عودة موسى الى مركز الخلافة ، فما كان منه الّا الامتثال للأوامر وعاد ومعه الرسولان ، وفي الطريق التقى بطارق ، وسار موسى وطارق والرسولان قافلـين قاصدين التوجه الى الشام[(٤)] .

ويظهر ان الخلافة كانت قد طلبت القائدين لتناقش الأمور الأندلسية ومستقبل الاسلام في تلك المناطق ، مع موسى وكبار مساعديه ومنهم طارق ، اذ كان لا بدّ من حضوره هـو الآخر ، بصفته كان له دور واضح في الفتح ، وأصبح لديه خبرته بتلك النواحي ، وأظـن أن موضوع المشاورة كان بخصوص مواصلة الفتح ، والتوسع شمالا لاطلاع الخلافة على وجهـات النظر مباشرة دون اللجوء للرسائل ، اذ من الممكن أن موسى كان سيواصل الفتوح لو لم تستدعـه الخلافة .

---

(١) انظر قول ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢٠٤ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٣) المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٧٦ .

(٤) ابن الأثير ، ج٤ ، ص ٥٦٦ ؛ ابن الشبّاط ، م:١٤ ، ص ١٢٣ ؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٢٧٦ ؛ وانظر الادريسي ، نبذة ، ص ٢٠٤-٢٠٦ ، ٢٠٩-٢١١ ولم يذكر مدينة لك .

أثر الفتح الاسلامي على طليطلة :-

وصل موسى الى اشبيلية في شهر رمضان من سنة ٩٥ هـ (١) ، بعد أن عاد من مدينة لك بجليقية وفقا لأوامر الوليد ، فقضى بها عيد الفطر (٢) ، وقام بتعيين ابنه عبدالعزيز (٣) على امارة الأندلس ، ـ عندما عزم على التحرك الى الخلافة ـ، ليخلفه في تسيير أمورها وضبط شؤونها ، وقد اختار له اشبيلية لتكون مقرا لادارته ودارا لاقامته (٤) ، ولقد بينت (٥) بعض المصادر أن سبب اختيار موسى لها كان بسبب اتصالها بالبحر نظرا لقربه من المضيق الذى يفصل الأندلس عن المغرب ، واتجه بعد ذلك موسى الى المشرق (٦) فقد ورد في أحد المصادر أن موسى ركب البحر في شهر ١٢ من سنة ٩٥هـ (٧) ولقد جاء الادريسي بقول مفاده ان عيد الاضحى من عام ٩٥ هـ قد صادف حلوله ، وموسى على مقربة من القيروان (٨) ، وأميل الى قول الادريسي بسبب أن موسى كان قد قضى عيد الفطر في اشبيلية (٩) ، فلم ينتظر شهرين حتى يغادر الى الشام .

ومما سبق يلاحظ أن الفتح الاسلامي للأندلس قد تمخض عنه تبعية الأندلس للدولة الاسلامية وتصييرها جزءا من أجزائها ، وقد نتج عن هذه التبعية الناتجة عن الفتح ، أن الاندلس أصبحت تابعة في هذه الفترة بالذات لوالي افريقية والمغرب الا وهو موسى بن نصير، ليس هذا فقط بل ان أمير الأندلس الجديد عبد العزيز بن موسى كان تابعا لولاية

---

(١) الادريسي، نبذة ، ص ٢١٠.

(٢) ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٦؛ ابن الشباط، م:١٤، ص ١٢٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦ ؛ وانظر الادريسي ، نبذة ، ص ٢١٠، ٢١١ فقد ورد عنده قول بأن موسى رجع الى قرطبة ، ومن المؤكد ان ذلك تمّ بعد عودته من الشمال فيما اذا كان قد رجع الى قرطبة .

(٣) الادريسي ، نبذة ، ص ٢١١.

(٤) ابن القوطية ، ص ١٠؛ الادريسي، نبذة ، ص ٢١٠؛ الضبي، ص ٣٨٦؛ ابن الأثير، ج ٤ ، ص ٥٦٦؛ المراكشي، ص ٣٤؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦.

(٥) ابن القوطية ، ص ١٠؛الادريسي، نبذة ، ص ٢١٠؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٧٦؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٥ وذكر انه اختار له قرطبة عاصمة .

(٦) الادريسي ، نبذة ، ص ٢١٠؛ المقرى ، نفح، ج١ ، ص ٢٧٦.

(٧) المقرى ، نفح، ج١، ص ٢٧٧.

(٨) قال ابن حبيب في (الادريسي) ، نبذة ، ص ٢١١.

(٩) الادريسي ، نبذة ، ص ٢١١.

افريقية التي هي تحت امرة والده موسى، بعد ان كان ملك شبه جزيرة ايبيريا (الأندلس) غير تابع لأحد.

ونتيجة لِما سبق من أسباب ونتائج فان طليطلة لم تعد مركز الأندلس، ولم تعد مقرّ الرجل الأول في شبه الجزيرة بل كانت في عام ٩٣ هـ المركز الذى اتخذه موسى وطارق مقرا لمواصلة عمليات الفتح (١)، في حين أن الوضع قد تغيّر في عام ٩٤ هـ اذ ان موسى اتخذ من قرطبة مقرا له (٢)، في حين ان اشبيلية كانت مقرا لعبد العزيز بن موسى (٣)، بينما كانت طليطلة مقرّا لطارق (٤)، ولكنّ عام ٩٥ هـ كان عام فقدان طليطلة لقيمتها السياسية والعسكرية والدينية، فقد فقدت اهميتها المتأتية من انها المدينة الاولى في شبه جزيرة ايبيريا (الأندلس) كونها كانت عاصمة البلاد، التي هي مقرّ رجل البلاد الأوّل (٥)، وكبار الساسة والعسكر، وكذلك لكونها مركزا دينيا اذ كانت تُعقد بها المجامع الدينية الطليطلية، حيث كان بها كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية (٦)، ولكن في عهد عبد العزيز ابن موسى فقد اصبحت اشبيلية هي صاحبة هذه المكانة، ففيها يوجد أمير الاندلس، وقد

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ١١٩ – ١٢٣.

(٢) قال ابن حبيب في (الادريسي)، نبذة، ص ٢٠٤؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٢٢.

(٣) اخبار مجموعة، ص ١٨؛ ابن الأثير، ج٤، ص ٥٦٥؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٥؛ قال ابن حيّان في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٧١ حيث ذكرت هذه المصادر ان موسى وجّه من ماردة ابنه عبد العزيز الى اشبيلية ولم يرد له ذكر مع والده وطارق بن زياد في شمال الأندلس فمن المعتقد انه بقي فيها الى ان استخلفه عليها والده.

(٤) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ١٢٤.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٢٠؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٥؛ البلاذرى، ص ٢٣٢؛ ابن الفقيه، ص ٨٢؛ ابن خرداذبه، ص ٨٩؛ ابن جعفر، ص ٢٤٩؛ المسعودى، مروج، ج١، ص ١٦١؛ ابن القوطية، ص ٢؛ أخبار مجموعة، ص ١٦،٥؛ ابن صاعد، ص ٦٣؛ البكرى، جغرافية، ص ٨٧؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩١؛ الادريسي، صفة، ص ١٧٤، ١٨٧؛ ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨؛ المرّاكشي، ص ٢٩؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٤، ١٢٠، ١٣٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٤؛ ابي الفداء، ص ١٧٧؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ق:٢، ص ٢٥٢؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٢٨؛ الحميرى، ص ١٣٣، ١٧٥–١٧٦؛ المقّرى، نفح، ج ١، ص ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٠.

(٦) المجمع الطليطلي الثالث، ص ٨٧–٨٩، ٩٧–٩٨؛ وانظر Pedro, Tomo I, P.351,366 وانظر د. طرخان، ابراهيم علي، دولة القوط، ص ١٣٩، ١٥٤.

اصبحت مقرا له (١) ، وبصفته أميرا لادارة شؤونها السياسية والعسكرية ، وكذلك لكونه يمثل سلطان الاسلام - الدين الجديد في الأندلس - فقد أصبحت المركز الأول دينيا بالنسبة للمسلمين الفاتحين، ولمن أسلم من سكان الاندلس ، وبما أن الاسلام هو الذى أصبح صاحب الكلمة الاولى في تلك البلاد، فلذلك لم تعد طليطلة تابعة معنويا لسلطان روما ، بصفتها مقرّ راعي شؤون الكاثوليكية (٢) ، بل أصبحت تابعة بهذه التبعية الجديدة لأشبيلية ، التي هي تابعة للمشرق الاسلامي لمكة والمدينة والشام، كونها قد اصبحت جزءا من اجزاء الاندلس الاسلامي ، ولكونها اصبحت تابعة لسلطان اشبيلية ، التابعة بدورها لسلطان القيروان (٣) ، التي هي الاخرى كانت تابعة لسلطان الخلافة في الشام، وبهذا تكون طليطلة قد أصبحت مشرقية في سياستها وساداتها وديانتها الاولى، ولم تعد ترتبط بالغرب الا برباط معنوى روحي وهو ارتباط سكانها النصارى الذين بقوا على ديانتهم الكاثوليكية .

لهذا استطيع القول ان مرحلة الفتح الاسلامي للأندلس اضعفت من قيمة طليطلة على المستوى الاندلسي الداخلي ، وعلى مستوى الاستقلال العام الخارجي ، حيث أصبح الاندلس تابعا لسلطان المسلمين ، وبهذا تكون الاندلس قد اصبحت ولاية تابعة لولاية اخرى من ولايات الدولة الاسلامية ، وان الدين الجديد قد حلّ ارتباط طليطلة الروحي والاجتماعي بروما ، فأصبح مكانه الارتباط بالمشرق الاسلامي ، هذا بالنسبة للمسلمين القادمين ولِمن أسلم من سكانها ، اما بالنسبة لِمن بقي منهم على دينه القديم فهؤلاء لم يعودوا ساستها وسادتها .

---

(١) ابن القوطية ، ص ١٠ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ٢١٠ ؛ المقرى، نفح، جا، ص ٢٧٦ .

(٢) كون طليطلة قد اصبحت كاثوليكية بعد تحولها من الاريوسية ، انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ١١ - ١٢ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٥ ؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ١٣٦ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٢ - ١٩٣ ؛ ابن الأبّار ، التكملة ، جا ، ص ٣٥٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨، ٣٣ ؛ ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ؛ قال الرازى في (المقرى)، نفح، جا ، ص ٢٤٩ ؛ الناصري ، جا ، ص ٩٩ ، ١٠١ .

الفصل الثالـــث

التنظيم السياسي فــي طليطلـــــــــــة

النظام السياسي الاسلامي في الاندلس وأثره على طليطلة :-

الادارة المركزية للحكم الاسلامي بالاندلس في عهد الولاة ٩٢ - ١٣٨هـ :

كانت شبه الجزيرة الايبيرية تحت السيادة القوطية، وكانت عاصمة البلاد مدينـــة طليطلة، حتّى دخول المسلمين الى الاندلس وقيامهم بفتح تلك البقعة [(١)]، حيث انتقلـــت العاصمة بقدومهم من طليطلة الى عاصمة الاندلس الجديدة اشبيلية عام ٩٥ هـ [(٢)]، واستمــرت كذلك الى ان تحّول المسلمون الى قرطبة واتخذوّها مقرّا لولاة الأندلس وذلك في عام ٩٩هـ [(٣)]، فاحتلّت قرطبة مكانة طليطلة في الاندلس وتبوأت المكانة العليا التي كانت تتمتع بها، فبعد ان كانت طليطلة مقرّا للعرش الملكي القوطي والسيادة المستقلة [(٤)]، اصبحت مـــن توابع قرطبة، كون الأخيرة صارت مقرّ الوالي المسلم، فكانت الاندلس في عهد حكم الـولاة - الذين حكموا من ٩٢ - ١٣٨هـ - تدار من قبل الوالي الذى يعينه والي افريقية والمغرب

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا، ص ٢٠؛ ابن قتيبة، الامامة، ص ١٢٥؛ ابن خرداذبه، ص ٨٩؛ المسعودى، مروج، جا، ص ١٦١؛ ابن القوطية، ص ٢، ١٠؛ أخبار مجموعـــــة، ص ٥، ١٦؛ ابن صاعد، ص ٦٣؛ البكرى، جغرافية، ص ٨٧؛ الادريسي، نبذة، ص ١٩١، ٢١٠؛ الادريسي، صفة، ص ١٧٤، ١٨٧؛ ابن غالب، م:١، ج٢، ص ٢٨٨؛ المرّاكشي، ص ٢٩؛ ابن الشبّاط، م:١٤، ص ١٠٤، ١٢٠، ١٣٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٤؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٥٢؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٣٨؛ قال ابن حيّان والخزائني في(المقّرى)، نفح، جا، ص ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٠؛ وانظر JOSE, 158, ANO, MC Ml.,

(٢) ابن القوطية، ص ١٠-١١؛ أخبار مجموعة، ص ١٩؛ الادريسي، نبذة، ص ٢١٠؛ الضبّي، ص ٢٨٦؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٩، ٢٣، ٢٤؛ المقّرى، نفح، جا، ص ٢٧٦.

(٣) انظر أخبار مجموعة، ص ٢١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٥٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٩، ٢٥؛ وانظر شيخ الربوة، ص ٢٤٢ فقد جاء عنده ان اتخاذ قرطبه عاصمة للاندلس حـــدث سنة ٩٨ هـ؛ وانظر المرّاكشي، ص ٣١، فقد ذكر ان ذلك قد تم في غرّة المائة الثانية الهجرية؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٥٥؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٤٢، فقـــد ذكر ان موسى بن نصير استخلف ابنه على قرطبة ولم يسر الى اشبيلية.

(٤) انظر المسعودى، مروج، جا، ص ١٦١، ١٦٢؛ ابن صاعد، ص ٦٣؛ شيخ الربوة، ص ٢٤٥؛ وانظر رقم (١) هذه الصفحة، وانظر ف ١، ص ١٨ - ٢٤.

في اغلب الأحيان (١)، وكانت الأندلس من ضمن المناطق التابعة لنفوذه (٢)، وفي بعض الأحيان كانت لوالي الأندلس السلطة المنفصلة عن والي افريقية، حيث كان يُعيّن من قبل الخلافة مباشرة فكان مسؤولا أمامها عن شؤون ولايته، كما حدث في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز في آواخر القرن الأول الهجرى، عندما ارسل السمح بن مالك الخولاني عام ١٠٠هـ واليا على الأندلس (٣)، كما ان والي الاندلس كان في الغالب من غير أهلها (٤)، في حين ان الملك القوطي كان من ابناء ايبيريا (٥)، ومقرّه طليطلة (٦).

وكانت طليطلة مركز البلاد من حيث موقعها المتوسط بالنسبة للاندلس (٧)، بينما

---

(١) افريقية : اسم كانت تعرف به المنطقة الواسعة الممتدة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها قبالة جزيرة الاندلس، وحدّها من طرابلس الغرب الى بجاية، وقيل الى مليانة، انظر ياقوت، جا، ص ٢٢٨.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٤٥؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ١٣٦، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣؛ ابن الأبار، التكملة، جا، ص ٣٥٤؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ص ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩؛ قال الرازى في (المقّرى)، نفح، جا، ص٢٤٩؛ الناصرى، جا، ص ٩٩، ١٠٤. وقد ذكرت بعض المصادر ان والّي مصر عبيدالله بن الحبحاب ولّى عقبة بن الحجاج السلولي الاندلس، عام ١١٦هـ وقد ضُمّت له ولاية افريقية والاندلس : انظر أخبار مجموعة، ص ٢٥-٢٦؛ ابن الحكم، فتوح افريقيا، ص ٩٠-٩١، ٩٣-٩٤؛ وانظر ابن القوطية، ص ١٣-١٤؛ الحُميدى، ص ٢٧٤، ٨؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ١٩٠؛ المرّاكشي، ص ٣٩؛ ابن الأبّار، الحلّة، جا، ص ٦١؛ قال الرازى في (المقّرى)، نفح، جا، ص ٢٣٦-٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٩؛ وانظر المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥، ١٧، ١٨؛ الناصرى، جا، ص ٩٩، ١٠٤.

(٣) ابن القوطيّة، ص ١٣؛ أخبار مجموعة، ص ٢٣؛ ابن عذارى، جا، ص ٢٦؛ وانظر المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧، فقد ذكر ان الخليفة هشام بن عبد الملك بعث يحيى بن سلمة الكلبي واليا على الاندلس، سنة ١٠٩هـ؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ المقّرى، نفح، ج ١، ص ٢٤٩، ج ٣، ص ١٤ - ١٥.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٢٢، ٣٠، ٣١، ٤٥ ومثال على ذلك أبو الخطّار؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٣؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٥٧، ٢٥٩.

(٥) ايبيريا : المقصود بها شبه جزيرة ايبيريا (الأندلس) وأسقطت لفظتي (شبه جزيرة) للاختصار.

(٦) انظر هذه الدراسة ف ٢، ص ١٣٤ رقم (١)، (٤).

(٧) ابن صاعد، ص ٦٣؛ الادريسي، صفة، ص ١٧٣؛ المرّاكشي، ص ٢٩؛ شيخ الربوة، ص ٢٤٤؛ المقّرى، نفح، جا، ص ١٦١.

تقع قرطبة في الجزء الجنوبي من الأندلس [١].

والجدير بالذكر أنّ العهد الاسلامي في الاندلس أفقد مدينة طليطلة مركزها كعاصمة لبلاد (الأندلس) كما حرمها من وجود دوائر الثقل السياسي فيها، فبعدأن كانت تصدر منها القرارات أصبحت تابعة يحكمها عامل يعيّنه الوالي أو الأمير أو الخليفة، يكون تابعا له، بصفته المسؤول الاول في الأندلس الذى كان يقوم بتعيين امراء وقادة للمناطق التابعة لنفوذه [٢]، كما ان اكمال عمليات الفتوح في الاندلس وفي بلاد الفرنجة، والحملات التي كانت توجه اليهما أصبحت تتحرك من قرطبة، بدل ان تتقدم من طليطلة [٣]، وكذلك عمليات اخماد الثورات التي كانت تنشب ومثال ذلك ثورة البربر التي قُضي عليها في منطقة وادى سليط على مقربة من طليطلة عام ١٢٣ هـ [٤]، وكذلك اخماد الثورات الداخلية [٥]، والاخطار الخارجية [٦]، ومهاجمة الحصون والقلاع

---

(١) انظر البكرى، جغرافية، ص ٦٤ حيث ذكرها ضمن الجزء السادس من الأندلس وهي في الجنوب في ولاية بيتيكا.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٠٤؛ ابن حيّان، تحقيق: مكيّ، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٣٢، ٣٥٥، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٨٩؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٧٩–٨٠، ١٣٣، ١٥٨، ١٩٩، ٤١٥؛ ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص ٣١٥؛ ابن الأبّار، الحلة، ج١، ص ٦٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩–٧٠؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٥–٣٥٦، ٣٦٥، ٣٨٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٤–١٥؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٠.

(٣) الخشني، ص ٩؛ أخبار مجموعة، ص ٢٥، ٢٧–٢٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٧، ٢٩؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٥٧، ٣٨١؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٢؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٨٠.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٣٨–٤٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣١، ٣٢، ٣٠.

(٥) أخبار مجموعة، ص ٤٤، ١٠١؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨١، ٢٨٤؛ العذرى، نصوص، ص ١١، ١٣، ٢٦، ٣٥، ٤٤، ٤٥، ٦٢؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٢٥٩، ٥٢٧، ٦٠٥، ج ٦، ص ١١٦، ١٩٩، ٢٠١؛ ابن سعيد، ج١، دار المعارف (الكتاب)، ص ٤١، ٤٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٣٧، ٣٨، ٥٠–٥٧، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٨١، ٨٢، ٨٥–٨٦، ٨٩–٩٠، ٩٤–٩٥، ٩٦، ١٠٦، ٢٠٣؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦–٣٤٧، ٣٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٢١، ٢٢، ٢٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٢–٢٦٩، ٢٧٥–٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٠.

(٦) العذرى، ص ١٣، ٢٦؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨٧–٨٨؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٨٣ – ٣٨٤.

المسيحية في شمال الاندلس ومحاربتهم (١) .

ويجب ان نتذكر القيمة الاقتصادية التي كانت طليطلة تتمتع بها في العصر القوطي ، حيث كانت كل خيرات وموارد ايبيريا تُجبى اليها ، وبالتالي تؤكد على تفوقها السياسي على باقي المناطق ، في حين ان القيمة الاقتصادية في فترة عهد الولاة والعهد الاموى من بعده ، كانت لقرطبة ، بل أصبحت طليطلة نفسها من القنوات التي تصبّ في شريان النظام السياسي للأندلس المتمثل في قرطبة في مختلف نواحي الحياة ، وخاصة الاقتصادية ، فكان على طليطلة ان تدفع مبالغ مالية لخزينة قرطبة (٢) ، لتضخم قرطبة على حساب طليطلة .

ان قرطبة اصبحت محور الاندلس حيث صارت تقوم بمهام طليطلة التي كانت تمارسها قبل الفتح الاسلامي ، فطليطلة كانت هي التي توجه الجيوش للقضاء على الثورات وخاصة في الشمال ، في حين ان قرطبة في العهد الاسلامي أصبحت مركز الاستقرار (٣) ، ومنها تصدر الاوامر للقضاء على الثورات ، حتى ان قرطبة باتت توجه الجند والولاة والقادة لاخماد ثورات طليطلة نفسها في عهدى الامارة والخلافة (٤) .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٢٩ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٧، ٢٩، ٦٣-٦٥، ٦٩، ٧٢-٧٥، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٩ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٧، ٣٨١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨ - ٢٠ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٠١ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٩٥ ؛ وانظر قول ابن سعيد في (المقّرى) ، نفح ، ج١ ، ص ١٤٦ ، ان امراء بني أمية كانوا يفرضون مبالغ معينّة من المال على كل مدينة من مدن الأندلس ؛ وانظر العذرى ، ص ١٢١ ، ١٥٣ : اذ يفهم من كلامه ان جباية الاموال كانت تحصّل من مناطق الأندلس ، وتدفع للامراء والخلفاء الامويين في قرطبة وانظر المصدر نفسه ، ص ١٢٤ - ١٢٧ حيث بيّن الاموال المطلوبة من اقاليم قرطبة لخزينة الدولة ، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على باقي مدن واقاليم الأندلس .

(٣) D. Francisco, P. 103, 106, 107, 108.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٠١ ، ١٠٤ ؛ ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٤ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٩٨ ؛ ج ٦ ، ص ١٥٢ ، ١٩٩ ، ٤٧٥ ؛ ابن الأبّار ، الحلة ، ج١ ، ص ٥٩ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٠-٥٧ ، ٦٩-٧٠ ، ٧٤-٧٥ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٢٠٣ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥-٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ؛ ابن الخطيب ، أعماله ص ١٤-١٥ ؛ ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ؛ مرتضى ، نظمي زاده ، كلشن خلفا ، ص ٢١ .

امّا بالنسبة للادارة المركزية في الاندلس في عهد الولاة : فكان الوالي هو الذى يسيّر أمور الأندلس من قرطبة في مختلف المجالات السياسية والعسكرية ، فكان هو الذى يسير بنفسه الى محاربة الفرنج (١) ، ويشرف على حماية الثغور في الشمال (٢) ، كما ان الوالي كان مسؤولا عن نشر دعوة الاسلام وايصالها الى غير المسلمين من غير إكراه لهم على اعتناقها ومما يشير الى ذلك المعاملة الحسنة التي عامل بها الوالي عقبة بن حجاج السلولي (١١٦ - ١٢١هـ) (٣) الأسرى حيث عرض عليهم الاسلام حتى بلغ عدد الذين اعتنقوا الاسلام على يديه الفي رجل منهم (٤) .

كما ان الشؤون الادارية في الأندلس كانت ضمن اختصاصات الوالي في عهد الولاة ، وكان الوالي يقوم بتعيين العمّال على المدن والأقاليم الاندلسية ، فقد جاء في المصادر أنّ الوالي يوسف الفهرى ، - الذى كان آخر حلقة من سلسلة الولاة الذين تعاقبوا على حكم الأندلس قبل ان تؤول الامور لحكم الامير عبد الرحمن عام ١٣٨هـ (٥) ، - قد عيّن الصميل ابن حاتم واليا على سرقسطة (٦) ومناطقها عام ١٣٢هـ ، كما عينه ايضا على طليطلة (٧) ، ولم تُذكر السنة ، ولكن يرجّح ان يكون ذلك في سنة ١٣٧ هـ / ١٣٨ هـ ، قبيل دخول عبد الرحمن الداخل ، اذ ان الصميل كان بسرقسطة عام ١٣٦هـ

---

(١) انظر الخشني ، ص ٩، أخبار مجموعة ، ص ٢٨، العذرى ، ص ٢٧ ، ٤٣ ، ٥٠ ،ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٦١ ، ٧٦، المقّرى ، نفح ، ج ٣، ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٩، المقّرى ، نفح ، ج٢، ص ١٨ - ١٩ .

(٤) الخشني ، ص ٩.

(٥) ابن الفرضي ، ج١، ص ١١، الحميدى ، ص ٨ - ٩، ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ابن الأبار، الحلة ، ج١، ص ٣٥، ابن عذارى ، ج٢، ص ٤٤ ، ٤٦ ، النويرى، ج٢٣، ص٣٣٤، ٣٣٧، ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٨، ابن خلدون ، م٤: ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٦) ابن عذارى ، ج٢، ص ٣٧، ٣٨، وانظر أخبار مجموعة ، ص ٦٢- ٦٤، ابن الأبار، الحلة ، ج١، ص ٦٨، ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦١ .

(٧) ابن الأثير، ج ٥ ، ص ٤٦٢، ابن الأبّار، الحلة ، ج١، ص ٦٨، ابن خلدون، م :٤، ص ٢٦١ .

قبل ان تصل اليه الامدادات لفك الحصار عنه (١) ، كما ان الصميل حارب الثائرين عليه بسرقسطة ايضا عام ١٣٧هـ (٢) ، ولكنه بعد ان وصلته النجدة ترك سرقسطة ، فاميل الى الاعتقاد انه تولّى ولاية طليطلة في اواخر سنة ١٣٧ هـ. كما وردت اشارة اخرى في بعض المصادر ذكرت ان يوسف الفهري كان قد عيّن يحيى بن حريث الجذامي على كورة رية ، وعندما استقامت الاوضاع ليوسف عزل ابن حريث عن كورة رية عام ١٣٠هـ (٣)

كما ان هشام بن عروة الفهري كان عاملا على طليطلة ليوسف الفهري ، فقد ورد خبر في كتاب أخبار مجموعة يشير الى ان يوسف الفهري عندما هزم بعد فراره من قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل اتجه صوب طليطلة ليأمن بجوار ابن عروة (٤) ، سنة ١٤١هـ (٥) ، ويغلب على الظنّ ان ابن عروة كان قد ولّي على طليطلة بعد ورود أخبار ليوسف بنزول عبد الرحمن بن معاوية في أرض الأندلس واجتماع البعض اليه ، وتوجه يوسف الى قرطبة ، وكان ذلك في عام ١٣٨هـ (٦) .

وقد ورد ان عبد الرحمن بن علقمة اللخمي كان عاملا على أربونة لعبد الملك ابن قطن الفهري عام ١٢٣هـ (٧) ، علما بان ولاية عبد الملك بن قطن كانت عام ١٢١هـ (٨) .

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٦٥ ; ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٣٨.

(٢) ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٣٨ ، ٤١-٤٤ ، ويفهم من سياق كلامه ان الصميل قد ترك سرقسطة ، ويظهر انه قد تولّى امر طليطلة في اواخر سنة ١٣٧ واوائل سنة ١٣٨ هـ; وانظر أخبار مجموعة ، ص ٧١.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠-٦١ ;ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٣٥-٣٦.

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٠٠-١٠١.

(٥) انظر أخبار مجموعة ، ص ٩٦; فقد ذكر ان يوسف الفهري هرب الى ماردة سنة ١٤١هـ ، وبعد ان هزمه عبد الرحمن الداخل سار الى طليطلة ليأمن فيها ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ; وانظر ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٤٩ ، وذكر ان الفهري هرب من قرطبة سنة ١٤١هـ ، وقتل بناحية طليطلة سنة ١٤٢هـ.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ; ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٤٤.

(٧) ابن القوطية ، ص ١٦-١٧ ;أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ; وانظر المقري ، نفح ، ج١ ، ص ٢٦ وذكر ان اللخمي كان واليا على اربونة وثار على يوسف الفهري وقُتِل.

(٨) ابن عذاري ، ج١ ، ص ٥٣ ، ج٢ ، ص ٣٠ ; المقري ، نفح ، ج ٣ ، ص ١٩.

وقد جاء في أحد المصادر ان مدينة اربونة فتحت في عهد عقبة بن الحجاج السلولي ١١٦-١٢١ هـ (١) .

وكما ان الوالي كان يقوم بتعيين القضاة ، وخاصة في قرطبة ، فقد ورد ان الوالي عقبة بن الحجاج ولّى القضاء مهدى بن مسلم على قرطبة واستخلفه عليها عندما اتجه لمحاربة الفرنجة (٢) . ومن المعلوم ان ولاية عقبة كانت من عام ١١٦-١٢١ هـ (٣) ، وهناك اشارة بينت ان القاضي يحيى بن يزيد التجيبي كان قاضي قرطبة في زمن يوسف الفهري ، وان عبد الرحمن الداخل قد اقرّه عام ١٣٨هـ ، على القضاء (٤) ، وكما ورد ان حسان بن يسار الهذلي كان قاضيا لسرقسطة في سنة ١٣٨هـ ، عندما آلت مقاليد الحكم الى عبد الرحمن بن معاوية (٥) ، وهذا يعني ان أقاليم الأندلس ومدنها كان عليها قضاة يقومون بادارتها في الشؤون القضائية ، وهكذا كان الولاة يقومون بتعيين القضاة الا في بعض الحالات (٦) ، كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز - الذى حكم من ٩٩-١٠١هـ عندما ولّى قضاء الأندلس يحيى بن زيد التجيبي (٧) .

---

(١) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٢ ، ج ٢ ، ص ٢٩ ؛ وانظر الخشني ، ص ٩ فقد ذكر ان عقبة بن الحجاج اتخذ مدينة أربونة مقرا للجهاد وهذا يعني انها كانت خلال ولايته تابعة للادارة الاسلامية ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج٣ ، ص ١٩ فقد أشار الى قريب من كلام ابن عذارى .

(٢) الخشني ، ص ٩ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٩ .

(٤) الخشني ، ص ١٤ .

(٥) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٣٦ .

(٦) ابن ماجة ، ابي عبد الله ، محمد بن يزيد ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : مطيع الحافظ ، رواية أبي بكر السدوسي ، ص ٣٢ ؛ السمناني ، روضة القضاة ، م: ٣-٤ ، ص ١٤٩١ .

(٧) النُباهي ، المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ص ٤٣ .

مما سبق أستطيع القول ان الادارة المركزية للحكم في الأندلس ابّان عهد الولاة ، كانت بيد والي الأندلس الموجود في قرطبة ، يعاونه في تسيير امور قرطبة والأندلس القاضي (١) ، وعدد من المساعدين ، كما كان الحال بالنسبة ليوسف الفهري ومساعده الصميل بن حاتم ، الذى كان بمثابة الوزير (٢) ، وكان ينوب عن سلطة الوالي في المدن والأقاليم الأندلسية الاخرى عمّال وقادة وحكام (٣) ، وقضاة فرعيون (٤) ، يمثلون سلطان الوالي في ادارة دفة الحكم في مناطقهم ، وقد ذكر عنان ان الأندلس قُسِّمت الى اربع ولايات ادارية في بداية عهد الولاة (٥) ، ثم اضيفت اليها اربونه كولاية خامسه (٦) ، ويُعتقد ان ذلك كان قد تم ما بين عام ١٢١هـ – ١٢٣هـ (٧) ، وكان على كل ولاية

---

(١) انظر الخشني ، ص ٢ ، ٨–٩ : فقد ذكر ما يفهم منه ،ان القاضي كان له دور فاعل في عهد الولاة نظرا لاهمّيه ما يتقلده من أحكام ، وكمثال على ذلك استخلاف الوالي عقبة بن الحجاج القاضي مهدى بن مسلم كقاضي ومدبّر امور قرطبة طيلة غيابه في مجاهدة الفرنجة ؛ وانظر ابن حزم ، شذرات من كتاب السياسة ، تطوان ، عدد:٥ ، ١٩٦٠م ، ص ١٠٣ : فقد أشار الى أنّ عمّال القضاء من أهمّ أعوان الأئمة وهذا ينطبق بالتالي على الولاة .

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٢١ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣٦–٣٧ .

(٣) ابن القوطية ، ص ١٦–١٧ ؛أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠–٦١ ، ٦٢–٦٤ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ١٠٠–١٠١ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣٥–٣٦ ، ٣٨ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦١ .

(٤) انظر ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٣٦ ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢١٨ ، اذ من المحتمل ان ما ذكره بشكل ينطبق على هذه الفترة الزمنية (فترة الولاة) ، اذ لا بدّ وان يكون هناك على كل مدينة قاضي ، وربما ان المناطق الصغيرة كان عليها قضاة صغار او من يقومون بعملهم (مسدّد خاصة) .

(٥) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية ،تطوان مجلة للابحاث المغربية والاندلسية ،٣–٤ ، دار كريماديس للطباعة ،١٩٥٨م–١٩٥٩م ، ص ٣٨ .

(٦) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية ، عدد ٣–٤ ، ص ٣٨–٣٩ .

(٧) المقّرى ، نفح ، ج٣ ، ص ١٩ ؛ عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ١١٢–١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، وقد ذكرت بعض المصادر ان صاحب أربونة حشد الحشود في سنة ١٢٣هـ واتجه الى قرطبة لقتال الشاميّن بقيادة بلج ، وهذا يعني انها كانت ولاية قائمة قبل هذا التاريخ ، انظر ابن القوطية ، ص ١٦–١٧ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٤٣ .

من هذه الولايات عامل او حاكم ينوب عن الوالي في تسيير شؤونها (١) .

هكذا اصبحت طليطلة في عهد الولاة تابعة بعد أن كانت متبوعة ، لعاصمة الأندلس قرطبة ، الى ان سقطت الدولة الاموية في المشرق عام ١٣٢هـ ، وجاءت الدولة العبّاسية لتحل مكانها (٢) ، ولكن وقبل ان تتمكن الدولة العباسية الناشئة من ضبط الامور وتنظيم شؤون ولاياتها ، قام عبد الرحمن بن معاوية الاموى ، ـ الذى نجا من ايدى العباسيين فارا نحو المغرب (٣) ـ ، بتأسيس امارة له في الأندلس ، مستغلا الظرف وخاصة في ولاية الأندلس ، التي كانت قد اجتاحتها الاضطرابات والفوضى في العقدين الثاني والثالث من القرن الثاني الهجرى (٤) ، وكذلك القحط والمجاعات في عقد الثلاثينيّات من القرن الثاني الهجرى ايضا (٥) ، فقد استطاع هذا الاموىّ الدخول الى الأندلس عام ١٣٨هـ ، وتمكن من الاستيلاء على مقاليد الامور في قرطبة في شهر ذى

---

(١) ابن القوطية ، ص ١٦ـ١٧ ؛ أخبار مجموعة ، ص ٤٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ـ٦١ ، ٦٢ـ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ـ١٠١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣٥ـ٣٦ ، ٣٨ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦١ ؛ عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ .

(٢) ابن ماجه ، ص ٣٦ ؛ الاصطخري ، ص ٣٧ ، ولم يحدد السنة ؛ اخبار مجموعة ، ص ٤٦ ؛ السمناني ، م:٣ـ٤ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ؛ الضبّي ، ص ١٧ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٥٤ـ٥٥ ؛ ابن الأثير ، ج٥ ، ص ٤٩٣ ؛ النويّرى ، نهاية ، ج ٢٣ ، ص ٣٣٤ ، دون ذكر العام ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٣٨ـ٣٩ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦٢ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٤٨ ؛ الحميدى ، ص ٩ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٥٥ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٩٣ ؛ مرتضى ، ص ٢٠ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٣٤ـ٣٣٦ ؛ ابن كثير ، البداية ، ج١٠ ، ص ٧٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٧ ، ٣٨ـ٣٩ ؛ الكتبي ، فوات ، م:٢ ، ص ٣٠٢ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦٢ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٤ ؛ وانظر ابن حزم ، امهات ، ص ٢٨ فقد ذكر ان أم عبد الرحمن بن معاوية بربرية من نفزه .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٣٩ـ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ـ٤٥ ، ٥٦ـ٦١ ، ٦٣ـ٦٥ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح افريقيا ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٣٣٧ـ ٣٧٥ ، ٤٦٣ ؛ ابن الأبّار ، الحلة ، ج١ ، ص ٦٤ـ ٦٨ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٣٣ ـ ٣٧ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ٦٠ـ٦١ ، ٦٢ مجاعة سنة ١٣٢هـ ومجاعة سنة ١٣٦هـ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٩٢ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

الحجة من العام المذكور (١) ، والقيام بانشاء امارته الفتية لتصبح الأندلس ولأول مرة منذ الفتح الاسلامي (٩٢ - ٩٥ هـ) مستقلة عن الدولة الاسلامية في المشرق ، كان فيها الأمير الموجود في قرطبة صاحب القرار الأوّل والاخير (٢) ، وبالتالي كان لهذا الأمير ولذريته من بعده حكم الأندلس حتى سقوط الحكم الاموى فيها ونشوء دويلات الطوائف، أو بمعنى أدق تفسّخ عرى وحدة الأندلس كنظام سياسي واحد، في نهاية الربع الأوّل من القرن الخامس الهجرى (٣) . فكانت الفترة الأموية في الأندلس عبارة عن شقين :

الشق الأوّل : هو عصر الامارة الذى ابتدأ بدخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس عام ١٣٨هـ (٤) ، الى عام ٣١٦هـ (٥) ، حيث كان هو وابناؤه وأحفاده من بعده لا يُلقبون بالخلفاء

---

(١) ابن حبيب ، م:٥، عدد ١-٢، ص ٢٣٦؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٤٤، ٤٦؛ ابن الفرضي، ج١، ص ١١؛ الحميدى ، ص ٨-٩؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٤٩٤، ٤٩٥؛ ابن الأبّار، الحلة ، ج١، ص ٣٥؛ ابن الكازروني، مختصر، ص ١٠٧ وذكر انه بويع عام ١٣٩هـ؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٣٤، ٣٣٥؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٨؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٢-٢٦٣ ؛ وانظر المصادر التالية فقد ذكرت ان دخوله قرطبة كان عام ١٣٩هـ، المسعودى ، مروج، ج١، ص ١٣٢؛ ابن كثير، ج ١٠، ص ٧٤؛ الكتبي، م:٢، ص ٣٠٢ وذكر ان أوّل دخوله الاندلس كان عام ١٣٩ هـ؛ القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٢) وذلك بسبب استيلائه على مقاليد الأمور دون عهد من الخلافة العباسيّة في المشرق ، وقيامه بقطع الدعاء لخلفاء بني العبّاس ، انظر: الاصطخرى، ص ٣٧؛ ابن الأثير، ج٦، ص ١١١ ، ٤٩٥؛ ابن الأبّار، الحلة، ج١، ص ٣٥-٣٦. ابن عذارى ، ج ٢، ص ٤٧-٤٨، ٥٢، وقد ذكر انه اتخذ الوزراء والحجّاب وذلك من مظاهر الدولة والسلطان ؛ النويّرى ، ج ٢٣، ص ٣٤١، ٣٤٦-٣٤٧؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٩؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٤، ٢٦٦؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٣) انظر ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٨٤ وذكر ان عقد الجماعة بالاندلس انفرط عام ٤٢٤هـ فحل بالاندلس نظام الممالك الاسلامية (الطوائف)؛ وانظر المرّاكشي ، ص ١٢٣ ، ١٢٤؛ القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٤٥٢، ٤٧٨.

(٤) ابن الفرضي ، ج١، ص ١١؛ ابن الأبّار، الحلة ، ج١، ص ٣٦؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٤٤، ٤٦؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١.

(٥) ابن حيّان ، ج ٥، ص ٣٤١؛ ابن عذارى ، ج ٢، ص ١٥٧.

بل يسمّون أنفسهم أبناء الخلائف [١] ، وأصبحت قرطبة مستقلة عن الدولة الاسلامية بالمشرق استقلالا سياسيا واداريا واقتصاديا ، وصار أمراء الأندلس من عقب هذا الامير المغامر ، حيث كانت قرطبة ، عاصمة لهم [٢] ، ومنها كان يصدر تعيين الامراء والقادة [٣] والقضاة لباقي مدن وأقاليم الأندلس [٤] ، فكان في الاندلس قاضي الجماعة الذي كان مقرّه قرطبة [٥] ، وكان يسمّى القاضي في قرطبة قبل عام ١٣٨هـ قاضي الجند [٦] ، ثم أصبح يسمّى قاضي قرطبة قاضي الجماعة بعد حضوره استلام يوسف الفهري للأمير عبد الرحمن الداخل بغرناطة عام ١٣٩هـ لأن الأوّل اشترط حضور القاضي فسمّي من ذلك الوقت قاضي الجماعة [٧] ، وبمرور

---

(١) ابن خرداذبه ، ص ٩٠ ؛ المسعودي ، مروج ، جـ١ ، ص ١٦٢ ؛ النويّري ، جـ ٢٣ ، ص ٣٩٧ .

(٢) ابن خرداذبه ، ص ٨٩ ، ٢٦٦ ؛ المسعودي ، مروج ، جـ١ ، ص ١٦١-١٦٢ ؛ ابن الفرضي ، جـ١ ، ص ١١ ، ١٢ ؛ مرتضى ، ص ٢٠-٢١ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٥٢ ؛ ابن الكازروني ، مختصر ، ص ١٠٨ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ ؛ ابن حيّان ، تحقيق: مكيّ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ ابن حيّان ، جـ ٥ ، ص ٣٢٢ ، ٣٥٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٩ ؛ العذري ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ؛ ابن الأثير ، جـ ٦ ، ص ٧٩-٨٠ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٩٩ ، ٤١٥ ؛ ابن الأبّار ، التكملة ، جـ ١ ، ص ٣١٥ ؛ ابن الأبار ، الحلة ، جـ١ ، ص ٦٨ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٩-٧٠ ؛ النويّري ، جـ ٢٣ ، ص ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥-٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٨٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤-١٥ ؛ ابن خلدون ، م:١٤ ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٠ .

(٤) الخشني ، ص ٣٨-٣٩ ، ١١٨-١١٩ ؛ ابن الفرضي ، جـ١ ، ص ٤٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٣٢٩ ، ٤١٢-٤١٣ ؛ ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ١٦٢-١٦٣ ؛ النُباهي ، ص ٥٦ ، ٥٩-٦٠ .

(٥) انظر الخشني ، ص ١٤ ، ١١٩-١٢٠ ؛ وانظر ابن الفرضي ، جـ١ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن خاقان مطمح الأنفس ، ص ٢٨٩ ؛ ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٣١٤ ، ق:٢ ، ص ٦٦٤ ؛ ابن الأبّار ، المُعجم ، ص ١٣٤ .

(٦) الخشني ، ص ١٤ .

(٧) انظر الخشني ، ص ١٤ ؛ وانظر النباهي ، ص ٨٤-٨٦: فقد أشار بان قاضي قرطبة ظل يتلقب بلقب قاضي الجماعة ، حتى عهد المنصور محمد بن أبي عامر حيث تلقب القاضي ابي العباس بن ذكوان ــ المتوفى عام ٤١٣هـ ــ بقاضي القضاة ، فصار يلقب بهما ؛ وانظر ابن الفرضي ، جـ١ ، ص ١١ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٤٤ ، ٤٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٨ فقد بينّوا ان عبد الرحمن الداخل قد دخل قرطبة في شهر ذى الحجة من سنة ١٣٨هـ وذلك بُعيد الأضحى اذ من المعقول ان يكون استلام يوسف الفهرى في غرناطة قد حدث سنة ١٣٩هـ .

الزمن وبزيادة نفوذ امراء بني أميّة في الأندلس قوى نفوذ القاضي في قرطبة، فكان قاضي الجماعة يعدّ من الرجال المشاركين في المساهمة في ادارة عجلة الحكم في قرطبة، وكان له احيانا نفوذ نتيجة لعلاقته لا يستطيع معه الامراء الامويّون أنفسهم مخالفة رأيه في الاحكام التي يصدرها[١]، وكان القاضي يقوم احيانا في المشاركة بالفتوحات وقيادة الجيوش[٢] - وقد أشار الخُشني الى ان القاضي كان من اهم الشخصيات بعد الامام (الامير) نظرا لأنّه يقوم بتنفيذ الاحكام في قضايا الدماء والفروج والاموال والاعراض وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضارّ[٣]، وكان يختار لحفظ مصالح العباد والبلاد، لاقامة أمر الاسلام، باقامة حقوق الناس، واجراء الحدود واعطاء الحقوق[٤]، وقد بيّن المقّري، انّ المدن الكبيرة في الأندلس كان عليها قضاة في حين ان البلدان الصغيرة كان يقوم بمهمة القضاء فيها شخص يطلق عليه لقب (مسدد خاصة)[٥]، ومن الوظائف التنفيذية المهمّة في الدولة الاموية في الاندلس التي كانت تساهم في تسيير دفة الحكم المركزي وظيفتا الوزارة والحجابة[٦]، فقد اتخذ عبد الرحمن الداخل

---

(١) انظر النباهي، ص ٤٦: فقد ذكر ان القاضي المصعب بن عمران في عهد الحكم بن هشام اصدر حكما قضائيا على العباس بن عبد الملك المرواني، بسبب غصبه حقا لرجل من أهل جيّان... وانه تمسك بحكمه أمام الامير الحكم عندما حاول الامير ان يتولى هو الحكم في القضية فكان له ما اراد، وانظر المصدر نفسه، ص ٤٧ حيث ذكر المؤلف ان القاضي محمد بن بشير المعافري اشترط على الامير الحكم بن هشام عندما اراد ان يستقضيه ان ينفّذ حكمه على الجميع من الامير الى حارس السوق، وانظر المصدر نفسه، ص ٦٣ فقد ذكر ان الناصر استخلف القاضي اسلم بن عبد العزيز في القصر عندما خرج للجهاد.

(٢) انظر النُباهي، ص ٥٤، ٦٠ مثل القاضي فرج بن كنانه فكان يقود الخيل في زمن الحكم بن هشام، وكان القاضي محمد بن عبد الله بن ابي عيسى يتصرف وينظر في امر امانة كورة البيرة والنظر على عمّالها بالاضافة الى القضاء.

(٣) الخشني، ص ٢.

(٤) الخشني، ص ٩؛ وانظر النُباهي، ص ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٥٤؛ وانظر ابن حزم، بين يدي، شذرات من كتاب السياسة، تطوان، عدد ٥، ١٩٦٠م، ص ١٠٣ حيث ذكر ان من التنظيمات المهمّة التي تساعد صاحب الدولة القضاء.

(٥) المقّري، نفح، ج١، ص ٢١٨.

(٦) ابن حيّان، تحقيق: د. مكيّ، ص ١٦٥، ١٦٨؛ ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٨٨، ١٤٣، ١٤٤؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٦١، ٨٠، ٩٣-٩٤، ١٥٨؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٩؛ ابن خلدون، م٤، ص ٣١٩؛ وانظر ابن خاقان، مطمح، ص ١٥٤.

الوزراء لمساعدته في تصريف شؤون الحكم الادارية المركزية في قرطبة (١)، وكذلك الحُجّاب (٢)، ومع مرور الزمن توسّعت الدولة في التنظيمات الادارية، حيث ورد عند ابن حيّان ان وزراء عبد الرحمن الناصر بلغوا سبعة وزراء سنة ٣١٧هـ أوّلهم الحاجب موسى بن محمد بن حدير (٣)، في حين ان عددهم بلغ سنة ٣١٩هـ تسعة وزراء بما فيهم الحاجب موسى بن محمد بن حدير (٤)، بينما أصبح عدد الوزراء في عام ٣٢٤ هـ عشرة وزراء (٥)، وصار عددهم في سنة ٣٢٥ هـ أحدعشر وزيرا (٦)، وزاد عدد الوزراء في سنة ٣٢٩ هـ حتى بلغ اربعة عشر وزيرا (٧)، ووصل عددهم الى

---

(١) ابن عذارى، ج٢، ص ٤٨ : وذكر ان عدد وزرائه اربعة وزراء.

(٢) ابن عذارى، ج٢، ص ٤٨ : منهم تمام بن علقمة ويوسف بن بُخت.

(٣) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٥٢ ويفهم من سياق النص ان الحاجب بمثابة وزير مقدّم او وزير أوّل وهو يختلف عمّا كانت عليه الحجابة في عهد الداخل؛ وانظر المقّري، نفح، ج١، ص ٢١٦؛ فقد وضح ان صاحب الدولة يختار احد الوزراء فيسمّى بالحاجب، والوزراء هم الحاجب موسى بن محمد بن حدير، أخوه أحمد بن محمد بن حدير، سعيد ابن المنذر القرشي، عبد الحميد بن بسيل، عيسى بن أحمد بن محمد بن ابي عبده، عبد الملك بن جهور وعبد الملك بن عمر بن شهيد: ابن حيّان، ج ٥، ص٢٥٤.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٤ والوزراء هم أنفسهم الذين ذُكروا في عام ٣١٧هـ بالاضافة الى أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ويحيى بن اسحاق.

(٥) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٩٠-٣٩١ وهم سعيد بن المنذر القرشي المرواني، أحمد بن محمد بن حدير، عبد الحميد بن بسيل، أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف، خالد بن امية بن شهيد، عيسى بن احمد بن ابي عبدة، عبد الملك بن جهور، فطيس بن أصبغ بن فطيس، أحمد بن محمد بن الياس، ويحيى بن اسحاق.

(٦) ابن حيّان، ج ٥، ص ٤١٦ وهم انفسهم وزراء عام ٣٢٤هـ ما عدا يحيى بن اسحاق، ودخول وزيرين جديدين للوزارة هما عبد الرحمن بن عبد الله الزجّالي وأحمد ابن عبد الملك بن عمر بن شُهيد.

(٧) ابن حيّان، ج ٥، ص ٤٧١ والوزراء هم : احمد بن عبد الملك بن شهيد المثنّى الوزارة، سعيد بن ابي القاسم الخال، عبد الحميد بن بسيل، خالد بن امية بن شهيد، عبد الملك بن جهور، أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف، جهور بن عبيد الله، أحمد بن محمّد بن مبشّر، محمد بن عبد الله بن حدير، عبد الله بن بدر، سعيد بن جماس، عبد الرحمن بن عبد الله الزجّاليّ، أحمد بن محمد بن الياس ويحيى بن اسحاق.

ستة عشر وزيرا عام ٣٣٠هـ وهو أعلى رقم بلغته الوظائف الوزارية في دولة بني أميّة في الأندلس (١) .

مما سبق يلاحظ توسع التنظيمات الادارية المركزية في الأندلس والمتركزة في قرطبة ، ويتضح ذلك من خلال التطور في زيادة عدد الوزراء بسبب تطور وتوسع المهام التي كانوا يقومون بها (٢) .

وأخلص الى القول أنّ قرطبة بدأت تنمو بمضيّ السنين ، ومع مرور الزمن لا بدّ وان تتخذ أمور جديدة في الدولة ، وتوسع أمور اخرى ، وتزداد الامور الاداريّة والسياسية تنظيما ، فكانت كلها في قرطبة ، فبرزت تنظيمات وخطط جديدة كالشرطة عندما استحدثها عبد الرحمن الداخل لحراسته وحراسة مقرّه (٣) ، هذا بالنسبة للتنظيمات الادارية المركزية في الاندلس في العهد الاموي بشقيّه الامارة والخلافة .

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ والوزراء هم أحمد بن عبد الملك بن شهيد المثنّى الوزارة ، سعيد بن ابي القاسم الخال ، عبد الحميد بن بسيل ، خالد بن أميّة بن شهيد ، عبد الملك بن جهور ، عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ، جهور بن عبيد الله بن ابي عبدة ، عيسى بن فطيس بن أصبغ ، أحمد بن محمّد بن مبشّر ، محمد بن عبدالله بن حدير ، عبد الله بن بدر بن أحمد ، سعيد بن الجسّاس ، محمد بن هاشم التجيبي ، عبد الرحمن بن عبد الله الزجّالي ، أحمد بن محمّد بن الياس ' ويحيى بن اسحاق .

(٢) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ – ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٣٧٦ ، ٤٢٨ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٩٠–٩١ وذكر ان الداخل اتخذ حراسا له ووضع عليهم عبدالرحمن ابن نُعيم بعد ان أخبر ان بعض اليمانية يريدون قتله بعد أن تمكن من القضاء على سلطة يوسف الفهرى ؛ وانظر مؤنس ، فجر ، ص ٦٨٥ ؛ وانظر الدورى ، عبدالرحمن الداخل في الأندلس ، ص ٢٥١ ؛ ثم انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ : حيث ذكر ان من الخطط والتنظيمات التي برزت وتطورت في قرطبة خطط السكّة وعملها ؛ وانظر قول الرازى في (ابن سعيد) ، ج١ ، (دار المعارف) ، ص ٤٦ : فقد ذكر ان عبد الرحمن بن الحكم الاوسط احدث بقرطبة دار السكّة وضرب الدراهم باسمه ؛ ومن الخطط في قرطبة خطة خزانة السلاح ، انظر ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٨٨ ، وخطة المواريث والشرطة وخطة المظالم والخزانة والكتابة للوزراء ، وخطة المدينة ، وخطة الخيل ، وخطة السوق ، انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣٧٦ ، ٤٢٨ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٨٦ – ٤٨٧ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥٨ ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

والشق الثاني وهو عصر الخلافة والفرق الواضح بين الشقين بالنسبة للأندلس :

هو ان الامير عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ثامن الامراء الامويين في الاندلس ، قد تلقّب بالناصر (١) ، واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين (٢) ، الذى لم يتخذه من قبل آباؤه واجداده في الأندلس ، نظرا لان الاعتقاد كان ان الخلافة تكون لمن يملك أصل العرب (٣) ، والحرمين الشريفين (٤) ، وأنه كان لا يرى تعدد الخلافة (٥) ، حفاظا على وحدتها وقدسيتها (٦) ولأن المسلمين لم يتعودوا على تعدد الخلافة ، ولكن باعلان الخلافة الفاطمية في افريقيا ، وبروزها في مصر (٧) ، ونتيجة لضعف الخلفاء العباسيين (٨) ، رأى عبد الرحمن الناصر أنه أهل لهذا اللقب ، وأنه لا بدّ له من اتخاذه بسبب ظروف العالم الاسلامي ، فاتخذه ، وتلقّب بأمير المؤمنين ، وبهذا الحدث كانت الأندلس قد استقلت نهائيا عن المشرق الاسلامي حتّى بالاسم ، فقد اصبح لها كيانها المعنوى الخاص بها ، والذى لم يجرؤ اسلاف

---

(١) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥٧ ؛ ابن الكازروني ، ص ١٠٨ ؛ النويّرى ، ج ٢٢ ، ص ٢٩٦-٣٩٧ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٦٥ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .

(٢) المسعودى ، مروج ، ج١ ، ص ١٦٢ ؛ ابن حزم ، نقط العروس ، م :١٣ ، ج٢ ، ص ٥١ ؛ ابن الكردبوس ، م :١٣ ، ص ٦٠-٦١ ؛ ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٥٣٥ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٣٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥٧ وذكر ان ذلك حدث عام ٣١٦ ؛ ابن الكازروني ، ص ١٠٨ ؛ النويّرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٩٧ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٦٥ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ ، ٤٧٨ ؛ المقّرى ، أزهار ، ج٢ ، ص ٢٥٨ ، مرتضى ، ص ٢١ .

(٣) ابن خرداذبه ، ص ٩٠ ؛ المسعودى ، مروج ، ج١ ، ص ١٦٢ ؛ ابن حزم ، نقط ، م :١٣ ، ج ٢ ، ص ٥٠ ؛ ابن الكردبوس ، م :١٣ ، ص ٦٠-٦١ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ١ ، ص ٣٦ (ابن حيّان) ؛ ابن الكازروني ، ص ١٠٨ ؛ النويّرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٩٧ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٦٥ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ ، المقّرى ، أزهار ، ج٢ ، ص٢٥٨ ، مرتضى ، ص٢١ .

(٤) ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٦٥ .

(٥) ابن خرداذبه ، ص ٩٠ ؛ المسعودى ، مروج ، ج١ ، ص ١٦٢ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٦٥ .

(٦) انظر الماوردى ، الاحكام السلطانية ، ص ٩ حيث بيّن ان مفهوم المسلمين واعتقادهم كان بعدم جواز ان يكون للامة الاسلامية امامان في وقت واحد .

(٧) النويّرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٩٧ ، القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ ، ٤٧٨ وقد كان اول ظهور للفاطميين سنة ٢٩٦هـ ، مرتضى ، ص ٢١ .

(٨) ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٣٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٥٧ ؛ النويّرى ، ج ٢٢ ، ص ٣٩٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ ؛ المقّرى ، أزهار ، ج٢ ، ص ٢٥٨ ، مرتضى ، ص ٢١ .

عبد الرحمن الناصر في الأندلس على اتخاذ هذه الخطوة (١)، مع أنهم كانوا قد قطعوا الولاء للخلافة العباسية منذ السنة الاولى لقيام امارتهم عام ١٣٨هـ، وذلك بامتناعهم عن الدعاء لخلفاء بني العبّاس بعد عشرة أشهر من قيام دويلتهم (٢)، وفي حقيقة الأمر أنهم كانوا مستقلين ولكنّ الأمر اتخذ شكله الرسمي بعد ان تلقب عبد الرحمن الناصر عام ٣١٦ هـ بلقب أمير المؤمنين (٣).

مما سبق أخلص الى القول ان ادارة حكم الاندلس ابّان عهد أمويّيها كانت تدار من قبل أمير أو خليفة، من بيت عبد الرحمن بن معاوية الداخل، يعاونه عدد من الوزراء والاداريين، كان يزداد عددهم باتساع مرتكزات ومؤسسات نظام الحكم وتنظيماته، فكان هناك للداخل اربعة وزراء (٤)، بينما وصل عدد الوزراء في عهد الناصر الى ستة عشر وزيرا (٥) كانوا يقومون بمساعدة الامير أو الخليفة في تصريف شؤون الحكم في الدولة.

---

(١) ابن خرداذبه، ص ٩٠؛ المسعودي، مروج، ج١، ص ١٦٢؛ ابن الأبار، الحلة، ج١، ص ٣٦ (ابن حيان)؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٩٧ لانهم كانوا يتسمّون بابناء الخلائف؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٤٧٨؛ المقري، أزهار، ج٢، ص ٢٥٨، مرتضى، ص٢١.

(٢) ابن الأثير، ج٦، ص ١٠، ٤٩٤، ٤٩٥؛ ابن الفرضي، ج١، ص ١١؛ الحميدي، ص ٨ - ٩؛ ابن الأبار، الحلة، ج١، ص ٣٥، ٣٦؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤٤، ٤٦، ٤٨؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٣٤، ٣٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٨؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٢-٢٦٣، ٢٦٤-٢٦٥؛ وانظر ابن حزم، نقط، م:١٣، ج٢، ص ٧٥ وذكر ان الدعاء لخلفاء بني العباس استمرّ لسنوات؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٠-٦١ وذكر رواية غريبة وذلك ان الدعاء لبني العبّاس استمر الى عهد الناصر، وهذا غير معقول بسبب العداوة بين الجانبين؛ وانظر الكتبي، م:٢، ص ٣٠٢ (عن ابن حزم).

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٤٠؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤٨.

(٤) ابن عذاري، ج٢، ص ٤٨ وهم عبد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، ويوسف بن بُخت، وحسّان بن مالك. وذكر المصدر نفسه ان حُجّاب الداخل خمسة وهم تمام بن علقمة، ويوسف بن بُخت، وعبد الكريم بن مهران، وعبد الحميد بن مغيث، ومنصور فتاه: المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨. واغلب الظن ان وزراء الداخل لم يجتمعوا في فترة واحدة ولكن ورد ذكرهم على انهم وزراء الداخل طيلة حياته، كما يتضح الفرق في وظيفة الحاجب اذ انه في عهد الداخل كان بمثابة القائم على باب الأمير على عكس ما اصبح فيما بعد حيث أضحى بمثابة كبير للوزراء (وزير أوّل) (مثنّى الوزارة).

(٥) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٤٨٧.

٢) الادارة المحلّية لاقليم طليطلة :

أ- اقليم طليطلة : مدينة طليطلة والمناطق التابعة لها في عهد الولاة وفي عهد ما قبل الاسلام.

ب- الادارة المحلّية في طليطلة ابّان حكم الامويين في الأندلس والمناطق التابعة لها.

جـ- التركيبة السكانية في مدينة طليطلة في العصر الاسلامي.

اقليم طليطلة: قبل البدء بذكر المدن والقرى والحصون والأقاليم التي كانت تتبع مدينة طليطلة في العهد الاسلامي لا بدّ وان نعرّج على التقسيمات الادارية والكنسية قبل بزوغ فجر الاسلام على أرض الأندلس ، وعلى اقليم طليطلة ابّان العهود الاسلامية ، لنرى ما حدث عليه من زيادة أو نقصان ونتلمّس مدى تأثر طليطلة بالفترات الزمنية المتلاحقة عليها ، من حيث حجم الاقليم وسلطة طليطلة ، وعلاقة ذلك بمواقف طليطلة تجاه قرطبة ابّان العهود الاسلامية .

فلا بدّ والحالة هذه من ذكر التقسيمات الادارية في شبه الجزيرة الايبيرية ابّان العهود التي سبقت قدوم المسلمين بشكل موجز لكي نحاول رسم صورة لنفوذ طليطلة والمناطق التابعة لحكمها كولاية ضمن التقسيمات الادارية عبر السنين والدول، التي تعاقبت على حكم طليطلة وشبه الجزيرة الايبيرية ، فقد ذكر البكري أن (الأندلس) في عهد الرومان قسّمت الى ستة أقسام ادارية ، يضم كل قسم عددا من المدن (١) .

القسم الأول : النربوني وهو حدّ ما بين بلاد الفرنجة والاندلس ومن اشهر مدنه مدينة نربونه ، يتبعها سبع مدن (٢) .

(١) البكري، جغرافية ، ص ٥٩-٦٤ والتقسيم هو المعروف بتقسيم قسطنطين: انظر المصدر نفسه ، ص ٥٩ ؛ وتقسيم قسطنطين: هو التقسيم الذى تمّ في عهد دقلديانوس، انظر مؤنس ، فجر، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ وانظر د. أبو رميله ، هشام ، نظم الحكم في عصر الخلافة في الاندلس ، ص ١٠٠.

(٢) البكري، جغرافية ، ص ٥٩-٦٠ وهو عبارة عن جزء من جنوبي فرنسا الحالية ، والمدن هي بَطرّش ، طليوشة ، مَقلونة ، نومشو ، وقرقشونة ، علما بانه لم يذكر سوى خمسة مدن.
Béziers, Tolosa, Maguelonne, Nemauso, Carcassonne.

امّا الجزء الثاني فهو جزء براقرة (Bracara) ، وهي منطقة جليّقيـــة وشلطانية (Celtiana) ، وأضاف اليها التقسيم اثنتي عشرة مدينة من المدن المجاورة لها [١] ، وجعل التقسيم الروماني الجزء الثالث ، من مدينة طرّكونة (Tarragona) ، واضاف اليها خمس عشرة مدينة [٢] ، وامّا الجزء الرابع من التقسيم فهو القسم الذى كان عاصمته طليطلة ، وهو الذى يعنينا ، وقد أضاف اليها عشرين مدينة ، لم يذكر منها سوى ثماني عشرة مدينة [٣] ، والمدن هي : أوريط (Oreto) [٤] ، شقوبية (Segovia) ، أركبيقة (Ercavica) [٥] ، وادي الحجارة (Guadalajara) ، شغونسه (Sigüenza) [٦] ، أكشمة (Osma) [٧] ، بلنسية (Palentia) [٨] ، بلازيا (Placncia) ، أريولة (Orihuela) ، ألش (Elche) ، شاطبة (Jativa) ، دانية (Denia) [٩] ،

---

(١) البكري ، جغرافية ، ص ٦٠-٦١ ، وذكر عشرة مدن فقط هي مدن: برطقال ، تـــوذى ، أرية ، لكه ، برطانية ، أشيرقية ، شانت ياقو ، إيرية ، بطقة ، وشارّة ، وهـــن بالترتيب : Portus Gallensis= بورتو), Tuy, Auria, Lugo, Britonia, Astorga, Santiago, Iria, ,Sarria.

(٢) البكري ، جغرافية ، ص ٦١-٦٢: Tarragona, Zargoza,(Sargossa),Huesca, Lerida, Tortosa, Tudela,Navarra,Pallars,Barcelona,Gerona,Ampurias, Pamplona, Oca,Calahorra,Tarazona,Amaya.
طرّكونة ، سرقسطة ، أشقة ، لاردة ، طرطوشة ، تطيلة ، نبّرة ،وبلد بليارش ، برشلونة ، جرندة ، أنبوريش ، بنبلونة ، أوقة ، قلهرّة ، طرسونة ، ومدينة أماية .

(٣) البكري ، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣ .

(٤) وقد اندثرت هذه المدينه ابّان العهد الاسلامي وعمرّت قلعة رباح وكركى بخراب أوريط ، الحميرى ، ص ٣٣ .

(٥) ذكرت في المجمع الطليطلي الثالث أركبيكة ، أنظر ص ١٢٤ .

(٦) كتبت في مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٣٤ ، بصورة شُغنسه .

(٧) وكتبها مؤنس بالاضافة للشكل في الأعلى اكشومة (Oxuma) أنظر مؤنس ، فجر ، ص ٥٤١ .

(٨) انظر العذرى ، ص ١٧ ، الحميرى ، ص ٤٧ : فقد ذكرا انّها كانت في الجزء الرابع من قسمة قسطنطين .

(٩) مدينة تقع في الجهة الشرقية من الأندلس : انظر الحميرى ، ص ٧٦ .

بيّاسة (Baeza)، قسطلونة (Cazlona) = (Castulona)، منتيشة (Mentes) (١)
وادى آش (Guadix)، بسطة (Baza)، وأرش (Urci)، وهي بجانة (Pechina)،
والجزء الخامس في التقسيم الروماني : عاصمته ماردة (Merida)، وأضيفت اليها
اثنتاعشرة مدينة ذكر احدى عشرة مدينة منها (٢) ، وامّا الجزء السادس : فعاصمته اشبيلية
(Sevilla)، واضيفت اليها سبع عشرة مدينة (٣) .

التقسيم الكنسي في عهد القوط في ايبيريا: من خلال تفحص المعلومات الواردة في
مجمع طليطلة الثالث ،التي ذكرت اسماء الاساقفة الذين وقّعوا على قرارات المجمع ،
يتضح أن الدولة القوطية كانت مقسمة في عهد القوط الى ست مطرانيات ، على رأس
كل قسم من الاقسام الستة اسقف مطراني يوجد في عاصمة الاقليم ، يتبعه عدد من
الاساقفة في المناطق التابعة لنفوذه الكنسي (٤) ، وهذه الاقسام الأسقفية المطرانية هي:
الأسقفية المطرانية الماردّية (ماردة) رأس اقليم لجتانية (٥) ، الاسقفية المطرانية
الطليطلية ، رأس اقليم قرطاجنّة (٦) ، الاسقفية المطرانية الاشبيلية رأس اقليم بيطقة (٧) ،

---

(١) البكرى ، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣.

(٢) البكرى، المصدر نفسه ، ص ٦٣: والمدن هي: باجة (Beja)،اكشونبه (Ocdonoba) يابرة (Evora)، شنترة (Cintra)، شنترين(Santrem)،الأشبونه (Lisbon - Lisboa)، قلمرية (Coimbra)، قورية (Coria)، شلمنتقة (Salamanaca= Salamantica) ، وسمورة (Zamora).

(٣) البكرى، المصدر نفسه ، ص ٦٤. والمدن هي: لبلة (Niebla)، قرطبة (Cordoba) قرمونة (Carmona)، موورور (Moron)، مرشانة (Marchena)، الجزيرة الخضراء (Algeciras)، تاكرنا (Takurnna)، ريّه (Rejio Reyyo)، أشونة (Osuna)، استّجة (Ecija)، قبرة وأعمالها الى بجانة (Cabra)، بجّانة (Pechina)، البيرة (Elvira)، جيّان (Jaen)، ومنتيشة (Metesa)، أبذة (Ubeda)، وبيّاسة (Baeza).

(٤) مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١-١٢٤.

(٥) مجمع طليطلة الثالث، ص ١٢١. وذكر مؤنس ان اسم الاقليم لشدانية. انظر مؤنس ، فجر، ص ٥٤٥.

(٦) مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١.

(٧) مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ ، وكتبت بيتكا وباطقة (Betica)، انظر العذرى ، ص ١٧٢ ; JOES', TOMO.1.P. 219

الاسقفية المطرانية البراقرّية ، رأس اقليم جلّيقية (١) ، الاسقفية المطرانية النربونية ، رأس اقليم غالية (٢) ، والاسقفية المطرانية الطرّكونية (٣) ، ويلاحظ ان التقسيم الكنسي القوطي هو نفسه التقسيم الاداري الذي كان معمولا به في زمن الرومان تقريبا ، حيث ان كل مطرانية كانت تقع في عاصمة الاقليم ، تتبعها المناطق التابعة للاقليم التي تقع فيه .

وقد حاولت تتبع بعض أسماء الأسقفيات التابعة لمطرانية طليطلة حسب التقسيم الكنسي القوطي ومقارنته بالتقسيم الروماني ، فتعرفت على اسماء عشر اسقفيات هي: أسقفية بلنسية ، أسقفية أوريط ، أسقفية منتيشة ، أسقفية شاطبة (٤) ، أسقفية اركبيكة (٥) ، أسقفية أش (٦) ، أسقفية قسطلونة (٧) ، وأسقفية شغنسة (٨) و (٩) .

التقسيم الاداري للأندلس في عهد الولاة المسلمين: قُسّمت الأندلس في البداية الى أربع ولايات الولاية الأولى: ولاية باطقة ، وكانت تمتد من البحر الأبيض المتوسط ونهر الوادي الكبير وما يلي هذا النهر حتى وادي انه (يانه) ، وأشهر مدنها قرطبة ، اشبيلية ، مالقة ، استجة ، وجيّان (١٠) ، وامّا الولاية الثانية : فتشمل جميع الاندلس

---

(١) مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ وجاءت كتابتها فيه (الطرّقونية) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢١ ، ١٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ، وأظنّ ان قشطلونة هي: قسطلونه التي وردت عند البكري ، انظر البكري ، جغرافية ، ص ٦٣ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ، واعتقد انها شغونسه التي ذكرها البكري ، انظر البكري ، جغرافية ، ص ٦٢ .

(١٠) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية الاندلس والمصطلحات الجغرافية ، مجلة تطوان للابحاث المغربية والاندلسية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .

الأوسط ، ما بين البحر الأبيض شرقا الى حدود البرتغال غربا (لوزيتانا) ، ثم الى نهر دويرة (دورو) شمالا ، ومن أشهر مدنها : طليطلة ، قونقة ، شقوبية ، بلنسية ، دانية ، لقنت ، قرطاجنّة ، مرسية ، لورقة ، وبسطة [١] ، والولاية الثالثة : هي جليقية ولوزيتانا (البرتغال القديمة) ، واشهر مدنها : ماردة ، يابرة ، باجة ، أشبونة ، قلمرية ، لك ، استرقة ، شلمنقة [٢] ، وامّا الولاية الرابعة : فتمتد من شهر دويره الى جبال البرنيه (جبال البرت او الممرات) على ضفتي نهر ابرو ، وغربا الى جليقية ، واشهر مدنها : سرقسطة ، طرطوشة ، طرّكونة ، برشلونة ، ارقلة (أرجل) بلد الوليد ، وشقة ، وببشتر [٣] .

وبعد التدقيق فيما ذكره عنان [٤] ، وما ذكره البكرى [٥] ، وما بينّه المجمع الطليطلي الثالث [٦] ، يلاحظ ان ولاية باطقة في عهد الولاة ، هي نفسها ولاية باطقة التي كانت قبل دخول الاسلام الى الأندلس ، ولكن بدل أن كانت عاصمتها اشبيلية في عهد الرومان والقوط [٧] ، أصبحت قرطبة عاصمة لها ابّان الحكم الاسلامي بعد ان تحوّل المسلمون اليها من اشبيلية عام ٩٩هـ [٨] ، وامّا بالنسبة لولاية قرطاجنّة التي عاصمتها طليطلة فبقيت كما هي [٩] ، وكذلك الحال بالنسبة للولاية الثالثة (الجِتانية ، لشدانية) التي عاصمتها ماردة [١٠] ، الّا ان بعض أجزاء من ولاية جليقية البراقرّية أضيفت اليها ،

---

(١) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .
(٢) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .
(٣) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .
(٤) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ عنان ، جغرافية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .
(٥) انظر البكرى ، جغرافية ، ص ٥٩-٦٤ .
(٦) مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١-١٢٤ .
(٧) البكرى ، جغرافية ، ص ٦٤ ؛ مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ .
(٨) أخبار مجموعة ، ص ٢١ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢١ .
(٩) انظر البكرى ، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣ ؛ مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ ؛ وانظر عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ .
(١٠) عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ .

فقد أضاف عنان الى الولاية الثالثة بعض مدن جليقية ولوزيتانا (البرتغال القديمة) ، - فذكر مدن لك واسترقه وشلمنقة[(١)] ، وهذه المدن كانت ضمن ولاية جليقية في العهد الروماني والقوطي - ، وذلك[(٢)] لأن بعض اجزاء من جليقية لم تخضع للسيطرة الاسلامية[(٣)] ، وكذلك بسبب قيام تلك القوات المعتصمة بالجبال ومن انضمّ اليها باسترداد مناطق من اشتريس من جليقية وخاصة في العقدين الثاني والثالث من المائة الهجرية الثانية[(٤)] .

واما الولاية الرابعة : فهي نفسها ولاية طرّكونة التي كانت قبل مجيء المسلمين الى الأندلس ، ولكن سرقسطة اصبحت عاصمتها في العهد الاسلامي[(٥)] ، بدل طرّكونة .

امّا الولاية النربونية ، فانّها لم تخضع لسيطرة المسلمين في عهد فتوحات موسى بن نصير وطارق بن زياد (٩٢-٩٥هـ)[(٦)] ، ولكن فيما بعد استطاع المسلمون التوغل في مناطق جديدة وضمّها لممتلكاتهم من أراضي الفرنجة حسب ما ذكرته المصادر[(٧)] ، وكما أنّها اشارت الى أنّ مدينة أربونة فتحت في عهد عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦ - ١٢١هـ)[(٨)] ، وبيّن الخُشني ان عقبة كان يرابط بأربونة للجهاد والفتح[(٩)] ، ويفهم مما

---

(١) انظر عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٦٩ ؛ وانظر البكري ، جغرافية ، ص ٦٠-٦١ (مقارنة بين ما ذكره البكري وعنان عن التطور في الولاية) .

(٢) انظر البكري ، جغرافية ، ص ٦٠-٦١ ، ولم يذكر شلمنقة ضمن حدود منطقة الولاية ؛ وانظر مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ .

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٢٩ ؛ المقري ، نفح ، ج١ ، ص ١٧ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ٦١-٦٢ ؛ المقري ، نفح ، ج١ ، ص ١٧ .

(٥) انظر أخبار مجموعة ، ص ٦٢ ؛ العذري ، ص ٤٣ ، ٤٤ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٦٣ ؛ ابن الأبار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٦٨ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦١ ؛ وانظر عنان ، دولة ، ق :١ ، ص ٦٩ ، ١٣١ ؛ عنان ، جغرافية ، م:٣-٤ ، ص ٣٨ .

(٦) انظر ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٥٦٥ ؛ وانظر ابن حبيب ، م:٥ ، عدد١-٢ ، ص ٢٢٧ ؛ ابن قتيبة ، الامامة ، ص ١٣٦ ؛ الادريسي ، نبذة ، ص ٢٠٣ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ١٢ ، ١٦ ؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ١٢٢ - ١٢٧ .

(٧) ابن عذاري ، ج٢ ، ص ١٦ .

(٨) ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٢٩ .

(٩) الخُشني ، ص ٩ ؛ وانظر المقري ، نفح ، ج٣ ، ص ١٩ .

ذكرته المصادر ان منطقة اربونة اضيفت الى الأملاك الاسلامية في عهد الولاة، وذلك من خلال قولها ان مدينة أربونة كانت تحت امرة أحد عمّال الولاة، المدعو عبدالرحمن ابن علقمة اللخميّ، وتحديدها لزمن ولايته بانها كانت في عهد ــ الوالي العام للأندلس ــ عبد الملك بن قطن الفهرى الذى حكم الأندلس من عام ١٢١-١٢٣هـ (١).

مما سبق يتضح ان اراضي جديدة قد فتحت وأضيفت الى الممتلكات الاسلامية، فشُكّل منها ولاية خامسة تقع شمال جبل البرنيه (البرت)، فكانت تضم كلا من أربونة ونيمة (أونومشو)، قرقشونة، بزييه، أجده، ماجويلون (امقلون)، ولوديف (٢)، ومن الملاحظ على هذه الولاية أنّها كانت الولاية السادسة، حسب تقسيمات الرومان والقوط ضمن دولة القوط في ايبيريا تقريبا (٣).

وفي عهد آخر الولاة يوسف الفهرى ١٢٩-١٣٨هـ ،أُعيد تقسيم الأندلس الادارى، حيث قسمت الى خمسة أقسام ادارية (٤)، ومن الملاحظ على تلك الاقسام الخمسة انّها نفسها الاقسام الخمسة السابقة، وأورد القسم الثاني كمثال، وهو قسم طليطلة (ولاية طليطلة) وهي قرطاجنّة القديمة، وتمتد هذه الولاية من جبال قرطبة في شمال شرقي ولاية باطقة، حتى نهر دويره، وجبال وادى الحجارة شمالا، واشهر قواعدها، طليطلة، مرسية، لورقة، أُوريولة، شاطبة، دانية، لقنت، بلنسية، شقوبية، وادى الحجارة وقونقة (٥).

وبعد التدقيق في المعلومات السابقة تتبلور في الذاكرة صورة التقسيم الادارى للأندلس في عهد الولاة، التي كانت قريبة من التقسيم الادارى الذى كان معمولا به في الاندلس منذ العهد الروماني، والذي سار عليه القوط فيما بعد،

---

(١) ابن القوطية، ص ١٦-١٧؛ أخبار مجموعة، ص ٤٣.

(٢) عنان، دولة، ق:١، ص ٦٩، ١٢١.

(٣) انظر البكرى، جغرافية، ص ٥٩-٦٠.

(٤) عنان، دولة، ق:١، ص ١٣٠-١٣١.

(٥) عنان، دولة، ق:١، ص ١٣٠.

ويمكنني القول ان ولايات باطقة وطليطلة وماردة وطرّكونة (سرقسطة) كانت قد خضعت لسلطان المسلمين منذ ان تمّ فتحها على أيدى موسى وطارق (٩٢-٩٥)هـ (١)، امّا الولاية النربونية فانّها لم تكن قد فتحت بعد في بداية عهد الولاة، لذلك فان الأندلس صارت خمس ولايات في بداية حكم الولاة، ولكن مع مرور الزمن، وخسارة المسلمين لاجزاء من ولاية جليّقية (براقرة) (٢)، فان الأندلس قد أصبحت أربع ولايات، ولكن بعد أن امتدت الفتوحات الى منطقة الفرنجة (جنوب فرنسا)، أنشئت الولاية الخامسة وهي الولاية النربونية القديمة تقريبا، التي أصبحت تعرف بولاية أربونة (٣).

أمّا عن تسيير أمور طليطلة اداريا في عهد الولاة فانّ المعلومات التي ذكرتها المصادر التي اطلعّت عليها لم تسعفني بالكشف عن هذا الموضوع، سوى ذكرها لاسم الصميل بن حاتم (٤)، وهشام بن عروة الفهرى (٥)، كواليين لطليطلة في آخر سنتين من عهد الولاة (٦).

---

(١) انظر أخبار مجموعة، ص ٧-٩، ١٤-١٥، ١٧-١٩؛ ابن الأثير، ج ٤، ٥٦٣-٥٦٥؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨-٩، ١٢، ١٤-١٦؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٩ - ٢٧٠، ٢٧٣.

(٢) أخبار مجموعة، ص ٢٨، ٦١-٦٢.

(٣) عنان، دولة، ق:١، ص ٦٩؛ وانظر البكرى، جغرافية، ص ٥٩-٦٠ بالنسبة للولاية النربونية.

(٤) ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٦٣؛ ابن الأبار، الحلة، ج١، ص ٦٨؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦١.

(٥) أخبار مجموعة، ص ١٠٠-١٠١.

(٦) انظر أخبار مجموعة، ص ١٠٠-١٠١؛ ابن الآبّار، الحلّة، ج١، ص ٦٨؛ انظر هذا الفصل ص ١٣٨، ١٣٩.

التقسيم الاداري للأندلس واقليم طليطلة في عهد الامويين:

امّا التقسيم الاداري للاندلس ولاقليم طليطلة بالذات في عهد بني أمية، فيبدو انّه اختلف عن التقسيم السابق الذي قُسّمت بموجبه أملاك المسلمين في تلك المنطقة الى خمسة أقسام[1]، فيظهر انّ سياسة الامويين كانت تقوم على تجزئة المناطق الكبيرة الى مناطق أقل حجما ليسهل ادارتها، ولتزيد من مركزية الادارة العامة في الاندلس فانتهجت الدولة الاموية سياسة تفتيت المناطق والاقاليم الى وحدات اصغر حجما من ذي قبل، لجعلها أسهل قيادة واقلّ خطورة، لمنع قيام الثورات ضد الادارة المركزية في قرطبة، وذلك بسبب انفصال الاندلس عن جسم الدولة الاسلامية في المشرق[2]. ومن المؤكد ان الثورات الداخلية التي واجهت عبد الرحمن الداخل وخلفائه[3]، قد ساعدت في ترسيخ مبدأ تفتيت الولايات الكبرى التي كانت موجودة في عهد الولاة[4]، الى أحجام أقلّ والى أقاليم أصغر.

ويلاحظ على طليطلة انها لم تعد مركزا لاقليم طليطلة في بعض الفترات بسبب ثوراتها وعصيانها على سلطان بني أميّة في قرطبة، فعامل طلبيرة مثلا عمروس بن يوسف وُجه من قبل الأمير الاموي في قرطبة الحكم بن هشام، ليقضي على ثورة طليطلة،

---

(١) عنان، دولة، ق:١، ص ٦٩؛ عنان، جغرافية، م:٣-٤، ص ٣٨-٣٩.

(٢) انظر الاصطخري، ص ٣٧؛ ابن الأثير، ج ٦، ص ١١١، ٤٩٥؛ ابن الأبار، ج١، ص ٣٥-٣٦؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٤١، ٣٤٦-٣٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٩؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٤-٢٦٦؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٣) انظر أخبار مجموعة، ص ٤٤، ١٠١، ١٠٤؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨١، ٢٨٤؛ العذري، ص ١١، ١٣، ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٤٤؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٢٥٩، ٤٩٨، ٢٢٧، ٦٠٥؛ ج ٦، ص ١١٦، ١٥٨، ١٩٩، ٢٠١، ٤٧٥؛ ابن الأبار، الحلة، ج١، ص ٥٩؛ ابن سعيد، ج ١، (دار المعارف)، ص ٤١، ٤٨؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٣٧، ٣٨، ٥٠-٥٧، ٦٢، ٦٣، ٦٩-٧٠، ٧٤-٧٥، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥-٨٦، ٨٩-٩٠، ٩٤-٩٥، ٩٦، ١٠٦، ٢٠٣؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦-٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٤-١٥، ٢١، ٢٢، ٢٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٣-٢٦٩، ٢٧٥-٢٧٧، ٢٨٠، ٣٠٥، مرتضى، ص ٢١.

(٤) عنان، دولة، ق:١، ص ٦٩، ١٣١؛ عنان، جغرافية، م:٣-٤، ص ٣٨-٣٩.

بل وليصبح واليا عليها في عامي ١٨١هـ و ١٩٠هـ (١) ، كما ان عددا من المناطق التي كانت ضمن ولاية قرطاجنة - التي عاصمتها طليطلة -، في عهد الرومان والقوط والولاة المسلمين لم تعد تتبع طليطلة اداريا ، حيث كان يولّى عليها العمال والقادة من قبل قرطبة مباشرة مثل قلعة رباح وطلبيرة (٢) ، ومدينة الفرج (وادى الحجارة) (٣) ، ومجريط (٤) ، كما ان مناطق أخرى قد تغيّرت في العهد الاموى على اعتبار انّها تتبع طليطلة اداريا او حتّى جغرافيا ، مثل بلنسية ولورقة وشاطبة ولقنت وقرطاجنة ومرسية وبسطة ، اذ ان هذه المناطق كانت تتبع لولاية طليطلة في العهود السابقة لعهد الاسلام ، وفي عهد الولاة المسلمين(٥) ، وصارت مناطق مستقلة يعيّن عليها الولاة من قبل سلطات قرطبة ولم تعد تتبع طليطلة نهائيا .

مما سبق يتضح ان طليطلة ابّان العهد الاموى فقدت مناطق ، فصلت عنها نهائيا نظرا لبعدها عنها(٦) وتدل أخبار بعض المصادر على انها لم تعد تتبع طليطلة ،

---

(١) ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٥٨، ١٩٩ ؛ النويرى ، ج٢٣، ص ٣٦١، ٣٦٥. وذكرا أن ذلك تم في عام ١٩١ هـ في المرة الثانية ؛ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢) انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٥٤، ٢٨٥، ٣١٥، ٣٣١، ٣٥٥، ٣٩١، ٤١٧، ٤٧٢ ؛ابن عذارى، ج ٢ ، ص ٩٥، ٩٦: فقد ذكر ان الامير محمد بن عبدالرحمن في عام ٢٤١هـ قام بشحن قلعة رباح وطلبيرة بالقوات والفرسان وترك فيها عاملا له : هو حارث بن بزيع ، وكما ورد عنده ايضا ان القائد مسعود بن عبدالله العريف قائد طلبيرة اوقع عام ٢٤٣هـ باهل طليطلة ، وانظر المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٩-٧٠؛ وانظر ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٥٨ ؛ النويّرى، ج ٢٢ ، ص ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٩-٣٨٠، ٣٨٨ ؛ابن خلدون، م:٤ ، ص٢٧٣.

(٣) انظر ابن حيّان ، ج ٥، ص ١٦١، ١٦٢، ٢٧٧ ؛ وانظر اليعقوبي ،البلدان، ص ٣٥٥ فقد ذكر ان منويل بن فرج الصنهاجي كان واليا على وادى الحجارة لبني امية .

(٤) انظر ابن حيّان ، ج ٥، ص ٤١٧.

(٥) انظر البكرى، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣ ؛ عنان، دولة ، ق:١، ص ٦٩.

(٦) اذ ان طليطلة تقع في منطقة متوسطة من الأندلس بينما تقع بلنسية وقرطاجنة ومرسية وشاطبة في منطقة قريبة من الساحل الأندلسي على شاطئ البحر المتوسط من جهة الشرق ، انظر الخريطة المرافقة .

وذلك بقولها ان بلنسية كانت في الجزء الرابع من قسمة قسطنطين (١) . أي أنها لم تعد تتمتع بهذه التبعية ، وان مناطق أخرى كانت قريبة منها لم تكن تتبعها اداريا بسبب ثورات طليطلة على حكام بني أمية (٢) ، من جهة ، وبسبب السياسة المركزية التي قام الامويون باتباعها لكي يسهل عليهم ضبط شؤون الأندلس ، فكانوا يقومون بارسال القادة والعمال الى مجريط وقلعة رباح وطلبيرة ووادى الحجارة من قبلهم مباشرة (٣) .

المناطق التي ذكرت على انها تابعة لاقليم طليطلة الاداري : كان يتبع مدينة طليطلة "Toledo" ابان الحكم الاسلامي العديد من المدن والقرى والقلاع والحصون والاقاليم: فمن الاقاليم التي تتبعها : اقليم شاقرة (٤) (Ságra) وشاقرة : هي عبارة عن ناحية من أعمال شرقي طليطلة وفيها حصن ولمس (٥) ، ثم اقليم شلشلة (٦) (Sísla): وهو من اعمال طليطلة من جهة القبلة ،(الجهة الشرقية الجنوبية)، ويشمل على عدد من الحصون والمدن والقلاع ، ومن مدن هذا الاقليم مدينة قشتبرة (٧) ووردت عند ابن الخطيب قشرة (٨) ، ثم اقليم الاشبورة (٩) ، ناحية من أعمال طليطلة ، ويقال

---

(١) انظر العذرى ، ص ١٧ ؛ الحميرى ، ص ٤٧ .

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ١٠١، ١٠٤ ؛ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٢٨١، ٢٨٤ ؛ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٩٨ ، ج ٦: ص ١٥٨، ١٩٩، ٤٧٥ ؛ ابن الأبار ، الحلة ، ج١ ، ص ٥٩ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٠، ٥٧، ٦٩-٧٠، ٧٤-٧٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٤، ٩٦، ٢٠٣ ؛النويرى ، ج ٢٣ ، ص٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٧-٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٨٠، ٣٨٨ ؛ابن الخطيب ،أعمال ، ص ١٤-١٥ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦٧-٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٠٥ ، مرتضى ، ص ٢١ .

(٣) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ١٦١، ١٦٢، ٢٥٤، ٢٨٥، ٣١٥، ٣٣١، ٣٥٥، ٤٧٧، ٤١٠، ٤١٩، ٤٧٢ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٥-٩٦، ٦٩-٧٠ ؛النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٩-٣٨٠، ٣٨٨ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣، ٢٧٥ .

(٤) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٥) ياقوت ، ج٣ ، ص ٣١٠ ؛ وانظر ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٠ فقد ذكر اسم ولمش على انه من الاماكن التابعة لطليطلة .

(٦) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .

(٧) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ .

(٨) لسان الدين بن الخطيب ،اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تصحيح وفهرست : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ ، ص ٧٩ .

(٩) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت ، ج١ ، ص ١٩٥ .

ان الاشبورة من أعمال استجة (Ecija) (١) ثم اقليم القاسم (Al- Qasem) (٢)، وهو عبارة عن حصن من أعمال طليطلة ، وهناك عدة نواح تابعه له (٣) .

ومن مدائن طليطلة : مدينة طلبيرة (Talavera) (٤)، التي تقع على نهر تاجه (Rio Tajo)، وهي مدينة كبيرة منيعة الاسوار، ولها قلعة تمتاز بحصانتها، كما تقع اجزاء من المناطق التابعة لها على نهر تاجه تمتاز بمزارعها، وتبعد عن طليطلة سبعين ميلا (٥) ، ولطلبيرة اقليم الفحص (٦) ، وهو ناحية كبيرة من أعمال طليطلة التابعة لعمل طلبيرة ، وبالاضافة الى ذلك من أعمال طلبيرة ،أيضا ناحية اقليم السند (٧) ، وناحية اقليم (٨) باشك (٩).

ومن توابع طليطلة شقوبية (Segovia)، وهي عبارة عن قرى متجاورة متصلة بعضها ببعض تقطنها اعداد كبيرة من السكان ولكنّها مع كل هذا لا تشكل مدينة ، وتبعد عن طليطلة مائة ميل (١٠) ، ومدينة طلمنكة هي الاخرى من أعمال طليطلة (١١) ، والمسافة التي بينها وبين مدينة وادى الحجارة (Guadalajara) عشرون ميلا (١٢) ، بناها

---

(١) ياقوت ، ج١ ، ص ١٩٥ .

(٢) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت ، ج٤ ، ص ٢٩٥ .

(٣) ياقوت ، ج٤ ، ص ٢٩٥ .

(٤) انظر ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ ؛ وانظر الادريسي ، صفة ، ص ١٨٧ ؛ ياقوت ، ج ٤ ، ص ٣٧-٣٨ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ،(دار المعارف) ، ص ٠٧ وقد اشاروا الى كونها من أعمال طليطلة .

(٥) الحميرى ، ص ١٢٨ ؛ وانظر ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٧ . وذكر ابن حيّان ان المسافة التي تبعد فيها طلبيرة عن طليطلة ٥٠ ميلا ؛ انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ .

(٦) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ ؛ ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ . ويطلق الاندلسيون لفظ الفحص على كل موضع يُسكن في أرض الأندلس ، سهلا كان أو جبلا ، شريطة ان يُزرع : ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٧) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .

(٨) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ ؛ ياقوت ، ج٣ ، ص ٢٦٧ .

(٩) ابن غالب ، م:١ ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

(١٠) الحميرى ، ص ١٠٤ .

(١١) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ١٦٧ .

(١٢) الحميرى ، ص ١٢٨ .

الأمير محمد بن عبدالرحمن [١] ، ولم تحدّد المصادر تاريخ بنائها ولكنّه يتوقع أن يكون قد تمّ في فترة حكم الأمير محمد بن عبدالرحمن الممتدة ما بين ٢٣٨-٢٧٣هـ [٢] ، وكذلك بلدة مجريط التي تقع شمال طليطلة ، والتي تعتبر قريبة منها وقد عرفت بموقعها الحصين [٣] ، وقد بناها الأمير محمد بن عبدالرحمن في فترة حكمه الواقعه بين عامي ٢٣٨-٢٧٣هـ [٤] ، ولكنّها مع مرور الزمن أصبحت عاصمة مملكة اسبانيا في عام ١٦٠٧م [٥] .

وكانت تتبع طليطلة مدن أشفونية وشنتاليه [٦] ، وذكر ياقوت ان هناك مدينة تسمّى شنت الاليه من أعمال طليطلة [٧] ، وما اظنّها الا المدينة التي ذكرها شيخ الربوة وجاءت كتابتها عنده شنتاليه [٨] ، وشلمنكة [٩] ، ووادى الحجارة [١٠] ، وكانت تعرف بمدينة الفرج [١١] ، ويتبعها مدن تقع بينها وبين طليطلة لم يذكرها المصدر [١٢] ، وتبعد مدينة الفرج عن طليطلة ٦٥ ميلا [١٣] ، ويقع بالقرب منها حصن القُليعة ، وقد وردت الاشارة اليه في زمن عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٨هـ [١٤] ، ومن أعمال مدينة الفرج حصن بنّة :

---

(١) الحميرى ، ص ١٢٨ .

(٢) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ ؛ النويّري ، ج ٢٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٢ ؛ ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٨٧ .

(٣) ابن حوقل ، ص ١٨٨ ؛ ياقوت ، ج ٥ ، ص ٥٨ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ ؛ الحميرى ، ص ١٧٩-١٨٠ .

(٤) الحميرى ، ص ١٧٩-١٨٠ ؛ وانظر المصادر التالية بشأن الزمن الذي حكم فيه الأمير محمد : ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٢ .

(٥) هشاملة ، موريسكيو بلنسية ، دراسات ، م : ١٤ ، ص ٣٥ .

(٦) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ .

(٧) ياقوت ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .

(٨) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ .

(٩) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ .

(١٠) ياقوت ، ج٤ ، ص ٢٤٧ ؛ القزويني ، أثار ، ص ٥٦٧ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، (دار المعارف) ، ص٧ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ ؛ الحميرى ، ص ١٩٣ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ١٦٧ .

(١١) انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ١٦١ ؛ ياقوت ، ج٤ ، ص ٢٤٧ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ؛ الحميرى ، ص ١٩٣ ؛ وانظر ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٢٠٧ ، ٢٢٣ ؛ وانظر ابن سعيد ، ج٢ ، (دار المعارف) ، ص ٧ فقد ذكر انها مدينة الهرج ؛ وانظر القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ ، فقد ذكر انها تقع شرقي طليطلة ، وانه يقال لنهرها وادى الحجارة ومصدر معلوماته ابن سعيد .

(١٢) ياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

(١٣) الحميرى ، ص ١٩٣ .

(١٤) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ١٦١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٧٦ .

الذى عمّر خلال فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن الممتدة بين عامي ٢٣٨-٢٧٣ هـ .(١)

ومن المناطق التابعة لاقليم طليطلة أيضا، مدينة أوريط (Oreto) وهي مدينة كبيرة قديمة ، من مدن طليطلة في العهد الروماني والقوطي(٢) ، وقد اندشرت(٣) في العهد الاسلامي وترعرعت بدلا منها قلعتا رباح وكركي(٤) ، وكذلك فحص البلوط وهو عبارة عن ناحية من أعمال طليطلة ، يتصل بجوف أوريط بين المغرب والقبلة من أوريط .(٥)

ومن المناطق الجديدة التي بنيت في عهد الخلافة الأموية بالأندلس داخل اقليم طليطلة : حصنا وقّش (Cuecas)، ومكّادة (Maqueda)، وقد بنيها من قبل فتح ابن ابراهيم الأموي(٦) ، ـ وهو من أهالي طليطلة ـ، في عهد المنصور محمد بن أبي عامر ، ومن الجدير بالذكر ان الفترة التي برز فيها محمد بن أبي عامر في عملية تسيير أمور الحكم امتدّت من عام ٣٦٦- ٣٩٢هـ(٧) ، ووصفت بعض المصادر وقّش بانها كانت قرية(٨) ، تقع في منطقة الثغر ، الامر الذى يؤكد انّها بنيت لمواجهة غارات المسيحيين(٩) في الشمال.

وامّا مكادة فقد ذكر ابن سعيد انها قرية(١٠) ، في حين ان ياقوت جعلها مدينة من نواحي طليطلة(١١) ، والاقوال السابقة تعني أن من وصف وقّش بانها قرية، كان يتحدث عنها في زمن سابق للزمن الذى جعلها اقرب الى المدينة منها الى القرية، أى ان القول الثاني كان يصفها بعد ان نمت وتوسعت حتى صارت بلدة كبيرة .

---

(١) ياقوت ، ج١، ص١٥٠، وانظر ابن عذارى، ج٢، ص٩٤، النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٨٧، ٣٩٢، بالنسبة لفترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن.

(٢) شيخ الربوة، ص ٢٤٤، الحميرى ، ص ٣٣.

(٣) البكرى، جغرافية، ص ٦٢-٦٣، مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١.

(٤) الحميرى، ص ٣٣.

(٥) ياقوت ، ج١، ص ٤٩٢، شيخ الربوة ، ص١٤٤.

(٦) ابن بشكوال، ق:٢، ص ٤٦٠.

(٧) النُباهي ، ص ٨١.

(٨) ابن سعيد، ج٢، (دار المعارف)، ص ٧، الحميرى، ص ١٩٦.

(٩) الحميرى، ص ١٩٦.

(١٠) ابن سعيد ، ج٢، (دار المعارف)، ص ٧.

(١١) ياقوت ، ج ٥، ص ١٧٩.

ومن الأماكن التي ذكرت على أنّها من توابع طليطلة القريبة منها قرية مغام (١) ، وذكر ياقوت بانه يقال لها ايضا مغامه،ووصفها بانّها بلدة (٢) ، بينما وصفها شيخ الربوة بانّها مدينة (٣) ، ولا شك ان الاوصاف الثلاثة السابقة التي وصفت بها حالة مُغام كانت تحكي فترات متعاقبة وازمان مختلفة مرّت بها، فجاء الوصف الأوّل لها وهي في حالة البداية من نشوئها (٤) ، بينما كان الوصف الثاني يتحدث عنها وهي في مرحلة متطورة من النمو، حيث انتقلت من حالة القرية الى حالة جديدة اصبحت معها بلدة (٥) ، وامّا الوصف الثالث فقد نقل لنا صورتها وهي في مرحلة متقدمة من التوسع والازدهار عندما ذكرها وهي في حالة صارت معها مدينة (٦) .

وتفردّ ابن حوقل بذكر مدينة سمّاها المرّاء، وصفها بانها كبيرة تقع بين مغام وواد باش (٧) ، ولم أعثر لها على أثر في المصادر الأخرى.

ومن توابع طليطلة قلعة رباح ، وهي مدينة تقع غربي طليطلة، لها عدة قرى ونواح يسمّونها الأجزاء، والجزء هو بمثابة الاقليم، منها جزء البكريّين، وجزء اللخميّين (٨) ، وقد بنيت هذه القلعة في عهد بني أمية في عصر الامارة، لتكون نقطة متقدمة لقرطبة في مواجهة ثورات طليطلة، فقد ذكر الحميرى ان الأمير محمد بن عبد الرحمن ، أمر سنة ٢٤١هـ بتحصين قلعة رباح لمواجهة اخطار ثورة طليطلة آنذاك (٩) وهذا يعني انها كانت موجوده قبل هذا التاريخ، كما ذكر المصدر ايضا أنّها تعمّرت

---

(١) انظر ابن حوقل، ص ١١١، ١٨٨؛ الحميرى، ص ١٣٣؛ الزياتي، ص ٤٨٦؛ وانظر ياقوت ، ج ٥، ص ١٦١، فانه وصفها بانها بلدة .

(٢) ياقوت ، ج ٥، ص ١٦١.

(٣) شيخ الربوة، ص ٢٤٤.

(٤) ابن حوقل ، ص ١١١، ١٨٨؛ الحميرى، ص ١٣٣ .

(٥) ياقوت ، ج ٥، ص ١٦١. (٦) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤.

(٧) ابن حوقل، ص ١١١ ، ومن المؤكد ان كتابة كلمتي وادى أش وردت خطأ عند ابن حوقل اذ أن الياء حرف من كلمة وادى .

(٨) انظر ياقوت ، ج ٣، ص ٢٣؛ وانظر ابن سعيد، ج٢، دار المعارف ، ص ٣٩٠٧؛ أبي الفداء ، ص ١٦٨؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ١٦٥، ١٦٧.

(٩) الحميرى ، ص ١٦٣.

بخراب مدينة أوريط ، وذكر الحميرى ان حصن شلبطرّة من المناطق التابعة لقلعة رباح[١]، ومن المناطق التابعة لطليطلة في عهد بني أميّة وخاصة في عصر الخلافة في عهدي الناصر والحكم المستنصر، قلعة كركى[٢] ، كما ذكرت بعض المصادر أن مدينة المائدة هي من أحواز طليطلة[٣] ،وذكر ان قرية نحارس ، من أعمال طليطلة[٤] ، ويبدو[٥] انها نفسها التي تعرف باسم الكالا دى هنارس (Al-Cala de Henares)[٦] ، التي كانت تعرف باسم قلعة عبد السلام التي تقع على مقربة من وادى الحجارة[٧] .

ومن المناطق التي ذكرت على أنها من مناطق طليطلة مدينة الفهميّين[٨] ، وكتبت في مصادر اخرى الفهمين (Al Famin)، وكانت على درجة من الرقيّ[٩]، وذكرت بعض المصادر انها كانت متحضّرة ، فيها اسواق حسنة ، ووصفها ابن بشكوال بانّها كانت حصنا للرباط[١٠] ، وكذلك حصن قنالش (قنيلش)، حيث ربط ابن حيّان وابن عذارى بين هذا الحصن وحصن الفهمين، عندما أشارا الى ان صاحبيهما قدما على عبد الرحمن[١١] الناصر سنة ٣١٨هـ بمنطقة طليطلة ، ومن المؤكد ان قنالش (قنيلش) كان على مقربة[١٢] من الفهمين بسبب ما ذكره ابن حيّان من انها بمنطقة مواجهة للاعداء النصارى على

---

(١) الحميرى ، ص ١٦٣.
(٢) الحميرى ، ص ١٠٨.
(٣) ابن حيّان ، تحقيق: د. الحجيّ ، ص ٢٠١.
(٤) الحميرى ، ص ١٧٩؛ الزياتي ، ص ٤٨٦.
(٥) الخشني، ص ١٢٠.
(٦) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٢ (الهامش).
(٧) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٠٩. وذكر ابن الأبّار ان قلعة عبد السلام من أعمال طليطلة : ابن الأبّار، الحلّة ، ج١ ، ص ٢٩٣.
(٨) ياقوت ، ج ٤، ص ٢٨١؛ الحميرى ، ص ١٤٤.
(٩) ابن حوقل ، ص ١٨٨؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ الادريسي ، صفة، ص ١٧٤-١٧٥.
(١٠) ابن حوقل ، ص ١٨٨؛ الحميرى، ص ١٤٤.
(١١) انظر ابن بشكوال، ق:١، ص ٢١،٢٢١؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.
(١٢) ابن حيّان، ج ٥، ص ٨٣، (قنالش)؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٣ (قنيلش)، وذكر ياقوت ان قُنيلش حصن من أعمال قرمونة : انظر ياقوت ، ج ٤، ص ٤١٠.

على حدود الثغر [١] ، ويتضح ذلك من خلال طلب الفنش (الفونسو السادس) ملك القشتاليين من القادر يحيى حفيد اسماعيل بن ذى النون ملك طليطلة ان يسلمه حصن قنالش سنة ٤١٧هـ [٢] ، ومن الجدير بالذكر ان القادر تولى أمر طليطلة عام ٤٦٧-٤٧٨هـ [٣] وعلى مقربة من طليطلة تقع قرية فنبرشة، وهي عبارة عن حارتين [٤] .

ومن القرى التابعة لاقليم طليطلة قرية رُكانة (Reqaena) [٥] ، وقيل أنّها من عمل بلنسية [٦] ، وأرى أن رُكانة كانت تابعة لطليطلة في العهود السابقة للعهد الاسلامي، اذ ان المنطقة التي تقع فيها كانت تابعة لطليطلة اداريا، لأن بلنسية نفسها كانت تابعة لطليطلة [٧] ، ويغلب على الظن ان ركانة كانت تابعة لطليطلة في عام ١٦٩/١٧٠ هـ بسبب ذكر بعض المصادر الى ان وفاة ابي الاسود محمد بن يوسف الفهرى كانت فيها، وانّها جعلتها من أعمال طليطلة في تلك الفترة [٨] ، ولكنّها بعد مضي زمن وبسبب الترتيبات الاموية الادارية، الرامية الى تقسيم الأندلس الى وحدات ادارية اصغر مما كانت عليها في زمن الرومان والقوط والولاة المسلمين، لذلك اصبحت رُكانة من توابع

---

(١) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٣.

(٢) انظر ابن الكردبوس م: ١٣، ص ٧٦-٧٩، ٨٣-٨٤، وانظر هوامش الصفحات أيضا، فقد جاء في الهامش أن قنالش (Canales)، تطلق على عدة أماكن في مختلف انحاء الاندلس، ومعناها قنال/ويرى د. العبادي : ان المقصود هنا قرية قنالس التي هي شمال شرق طليطلة في منطقة وادى الحجارة بناها الأمير محمدبن عبد الرحمن في القرن الثالث الهجرى كحصن لحماية المسلمين من غارات النصارى في الشمال الاسباني ، ولم يكتف الفونسو السادس (الفنش) بذلك بل طلب من القادر حصن سرية وحصن قورية، وعلّق د. العبادي في الهامش : أنّه ورد في نسخة اخرى حصن قنورية، وقال:(لا شك انها حصون قريبة من الحدود القشتالية ولعلها المعروفة الآن باسم'' Soria أو Coria أو Conoria '')، انظر هامش ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ٨٣. وورد عند ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٧٨ ان حصون سُرتة تبعد عن طليطلة ٦٠ ميلا، وقال ان سُرتة غير منقوطه.

(٣) ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ٦٧،٤٦٧.٨٥

(٤) الحميرى، ص ١٣٤ وفي المتن فنبشره، ورسم الاسم في اعلى الصفحة هو لناشر الكتاب بروفنسال.

(٥) ابن عذارى ، ج٢، ص ٥٨؛ وانظر النويرى، ج٢٣، ص ٣٥٠ ولم يذكر بالاسم بل ذكرها بالوصف .

(٦) العذرى، ص ١١؛ ياقوت ، ج ٣، ص ٦٣.

(٧) البكرى، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣؛ العذرى، ص ١٧؛ الحميرى، ص ٤٧.

(٨) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٥٨؛ وانظر النويرى، ج٢٣، ص ٣٥٠ فقد ذكر ان وفاة ابي الاسود كانت بقرية من المناطق التابعة لطليطلة عام ١٦٩هـ، وذكر ابن عذارىانه قيل بان ذلك كان عام ١٧٠هـ.

بلنسية بسبب قربها اليها وبعدها عن طليطلة .

وأرى أن المصادر التي جعلت رُكانةَ من توابع بلنسية ، تحدثت عن تبعيتها المتأخرة والتي اصبحت بموجبها من مناطق بلنسية (١) ، على عكس المصدرين الاخرين اللذين حدّدا تبعيتها لطليطلة في عام ١٦٩/١٧٠هـ (٢) ، فاعتقد أنّ ركانه تبعت بلنسية بعد ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل وأخيه عبدالله المعروف بالبلنسي عام ١٧٣هـ على اخيهما الأمير هشام بن عبدالرحمن (٣) . وتتضح صورة الأمر اكثر عندما تصالح الأمير الحكم بن هشام مع عمّه عبدالله المعروف بالبلنسي عام ١٨٦هـ واتخاذ الاخير بلنسية مقراً (٤) . فمن المرجح ان بلنسية وركانةَ في هذه الفترة الزمنية قد انفصلت نهائيا عن طليطلة، بسبب الترتيبات الادارية التي ارتأتها الادارة الاموية في قرطبة .

ومن القلاع التابعة لاقليم طليطلة ، قلعة خليفة، التي بُنيت من قِبل القائد أحمد بن محمد بن الياس عامل عبد الرحمن الناصر على طليطلة، عام ٣٢٨هـ حيث ارسل الناصر في شهر شوّال من السنة نفسها قاسم بن مطرف بن ذى النون ليكون عاملاً عليها (٥) . ومن المناطق التي وردت اشارات بخصوصها يفهم منها أنّها من المناطق التابعة لطليطلة شنت برية (شنتبرية) (٦) . والدليل الذى بين أيدينا يثبت أن شنت برية كانت تابعة لادارة طليطلة ، ما ذُكر حول استخدام عبد الرحمن الداخل عام ١٥١هـ حبيب بن عبد الملك على طليطلة وقيام الثاني باستعمال سليمان بن عفان ابن مروان بن ابّان بن عثمان بن عفان ، على شنتبريه (شنت برية) (٧) ، وقد جاء عند

---

(١) انظر العذرى، ص ١١ حيث ذكر ان ركانه من عمل كورة بلنسية : أى بمعنى انها اصبحت كذلك بعد ان صارت بلنسية كوره منفصلة عن طليطلة . وانظر ياقوت ، ج٣، ص ٦٣ .

(٢) ابن عذارى ، ج٢، ص ٥٨ ؛ النويّرى، ج٢٢، ص ٣٥٠ .

(٣) النويرى، ج٢٢، ص ٣٥٣ .

(٤) النويرى، ج ٢٢، ص ٣٥٣ .

(٥) ابن حيّان، ج ٥، ص ٤٥١، ٤٥٦ .

(٦) النويرى، ج ٢٢، ص ٣٤٤ وكتبها (شنتبرية) ؛ ابن خلدون، م : ٤، ص ٢٨٥، وكتبها (شنت برية) .

(٧) النويرى، ج ٢٢، ص ٣٤٤؛ وانظر ابن خلدون، م : ٤، ص ٢٦٧ .

ابن الأثير ان موسى بن ذي النون الهوّاري قائد شنت برّية قد أغار على أهل طليطلة عام ٣٦٠هـ بسبب خلافهم على الادارة المركزية في قرطبة (١)، ومما سبق تستشف الدلالة التالية : وهي ان شنت برّية لم تعد تتبع طليطلة اداريا، بسبب ثورات أهل طليطلة على الحكم المركزي في قرطبة، وكذلك حصن شُكيان، وجاءت اشارة المصادر اليه عام ٣٥٩هـ حيث ذكرت ان سبعمائة من البربر كانوا يقطنونه (٢)، ومن توابع طليطلة حصن غرماج (٣).

وذكر الادريسي ان الأندلس أقاليم، ومن هذه الأقاليم، اقليم الشارات : وفيه طليطلة وطلبيرة ومجريط (مدريد) والفهمين ووادى الحجارة وأقليش ووبذة (٤)، وقد جاء عند ياقوت ان وَبْذة :مدينة من أعمال شنت برّية (٥)، وهي غير مدينة وَبْذى التي تقع بالقرب من طليطلة (٦)، كما أنّ بلدة أُقليش هي الاخرى من أعمال طليطلة (٧)، الا أنّ ياقوت جعلها مدينة من أعمال شنت برّية (٨)، ومن الواضح أنّها اصبحت من توابع شنت برّية بعد التقسيمات الادارية في عهد الحكم الأموى، بعد ان كانت سابقا من توابع طليطلة.

ومن القرى التابعة لمنطقة طليطلة : قرية ترشّة، من قرى أليش التي هي بدورها من أعمال طليطلة (٩)، كما أن حصن مورة من المناطق التي كانت تتبع طليطلة، وقد ذكر انّه استسلم للناصر عام ٣١٨هـ بعد ان كان ثوار أهل طليطلة قد اتخذوه نقطة انطلاق لمهاجمة المناطق التابعة لسلطان قرطبة (١٠)، ويبعد هذا الحصن هذه (القرية) عن طليطلة مسيرة خمس ساعات على الخيل، ويقع في الجهة الجنوبية لمدينة طليطلة (١١).

---

(١) ابن الأثير، ج ٧، ص ٢٧٢. (٢) ابن الأثير، ج٧، ص ٢٧٥ ؛النويري، ج٢٣، ص ٢٩٠.

(٣) ابن بشكوال، ق:١، ص ١٩٩-٢٠٠ ويفهم من كلامه ان الحصن كان للجهادوالرباط؛ وذكر المقرى، نفح، ج١، ص ٣٨٣ ان الحصن بُني في سنة ٣٥٤هـ في منطقة آلبة.

(٤) الادريسي، صفة، ص ١٧٤-١٧٥.

(٥) ياقوت، ج ٥، ص ٣٥٩ بينما ذكر الحميرى ان وَبْذة حصن على واد بقرب أقليش. انظر الحميرى، ص ١٩٤.

(٦) انظر ياقوت، ج٥، ص ٣٥٩ ؛ وانظر ابن بشكوال، ق:١، ص ٢٢٣ فانّه يفهم من كلامه انها كانت تابعة لطليطلة في عهد بني ذى النون.

(٧) الحميدى، ص ١٤٢. (٨) ياقوت، ج١، ص ٢٣٧.

(٩) ياقوت، ج٢، ص ٢٢.

(١٠) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٢ (موره).

(١١) المكناسي، ص ١٥٠-١٥١.

ومن خلال متابعة رحلة المكناسي الى اسبانيا عام ١١٩٢هـ/١٧٧٩م ، وتحدثه عن المناطق التي مرّ بها والتي هي قريبة من طليطلة ، استطيع العثور على بعض الاسماء التي كانت تابعة لطليطلة أيّام الحكم الاسلامي لها ، فقد ذكر المؤرخ انّه بعد ساعتين من السفر على ظهور الخيل من طليطلة وصل قرية نمبركة (١) ، ثم واصل سيره حتى وصل قرية المنسيدى طليطلة (Almonacid de Toledo)التي تقع في سفح ربوة ، وفوق تلك الربوة أثار حصن من بقايا حصون المسلمين، ويعتقد المكناسي ان الحصن كان للحراسة في أوقات الشدّة (٢) ، وبعد مسيرة ساعة من القرية السابقة وصل المؤلف الى قرية ماسكركي (٣) ، ثم بعد ساعة أُخرى وصل قرية المورة ، التي تبعد عن طليطلة خمس ساعات (٤) ، وتقع في ارض منبسطة ، وهذه القرية من آثار المسلمين .

ومن الأسماء الجغرافية التي ذُكرت على انها من مناطق طليطلة جبال البرانس، ومركزها مدينة فريش (٥) ، ووادى سليط الذى يقع بالقرب من مدينة طليطلة (٦) ، ومحلّة الغدر (٧) ، ومنطقة (باند) التي التقى فيها موسى بطارق عام ٩٣هـ ، والتي كانت تقع بين طليطلة وطلبيرة (٨) ، بعد قيام الأول باستعراض قواته في منطقة قريبة ، سُمّيت وادى المعرض ، وقد جاء عند ياقوت ان أوقانِيْه (Ocaña) هو جبل من أعمال طليطلة من ناحية اقليم القاسم (٩) ، وفي الجبل عدة قرى وحصون تابعة له (١٠) .

---

(١) المكناسي ، ص ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٠-١٥١.

(٥) شيخ الربوة ، ص ٢٤٤.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٤٠ ;ابن عذارى، ج١ ، ص ٣١،٢٠٣.

(٧) ابن حيّان، ج ٥ ، ص ٢٨٢ ويفهم من سياق كلامه انها على مقربة من طليطلة ، قبل حصن مورة من جهة قرطبة ، واعتقد انها مكانا لتجمع المياه ، وانّها مكان جغرافي.

(٨) أخبار مجموعة ، ص ١٨.

(٩) الادريسي ، نبذة ، ص ١٩٣.

(١٠) ياقوت ، ج١ ، ص ٢٨١.

ومن المناطق التي بنيت بجانب طليطلة ، المدينة التي أمر الناصر ببنائها في جبل حرنكش سنة ٣١٨ هـ ، وسمّاها مدينة الفتح، لتكون عينا على طليطلة ، لمنع قيام أى ثورات فيها (١) ، وقد آتت فكرة الناصر هذه أكلها اذ لم تقم ثورات في طليطلة في عهده بعد انشائها ولا في عهد ابنه الحكم وحتى في عهد المنصور محمد بن أبي عامر ايضا ، وقد ورد عند ابن الأثير ما يفهم منه ان وادى نحويبه ، كان من المناطق المجاورة لطليطلة عام ٢١٤ هـ (٢) ، وقد كان سكانه من البربر .

ويفهم مما اورده ابن حيّان عن حصن البشة ، الذى يبعد ثمانين ميلا من مدينة طليطلة في منطقة تقع في شمال قرطبة بالتحديد انّه كان في عصر الناصر من توابع مدينة طليطلة (٣) .

كما أن حصن السّكة كان من المناطق التابعة لطليطلة (٤) ، ويغلب على الظنّ انه يقع في الجهة الجنوبية من اقليم طليطلة، نظرا للاشارة التي ذكرها ابن الخطيب من ان قوات من قوات علي بن يوسف بن تاشفين أغارت عليه عام ٥٢٠هـ (٥) .

---

(١) ابن حيّان ، جـ ٥ ، ص ٢١٤ وجاءت بصيغة حرنكس في ص ٢٨٢ في المصدر نفسه وانها بنيت في منطقة على بوابة طليطلة على نهر تاجه ؛ ابن عذارى، جـ٢، ص ٢٠٣ وقد وردت عنده جُرنكش ، ولم يرد ذكر لهذه المدينة الا في فترة اخماد الناصر لثورة طليطلة عام ٣١٨-٣٢٠هـ.

(٢) ابن الأثير ، جـ ٦ ، ص ٤١٦.   (٣) ابن حيّان، جـ٥، ص ٢٧٩.

(٤) ابن الخطيب ، الاحاطة، تحقيق : عنان ، م:١، ص ٤٥٩.

(٥) المصدر نفسه، م:١، ص ٤٠٩.

ب ـ الادارة المحلية في طليطلة إبّان حكم الامويّين في الاندلس والمناطق التابعة لها:

أـ ولاة طليطلة في عصر الامارة .
ب ـ ولاة طليطلة في عصر الخلافة .

أ ـ ولاة طليطلة في عصر الامارة:

أوّل من تولى أمر مدينة طليطلة في عهد عبدالرحمن الداخل، قائده تمام بن علقمة عام ١٤٧هـ ، بعد أن تمكن من القضاء على ثورة طليطلة التي قادها هشام الفهرى وعثمان بن حمزة وحيوة بن الوليد (١) . وفي عام ١٥١هـ ولىّ الداخل حبيب بن عبد الملك القرشي على طليطلة (٢) ، الاّ انّ ابن خلدون جعل ذلك في عام ١٥٠هـ (٣) ، واظن ان حبيب بقي واليا عليها الى ان ثار فيها القائد السلمي الذى فرّ من قرطبة الى طليطلة ، فقام الداخل بارسال حبيب على رأس قوات ، للقضاء على السلمي وتمرده ، فتمكنت تلك القوات من ذلك في عام ١٦٢هـ (٤) .

وذكر ابن الأبار ان ميمون بن سعد البربرى مولى الوليد بن عبد الملك دخل مع عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس ، وان الداخل استعمله على طليطلة (٥) ، وما دام لم يحدد تاريخ توليته ، فمن الممكن ان يكون ذلك قد تم قبل ولاية حبيب ، ومن المحتمل والجائز ان تكون ولايته طليطلة قد حدثت في العقد السادس من المائة الثانية الهجرية ، أىّ بعد فترة ولاية حبيب وقبل ولاية سليمان بن الأمير عبدالرحمن الداخل ـ الذى كان واليا على طليطلة عام ١٧٢هـ (٦) ـ ، وربما انه كان أميرا على طليطلة في سنة ١٦٨هـ ، أى قبيل قيام محمد بن يوسف الفهرى بثورته فيها عام ١٦٨ ـ ١٦٩ هـ (٧) ، وكذلك من الاشارة التي ذكرها ابن الأثير من ان نائب عبد الرحمن الداخل

---

(١) ابن عذارى ، ج ٢، ص ٥٣.
(٢) انظر النويرى، ج٢٢، ص ٣٤٤؛ وانظر ابن الأبار، الحلّة ، ج١، ص ٥٩ دون ذكر السنة .
(٣) ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٧.
(٤) ابن الأثير، ج ٦، ص ٥٩؛ النويرى، ج ٢٢، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ ابن خلدون،م:٤، ص ٢٦٩.
(٥) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص ٣١٥.
(٦) النويرى، ج٢٢، ص ٣٥٠؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠.
(٧) ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٨-٧٩؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٩.

على طليطلة قام بمحاربة أهل جليقية في بلادهم عام ١٦٨هـ[1]، وأظنّ ان ذلك الناشب هو ميمون بن سعد، أي قبل ولاية سليمان، والتي اظنّها جاءت على اثر ثورة محمد بن يوسف الفهري.

ومن ولاة طليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل ابنه سليمان، الذى كان واليا عليها عندما توفي والده عام ١٧٢هـ بقرطبة[2]، ويظهر ان توليته أمر طليطلة كان عام ١٧٠هـ بعد توجيه ضربة قاصمة لثورة ابي الاسود محمد بن يوسف الفهري[3]،فكانت عملية ارسال سليمان بن عبد الرحمن الداخل، لضبط الامور في منطقة طليطلة نظرا لاهميتها، وجاء عند ابن القوطية ان رجلا من ذرية سعد بن عبادة الانصاري من طليطلة، قد أُستعمل عليها من قِبل الداخل بعد استتباب الأمور[4]، واغلب الظن ان ذلك كان في العقد السادس بسبب استتباب الأمور في طليطلة بعد حركة السلمي.

وأوّل وال لطليطلة في عهد خليفة الداخل: هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، وقد ولّاه أمرها والده الأمير عام ١٧٥هـ فقام بضبط أمورها[5]، وذكر أنّ ذلك كان عام ١٧٦هـ[6]، وذلك بعد أن تمّ القضاء على ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل، ويفهم ممّا اورده ابن خلدون ان القائد عمروس بن يوسف كان من قواد الحكم بطلبيرة عام ١٨١هـ، عندما ثار عبيدة بن عمير، في طليطلة[7]، فقام عمروس باستعمال ابنه يوسف على

(١) ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩-٨٠.

(٢) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٠-١١١؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٦١؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٠؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٠.

(٣) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ٧٨-٧٩؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٥٨؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٠؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٩.

(٤) ابن القوطية، ص ٣٠.

(٥) ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧١.

(٦) النويري، ج٢٣، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٧) ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣ وقد جاءت تسميته عند ابن الأثير عبيدة بن حميد انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨؛ وانظر ابن عذاري، ج٢، ص ٦٩-٧٠، بينما كُتب اسمه عند ابن سعيد عبيدة بن خمير انظر ابن سعيد، ج١، دار المعارف، ص ٤٠، في حين انها جاءت خمير عند النويري، انظر النويري، ج٢٣، ص ٣٦١. وسأتناول هذه النقطة بالبحث في فصل ٤، من هذه الدراسة، ص ٢٢٩-٢٣٣.

مدينة طليطلة [١] ، ولذلك يمكن القول ان طلبيرة نظرا لتمرد طليطلة على سلطات قرطبة، وانصياع طلبيرة لتلك السلطات ، قد جعل من قائد طلبيرة في هذه الفترة قائدا على طليطلة حين أرسل ابنه الى طليطلة، وبقي هو في طلبيرة، وكأنّ طلبيرة اصبحت مركزا للمناطق المجاورة لطليطلة عام ١٨١هـ . وقد ذكر ابن الأبار ان غالب ابن تمام تولىّ أمر طليطلة سنة [٢] ١٨٤هـ في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن ، علما بان الأمير هشاما توفيّ عام ١٨٠هـ [٣] ، وفي هذه الحالة من المحتمل ان يكون الخطأ قد وقع في السنة، فتكون ولاية غالب قد حدثت في زمن هشام، وربّما ان الخطأ الذى وقع فيه ابن الأبار ناتج عن ذكر اسم الأمير هشام، وان السنة صحيحة.

وفي عام ١٩١هـ قام الأمير الحكم بن هشام بتدبير مكيدة، مع عامله على مدينة وشقة [٤] عمروس بن يوسف ، للايقاع بمدبرّي الثورات في طليطلة، بعد أن ولاه ادارتها ،

ومن الولاة الذين تولّوا قيادة طليطلة في عصر الامارة: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مزين الأودى ، حيث قال ابن الأبار انّ ابراهيم تولىّ أمر طليطلة لمدة أعوام متصلة في عهد الأمير الحكم بن هشام، وانّ جدّه ابراهيم بن مزين الكاتب كان قد وليها هو الآخر [٥] ، والمعروف ان فترة حكم الامير الحكم بن هشام امتدت ما بين عاميّ ١٨٠-٢٠٦هـ [٦] ، وربما ان الفترة التي حكم فيها ابراهيم بن محمد وجدّه ابراهيم ابن مزين، كانت في أواخر فترة حكم الأمير الحكم، والتي يتوقع ان تكون قد حدثت في السنوات العشر الأخيرة، أى بعد فترة حُكم عمروس بن يوسف ، الذى تولىّ أمر طليطلة عام ١٩١هـ [٧] ، الى وفاة الأمير الحكم عام ٢٠٦هـ [٨] .

---

(١) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأبار، الحلّة، ج١، ص ١٤٣.

(٣) ابن عذارى ، ج٢، ص ٦١،٦٥.

(٤) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٥؛ ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٥.

(٥) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٨٨.

(٦) ابن عذارى، ج٢، ص ٦٥،٧٧.

(٧) ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويرى ، ج٢٣، ص ٣٦٥.

(٨) ابن سعيد ، ج١، دار المعارف ، ص ٤٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٧٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٧.

وأشار ابن الأثير الى قيام ثورة في طليطلة بقيادة هاشم الضرّاب عام ٢١٤هـ على واليها، ولكنّه لم يذكر اسم الوالي ، الأمر الذى يستشف منه ان الوالي والولاة[١] الذين جاءوا بعد ابراهيم بن محمد استمرّوا في مهامّهم الى ان اشتعلت الثورة في طليطلة بقيادة هاشم الضرّاب فانقطعت بعد ذلك سيطرة الادارة المركزية في قرطبة على طليطلة، واصبحت تدار طليطلة ، من خلال ادارة محليّة ليس لها ولاء لقرطبة، بل من المؤكد انّها تشكلت من زعماء الثورة في طليطلة، فكان لها امر تدبير وتسيير دفة الحكم في طليطلة خلال سنوات الثورة، الى ان تمكّن الوليد بن الحكم، شقيق الأمير عبد الرحمن بن الحكم من اخماد جذوة الثورة في طليطلة، وبسط نفوذ بني أمّية في قرطبة عليها، في شهر رجب من عام ٢٢٢هـ ، حيث بقي الوليد بن الحكم فيها يدبّر امورها، ويدير عجلة الحُكم فيها حتى اواخر شهر شعبان من عام ٢٢٣هـ[٢] ، وبهذا تكون ولايته قد استمرت في طليطلة ما يقارب العام.

وذكر ابن الأبّار ان الأمير عبد الرحمن بن الحكم ولىّ عبد الرؤوف بن عبد الوهاب ابن محمد بن عبد الوهاب على طليطلة وان ولايته استمرّت عليها مدة سبع سنوات متتابعة، وأنّ الأمير قام باتخاذ عبد الوهاب وزيرا له في أواخر حياته[٣] ، وأرى أن ولاية عبد الوهاب على طليطلة كانت في آخر شهر شعبان من عام ٢٢٣هـ ، بعد أن تمّ عزل عاملها السابق الوليد بن الحكم[٤] ، الى عام ٢٣٠هـ ، حيث تكون السنوات السبع التي ذكرها ابن الأبّار على انها مدة ولاية عبد الوهاب على طليطلة[٥] ، قد انتهت ومن المعقول جدّا أنّ أواخر شهر شوّال من عام ٢٣٠هـ ، كانت بداية ولاية حارث بن بزيع، الذى لم تشر المصادر الى بداية ولايته على طليطلة، ولكنّها اشارت الى زمن عزله عنها الذى كان في شهر شوّال من عام ٢٣٢هـ[٦] ، وبهذا تكون ولايته على طليطلة قد استمرت سنتين، وهو أمر واقعيّ ومقبول، والأسباب التي جعلتني اقدّر ان ولاية

---

(١) ابن الأثير، ج٦، ص٤١٥.

(٢) ابن الأثير، ج٦، ص٤٧٥؛ النوّيرى، ج٢٣، ص٣٨٠؛ ابن خلدون، م:٤، ص٢٨٠.

(٣) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص٢٤١.

(٤) ابن الأثير، ج٦، ص٤٧٥؛ النوّيرى، ج٢٣، ص٣٨٠؛ ابن خلدون، م:٤، ص٢٨٠.

(٥) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص٢٤١.

(٦) انظر ابن حيّان ، تحقيق : د. مكيّ ، ص١٤٣.

عبد الوهاب كانت من سنة ٢٢٣-٢٣٠هـ ، تعود لأمرين: الأمر الأول: وهو أنّ مدة ولايته كانت سبع سنوات متصلة[1] ، وأمّا الأمر الثاني :إن استوزاره من قبل الأمير عبد الرحمن ابن الحكم كان في أواخر حياة الأمير، أيّ بعد السنوات السبّع[2] ، ومن المعلوم ان وفاة الأمير كانت عام ٢٣٨هـ[3] ، ولأن فترات الولاة الذين ذكرهم ابن حيّان على طليطلة، كانت قد بدأت قبل عام ٢٣٢هـ واستمرت الى ما بعد عام ٢٣٣هـ ، حيث كان عام ٢٣٣ هـ ، هو تاريخ تعييّن آخر وال من الولاة الذين اشار اليهم، علما بانه لم يحددّ تاريخ عزله[4] ، فلا يعقل حتىّ ولو عزل يوسف بن بُسيل[5] - وهو آخر والٍ ذكره ابن حيّان - في عام ٢٣٤هـ أيّ بعد عام من تاريخ تعييّنه، ان تكون السنوات الأربع المتبقية من عُمرِ امارة الأمير عبد الرحمن بن الحكم كافية ليحكم فيها عبد الوهّاب طليطلة لمدة سبع سنواته، والسؤال الذي يطرح في هذه الحالة: متى كان الاستوزار؟، لذلك أرى أنّ المدّة التي تولىّ عبد الوهاب فيها ادارة طليطلة كانت في الفترة الزمنية الواقعة بيّن عاميّ ٢٢٣-٢٣٠هـ .

والعامل الذي حلّ مكان ابن بزيع - الذي عزل عن طليطلة في شهر شوّال من عام ٢٣٢هـ[6] - ، هو محمد بن السّليم، وقد دامت ولايته ما يقارب ١٠-١١ شهرا، من عام ٢٣٢هـ من شهر شوّال الى شهر شعبان من عام ٢٣٣هـ[7] ، وخلفه على قيادة طليطلة أيوب بن السليم، ولكنّه لم يمكث طويلا فقد عزل في شهر رمضان من العام نفسه[8] ، أيّ أنّه تولىّ أمر طليطلة من شهر الى شهرين، ليحلّ مكانه يوسف بن بُسيل في عام ٢٣٣هـ ، في شهر رمضان[9] ، ولكن لم يحدّد تاريخ عزله ، وجاء في بعض المصادر ان الوالي الذي كان على طليطلة - عندما توفي الامير عبد الرحمن بن الحكم، وتوّلي الحُكم من بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن - قد أعتقل من قِبل ثوار طليطلة في بداية حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن عام ٢٣٨هـ ، ولم يفرج عنه الاّ بعد تلبية شروطهم واسم ذلك الوالي هو الحارث بن بزيع[10] .

---

(١) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص٢٤١. (٢) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص٢٤١.
(٣) ابن سعيد، ج١، دار المعارف ، ص٤٥؛ ابن عذارى، ج٢، ص٩٠؛ النويّرى، ج٢٣، ص٣٨٧.
(٤) ابن حيّان، تحقيق: د.مكيّ، ص١٤٣-١٤٤. (٥) ابن حيّان، تحقيق:د.مكيّ، ص١٤٣-١٤٤.
(٦) ابن حيّان، المصدر نفسه، ص١٤٣. (٧) المصدر نفسه، ص١٤٣-١٤٤.
(٨) المصدر نفسه، ص١٤٤-١٤٥. (٩) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(١٠) انظر ابن حيّان، في مخطوط القرويين، لوحة ٢٥٩ أ: كما نقله عنان، في كتابه دولة، ق:١، ص٢٨٧-٢٨٨؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢، ص٩٤.

وبعد عام ٢٣٨هـ ، اشتعلت الثورات في طليطلة ، فمنذ عام ٢٤٠هـ وحتّى عام ٢٤٣هـ، خاضت جيوش الامارة معارك ضارّية مع القوات الثائرة في طليطلة (١) ، ويبدو انّها استمرت في عصيانها الى أن استطاع الأمير محمد بن عبد الرحمن عام ٢٥٩هـ من اخضاعها لسلطته (٢) ، بعد طلب أهلها الأمان من الأمير، فاعطاهم الأمان بعد أن أخذ رهائنهم (٣)، واستعمل عليها اثنين من مقدمّي أهلها، لتصريف شؤونها، وهما مطرّف بن عبد الرحمن وطربيشة (٤) بن ماسوية، كل واحد منهما على جانب من المدينة وأقاليمها، وقد حاول كل واحد منهما الانفراد بالسيطرة على طليطلة دون الآخر (٥) ، ومن الواضح ان الأميرمحمد قصد بعمله هذا ان يوقع بينهما ليضمن ولاء طليطلة، لتبقى الخصومة بين المعسكرين لكي لا توجد في طليطلة قوة كبيرة تكون موحدّة، والتي من المؤكد في هذه الحالة ستتّجه باتجاه قرطبة لفرض سيطرتها عليها، وخاصة في الظروف الداخلية التي كانت تمرّ بها دولة الامارة الاموية في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادى (٦) .

ب ـ <u>ولاة طليطلة في زمن الخلافة الأموية بالاندلس :</u>

اعتلى عبد الرحمن الناصر سدة الحكم، وطليطلة معلنةً العصيان، متمردة على سلطات قرطبة، وقد ورد عند ابن حيّان ان لبّ بن الطربيشه كان مستوليا على أمور طليطلة عام ٣٠٨هـ (٧) ، وبقيت كذلك الى أن تمكنّ الناصر من اخضاعها عام ٣٢٠هـ (٨) ، بعد ان خرج اليه مقدّم طليطلة أيّام ثورتها، ثعلبة بن محمّد بن عبد الوارث (٩) ، وفي سنة ٣٢٠هـ عيّن الناصر على طليطلة درّى بن عبد الرحمن، بعد أن أنزله في بناء متقن ليكون مستقرا للقوّات ، لاحكام السيطرة على أهل طليطلة (١٠) ، ثمّ قام الناصر بتولية

---

(١) النوّيرى، ج ٢٣، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢) ابن عذارى، ج٢، ص ١٠١؛ النويرى، ج٢٣، ص ٢٩٠.

(٣) النوّيرى، ج٢٣، ص ٢٩٠.

(٤) ذكر النوّيرى أن اسمه طربيشة : انظر النوّيرى، ج٢٣، ص ٢٩١.

(٥) ابن عذارى ، ج٢، ص ١٠١.

(٦) انظر النوّيرى، ج٢٣، ص ٢٨٧-٢٩١، ٢٩٣-٢٩٥.

(٧) ابن حيّان، ج ٥، ص ١٦٢.

(٨) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٧-٣١٩.

(٩) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٧.

(١٠) ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٧.

محمد بن عبد الله بن حدير مدينة طليطلة وأعمالها عام ٣٢١هـ[1] ، واستمرت ولايته على طليطلة مدة سنة ، وبعد ذلك قام الناصر بعزله ، وتعيين محمد بن عبد الرحمن بدلا منه في عام ٣٢٢هـ ، وظل يحكم طليطلة ثلاثة أعوام[2] حتى قام الناصر بعزله عام ٣٢٥هـ ، وتعيين أحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد معا على طليطلة[3] ، ولم تطل مدة ولايتهما الا ما يقارب السنة الواحدة، اذ انهما استبدلا بمراء بن مقاتل عام ٣٢٦هـ[4] ، وقد بين ابن حيان أن الناصر بعث وزيره وقائده أحمد بن محمد بن الياس عام ٣٢٨هـ الى طليطلة فنزل فيها في شهر محرم[5] ، ولكن الامر لم يطل به ، فاستبدله في السنة نفسها بقائد آخر هو أحمد بن الوزير عبد الحميد بن بسيل[6] .

ومرة أخرى خرج القائد أحمد بن محمد بن الياس في شهر شعبان من سنة ٣٢٨ هـ، ولكنه كان متجها بالصائفة لمحاربة الجلالقة ، وعندما وصل مدينة طليطلة مر بهما متفقدا ثغورها وأحوالها ، حيث قام في هذه السنة ببناء قلعة خليفة بثغر طليطلة ، وطلب من الناصر أن يبعث اليها قائدا يضبطها ، فأمر الناصر عليها قاسم بن مطرف ابن موسى بن ذى النون في شهر شوال من عام ٣٢٨هـ[7] .

وقد جاء عند ابن حيان أن الناصر قام بعزل عامل مدينة طليطلة وقلعة رباح ، قاسم بن رحيق عام ٣٢٨هـ ، واستعمل بدلا منه هشام بن جهور[8] ، ويبدو لي هنا أن العامل على طليطلة كان قاسم بن رحيق ، وأن القائدين أحمد بن محمد بن الياس ، وأحمد بن الوزير عبد الحميد بن بسيل ، كانا على رأس قوات جاءت من قرطبة للنظر في شؤون الثغر واصلاح ما يلزم اصلاحه ، وفي الوقت نفسه القيام بمحاربة الجلالقة ، وبما ان الأول هو وزير[9] والثاني ابن وزير[10] فان مرورهما بطليطلة كان كقائدين قاما بتفقد أمر البلاد والعمال في المناطق المواجهة للجلالقة وأقاما في المنطقة لفترة محدودة[11] ، ولكن عامل مدينة طليطلة المحلي كان قاسم بن رحيق ، ويتضح ذلك من خلال تدقيق النظر في مدة القائدين ، فقد جاء الوزير أحمد بن محمد بن الياس

---

(١) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .
(٢) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٣٥٥ .
(٣) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤١٧ .
(٤) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٩ .
(٥) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٥١ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .
(٧) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٥٦ .
(٨) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ .
(٩) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٤٥١ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ .
(١١) انظر المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ .

الى طليطلة في شهر محرّم من عام ٣٢٨هـ ، ثم جاء بدلا منه القائد أحمد بن الوزير عبد الحميد بن بسيل ، ولكنّ القائد ابن الياس ما لبث ان أعيد على رأس قوات الصائفة لحرب أهل جليّقية في شهر شعبان من السنة نفسها ، لذا أرى أن قاسم بن رحيق كان عاملا محليّاً لطليطلة بينما كان القائدان السابقان يجمعان صفة قيادة المناطق المجاورة لطليطلة لمحاربة الاعداء ، وتدشين القلاع والحصون والاشراف على شؤون الثغر، بصفة كل قائد منهما في هذه الحال كوالٍ لمنطقة الثغر كلّها، وكنائب عن الخليفة في تدبير الأمور.(1)(2)(3)

وجاء عند ابن حيّان ان قاسم بن رحيق عزل سنة ٣٢٩هـ من ولاية طليطلة، واستُعمِل مكانه عيسى وسليمان ابنا محمد بن عيسى معا ، علما بأن المؤرخ كان قد ذكر ان قاسم بن رحيق استبدل في عام ٣٢٨هـ بهشام بن جهور ، وفي هذه الحالة يكون قد أعيد الى ولاية طليطلة بعد عزله عنها بفترة لم يذكرها المصدر ، ويلاحظ على الولاة أنّهم كانوا يعيّنون من قبل الادارة المركزية بقرطبة مباشرة، وأن فتراتهم الادارية لم تكن تستمر مددا طويلة، ويظهر أن هذه سياسة مقصودة من الناصر لكيّ لا يتيح لأي والٍ البقاء وتكوين مصادر قوة حوله من الفعاليّات المهمة من السكان المحليّين.(4)(5)(6)

وفي سنة ٣٣٠هـ استخدم الناصر الياس بن سليمان على مدينة طليطلة وقلعة رباح بدل عيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى ، وهذه المعلومات القيّمة عن ولاة طليطلة في عهد الخلافة التي اوردها ابن حيّان تنقطع بسبب النقص في الكتاب لأنّه ينتهي عند سنة ٣٣٠هـ .(7)(8)

وقد ورد عند ابن عذارى انّ الناصر ولّى مولاه قُنْد على طليطلة عام ٣٣٦هـ، وكما انّه ذكر ان الخليفة الناصر عزل محمد بن عبد الله بن حدير عن طليطلة عام ٣٤٣ هـ مستعملا أحمد بن يعلى بن وهب على المكان الذى كان يعمل فيه علما بأنّه لم يذكر سنة توليّ ابن حدير لشؤون الادارة في طليطلة .(9)(10)

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥، ص ٤٥١.
(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٥٢.
(٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٥٦.
(٤) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٧٢.
(٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٦٢.
(٦) ابن حيّان، ج ٥، ص ٤٦٢، ٤٧٢.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٩.
(٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٩.
(٩) ابن عذارى ، ج ٢، ص ٢١٤.
(١٠) ابن عذارى ، ج٢، ص ٢١٩، وانظر ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٢٥٦.

ومن عمّال طليطلة عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد كان واليـــــا عليها في خلافة هشام المؤيد عام ٣٧١هـ (١)، واستعمل هشام المؤيّد على طليطلة ومناطق الثغر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أُميّة بن الحكم الربضي، وقلّده ايّاها مع خطة الوزارة، وكان على مقدّمة محمد بن ابي عامر في غزوته الـــى جليّقية في سنة ٣٧١هـ، وكانت تحت امرته خيل طليطلة (٢)، وكان خلف بن محمّد العامري قائدا لطليطلة أيّام المنصور بن أبي عامر في دولة هشام المؤيّد بحدود عــــام ٣٨٠هـ/٩٩٧م (٣).

<u>المناطق التابعة لطليطلة في عصر الخلافة</u>:- كان القادة الذين يعيّنون على المناطق التي ذكرت على أنّها كانت تابعة لطليطلة في فترة ما قبل الفتح الاسلامي وما بعده حتى نهايـــة عصـــر الـــولاة يعيّنـــون فـــي الغالـــب مـــن قِبـــل الادارة المركزية في قرطبة، وهذا يعني ان سلطات والي طليطلة كانت محدودة،لا تتجاوز بعض المناطق في أكثر الأحيان، فمدن الفرج (وادى الحجارة) وطلمنكة وطلبـــيرة ومجريط، كان يعيّن عليها الولاة في عهد الناصر من قبل الادارة المركزية بقرطبـــة مباشرة (٤)، كما هو الحال بالنسبة للمناطق الأخرى كماردة وقلعة أيّوب (٥)، الأمر الـــذى يشير الى ان سياسة الناصر كانت تتجه نحو مركزية الحُكم التّي ينتج عنها بالتالـــي عدم ترك أيّة فرصة لقيام ثورات داخلية، وخاصة الثورات الطليطلية، إذ يلاحظ علـــى الفترة التي كان يمضيها ولاة طليطلة في أعمالهم، بانّها كانت قصيرة تتراوح بـــين سنة واحدة الى ثلاث سنوات، وفي الغالب كانت لمدة سنة واحدة (٦)، ولذلك أرى أن ولاة

---

(١) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٢٣٩.

(٢) ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٢١٦؛ وانظر ابن سعيد، ج٢، دار المعارف، ص ١٠.

(٣) مورينو، مانويل جوميث مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة :د. لطفي عبد البديع و د.السيد محمود عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، ١٩٧٧م، ص ٣٥.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ١٦١، ٢٥٤، ٢٨٥، ٣١٥، ٣٣١، ٣٥٥، ٣٧٧، ٣٩١، ٤١٧، ٤٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٥، ٣٩٢، ٤١٧.

(٦) انظر المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٣٢، ٣٥٥، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٨٩.

طليطلة في بعض الفترات كما كان في عهد الناصر لا يتعدّى نفوذهم وسيطرتهم خارج مدينة طليطلة ، بعض الأحيان الى مناطق محددة ، ومثال ذلك قلعة رباح اذ أنّ عاملها كان يعيّن عليها من قبل قرطبة في سنوات ٣١٨هـ (١) ، و ٣٢١هـ (٢) ، و ٣٢٢هـ (٣) ، ولكنّها في سنة ٣٢٥هـ ،أتبعت لنفوذ عامليّ طليطلة أحمد بن محمد بن مبّشر وعبد الله بن محمد ، وذلك بعد ضمّها اداريا الى طليطلة (٤) ، ولكنّ القائدين عزلا عن طليطلة سنة ٣٢٦هـ ، فانفصلت قلعة رباح عن طليطلة بتعيين براء بن مقاتل على طليطلة ، وتعيين عبد العزيز بن درّى على قلعة رباح (٥) .

وذكر ابن حيّان أنّ شنت برية وقلعة رباح وطليطلة قد ضمّت الى بعضها ووحّدت واصبح المدبّر لامور المناطق الثلاث هو هشام بن جهور عام ٣٢٨هـ (٦) ، ويظهر ان القائد السابق قاسم بن رحيق قد أستعمل على طليطلة في العام نفسه (٧) ، بينما صار أمر قلعة رباح الى هشام بن جهور (٨) ، ولكنّهما في سنة ٣٢٩هـ ضمّتا الى بعضهما تحت قيادة عيسى وسليمان ابني محمد بن عيسى معا (٩) ، وبقيت قلعة رباح مضمومة الى طليطلة بعد عزل العاملين السابقين ، وتوليّ الياس بن سليمان أمرهما (١٠) ، واستطيع القول ان قلعة رباح بقيت تابعة لطليطلة طيلة عهد الخلافة وأيّام عهد الطوائف ، وذلك أنّ بعض المصادر ذكرت ان ولاة قلعة رباح كانت تأتيها من طليطلة الى ان سقطت عام ٤٧٨هـ ، فاصبح الولاة يعينون عليها من قبل قرطبة (١١) .

ويتبيّن مما سبق أنّ المناطق التي ذكرتها المصادر على أنّها كانت تابعة لطليطلة في العهد الاسلامي لم تكن كذلك في عهد الخلافة وبالذات في عهد الناصر ، اذ ان الولاة والقادة كانوا يأتون لطليطلة ولغيرها من المناطق ، من الادارة المركزية بقرطبة (١٢) ، أىّ انّ قائد أو حاكم طليطلة لم تكن له سلطة في عهد الناصر على بقية

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤١٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٢٩ .
(٦) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ .
(٧) انظر المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٦٢ ، ٤٧٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٤٨٩ .
(١١) ابن سعيد ، ج٢ ، دار المعارف ، ص ٣٩ .
(١٢) انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ١٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٥ ، ٣٧٧ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٩ ؛ وانظر ابن الأبّار ، الحلّة ، ج١ ، ص ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧ ، ٢١٩ .

المناطق التي كانت قد تبعتها في الحقب الماضية ، باستثناء بعض المناطق مثل قلعة رباح (١)، والتي لم تكن تتبعها باستمرار، وذلك بسبب سياسة الدولة الأموية، وخصوصا سياسة الناصر التي كانت تتجه نحو مركزية الادارة في الأندلس ، وأمّا بالنسبة لطليطلة فانّها ونتيجة لقيام الثورات فيها في عصر الامارة وفي بداية عهد الناصر (٢)، فقدت سيطرتها على مناطق كانت يوما من الأيام تابعة لها سواء في عهود ما قبل الاسلام أو في عهد الولاة أو حتّى في بداية عصر الامارة .

(٢) الادارة القضائية في طليطلة في عصري : أ ـ الامارة . ب ـ الخلافة .

أ ـ القضاء في طليطلة في عصر الامارة :ـ كان القضاة على الاقاليم والمدن الاندلسية لا يعيّنون من قِبل القاضي الأول في الاندلس الموجود في قرطبة والذى كان يعرف بقاضي الجماعة ، بل كانوا يعيّنون من قِبل الأمير (٣)، او الخليفة (٤)، الأموى في قرطبة ، الّا اذا طلب الأمير من قاضي الجماعة ان يتصرف في ذلك، ومثل ذلك فعلَ الأمير الحكم بن عبد الرحمن عندما طلب الى سعيد بن محمد بن بشير قاضي الجماعة بقرطبة ان ينظر في شأن الشكوى التي قُدِّمت ضد قاضي جيّان ، فان صحّ له أمر الشكوى عزله ، وان كان بريئا أقرّه على قضائه ، فتبين له انّه برئ فاقرّه (٥)، وتكرر ذلك في عهد

---

(١) انظر ابن حيّان ، ج ٥، ص ٢٨٥، ٣٣١، ٣٥٥، ٤٢٩، ٤٨٩.

(٢) انظر أخبار مجموعة ، ص ١٠١، ١٠٤؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٥٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣١٥، ٣٣١، ٣٥٠؛ العذري، ص ١١، ٢٦، ٢٧، ٤٣، ٥٠، ٦٣؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٨، ج٦: ص ١٥٨، ١٩٩، ٤٧٥؛ ابن الأبّار، الحلّة ، ج١ ، ص ٩؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٥٠–٥٧، ٦٩–٧٠، ٧٤–٧٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ٢٠٣؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٤١، ٣٤٧–٣٤٨، ٣٥٥–٣٥٦، ٣٦١–٣٦٥، ٣٨٠؛ ابن خلدون، م ٤، ص ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٥، ٣٠٥–٣٠٦.

(٣) انظر ابن الفرضي، ج١، ص ١٥١، فقد ذكر ان الأمير محمد بن عبد الرحمن استقضى على تطيلة عام ٢٧١ هـ حوشب بن سلمة بن عبد الرحمن الهذلي وهو من أهلها ، وانظر المصدر نفسه ، ج١، ص ٩٠ فانّه ذكر ان الأمير عبد الرحمن بن معاوية ولّى قضاء كورة البيرة أسد بن عبد الرحمن، وهو من أهلها ، وكان حيا في مكانه سنة ١٥٠هـ .

(٤) أنظر ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٢٢٨، فقد ذكر ان الناصر استقضى مهيب بن منيع من أهل قرطبة على قضاء اشبيلية ، وقد توفي هذا القاضي عام ٣١٨هـ ، وانظر المصدر نفسه ، ج١، ص ١٢٣ حيث ذكر انّ جحّاف بن يُمن من اهل بلنسية ولي القضاء للناصر في بلده وبقي حتّى استشهد سنة ٣٢٧ هـ في غزوة الخندق، وانظر الخشني ، ص ١١٩–١٢٠؛ وانظر ابن الفرضي ، ج١، ص ١٣١، وانظر المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨٥، ٣٢٩.

(٥) الخشني ، ص ٤٠.

الأمير الحكم عندما رفع أهالي إستجة الى الأمير الحكم ان يعيّن قاضيا فطلب من قاضي الجماعة محمد بن بشير ان يختار لهم من يراه ، فأمر الأمير الحكم الوزرا ء بتعيين الذي أشار به قاضي الجماعة (١) ، ويتضح هنا ان دور قاضي الجماعة كان دورا استشاريا ، وانه قام بالترشيح فقط وانما القرار كان بيد الأمير ووزرائه في النهاية .

اذكر هنا بعض أسماء القضاة الذين تولّوا القضاء في طليطلة وتاريخ استعمالهم على القضاء بقدر الاستطاعة ، من أسماء القضاة التي عثرت عليها : جرير بن غالب الرعيني ، وكان على قضاء طليطلة عند حدوث ثورة الربض على الأمير الحكم بن هشام في قرطبة (٢) ، عام ٢٠٢هـ (٣) ، وجاء عند ابن الفرضي أنّ من قضاة طليطلة القاضي حزم بن غالب الرعيني وهو من أهل طليطلة (٤) ، وما اظنّه الا القاضي الذى ذكره ابن الأبّار باسم جرير بن غالب الرعيني (٥) ، ولكنّ فيما يبدو ان خطأ قد وقع في النسخ او في كتابة الاسم .

ومن الذين تولّوا قضاء طليطلة في عهد الامارة كل من القاضي شبطون بن عبدالله الأنصارى الطليطلي ، الذى توفيّ عام ٢١٢هـ (٦) ، والقاضي زياد بن عبدالله الأنصارى ، الذى توفيّ هو الأخر عام ٢١٢هـ (٧) ، والقاضي عبد الخالق بن عبد الجبّار الباهلي المُتوفىّ عام ٢١٣هـ (٨) ، والقاضي الوليد بن عبد الخالق بن عبد الجبّار الباهلي ، المُتوفىّ سنة ٢٢٥هـ ، وهو ابن القاضي عبد الخالق السابق ، وقد كان قاضيا لطليطلة في عهد الأمير عبد الرحمن ابن الحكم (٩) ، ومن المتوقع ان يكون قد تولّى القضاء في الفترة ما بين وفاة والده عام ٢١٣هـ ووفاته عام ٢٢٥هـ ، والقاضي أحمد بن الوليد بن عبد الخالق بن عبد الجبار بن قيس بن عبدالرحمن بن قتيبة بن مسلم الباهلي وهو

---

(١) الخشني ، ص ٣٨-٣٩.

(٢) ابن الأبّار ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٥٢.

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٥.

(٤) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٣٧.

(٥) ابن الأبّار ، التكملة ، ج١ ، ص ٢٥٢.

(٦) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٢٣٥ ولم يذكر كلمة الأنصارى ؛ ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهبّ في معرفة أعيان المذهب ، ص ٤٠١.

(٧) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٨٤ ،

(٨) ابن حيّان ، تحقيق : د. مكيّ ، ص ٢١٤.

(٩) ابن حيّان ، تحقيق : د. مكيّ ، ص ٢١٦ ؛ قال الرازى في (ابن الفرضي) ، ج٢ ، ص١٥٨.

من أهل طليطلة ، وقد تولى قضاء طليطلة وجيان ، وهو ابن القاضي وليد وحفيد القاضي عبد الخالق اللذين توليا القضاء في طليطلة من قبل[١] ، وبما ان والده توفي عام ٢٢٥هـ[٢] ، فانّ أحمد هذا ولا شك انه كان مولودا قبل وفاة والده ، وبسبب ذلك أعتقد أنه تولى قضاء طليطلة في فترة زمنية معينة ، خلال الربعين الثاني والثالث من القرن الثالث الهجري[٣].

ومن القضاة الذين تولوا القضاء في طليطلة ايضا ،القاضي زكريا بن قطّام ، وهو من أهل طليطلة ومات وهو يعمل بالقضاء[٤] ، وأرى أنه تولى القضاء فيها ، في عصر الامارة وبالذات في المائة الثالثة الهجرية ، وأظنّ ان ذلك كان في النصف الأوّل من القرن المذكور ، وذلك لأنّ حفيده يحيى بن محمد بن زكريا بن قطّام ، كان متوليا لأمور القضاء في طليطلة ، وانّه قتل في سنّ الشيخوخة في طليطلة سنة ٢٩٣هـ ، وهو على رأس عمله بسبب نقمة بعض ولاة طليطلة عليه[٥] .

وذكر ابن الفرضي انّ عيسى بن محمّد بن دينار بن واقد الطليطلي ولي القضاء والصلاة بطليطلة في أيّام الأمير عبد الله بن محمد[٦] ، والمعروف ان فترة حكم الأمير عبد الله كانت من عام ٢٧٥هـ ـ ٣٠٠ هـ[٧] ، فامّا ان يكون قد تولىّ أمر القضاء في طليطلة في بداية حكم الأمير عبد الله ، أو ان يكون قد تولىّ القضاء بعد مقتل القاضي يحيى بن محمّد بن زكريا بن قطام عام ٢٩٣هـ[٨] .

وذكر ابن الفرضي أنّ ابراهيم بن يحيى بن ترون من أهل طليطلة تولىّ أحكام القضاء بطليطلة ، ولكنّه لم يحدّد الزمن الذى تولىّ فيه القضاء[٩] ، ولكن ومن خلال دراسة أسماء الطبقة الثالثة التي ذكرها القاضي ابن عياض على أنّ اصحابها من

---

(١) ابن الفرضي ، جا ، ص ٣٤ ؛ الزبيدى ، تاج ، ج ٧ ، ص ٤٢١ .

(٢) انظر ابن حيّان ، تحقيق: د . مكيّ ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ ؛ وانظر قول الرازى في ابن (الفرضي) ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

(٣) ابن حيّان ، تحقيق: د . مكيّ ، ص ٢١٦ ؛ قال الرازى في ابن (الفرضي) ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) ابن الفرضي ، جا ، ص ١٧٧ .

(٥) انظر ابن الفرضي ، ج٢ ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٦) ابن الفرضي ، جا ، ص ٣٧٥ .

(٧) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٢١ ، ١٥٦ .

(٨) ابن الفرضي ، ج٢ ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٩) ابن الفرضي ، جا ، ص ٢٦ .

الذين انتهى اليهم فقه الامام مالك بن أنس ، والتزموا مذهبه ممّن لم يره ، ولم يسمع منه ، وخاصه ذكره محمد بن زكريا بن قطّام الطليطلي وابراهيم بن يحيى بن برون الطليطلي ، وانّهما متقاربان زمنيا [(١)] ، وربط ذلك بما ذكره من أنّ يحيى بن محمد بن زكرياء بن قطّام كان من الطبقة الرابعة [(٢)] ، أيّ أنّه جاء بعد والده محمد بن زكريا وبعد ابراهيم بن يحيى بن برون ، ومن خلال الرجوع لما ذكره ابن الفرضي عن يحيى بن زكرياء بن قطّام وأنّه قُتل بطليطلة عام ٢٩٣هـ [(٣)] ، وهو قائم على رأس عمله ، يمكنني القول أنّ ابراهيم بن يحيى بن برون كان قد تولّى قضاء طليطلة في فترة سابقة لفترة تولّي يحيى بن محمد بن قطّام القضاء في طليطلة ، وبالرجوع لما ذكره ابن عياض عن القاضي أحمد بن الوليد .. الباهلي من أنّه من الطبقة الثانية [(٤)] ، أيّ قبل ابراهيم بن يحيى بن برون بطبقة سابقة زمنيا [(٥)] ، وبما أنّ والد القاضي أحمد القاضي الوليد بن عبد الخالق الباهلي كان قد توفيّ عام ٢٢٥هـ ، وأنّ جدّ القاضي أحمد ، القاضي عبد الخالق الباهلي كان قد توفيّ عام ٢١٢هـ [(٦)] ، أستطيع القول ان القاضي أحمد الباهلي كان قد تولّى القضاء في فترة تقع في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري ، ونظرا لأنّه صُنّف في طبقة سابقة لطبقة القاضي ابراهيم بن برون [(٧)] ، وان ابراهيم نفسه صُنّف في الطبقه السابقه للطبقة التي صنّف فيها يحيى بن محمد بن زكرياء بن قطّام الذى قتل عام ٢٩٣هـ ، أرى أنّ القاضي ابراهيم بن يحيى بن برون قد تسلّم زمام [(٨)]

---

(١) القاضي ابن عياض ، ج١ ، ص ١٥ ، ٣٦ . (٢) ابن عياض ، ج١ ، ص ٥٢ .

(٣) ابن الفرضي ، ج٢ ، ص ١٨١-١٨٢ . (٤) ابن عياض ، ج١ ، ص ٢٦ .

(٥) يبدو ان القاضي ابن عياض رتّب الاسماء حسب الاقدمية في الوفاة ويتضح ذلك من ذكره للاسماء التي عايشت الامام مالك وسمعت منه مثل ثم الذين يلونهم وهكذا ، انظر ابن عياض ، ج١ ، ص ٦ ، ١٥ ، ١٧ ، ٦٧ ، ٧٥ . وأتبين ذلك أيضا من خلال تصنيفه محمد بن زكرياء بن قطّام في الطبقة الثالثة ، وتصنيف ابنه يحيى بن محمد بن زكرياء في الطبقة الرابعة ، وكذلك من خلال ذكره اسم يحيى بن محمد ابن زكرياء بن قطّام المُتوفىّ في عام ٢٩٣هـ ، قبل اسم اسحاق بن ابراهيم بن ذبي (ذونابا)(ذنابا) الذى توفي عام ٣٠٣هـ. انظر ابن عياض ، ج١ ، ص ٣٦ ، ٥٢ ؛ وانظر ابن الفرضي ، ج٢ ، ص ١٨١-١٨٢ ؛ وانظر الضبيّ ، ص ٢٣٥ .

(٦) ابن حيّان ، تحقيق: د . مكيّ ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ ؛ ابن الفرضي ، ج٢ ، ص ١٥٨ .

(٧) ابن عياض ، ج١ ، ص ٢٦ ، ٣٦ .

(٨) ابن عياض ، ج١ ، ص ٣٦ ، ٥٢ .

القضاء في طليطلة في الربع الثالث من القرن الثالث الهجري.

ويتضح مما سبق ان القضاة : جرير الرعيني وشبطون الأنصاري ، وزياد الأنصاري، وعبد الخالق الباهلي قد توفوا قبل ٢١٣هـ (١) ، مما يجعلنا نعتقد انهم ساهموا وعملوا في قضاء طليطلة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، وأرى انهم كانوا قد تولّوا مهام القضاء في طليطلة قبل أنّ يتوفوا في سنوات ٢١٢هـ (٢) و ٢١٣ هـ (٣). اذ أنّ المصادر التي ذكرتهم أشارت الى ان وفاتهم كانت في السنوات التي أوردتها، وانهم كانوا قد عملوا في القضاء، فهذا يوضح أنّهم عملوا في القضاء لسنوات قبل ان يموتوا. ولهذا فمن المرجّح أنّهم عملوا في القضاء في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري.

ومن الملاحظات المهمّة على خطة القضاء في طليطلة إبّان عصر الإمارة ان الذين تولوا القضاء فيها هم جميعا من مواطنيها (٤) ، وأنّ عددا منهم كان من العرب الذين نزلوا فيها من أمثال القاضي جرير(حزم) الرعيني (٥) ، والقاضي شبطون الأنصاري (٦) ، والقاضي زياد الأنصاري (٧) ، والقاضي عبد الخالق الباهلي (٨) ، وابنه القاضي

---

(١) انظر ابن الفرضي، ج١ ، ص ١٨٤، ٢٣٥ ؛ابن حيّان، تحقيق: د. مكيّ، ص ٢١٤؛ ابن الأبّار، التكملة ، ج١ ، ص ٢٥٢؛ ابن فرحون ، ص ٤٠١.

(٢) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٨٤، ٢٣٥، ابن فرحون، ص ٤٠١.

(٣) ابن حيّان، تحقيق، د. مكيّ ، ص ٢١٤.

(٤) انظر ابن الفرضي، ج١ ، ص ٢٦، ٣٤، ١٣٧، ١٧٧، ١٨٤، ٢٣٥، ٣٧٥ ، ج٢ ، ص ١٥٨، ١٨١، ١٨٢ ؛ ابن حيّان، تحقيق، د. مكيّ، ص ٢١٤، ٢١٦ ؛ابن الأبّار، التكملة ، ج١ ، ص ٢٥٢؛ ابن فرحون، ص ٤٠١؛ الزبيدى ، تاج، ج ٧، ص ٤٢١.

(٥) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١٣٧. ابن الأبّار، التكملة ، ج١ ، ص ٢٥٢، وذو رعين من بطون قبيلة حمير اليمانية : انظر ابن حزم، جمهرة ، ص ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٧٨.

(٦) ابن الفرضي، ج١ ، ص ٢٣٥؛ ابن فرحون، ص ٤٠١. ومن المعروف أنّ الأنصار سمّوا بالأنصار لنصرتهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم الأوس والخزرج ، وتعود الأوس والخزرج الى قبيلة الأزد القحطانية اليمانية : انظر ابن حزم، جمهرة ، ص ٣٣٠-٣٣٢، ٤٨٤.

(٧) ابن الفرضي، ج١ ، ص ١٨٤.

(٨) ابن حيّان، تحقيق: د. مكيّ ، ص ٢١٤. وذكر ابن حزم ان باهلة من قبائل قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان: انظر ابن حزم، جمهرة ، ص ٤٦٨، ٤٨٠-٤٨١.

الوليد بن عبد الخالق الباهلي (١)، وحفيده القاضي أحمد بن الوليد الباهلي (٢).

ومن الأمور التي أتبيّنها مما سبق ان القضاء حصر بمرور الزمن في بعض الأُسر بشكل عام من أمثال اسرة الباهلي حيث تولّى القضاء في فترة نصف قرن تقريبا الجدّ والابن والحفيد (٣)، وكذلك أُسرة قطّام حيث تولّى الجدّ والحفيد القضاء في طليطلة خلال القرن الثالث الهجرى (٤)، واستطيع القول إنّ أهل طليطلة قد شاركوا في الادارة المحلية في مدينتهم في عصر الامارة في الأُمور المتعلقة بالشؤون القضائية.

ب ـ <u>الادارة القضائية في طليطلة أيّام الخلافة</u>:ـ كانت طليطلة ثائرة على بني أميّة عندما تسلم عبد الرحمن الناصر مقاليد الحكم عام ٣٠٠هـ، وبقيت على ذلك الى عام ٣١٨ هـ عندما توجه الناصر اليها بالجيوش لاخضاعها (٥)، وقال ابن الفرضي ان اسحاق بن ذُونابا، ـ وهو من أهل طليطلة ـ كان متوليا لأحكام القضاء بطليطلة، وأنّه توفي عام ٣٠٣هـ (٦)، ولم تبين المصادر من الذى ولاه القضاء، حيث أشارت الى أنه كان قاضيا على طليطلة فقط (٧)، واغلب الظنّ أنّه كان من المولّدين، وذلك من خلال النظر الى اسمه الثاني ذونابا، ومما جعلني أميل الى هذا القول هو أنّ هذه الفترة كانت تشهد ثورة المولّدين بطليطلة، فمن المرجّح أنّ الذين سيطروا على مقاليد الأمور في طليطلة قاموا باسناد مهمّة القضاء الى مُولّدٍ منهم يؤيد مطالبهم وحركتهم ضد سلطان بني أُميّة.

---

(١) ابن الفرضي، ج٢، ص ١٥٨؛ ابن حيّان، تحقيق: د. مكيّ، ص ٢١٦.

(٢) ابن الفرضي، ج١، ص ٣٤؛ الزبيدى، تاج، ج ٧، ص ٤٢١.

(٣) انظر ابن حيّان، مكيّ، ص ٢١٤، ٢١٦؛ ابن الفرضي، ج١، ص ٣٤، ج٢، ص ١٥٨؛ الزبيدى، تاج، ج ٧، ص ٤٢١.

(٤) انظر ابن الفرضي، ج١، ص ١٧٧، ج٢، ص ١٨١ـ١٨٢.

(٥) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٢؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠ـ٢٨٤.

(٦) ابن الفرضي، ج١، ص ٨٦؛ وانظر الضبيّ، ص ٢٢٥، وقد جاء في كتابه ان الاسم هو اسحاق بن "ذنابا" وذكر بانه يقال ايضا بالزايّ. وانظر ابن عياض، ج١، ص ٥٢، حيث ذكر ان إسماً قريبا من هذا الاسم بعد اسم يحيى بن محمد بن زكرياء ابن قطّام الذى توفىّ عام ٢٩٣هـ والاسم هو اسحاق بن ابراهيم بن ذبي الطليطلي، واظنّه انه صاحبنا القاضي.

(٧) ابن الفرضي، ج١، ص ٨٦، الضبيّ، ص ٢٢٥.

ومن القضاة الذين استعملوا على قضاء طليطلة القاضي محمد بن عبد الله بن ابي عيسى المصمودى ، وقد عيّنه الناصر في شهر ذى الحجه من عام ٣٢٦هـ قاضياللجماعة بقرطبة ، وكان قبل ذلك على قضاء كورة البيرة وكان قد تولىّ قضاء كورة جيّان وكورة طليطلة (١) ، وهذا يعني ان توليّه قضاء طليطلة قد حدث قبل ولايته التي كانت على البيرة التي هي بدورها قبل توليه قضاء الجماعة بقرطبة عام ٣٢٦هـ (٢) ، وأنني أرجّح ان توليّه قضاء طليطلة كان في فترة ما بين ٣٢٠-٣٢٤هـ وذلك بعد أن تمكّن الناصر من اخضاع طليطلة لسلطانه عام ٣٢٠هـ (٣) ، كما ان ولاية ابن أبي عيسى على البيرة وجيّان كان سنة واحدة لكل منهما تقريبا أو على أقل تقدير ، فتكون ولايته لطليطلة قد حدثت في فترة معينة من السنوات الأربع الأولى من العقد الثالث من القرن الرابع الهجرى .

كما ان الناصر ولىّ أحمد بن دحيم بن خليل بن عبد الجبّار بن حرب - وهو من أهل قرطبة - قضاء طليطلة ، واستمرّ على ذلك حتىّ سنة وفاته عام ٣٢٨هـ (٤) ، ولا أدرى أجاء ابن دُحيم بعد ابن ابي عيسى على قضاء طليطلة أم ان هناك حلقات مفقودة من القضاة الذين تولوّا بين ابن ابي عيسى وابن دحيم .

كذلك فمن الذين تولوّا القضاء في طليطلة القاضي قاسم بن أحمد بن محمد بن عثمان ابن عبّاس المعروف بابن أرفع رأسه ، - وأصله من طليطلة - وهو من موالي بعض أهلها ، وقد عمل في القضاء بطليطلة في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، كما انه ولي قضاء بطليوس (٥) ، والقاضي عبد السلام بن عبد الله بن زياد .. اللخميّ وهو من أهل قرطبة (٦) ، وقد تقلّد خطّة القضاء في صدر دولة هشام المؤيّد ابن الحكم المستنصر ، علما بانّ دولة هشام المؤيّد بدأت عام ٣٦٦هـ (٧) ، وان القاضي توفي عام ٣٧١هـ مفلوجا (٨) ، أىْ انه تولى القضاء في الفتره الزمنية الواقعة بين ٣٦٦-٣٧٠هـ .

---

(١) الخشني ، ص ١١٨-١٢٠ . (٢) المصدر نفسه ، ص ١١٩-١٢٠ .

(٣) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٧-٣١٩ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٦ .

(٤) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٤٧ .

(٥) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٤١٢-٤١٣ وذكر أنّه توفيّ في سنة ٣٩٣هـ .

(٦) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٣٣١ . (٧) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(٨) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٣٣١ .

ويبدو ان القاضي احمد بن اسحاق بن مروان بن جابر الغافقي، ـ وهو من أهل قرطبة ـ، قد تولّى القضاء بطليطلة بعد القاضي اللخمي السابق ، لأنّه توفيّ بطليطلة عام ٣٧٢هـ (١) ، وقد وردت اشارة عند ابن الفرضي تقول ان القاضي محمد بن يحيى بن عبد العزيز كان قاضيا لطليطلة عام ٣٧٣هـ (٢) ، يفهم منها انّ القاضي محمد بن يحيى قد جاء مباشرة بعد القاضي السابق أحمد الغافقي.

وتولّى القضاء بعد ذلك القاضي محمد بن شجاع بن منقوش، ـ وهو من أهل قرطبة ـ وظلّ قاضيا لطليطلة حتّى توفي في شهر ربيع الأوّل من عام ٣٧٦هـ (٣) ، وذكر ابن الفرضي أنّ عمر بن مسلمة بن وردان العامرى ، ـ وهو من أهل استجة ـ، استعمل على قضاء طليطلة ، وانه توفي عام ٣٨٣هـ بقرطبة (٤) ، وتعني وفاته بقرطبة عام ٣٨٢هـ انّه فقد عمله على قضاء طليطلة قبل وفاته بفترة ،والتي كانت على اثر استقراره في قرطبة .

والأرجح أنّ القاضي الذى تولى مهامّ أحكام القضاء في طليطلة بعد العامرىّ ، القاضي أحمد بن حكم بن محمد العاملىّ ، ـ وهو من أهل قرطبة أيضا ويعرف بابن اللبّان ـ ، حيث ذكر ابن الآبّار أنّ محمد بن أبي عامر رقّى العامليّ ونقله الى قضاء طليطلة بعد ان كان متوليا لقضاء موررور وقرمونة ، وقد توفيّ عام ٣٩٠ هـ وهو يتقلّد قضاء طليطلة (٥) .

ويرجّح أنّ الذى تولى القضاء بطليطلة بعد ذلك هو القاضي عبد الرحمن بن مخلد .. بن أحمد بن بقي بن مخلد ، من أهل قرطبة ، وقد تولى الولاية الاولى التي تعنينا من قبل محمد بن أبي عامر والثانية بتقديم الظافر اسماعيل بن ذى النون (٦) ، ومن المرجّح أن يكون قد تولى قضاء طليطلة في المرّة الأولى، عام ٣٩٠هـ بعد وفاة القاضي السابق (٧) ، وقبل وفاة محمد بن أبي عامر التي كانت عام ٣٩٢هـ (٨) .

---

(١) ابن الفرضي ، جا ، ص ٦٣-٦٤.
(٢) ابن الفرضي ، جا ، ص ٢٧٨.
(٣) ابن الفرضي ، ج ٢، ص ٨٩.
(٤) ابن الفرضي ، جا ، ص ٣٧٠.
(٥) ابن الأبّار، التكملة ، جا ، ص ١٥-١٦.
(٦) ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٣٢٩.
(٧) ابن الأبّار، التكملة ، جا ، ص ١٥-١٦.
(٨) ابن عذارى ، ج٢، ص ٣٠١.

ومن خلال القاء نظرة فاحصة على الاستعراض السابق للقضاة في طليطلة ابان عصر الخلافة نتبين المزايا التي اختصت بها الادارة القضائية المحليّة في طليطلة ، وان من أبرز تلك الخصائص أنّ الذين تولّوا أحكام القضاء فيها كانوا يعينون من قبل الخلفاء[١] ، الا في عهد هشام المؤيد حيث كان الحاجب محمد بن أبي عامر يقوم بذلك باسم الخلافة[٢] .

ومن المعروف انّه لم يكن لقرطبة في السنوات العشرين الأولى من القرن الرابع الهجرى سلطان على طليطلة بسبب تمرّدها ، وكما يبدو ان القضاة في تلك الفترة كانوا يختارون من أهلها ويعينون من قبل السلطات المتنفذة في المدينة ، وظل الوضع على هذه الحال حتىّ عام ٣٢٠هـ ، حيث أُعيدت طليطلة الى حظيرة الدولة[٣] ، وأرى أنّ القاضي ابن ذونابا استعمل على أحكام القضاء في المدينة بهذه الطريقة ، وبقي متقلدا لمنصب القضاء حتىّ عام ٣٠٣هـ حيث توفي[٤] ، ومن المرجّح أنّ القاضي او القضاة الذين جاءوا بعده كانوا من أهل طليطلة وانهم اختيروا أو عيّنوا من قبل المتنفذين في طليطلة .

أمّا تعيين القضاة في طليطلة بعد ارجاعها الى حظيرة الدولة الاموية ، فقد كان يتمّ من قبل الخلافة ، وأنّ القضاة المعينين على أحكام القضاء بطليطلة كانوا جميعا من خارج طليطلة ، وهم في الغالب من قرطبة[٥] ، وذكر أن أحدهم كان من أهل إستجة[٦] ، باستثناء أحد القضاة وهو المعروف بابن أرفع رأسه الذى ذكر أنّ أصله كان من طليطلة[٧] ، ويفهم من ذلك أنّه لم يكن من سكان طليطلة ، وانما يعود أصله اليها .

---

(١) الخشني ، ص ١١٨-١٢٠ ؛ ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٤٧ ، ٣٣١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٢) ابن الآبّار ، التكملة ، ج١ ، ص ١٥-١٦ .

(٣) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٧-٣١٩ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٦ .

(٤) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٨٦ ؛ الضبيّ ، ص ٢٣٥ .(ذنابا) .

(٥) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٤٧ ، ٦٣-٦٤ ، ٣٣١ ، ج٢ ، ص ٨٩ ؛ابن الآبّار ،التكملة ، ج١ ، ص ١٥-١٦ .

(٦) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

(٧) ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٤١٢-٤١٣ .

وأخلص الى القول بأنّ القضاة الذين كانوا يستعملون على قضاء طليطلة لم يكونوا من أهلها، وانّهم جميعا جاءوا اليها من مناطق أخرى، فلذلك أرى ان مشاركة طليطلة في الادارة القضائية المحليّة كانت معدومة في عصر الخلافة، على عكس النهج الذى انتهجه الأمراء الامويون (١) في عصر الامارة من تعييّن القضاة من أهل طليطلة .

ج ـ التركيبة السكانية في مدينة طليطلة في العصر الاسلامي:

كانت طليطلة عاصمة القوط قبل الفتح الاسلامي، وانّها بسبب ذلك كانت مكتظة بالسكان، النصارى، الكاثوليك، ومن المعروف أنّ المسلمين عندما فتحوا طليطلة كانوا قد جمعوا اليهود من المناطق الريفيه المجاورة في مدينة طليطلة، وأنّ ذلك الفعل كان سياسة انتهجها المسلمون خلال فتوحاتهم للاندلس .

وبقدوم المسلمين ودخولهم طليطلة انتشر الاسلام بين السكان، وبهذا أستطيع القول ان سكان طليطلة الاصليّين أصبحوا كالتالي : السكان الذين اعتنقوا الاسلام، واعتقد أنّهم كانوا كثرا ، والسكان الذين ظلّوا محتفظين بمعتقداتهم ودياناتهم السابقة ، وهم النصارى الكاثوليك ، بالاضافة الى اليهود الذين لا يمكن أن يصلوا الى النسبة العددية للفئتين السابقتين ، ولكنّ التركيبة السكانية في طليطلة طرأ عليها تغيرّات بدخول عناصر جديدة اليها من الفاتحين، حيث قامت أعداد منهم بالاستقرارفي طليطلة، وذلك ناتج عن المفهوم الاسلامي لأهداف الفتوحات وهو القيام بنشر مفاهيم وقيم الاسلام بين السكان المحليّين، وكذلك لضرورات ادارية وتنظيمية لابقاء عناصر من الفاتحين في المناطق المفتوحة لضبط الأمور وعدم ترك أية فرصة للمغلوبين لتجميع قواتهم والقيام بتنظيم أمورهم بعيدا عن أعين الدولة، فيما لو اتبّع المسلمون هذه السياسة .

لم يرد في المصادر سوى شذرات متفرقة عن استقرار المسلمين في طليطلة ولكن ومن خلال متابعة أسماء بعض العلماء والادباء والقضاة والفقهاء من الذين برزوا

---

(١) أنظر ابن الفرضي، ج١، ص ٢٦، ٣٤، ١٣٧، ١٧٧، ١٨٤، ٢٢٥، ٢٧٥؛ ج٢: ص ١٥٨، ١٨١، ١٨٢ـ١٨٣؛ ابن حيّان ، تحقيق : د. مكيّ ، ص ٢١٤، ٢١٦؛ ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص ٢٥٢؛ ابن فرحون ، ص ٤٠١؛ الزبيدى ، تاج، ج ٧، ص ٤٢١.

في طليطلة استطيع أن أتلمس القبائل والعائلات التي استقرت فيها خلال الحكم الاسلامي لها ، فمن القبائل العربية اليمانية التي نزلت فيها الأنصار وقد قال ابن غالب في المقرى ان قسما منهم كان بناحية طليطلة (١) ، ومن الواضح ان اعدادا كبيرة منهم قد نزلوا طليطلة ، لأنه ورد في عدد من المصادر ذكر للعديد من اسماء العلماء والرواة والفقهاء والقضاة الذين برزوا في طليطلة ، وجاء ذكرهم على أنّهم من أهل طليطلة (٢) ، وكما ان هناك اشارة الى نزول الانصار في طليطلة في وقت مبكر حيث ورد عند ابن القوطية ان رجلا من ذرّية سعد بن عبادة الانصاري كان ساكنا فيها قد استعمل عليها بعد استتباب الامور في زمن عبد الرحمن الداخل (٣) .

كما برز من كلٍ من القبائل التالية بعض الاسماء من العلماء في طليطلة ، والقبائل هي : الأزد (٤) ، ذو رُعين (٥) ، غافق (٦) ، الصَّدف (٧) ،

---

(١) قال ابن غالب في (المقّرى)، نفح، جا، ص ٢٩٤. والانصار هم الأوس والخزرج الذين يعودون باصولهم الى قبيلة الازد القحطانية، انظر ابن اسحاق، السيرة النبوية، جمع وتدوين ابن هشام، م:١-٢، ص ٩؛ ابن حزم، جمهرة، ص ٣٢٠-٣٣٢، ٤٨٤؛ وانظر السويدى ، سبائك الذهب ، ص ٦٨.

(٢) ابن الفرضي ، جا، ص ١٨٤، ج ٢، ص ٤٤، ٦٦، ٧٢؛ ابن عياض ، ترتيب ، جا، ص ١٣ ، ٥١، ٦٧، ٧٥؛ ابن بشكوال ، ق:١، ص ٩، ٣٦-٣٧، ٥١، ٦٨-٦٩، ٧٠، ٩٨-٩٩، ١٦٨، ٢١٤، ٢٣٩ ، ٢٧٧-٢٧٨، ق:٢، ص ٣٢٠-٣٣١، ٣٤٢، ٤١٢-٤١٣، ٤٦١، ٥١٤، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٥٤، ٦٥١، ٦٧٦، ٦٨٧ ؛ ابن الأبّار، التكملة، جا، ص ٢٨٥، ٤١٤؛ الأوسي (ابن عذارى)، الذيل والتكملة، ق:١، ص ١٧٢، ق:٢، ص ٦٨٠٢؛ ابن فرحون ، ص ٤٠١؛ابن الزبير، صلة الصلة ، ص ٨٠، ١٠٣، ١٥٣.

(٣) ابن القوطية ، ص ٣٠ .

(٤) انظر ابن الفرضي، ج٢، ص ٨٣، ٢٠٠؛ ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٦١٤، ٦٨٧، والازد من قحطان ؛ انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٣٣٠، ٣٣١، ٤٨٤؛ السويدى، سبائك الذهب ، ص ٤٣.

(٥) انظر ابن الفرضي ، جا، ص ١٣٧، ٢١٩؛ ابن عياض ، جا، ص ٢٦؛ ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٣٩٩، ٦٥٠، وذو رُعين من بطون قبيلة حمير اليمانية القحطانية : انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٧٨.

(٦) ابن الفرضي ، جا، ص ٣٧٣؛ ابن بشكوال ، ق:١، ص ٢٨٢، ق:٢، ص ٤٢٦؛ ياقوت ، ج ٤، ص ٤٠؛ ابن سعيد، ق:٢، دار المعارف ، ص ٢٤؛ وغافق قبيلة من الأزد: انظر ابن الخطيب ، اللمحة البدرية، ص ١٧؛ المقّرى ، نفح، جا، ص ٢٩٤؛ الزبيدى، تاج، م:٧، ص ٣٧، وقيل ان غافق من عكّ بن عدنان ومنهم كان امير الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله، وكان له ذريه بالقرب من اشبيلية، انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٧) انظر ابن الفرضي ، جا، ص ٣٣١؛ ابن عياض ، جا، ص ٣٦؛ ابن بشكوال ، ق:١، ص ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٦١، ١٢١، ٢٦٥، ق:٢، ص ٣٧٧، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، والصّدف من بطون حضرموت القحطانيين: انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٦١، ٤٧٩؛ السويدى ، ص ١٧.

تجيب (١) ، بنو معافر (٢) ، قضاعة (٣) ، جهينة (٤) ، تنوخ (٥) ، مراد (٦) ، جذام (٧) ، لخم (٨) ، البكريون (٩) ، يحصب (١٠) ، ذو أصبح (١١) ، وأسد (١٢) .

---

(١) انظر أخبار مجموعة ، ص ١٠١ ؛ ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن عياض ، ج١ ، ص ٦٧ ؛ ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٨-٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ١٦٦ ، ٢١٩-٢٢٠ ، ٣٤٥ ، ق:٢ ، ص ٤١٩ ، ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٥٥٨ ، ٦١٧ ، ٦٩٠ ، وتجيب من السكون ، والسكون من كندة ممكن غالبيتهم بسرقطة ، ودروقة وقلعة أيوب : انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٣٠ .

(٢) انظر ابن الفرضي ، ج١ ، ص ١١٥ ، ١١٦ ؛ ابن عياض ، ج١ ، ص ٧٥ ، قال ابن مطاهر في (ابن بشكوال) ، ق:١ ، ص ٣٠-٣١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ق:٢ ، ص ٤٠٧-٤٠٨ ، ٤٩٢ ، ٥٣٢ ؛ ابن الأبار ، المعجم ، ص ٤٦ ، بنو المعافر من قبائل قحطان اليمانية : انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٩ .

(٣) انظر ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٢٦٨ ، وقضاعة : أختلف فيهم فقال قوم هم قضاعة بن عدنان ، وقال آخرون من حمير القحطانية : انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٤٠ ؛ وقال السويدى ان قضاعة من حمير انظر السويدى ، ص ١٧ .

(٤) انظر ابن عياض ، ج١ ، ص ٨٢ ؛ ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٢٤٥ ، ق:٢ ، ص ٣٤٣ ، ٦٧٦ ، وبنو جهينة من بطون قضاعة ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٤٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ .

(٥) انظر ابن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٦٥ ، وتنوخ من قبائل قضاعة اليمانية ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٥٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

(٦) ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٣٤٢ ؛ انظر ابن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٢ ، وقبيلة مراد من القبائل اليمانية القحطانية ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٠٦ ؛ السويدى ، ص ٣٧ .

(٧) انظر ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٤٢١ ، وجذام من قحطان وأمكنة تجمعهم الرئيسة في الأندلس بشذونة والجزيرة الخضراء وتدمير واشبيلية ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٢٠-٤٢١ ؛ السويدى ، ص ٤٢-٤٣ ؛ وقد ورد قول لابن غالب في المقرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٩٦ ان مجموعة من قبيلة جذام كانت تنزل في اقليم من مناطق قلعة رباح .

(٨) انظر ابن الأبار ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٢٤ ، ولخم من قحطان ، وهم ابناء أخو جذام ومعظمهم باقليم ريّة ، ويوجد منهم أناس باشبيلية ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٢٢-٤٢٣ .

(٩) انظر ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٥٦٢ ، وقال السويدى ان البكريين من جذام اليمانية ، انظر السويدى ، ص ٤٨ ، وجاء عند المقرى ، ان البكريين اصحاب اونبه وشلطيش ينتسبون الى بكر بن وائل من ربيعة : انظر المقرى ، نفح ، ج١ ، ص ٢٩٢-٢٩٣ ولا يعرف بالتحديد هل البكريين في طليطلة كانوا من القحطانية ؟ أم من العدنانية ؟! ويغلب على تصورى أنهم من اليمانية لكون ان معظم الاشارات الى القبائل التي نزلت طليطلة كانت في غالبيتها من القبائل اليمانية ، وكما ان ذكرهم مع اللخميين على انهم كانوا في اقليم قلعة رباح ، انظر ياقوت ، ج ٣ ، ص ٢٣ ، ومع الجذاميين كذلك ، فلذلك يرجح الظنّ بانهم من اليمانية .

(١٠) انظر ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٢٨٥ ، ق:٢ ، ص ٤٦١ ، ٤٦٦ ؛ ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٥٨٣ ؛ ويحصب من بطون حمير ، انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٣٥ ، ٤٧٨ .

(١١) انظر ابن الفرضي ، ج١ ، ص ٢٩٩ ، وذو أصبح من بطون حمير : انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٣٥ ، ٤٧٨ .

(١٢) انظر ابن عياض ، ج١ ، ص ٨٣ ، ٨٩ ؛ ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٠ ، ٦٨٩ ؛ ابن الأبار ، التكملة ، ج ١ ، ص ٣٦٠ ، وأسد من اليمانية : انظر السويدى ، ص ٣٧ .

وأمّا أسماء القبائل التي برز منها قضاة في طليطلة من القبائل العربية العدنانية فهي : باهلة (١) ، وقد ذكر ابن حزم ان من ولد وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، وانه يوجد بطليطلة ووادى الحجارة قوم ينتمون الى قتيبة بن مسلم ويزيد بن مسلم (٢) ، وقبيلة كنانة (٣) ، وقد ورد عند المقّرى أنّ جُلّ كنانة في طليطلة وأعمالها، ولهم ينسب الوقشيون الكنانيون (٤) ، وقيس (٥) ، وأشجع (٦) ، وبعض البطون من قريش وخاصة الأمويّين (٧) ، والفهريّين (٨) ، كما ورد ذكر للهاشميّين (٩) ، ولبني عدّى (١٠) ، كما

---

(١) انظر ابن الفرضي، ج١، ص ٣٤؛ ابن حيّان، تحقيق: د. مكيّ، ص ٢١٤، ٢١٦؛ ابن عياض، ج١، ص ٢٦؛ الزبيدى، ج ٧، ص ٤٢١.

(٢) ابن حزم، جمهرة، ص ٢٤٦، ٤٨١.

(٣) انظر ابن بشكوال، ق:٢، ص ٦٥٢، ٦٨٠، ٦٨١؛ الأوسي (ابن عذارى)، الذيل والتكملة، ق:١، ص ١٥٠؛ الحميرى، ص ١٩٦، وذكر ابن حزم أن كنانة من قبائل مضر العدنانية، انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٦٤، ٤٦٥، وكما أنه ذكر أن كنانة من القبائل القحطانية، انظر ابن حزم، ص ٤٠٦، وأميل الى ان الكنانيّين المقصودين في طليطلة، هم من قبيلة كنانة المضرية لأنّها أعمّ وأشهر من كنانة اليمن، حيث من بطون كنانة مضر بنو النضر بن كنانة وهم قريش؛ وانظر ابن الزبير، ص ١٠٣.

(٤) المقّرى، نفح، ج١، ص ٢٩١.

(٥) انظر ابن الفرضي، ج٢، ص ٦٩؛ ابن بشكوال، ق:١، ص ١٧١، ١٩٩-٢٠٠، ق:٢، ص ٤٦٣، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٨١-٤٨٢، ٤٥٣، ٥٤٧، ٦٤٦، ٦٤٩، وقبيلة قيس مضرية عدنانية: انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٨٠؛ ابن السويدى، ص ٢٣؛ وانظر ابن الزبير، ص ٨٧.

(٦) انظر ابن بشكوال، ق:١، ص ١٨، وبنو أشجع من قبائل غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٨٠، ٤٨١؛ وانظر السويدى ، ص ٢٤.

(٧) انظر ابن عياض ، ج١، ص ٦٧؛ ابن بشكوال، ق:١، ص ٢١-٢٢، ٢٨، ٤١، ٦٥، ٦٩، ٨٩-٩١، ١٩٩، ٢١٧، ٢٤٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٤٩، ق:٢، ص ٣٢٨، ٣٥٠، ٣٨٥، ٤٣٦، ٤٦٠، ٤٧٧، ٥٢١، ٥٤١، ٦٤٩، ٦٦٩، وبنو أمية من بطون قريش : انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٦٤.

(٨) انظر أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٦٥٢؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٨٣؛ وقال ابن غالب في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٩٠-٢٩١ ان الفهريّين في الأندلس من بني مُحارب بن فهر، وهم من قريش الظواهر.

(٩) انظر ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٦١٩، ومن بطون قبيلة قريش العدنانية بنو هاشم، وقال ابن غالب في (المقّرى) منهم بالاندلس جماعة كلهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ومن هؤلاء بنو حمّود الذين حكموا في بداية القرن الخامس الهجرى ، انظر قول ابن غالب في (المقّرى) ، نفح، ج١، ص ٢٩٠.

(١٠) انظر أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٨٣، ومن بطون قريش بنو عدىّ بن كعب : أنظر: ابن اسحاق ، السيرة النبوية، جمع وتدوين ابن هشام، م:١-٢ ، ص ٧٠٧.

أن قريشا عموما ذكرت دون تخصيص البطون والافخاذ [(١)].

كما أشارت المصادر الى أنّ أناسا من قبيلة تميم كانوا قد استقروا في طليطلة من خلال ذكرها بعض أسماء العلماء الذين ينتسبون الى قبيلة تميم [(٢)].

وورد ذكر أسماء الفهميّين على أنّهم من أهل طليطلة [(٣)]، وجاء عند ياقوت أن قبيلة الفهميّين تسكن في المنطقة المسماة باسمهم وهي من المناطق التابعة لطليطلة [(٤)]، وقد ذكر ابن حزم ان فهم من القبائل القحطانية اليمانية [(٥)]، كما انه ذكر ان هناك اسم لقبيلة من المُضرية العدنانية عُرفت باسم فَهْم بن عمر بن قيس بن عيلان بن مضر [(٦)].

استيطان المسلمين في المناطق المجاورة لطليطلة: نزل قوم من البربر يُدعون بنو الفرج في وادى الحجارة [(٧)]، كما نزلها قوم من العرب من باهلة [(٨)]، ونزل بنو بهدلة من مضر بطلبيرة [(٩)]، ووردت اشارة عند ابن الأبّار الى ان بني معافر نزلوا طلبيرة [(١٠)]، واستوطن بنو ذى النون من البربر بوبذة واقليش [(١١)]

---

(١) انظر الأوسي (ابن عذارى)، الذيل والتكملة، ق:١، ص٤٦، وقريش هم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة..بن مضر..بن عدنان: انظر ابن حزم، جمهرة، ص٤٦٤، وجاء عند المقرى ان بنو أمية اصبحوا يخفون انسابهم، عندما زالت دولتهم، وذكر الناس ما فعلوه بالحسين بن علي رضي الله عنه وينسبون انفسهم الى قريش، انظر قول ابن سعيد في(المقرى)، نفح، جا، ص٢٩٠.

(٢) انظر ابن بشكوال، ق:١، ص٤٦، ١٦١، ٢٤٣، ٢٨٢، ق:٢، ص٥٤٣، ٥٥١، ٦٤٨. وقبيلة تميم ترجع بنسبها الى القبائل العدنانية ، فهم بنو تميم بن مرّ آدب طانجة الياس ابن مضر.. بن عدنان ، انظر ابن حزم، جمهرة، ص٤٨٠، السويدى ، ص٢٤، ٢٦.

(٣) انظر ابن بشكوال ، ق:١، ص٩٤، ق:٢، ص٤٢٥، الأوسي، ق:١، ص٣٩٩.

(٤) ياقوت ، ج ٤، ص٢٨١. (٥) ابن حزم ، جمهرة، ص٣٢١.

(٦) ابن حزم، جمهرة، ص٢٤٣.

(٧) ابن حزم، جمهرة، ص٤٩٩.

(٨) المصدر نفسه ، ص٢٤٦.

(٩) المصدر نفسه، ص٢١٩.

(١٠) ابن الأبّار، المعجم، ص٤٦.

(١١) المصدر نفسه، ص٤٩٩، ٥٠٠.

واستوطنت القبائل العربية في اقليم قلعة رباح من جذام (١) ، ولخم (٢) ، والبكريين (٣) ، كما أنّ الانصار نزلوا في المناطق الطليطلية بالاضافة الى استيطانهم في طليطلة (٤) .

واختصت طليطلة والمناطق التابعة لها باستيطان جل قبيلة كنانة (٥) ، كما ان قسما من غافق نزلوا في حصن بالقرب من حصن البلوط (٦) ، بالاضافة الى نزولهم في مدينة طليطلة (٧) .

ويخلص المدقق فيما سبق من معلومات الى ان القبائل القحطانية اليمانية التي نزلت طليطلة كانت أكثر من القبائل العدنانية، وذلك من خلال متابعة ما ذكر من اسماء لعلماء وفقهاء وقضاة قد برزوا في طليطلة من كل قبيلة، فكانت نسبة الاولى الى الثانية كنسبة ٢:١ تقريبا، واشار ابن خلدون الى ان قبائل يمانية نزلت بطليطلة وأراضيها (٨) .

ومن خلال تتّبعي للثورات التي قامت في طليطلة والأحداث التي مرّت بها ، ومن خلال تتّبع استيطان القبائل العربية في الاندلس ، أميل الى الأخذ بالرأى الذى أشار اليه اليعقوبي ، بان الذين نزلوا في طليطلة واستقرّوا فيها كانوا أخلاصا

---

(١) المقّرى ، نفح، ج١، ص٢٩٦.
(٢) ياقوت ، ج ٣، ص ٢٣.
(٣) ياقوت ، ج ٣، ص ٢٣.
(٤) قال ابن غالب في (المقّرى)، نفح، ج١، ص ٢٩٤.
(٥) المقّرى ، نفح، ج١، ص ٢٩١.
(٦) الزبيدى ، م:٧، ص ٣٧.
(٧) انظر ابن الفرضي، ج١، ص ٣٧٣؛ ابن بشكوال ، ق:١، ص ٢٨٢، ق:٢، ص ٤٦٢؛ ياقوت ، ج ٤، ص ٤٠؛ ابن سعيد ، ق:٢، دار المعارف ، ص ٢٤.
(٨) انظر عنان ، دولة، العصر الأول ، ق:١، ص ٦٩. ولكنّني لم أجد ما ذكره على لسان ابن خلدون في النسخ التي اطلّعت عليها.

من العرب والبربر والموالي ، لأنّ العناصر العربية والبربرية لم يكن لها تأثير كبير في الاحداث التي مرّت فيها طليطلة في عصري الامارة والخلافة[١]، فلذلك أخلص الى القول ان العائلات العربية التي استقرّت في طليطلة لم يكن لها دور مؤثر وفاعل في مجريات الأحداث في مدينة طليطلة نظرا لأنّ الذين نزلوا طليطلة كانوا عبارة عن مجموعات منتخبة وصغيرة وخاصة اذا ما قورنت بسكان طليطلة - العاصمة القوطية - التي كانت تضم داخلها اعدادا كبيرة من السكان من العناصر المغلوبة، حيث لا مجال للمقارنة بين العنصرين العنصر الفاتح والعنصر الاصلي الموجود فيها قبل الفتح الاسلامي ، فلم يكن لتلك العناصر الفاتحة التي استقرّت بطليطلة القدرة على تسيير الأمور فيها، أو التحكم في مجريات الأمور فيها عندما كانت تواجه أية تحدّيات حقيقية من جانب غالبية السكان ، سواء من الذين أسلموا أم الذين بقوا على ديانتهم ومعتقداتهم القديمة وهذا ما سنراه في الفصل الرابع.

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٤-٣٥٥.

الفصل الرابـــع

المعارضة الطليطلية في عصري الامارة والخلافة :-

أ - في عصر الامارة   ب - في عصر الخلافة

اتخذت المعارضة الطليطلية اسلوب الثورات المسلحة ضد الحكم المركزى في قرطبة، واحيانا كانت تمتد خارج المدينة الى مناطق مجاورة، بل انّ القوات الطليطلية الثائرة كانت تخرج لتهاجم المناطق المجاورة التابعة لسلطات قرطبة، وكانت تأخذ بعض الحصون والقلاع المتقدمة لتستفيد من مواقعها في شن الغارات والهجمات على المناطق التي كانت تسير في فلك (ركاب) الحكومة المركزيةكما سنرى.

وسأقوم بعرض للثورات والحركات التي ظهرت في طليطلة من حيث أحداث تلك الثورات ونتائجها، ومحاولة التعرف على الاسباب الكامنة خلفها، للتعرف على تاريخ طليطلة السياسي ابّان العهد الأموى في الاندلس بشقّيه المتمثليّن في عصرىّ الامارة والخلافة.

ثورات طليطلة في عصر الامارة: بداية الثورات التي قامت في طليطلة هي تلك الثورات التي واجهت عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الاموية في الأندلس، بادئ ذى بدء لا بدّ من الاشارة الى توجّه يوسف الفهرى من قرطبة يريد الثورة والقضاء على عبد الرحمن الداخل الذى انتزع منه أمر الاندلس. فبعض المصادر ذكرت أنّ يوسف اتجه نحو طليطلة (١)، بينما أشارت مصادر أخرى الى أنّه اتجه نحو ماردة (٢)، فاجتمع له زهاء ٢٠ الفا من البربر والعرب فزحف بهم لمواجهة عبد الرحمن الداخل الاّ أنّه هزم في نواحي اشبيلية من قبل عبد الملك بن عمر المرواني (٣)، الأمر الذى اضطرّه للفرار، ومحاولة الالتجاء الى هشام الفهرى (٤) في مدينة طليطلة، علما بأن بعض

---

(١) ابن القوطية، ص ٣٠؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ص ٢٦٣؛ المقرى، نفح، ج١، ص٣٢٩، (عن ابن خلدون).

(٢) أخبار مجموعة، ص٩٦؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٣٩.

(٣) أخبار مجموعة، ص٩٦؛ ابن الأثير، م:٥، ص ٤٩٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٢٩؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ المقرى، نفح، ج١، ص ٣٢٩.

(٤) أخبار مجموعة، ص١٩٦.

المصادر جعلت هروب يوسف الفهري عام ١٤١ هـ ، في حين أن رأيا آخر جعله(١) عام ١٤٠ هـ ، وتجمع المصادر على أنّ مقتل يوسف الفهري كان على مقربه من مدينة(٢) طليطلة ، في شهر رجب من عام ١٤٢ هـ(٣) ، عندما كان متجها اليها ليحتمي فيها عند(٤) هشام الفهري ، على قول، بينما اشارت اقوال أخرى الى انه قتل عندما كان يتردد(٥) في المناطق القريبه من طليطلة ، وهذا الكلام يحمل على أنّه أغتيل قبل أن يصل الى(٦) طليطلة ، وربما أنّه كان يحاول تجميع قوات جديدةً فقتل أثناء تردده بين القرى والمناطق الوسطى من الاندلس في منطقة طليطلة .

ثورة هشام الفهري في طليطلة :- هو هشام بن عروه الفهري(٧) وهو من بني عمومة الامير يوسف الفهري الذى كان آخر الولاة ، وجاء في بعض المصادر أنّه ثار في(٨) طليطلة عام ١٤٤هـ ، ومعه حيوة بن الوليد اليحصبي وعثمان بن حمزه بن عبيد الله(٩)

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٩٦؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤٩؛ النويري، ج٢٢، ص ٣٣٩؛ ابن خلدون، العبر، م:٤، ص ٢٦٣؛ المقري، نفح، ج١، ص ٣٢٩.

(٢) ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٩.

(٣) أخبار مجموعة ، ص ٩٩-١٠٠؛ ابن القوطية ، ص ٣٠ وذكر انه قتل في طليطلة ؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٩؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤٩؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٣٩؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٤؛ المقري، نفح، ج١، ص ٣٢٩.

(٤) ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٩؛ النويري، م:٢٣، ص ٣٣٩؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٤٩.

(٥) أخبار مجموعه ، ص ٩٩.

(٦) ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٩٩؛ ابن عذاري ، ج ٢، ص ٤٩؛ النويري ، ج ٢٣، ص ٣٣٩؛ ابن خلدون،م :٤، ص ٢٦٤.

(٧) أخبار مجموعة ، ص ١٠١،١٠٤،٩٩؛ وقد ورد اسمه في مصادر اخرى هشام بن عذره الفهري : انظر ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٤٠، في حين انه اسمه ورد عند ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٦، هشام بن عبد ربه الفهريّ واغلب الظنّ ان الخطأ كان من النّساخ أو خطأ من الذين نقلوا الاسم حيث أن كلمة عروة قريبه جدا من عذره، وكذلك كلمة عبد ربه .

(٨) ابن الأثير ، ج ٥، ص ٥٢٧؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

(٩) أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧ ؛ النويري ، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب (١)، ولكنّ ابن خلدون أورد رواية مغايرة للقول السابق حيث ذكر أنّ عبد الرحمن الداخل وجد هشاما الفهرى ثائرا في طليطلة، حتى انه قال ان هشاما كان ثائرا على يوسف من قبل (٢)، واعتقد أن هشاما الفهرى كان ثائرا قبل عام ١٤٤ هـ، اذ ان المصادر التي ذكرت ان ثورته كانت عام ١٤٤هـ، قرنتها بتوجه الأمير عبد الرحمن الداخل لمحاصرته (٣)، وهذا لا يعني بالضرورة ان الثورة اشتعلت عام ١٤٤ هـ، بل انّ توجه الداخل صاحب الحكومة المركزية، الى طليطلة لم يكن ممكنا قبل ان يُخضع المناطق القريبة من قرطبة قبل ان يفكر باخضاع مناطق بعيدة مثل طليطلة، والأمر الذى يؤكد هذا التصور هو ما ذكره صاحب كتاب أخبار مجموعه من أنّ يوسف الفهرى تقدم نحو طليطلة عام ١٤٢ هـ ليأمن عند هشام الفهرىّ، بعد فشله في الانتصار على قوات عبد الرحمن الداخل (٤)، ومن المعروف أنّ هشاما كان واليا على طليطلة من قبل يوسف الفهرى عام ١٣٨هـ (٥)، فكيف سيطر الداخل على طليطلة عام ١٤١-١٤٢ هـ مع أنّ يوسف الفهرى حشد القوات التي سار بها للقضاء على الداخل من منطقة طليطلة وماردة كون أقاربه وأصهاره كانوا موجودين في هاتين المنطقتين وانه توجّه اليهما (٦)، وتحرك بقواته منهما لملاقاة قوات وأنصار عبد الرحمن الداخل،

---

(١) انظر الأثير، ج ٥، ص ٥٨٣؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٤٠؛ وانظر أخبار مجموعة، ص ١٠١ ذكر ان معه حيوة بن الوليد التجيبي والعمرى من ولد عمر بن الخطاب؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٥٣ وذكر ان اللذين مع هشام هما هشام بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وحيوة ابن الوليد، وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٦ وذكر ان اسم الثائرين مع هشام هما حيوة الوليد الحصبي وحمزه بن عبدالله بن عمر.

(٢) ابن خلدون، المصدر نفسه، م:٤، ص ٢٦٦.

(٣) أخبار مجموعة ص ١٠١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

(٤) أخبار مجموعة، ص ٩٩.

(٥) أنظر أخبار مجموعة، ص ٩٩، ١٠٠-١٠١.

(٦) أخبار مجموعة، ص ٩٦.

فالذى اميل الى الأخذ به هو ان هشاما الفهرى كان على طليطلة وأنّه لم يخضع للداخل منذ عام ١٣٩ هـ عندما آلت مقاليد الحكم للأخير بعد استسلام يوسف الفهرى [١]، وانّما كان عام ١٤٤ هـ هو العام الذى استطاع فيه الداخل التوجه للقضاء على ثورة طليطلة، لأنه واجه ثورات متعددة في مختلف انحاء الأندلس [٢].

قام الأمير عبد الرحمن الداخل بمحاصرة الثوّار في داخل طليطلة، ولكنّه لم يستطع عام ١٤٤ هـ من الاستيلاء عليها، ونتيجة لشدّة الحصار قام هشام الفهرى بالدعوة الى الصلح وأعطى ولده أفلح رهينة للداخل، وبعد ذلك عاد عبد الرحمن الى قرطبة ومعه الرهينة [٣]، ولكنّ هشاما كان مقصده الاستراحة والاستعداد لجولات قادمة، فما أن عاد عبد الرحمن حتّى أعلن هشام عن نيّته وخطّته برفض الانصياع للحكومة المركزية في قرطبة المتمثلة في شخص عبد الرحمن الداخل، وفي عام ١٤٥ هـ سار اليه الأمير على رأس قواته فحاربه، ولكنّ الثورة كانت هذه السنة أشدّ وأقوى حيث تحملت الحصار والحرب، وحاول الداخل ان يدفع هشاما الى الرجوع الى الطاعة كما فعل في العام السابق، ولكنّه رفض مما دفع الأمير الى ان يقدم على قتل الرهينة على ابواب طليطلة، ولم تتمكن قوات عبد الرحمن الداخل الحكومية من النيل من الثائرين كما حدث في عام ١٤٤ هـ من ثورة طليطلة، مما اضطرها الى الانسحاب دون أن تحقق أى مكسب في عام ١٤٥ هـ [٤].

ولم يفعل الأمير في عام ١٤٦ هـ شيئا امام الثورة الطليطلية بسبب انشغاله بأمر أهم واخطر حيث واجه ثورة شديدة وقوية، كادت تنهي حكمه وحكم بني أُميّة، تلك هي ثورة العلاء بن مُغيث التي كانت تدعو الى الانقياد الى الدولة العباسية بقيادة أبي جعفر المنصور [٥]، ولكنّ عام ١٤٧ هـ كان عام ارجاع طليطلة الى حظيرة الدولة

---

(١) انظر الخشني، ص ١٤؛ وانظر ابن الفرضي، ج١، ص ١١؛ الحُميدى، ص ٨-٩؛ ابن الأثير، ج ٦، ص ٤٩٤-٤٩٥؛ ابن الأبّار، الحلّة، ج١، ص ٣٥؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٤٤،٤٦؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٣٤،٣٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٨؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) انظر أخبار مجموعة، ص ٩٩،١٠١؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٤٩-٥١؛ النويرى، ٢٣، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

(٤) أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧، ٥٢٨؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٤٠.

(٥) انظر أخبار مجموعة، ص ١٠١-١٠٣؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٥١-٥٢؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤١.

الاموية واخضاعها للسلطات المركزية ، ففي عام ١٤٧ هـ وجّه الأمير عبد الرحمن مولى له يدعى بدرا ، وقائدا من قواده هو تمام بن علقمة على رأس جيش كبير للقضاء على ثورة الفهرىّ في طليطلة [(١)] ، وحاصراها حتى ان الأمير عبد الرحمن ندب الاجناد الى حصار مدينة طليطلة وجعل ذلك بينهم دولا ، في كل ستة أشهر [(٢)] ، حتى ملّ أهل طليطلة الحصار فأرسلوا الى القائدين بدر وتمام ، يسألونهما الأمان على ان يسلموا لهم قادة الثورة الثلاثة وهم الفهرىّ والعمرىّ وحيوة ، وكانوا يدا واحدة فاسلموهم اليهما [(٣)] ، وفي قول آخر ان بدرا وتماما هما اللذان قاما بمكاتبة أهل طليطلة في ذلك [(٤)] ، وسُلّم قادة الثورة الى قائدىّ الأمير عبد الرحمن ، وتمّ قتلهم في قرطبة [(٥)] ، عند ذلك قام الداخل بتولية أمر طليطلة الى تمام بن علقمة [(٦)] ، الا أنّ ابن خلدون ذكر ان ارسال بدر وتمام لاخضاع طليطلة وما تمّ في تلك الحملة كان عام ١٤٩ هـ [(٧)] .

ومن الملاحظات التي تسجل على هذه الثورة واحداثها ، هي حصانة طليطلة اذ لم يستطع الداخل عام ١٤٤هـ وعام ١٤٥هـ من اقتحامها رغم ضربها بالمنجنيق عام ١٤٥ هـ ، وتعلل المصادر ان ذلك عائد الى حصانة مدينة طليطلة [(٨)] ، ومن الأمور الاخرى التي

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ١٠٣–١٠٤ ؛ ابن الأثير ، جـ٥ ، ص ٥٨٣ ؛ ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ؛ النويرى ، جـ ٢٣ ، ص ٣٤٠ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(٤) أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ .

(٥) أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ ؛ ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٥٨٣ ؛ ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ؛ النويرى ، جـ ٢٣ ، ص ٣٤٠ ؛ ابن خلدون ، م: ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٦) أخبار مجموعة ، ص ١٠٤ ؛ ابن عذارى ، جـ ٢ ، ص ٥٣ .

(٧) ابن خلدون ، م: ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٨) انظر ابن الأثير ، جـ ٥ ، ص ٥٢٨ ؛ النويرى ، جـ ٢٣ ، ص ٣٤٠ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ١٠١ .

تسترعي الانتباه أنّ قادة الثورة الثلاثة كانوا من العرب المسلمين، فهشام الفهري (١) وعثمان بن حمزة العمري من قريش، وامّا التجيبي (٢) او اليحصبي (٣) فهو من القبائل اليمانية القحطانية.

ثورة القائد السُلمي : حدثت في طليطلة عام ١٦٢ هـ حادثة عصيان، حيث قام أحد قادة عبد الرحمن الداخل وهو المعروف بالقائد السلمي بالفرار من قرطبة الى طليطلة، خشية أن يوقع به عبد الرحمن بعد أن افتضح أمره في ليلة سابقة، وذلك عندما كان خارجا وهو في حالة سكر الى أحد أبواب مدينة قرطبة وحاول فتحه ولكنّ الحرّاس منعوه ولما صحا خشي الفضيحة وعاقبتها، مما اضطرّه الى الفرار الى طليطلة فاجتمع اليه عدد ممن تراودهم فكرة معارضة عبد الرحمن الداخل والقيام بالثورة على ادارته المركزية، وقد وُصف الذين التفّوا حول السلمي بانهم كُثُر وانهم من اصحاب الشرّ كما تشير المصادر (٤)، والتي من الواضح أنّها تتكلم من وجهة نظر رسمية، ولكنّ عبد الرحمن الداخل لم يُمهل السلمي ومن شايعه على التمرد ليقوم بالثورة ويعد لها عدتها، فأرسل قوات للقضاء عليه قبل أن يستفحل أمره في طليطلة، فنازلته القوات الحكومية في المكان الذى تحصن فيه، وتمت محاصرته، ثم ما لبث القائد السلمي أن طلب المبارزة فبرز له عبد اسود فقتل كل واحد منهما الآخر (٥)، الأمر الذى

---

(١) انظر ابن اسحاق، م:١-٢، ص ٧٠٧؛ المقّرى، نفح، جا، ص ٢٩٠ - ٢٩١ والفهريون وآل الخطاب من قريش، وانظر ف ٣، من هذه الدراسة ص ١٩٣.

(٢) وتجيب من السكون من كندة : انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٠.

(٣) ويحصب من بطون قبيلة حمير: انظر ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٥، ٤٧٨.

(٤) أنظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٥٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٧ - ٣٤٨؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٩.

(٥) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٥٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٨؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٩ فقد اكتفى بالقول ان السلمي انتهى أمره في الحصار دون الاشارة الى المبارزة.

أنهى هذه الحركة التمرّدية . وطلب المبارزه يوضح ان السلمي كان يريد ان يموت في المبارزة فتكون ميتته ميتة الفارس القائد ، فهو لم يدعُ لمبدأ ولم تكن عنده أطماع سياسية .

مما سبق يخلص الى القول : ان حركة السلمي لم تكن ثورة طليطلية خالصة ، بل كانت عبارة عن تجمع أناس ناقمين على الحكومة المركزية التفوا حول السُلمي الذى كان أحد قادة الحكومة المركزية في السابق ، الذى لم يكن من مواطني مدينة طليطلة ، ولم يكن عنده مبادئ أو مطالب ينادى بها ويدعو الناس الى الالتفاف حولها ، بل انّ ذلك لمجرد خطأ شخصي وقع فيه ، فافتضح أمره ، الأمر الذى دفعه للهرب ، خشية من المعاقبة ، وكانت وجهته طليطلة .

ولكنّ الأمر الذى يسترعي الوقوف عنده هو ان هروب القائد السلمي كان الى مدينة طليطلة ، واجتماع بعض الناس حوله من أهلها، وذكرت بعض الروايات أنهم من سفلة القوم (١) ، الأمر الذى يجعل الانسان يدقق في السبب الذى من أجله اختار القائد السلمي طليطلة لتكون المكان الذى يلتجئ اليه دون غيرها من المدن ، مما يوحي أن أناسا كانوا في طليطلة مستعدين للقيام بالثورة ، أو عندهم قابلية للقيام بذلك اذا ما سنحت لهم الفرصة وتطلبت مصالحهم القيام بالثورة .

ولكن لا يعرف بالتحديد من هم الذين التفوا حول القائد السلمي؟ هل هم من المسلمين الفاتحين ؟ أم من الذين اسلموا من سكان طليطلة ؟ أم أنّهم من غير المسلمين من النصارى الذين ظلّوا على دينهم؟ أغلب الظنّ أن الذين التفّوا حول السلمي هم من الذين شاركوا في ثورة هشام الفهرىّ والذين غلبوا على أمرهم نتيجة لشدّة الحصار، وأتصور أنّهم من الذين فقدوا نفوذهم بمجيء عبد الرحمن الداخل، وخاصة من تنقّذَ من قريش مثل الفهريّيْن وبعض رؤوس العرب وخاصة ذوى الذين قتلوا في احداث ثورة هشام الفهرىّ وعلى رأس هؤلاء قادة الثورة الثلاثة القرشيان،

---

(١) ابن الأثير، ج ٦، ص ٥٩؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٤٨.

الفهري والعمري ، والتجيبي او اليحصبي اليماني فلا بدّ وانّ اقاربهم وذويهم كانوا ناقمين على عبد الرحمن الداخل ، ولا يخلو الميدان في مثل هذه الحالة من انضمام من له مصالح، او من المغامرين من العامة ، الى صفوف ايّة حركة تمرد او عصيان أو ثورة عامّة .

<u>ثورة محمد بن يوسف الفهري</u> : اختلفت المصادر في معلوماتها التي أوردتها حول ثورة أبي الاسود محمد بن يوسف الفهري ، فقد جاء في بعض المصادر انّه قام بثورته عام ١٦٨ هـ (١) ، بينما جاء في مصادر أخرى انه قام بثورته في طليطلة عام ١٦٩هـ (٢) ، بعد أن تمكن من خديعة حرّاسه ، بتظاهره بالعمى، مما جعل الحرّاس يتغاضون عن مراقبته في سجنه ، ـ الذى كان يقبع فيه في مدينة قرطبة ، والذى كان يُفضي الى نهر قرطبة من خلال نفق يؤدى الى النهر، ليقضي السجناء حاجاتهم . ـ ، الأمر الذى ساعده على تدبير خطة الهرب بمساعدة أحد مواليه (٣) .

وبعد أن تمكن من الهرب اتجه صوب طليطلة فدخلها (٤) ،واجتمعت حوله أعداد كبيرة من الناس ، الأمر الذى شجعه على ان يتخذ قرارا بالزحف بتلك الجموع لمحاربة القوات الحكومية (٥) ،فالتقت القوات الثائرة بالقوات الحكومية على الوادى الأحمر بقسطلونة عام ١٦٨ هـ ، وعلى رأس القوات الثائرة قائد الثورة محمد الفهري ، في حين ان القوات الحكومية كانت بقيادة الأمير عبد الرحمن الداخل (٦) ، الأمر الذى

---

(١) ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٨؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩ ؛ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٦٩ .

(٢) العذري ، ص ١١ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٣) انظر ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٨-٧٩؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٥٠ ؛ النويري، ج٢٣ ، ص٣٤٩ ؛ وانظر العذري ، ص ١١ . فقد أشار الى ان ابا الاسود عُرف بالأعمى مما يشير الى المعنى نفسه الذى قال به ابن الأثير.

(٤) ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٩؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٥٧ ؛ النويري ، ج٢٣ ، ص ٣٤٩ .

(٥) ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٩؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩ .

(٦) انظر ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٩؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩ ؛ وانظر ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٦٩ وذكر ان المعركة كانت بقسطلونة .

أكسب المواجهة أهمية كبيرة ، لأنّ نتيجة المعركة ستكون حاسمة لكلا الطرفين، وبدأت المعركة ، ودارت رحاها بشدة ، واستمرّ القتل في قوات الثوّار حتى أنّه قتل منهم أربعة آلاف حسب ما ذكرته المصادر هذا عدا من تردىّ منهم في النهر، وأخيرا حلّت الهزيمة في صفوفهم (١) ، ولم يكتف الداخل بهذا النصر بل استغلّ حالة الفرار والفوضى التي كانت عليها القوات الثائرة ، فقامت قواته بمطاردة فلول المنهزمين، فقتلت من كانت تلحق به ، حتىّ انّها ظلّت تطارد القوات المهزومة الى ما بعد قلعة رباح (٢) .

وفي عام ١٦٩ هـ قام محمد الفهرى بتجميع الرجال لقتال قوات الداخل، الاّ ان اصحابه فرّوا من أمامهم حين احتموا بِقُربها ، الأمر الذى جعله يسير معهم ، الاّ أنّ عياله أخذوا ، وأنّ عددا من انصاره قد قتلوا ، امّا الفهرىّ فقد ظلّ حيّا الى عام ١٧٠ هـ حيث هلك في قرية من أعمال طليطلة (٣) ، واكتفى ابن خلدون بالقول ان لقاء ثانيا دار بين الجانبين عام ١٦٩ هـ ، وان الهزيمة حلّت بقوات الفهرىّ وان محمد بن يوسف الفهرى قد توفيّ في عام ١٧٠ هـ في احدى المناطق التابعة لطليطلة (٤) .

وقد قام بأمر الثورة بعد انتهاء حياة ابي الاسود أخوه القاسم بن يوسف، ولكنّ الأمير عبد الرحمن لم يترك له مجالا لتجميع قوات حوله ، ولم يتح له أية فرصة للاستفادة من عامل الزمن، فعاجله بالحرب ، ولكنّ قاسما جاء الى معسكر الداخل بدون أمان مسبق ، الأمر الذى مكّن الامير عبد الرحمن من قتله دون ما أى حرج (٥) .

---

(١) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٤٩؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٩: وقد اكتفى بالقول ان الهزيمة حلّت بابي الأسود، وقد كانت هزيمة قاسية له ولاصحابه .

(٢) ابن الأثير ، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٥٠.

(٣) ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٤) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٩.

(٥) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٥٠؛ وانظر ابن خلدون م:٤، ص ٢٦٩.

وقبل أن أقوم بمحاولة تحليل واستجلاء الحقيقة ، لا بدّ من التعريج على ماورد عند ابن عذارى فانّ أخباره عن ثورة أبي الاسود جاءت مخالفة لما ذُكر آنفا ، فقد ذكر أنّ أبا الأسود توجّه من طليطلة بعد هربه اليها ، الى جهة الشرق ومعه القوات التي استطاع حشدها ، وكان في المقابل الأمير عبد الرحمن يقوم بحشد قواته من الأقاليم التابعة لنفوذه ، فالتقيا في مخاضة الفتح في بداية شهر ربيع الأوّل من عام ١٦٩ هـ، فدامت المعركة عدة أيّام بين قتال وزحف، وأخيرا دارت الدائرة على قوات محمد الفهريّ فقُتل رجاله ، وتمّ القضاء على معظم قواته (١) ، وكما أنّ ابن عذارى أورد رواية الرازى التي تدور حول نتيجة المعركة ، التي ذكر فيها ان خسائر قوات ابي الأسود كانت أربعة آلاف رجل اضافة الى من غرق او هلك خلال عمليات الفرار والمطاردة في الأودية ، وقد اتجه الفهريّ الى قورية (٢) ، وظلّ فيها الى أن خرج اليه عبد الرحمن الداخل عام ١٧٠ هـ، مما دفعه الى الفرار من امام القوات الحكومية ، عندما أحسّ باقترابها منه ، ولكنّ عياله وبعض أصحابه لحقت بهم قوات الداخل، فقتل الذين أُدركوا وأُحرقت دوره ، وبقي فارا ، حتى ان الرواية جعلته وحيدا ، وقد التجأ الى الغابات ، الأمر الذى فوّت على الداخل الاستمرار بملاحقته ، وقام الداخل بالايقاع ببربرنفزه ، فأذلّهم وكسر شوكتهم ، ثم عاد بقواته الامر الذي جعل محمدا الفهريّ يعود الى قرية ركانه التي هي من المناطق التابعة لطليطلة ، حيث وافته منيّته فيها في العام نفسه أى عام ١٧٠ هـ (٣) .

ولكنّ ابن عذارى ذكر في موضع آخر أنّ الأمير عبد الرحمن الداخل قام بغزو محمد الفهريّ وبمحاربته عدة مرّات الى ان كانت معركة قسطلونة حيث الحق الداخل آخر هزيمة بقوات ابي الأسود ، ثم اتجه الفهريّ بعدها الى ركانة ولم يزل بها حتى مات (٤) ، وقام بأمر الثورة بعده أخوه القاسم بن يوسف ، وتوجه اليه الأمير الداخل وتمت المصالحة باستسلام القاسم وجرت العهود بينهما وعاد مع الأمير الى قرطبة (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٧ . (٢) قال الرازى في (ابن عذارى) ، ج٢ ، ص ٥٧ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٧ – ٥٨ .

(٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٠ . وروايته مصدرها عن بعض المؤرخين .

(٥) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٠ ; وانظر العذرى ، ص ١١ .

من خلال التدقيق فيما سبق من معلومات يتضح ان بداية الثورة كانت في مدينة طليطلة (١) ، ولكنّ المصادر تنتقل فجأة الى معركة قسطلونة دون أيّ اشارة الى مصير الثورة في طليطلة ، فبعد المعركة ذكر ابن عذاري ان محمدا الفهريّ اتجه الى منطقة قورية (٢) ، في حين أنّ المصادر الأخرى اكتفت بالقول ان القوات الحكومية طاردت قوات الفهريّ الى ما بعد قلعة رباح (٣) ، وفي العام التالي لهذه المعركة لم تصمد قوات الفهريّ امام قوات الأمير عبد الرحمن ، حيث فرّت من أمامها وان عددا من افراد عاشلة الفهريّ قد أُخذوا ، وان بعض رجاله قتلوا بينما فرّ هو الى مناطق الغابات (٤) ، وتجمع المصادر على ان وفاته كانت في أحد الأماكن التابعة لطليطلة والمعروف بقريسة ركانة (٥) .

ومن الأمور التي يجب مراعاتها هنا هو ما ذكره ابن عذاري في الموضع الثاني من كلامه عن الثورة عندما ذكر ان عبد الرحمن الداخل حارب محمد بن يوسف الفهريّ عدة مرات قبل معركة قسطلونة (٦) ، واذا ما صحّ كلامه هذا فمن الجائز أنّ تلك المرّات التي اشار اليها ، هي معارك دارت بين أنصار الداخل والفهريّ في طليطلة ، وربّما ان الداخل قام كذلك بمحاربة الفهريّ في طليطلة الى ان تمكن من ابعاده عنها حيث لم تعد تابعة لسلطانه ، لأنّ المعارك الأخرى قد وقعت في مناطق تقع في الجهة الشرقية كانت تتبع لمدينة طليطلة في عهد الولاة (٧) ، ومن المحتمل انها كانت ما تزال تتبعها في هذه الفترة ، اذ من المرجّح ان والي طليطلة ما زالت له السلطة على ولاية

---

(١) انظر العذري ، ص ١١ ؛ ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٧٩ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٥٧ ؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩ .

(٢) قال الرازي في (ابن عذاري) ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٣) ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٧٩ ؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٠ .

(٤) انظر ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٥٧-٥٨ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٧٩ ؛ النويري ، ٢٣ ، ص ٣٥٠ .

(٥) انظر العذري ، ص ١١ ؛ ابن عذاري ، ج ٢ ، ص ٥٧-٥٨ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٧٩ ؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٠ ؛ ابن خلدون ، م ٤ : ص ٢٦٩ .

(٦) ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٥٠ .

(٧) انظر البكري ، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣ ؛ مجمع طليطلة الثالث ، ص ١٢١ ؛ عنان ، دولة ، ق ١ : ص ٦٩ .

طليطلة الكبيرة التي كانت تتبعها في عهد يوسف الفهريّ، لذلك أرى ان محمدا الفهريّ لم يعد له سيطرة على مدينة طليطلة في عام ١٦٩هـ بعد معركة قسطلونة ، وان ثورته انحصرت في بعض المناطق الريفية الشرقية من ولاية طليطلة .

ومن الملاحظات التي تسجل على ثورة محمد بن يوسف الفهريّ، أنّ هذه الثورة كانت بقيادة عربية قرشية (١) ، وان قائدها هو من أقرب الناس الى الوالي السابق يوسف الفهريّ (٢) ، اذا ما أُعتبر عبد الرحمن الداخل مستوليا على أمور الحكم، وانه كان ثائرا بدوره على الحكومة المركزية للدولة الاسلامية العباسية في المشرق، من حيث قيامه بالاستقلال عنها ، وقطع الدعوة لخلفاء بني العبّاس ، وانّه لم يأت الى الحكم الاّ بالقوة والثورة (٣) ، ومما يلاحظ على محمد الفهريّ انه قام بالتوجّه الى طليطلة (٤) ، ليقوم منها باعلان الثورة ، والسؤال الذى يُطرح هنا لماذا اتجه نحو طليطلة؟ وللاجابة على هذا السؤال لا بدّ من التدقيق في الأحداث التي واكبت استيلاء عبد الرحمن الداخل على مقاليد الأمور في الأندلس ، اذ يتضح منها أنّ يوسف الفهريّ عندما فرّ من قرطبة قام بالاتجاه صوب منطقة طليطلة ، لوجود أصهاره وأقاربه وبعض مواليه في تلك المنطقة (٥) ، وانه قام بحشد عدد كبير من منطقة طليطلة ومااردة ، والعوده لمحاربة الداخل (٦) ، من هنا يتضح أنّ هذه المنطقة كانت موالية لوالد محمد الفهرّي، وانها كانت على استعداد للانتقام للهزيمة التي منيت بها عام١٤١هـ من قبل قوات

---

(١) انظر قول ابن غالب في (المقرى)، نفح ، جا ، ص ٢٩٠–٢٩١: حيث ذكر ان الفهريّين من قريش .

(٢) ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٨–٧٩؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٠ ؛النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩.

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٤٢–١٤٣.

(٤) ابن الأثير، ج ٦ ، ص ٧٩؛ ابن عذارى، ج١، ص ٥٠، ٥٧ ؛النويرى، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩.

(٥) انظر اخبار مجموعة ، ص ٩٦؛ وانظر ابن القوطية ، ص ٣٠؛ ابن خلدون،م:٤ ، ص ٢٦٣؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٣٢٩.

(٦) أخبار مجموعة ، ص ٩٦؛ ابن الأثير، ج ٥ ، ص ٤٩٩؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٤٩ ؛النويرى، ج ٢٣ ، ص ٣٢٩؛ ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٦٣–٢٦٤؛ المقّرى ، نفح ، جا ، ص ٣٢٩.

حكومة قرطبة المتمثله في شخص عبد الرحمن الداخل (١) ، ولا يغيب عن الأذهان ايضا قيام ثورة هشام الفهرىّ ومن معه في طليطلة ، ضد الحكومة المركزية نفسهما ، والحرب التي دارت بين الجانبين (٢) ، مع الأخذ بعين الاعتبار ان قائد الثورة هو الآخر من الفهريّين ، الأمر الذى يشير بطريقة غير مباشرة الى أنّ هناك اعدادا من الناس في منطقة طليطلة كانوا على ولاء للفهريّين أكثر من ولائهم لبني أمية ، وخاصة البربر الذين يدينون بالولاء للقائد عقبة بن نافع الفهرىّ ، لأنّه سبب هدايتهم الى الاسلام ، نظرا للدور الذى لعبه في عملية الفتوحات الاسلامية في بلادهم ونشره لمبادئه بينهم (٣) ، ولذلك رأينا الداخل يوقع ببربر نفزه ، حيث قام بتحطيم أسباب قوتهم (٤) ، الأمر الذى يؤكد ما ذهبت اليه من كون غالبية الذين ناصروا محمد الفهرى هم من البربر المسلمين ، ومما يدعمّ ذلك ما ذكرته بعض المصادر حول المراسلات التي دارت بين يوسف الفهرىّ وأصهاره وبناته وعياله في منطقة ماردة وطليطلة والتي كانوا يدعونه فيها للثورة ويعدونه بالنصرة اذا ما قدم عليهم (٥) ، وكذلك انّ معظم العشرين الفا الذين حشدهم يوسف الفهرى عام ١٤١ هـ لمحاربة الداخل كانوا من البربر (٦) .

ومن الأمور التي تلفت الانتباه ، هو أن منطقة طليطلة كانت مهيأة للثورة وما ان وصل محمد الفهرىّ اليها ، حتىّ اجتمعت له اعداد كبيرة من الناس ، الامر الذى جعله يتحرك لمحاربة القوات الحكومية بقيادة عبد الرحمن الداخل (٧) ، اذا ما

---

(١) أخبار مجموعة ، ص ٩٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٤٩ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٣٩ ؛ ابن خلدون ، العبر ، م:٤ ، ص ٢٦٣ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٣٢٩ .

(٢) انظر هذا الفصل ، ص ١٩٨-٢٠١ .

(٣) انظر ابن عذارى ، ج١ ، ص ٨ ، ١٩-٢١ ، ٢٤-٢٥ .

(٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٥٨ .

(٥) انظر أخبار مجموعة ، ص ٩٦ .

(٦) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٤٩ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ٩٦ فقد ذكر ان الذين اجتمعوا لمناصرة يوسف الفهرى كانوا من أهل البلد من العرب والبربر .

(٧) انظر ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٧٩ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٩ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٥٧ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٦٩ .

استثنينا قول ابن عذارى في الموضع الثاني من كلامه عن الثورة الفهرية في اواخر عقد الستينيات (١)، ولهذا فان ثورة ابي الاسود كانت قد اختلفت عن ثورة هشام الفهريّ وعصيان القائد السلمي اللذين اكتفيا بالتحصن في داخل طليطلة (٢)، اذ يستدل من خلال حشده لقوات كبيرة بفترة قصيرة على ان هناك تنظيما وتخطيطا للقيام بالثورة، كان يقوم به أنصار الفهريّ وأصهاره، وهكذا ما ان وصل الفهريّ الى طليطلة حتى اشتعلت الثورة واجتمعت له الجموع، كما أنّ تفكير محمد الفهريّ كان واضحا من حيث انه كان يرمي الى القضاء على حكومة الداخل واستعادة ما خسره الفهريّون من سلطان على الاندلس، ويتّم ذلك من خلال القضاء على حكومة الداخل المغتصبة لحقوقهم حسب اعتقادهم، ولِما الحقته بهم من التقتيل والسجن، اذ لا يعقل ان يستطيع هارب بالسرعة التي ذكرتها المصادر (٣) ان يجمع قوات كبيره ويعدّ العدة للتوجه لمحاربة القوات الحكومية، اذ من الطبيعي جدا أن يلجأ الثائر والفارّ الى الاختفاء لفترة من الزمن ليست بالقصيرة، حتى يتسنّى له جمع انصاره ان كان له انصار أو تكوين انصار جدد.

ومن المؤكد انّه استفاد من نقمة العناصر التي فقدت مكاسب كانت قد حققتها، وشرفا قد نالته، فسخّر تلك النقمة لتسير في مجرى اهدافه وتصب في ثورته، بالاستفادة من تلك العناصر والفعاليّات لمناصرته وتقوية صفوفه، نظرا لأنّها كانت قد خسرت تلك المكاسب منذ استيلاء عبد الرحمن الداخل على مقاليد الحكم، والتي كانت قد نالتها في ظلّ عمليات الفتح وابّان عهد الولاة، ومن الأمثلة على ذلك القبائل العربية، وخاصة القرشيين من بيوتات بني هاشم وبني عديّ (٤) ومواليهم، وغيرهم من أهل البلد، الذين دخلوا الى الاندلس في حملة طارق وموسى بن نصير من العرب والبربر (٥).

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٥٠.

(٢) انظر أخبار مجموعة، ص ١٠١، ١٠٣، ١٠٤-١٠٤؛ ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٢٧ - ٥٢٨؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٠.

(٣) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٩؛ وانظر ابن عذارى، ج ٢، ص ٥٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٦٩.

(٤) انظر أخبار مجموعة، ص ٩٥، ٩٦، ١٠١.

(٥) انظر أخبار مجموعة، ص ٤٠.

والأمر الذى يثير الشكوك في النفس هو فرار قوات الفهريّ أمام قوات الداخل في العام الذى تلا معركة قسطلونة ، عندما أحسّت باقتراب قوات الحكومة (١)، الأمر الذى يشير الى أنّ هناك احتمالا كبيرا الى أنّ بعض القوات انسحبت من صفوف قوات الفهريّ قبيل وصول قوات الداخل، وكانت عملية انسحابها عملية مدبّرة كانت ترمي الى زعزعة صفوف العناصر المُلتفة حول قيادة ابي الاسود ، حيث تركت عملية الانسحاب أسوأ الأثر في نفوس القوات المتبقية مع ابي الأسود ، اذ أنّها دفعتها الى الانسحاب هي الأخرى بعد ان خارت عزائمها ، ودبّت فيها الفوضى ، اذ لم يستطع الفهريّ السيطرة على قواته فانسحبت، مما جعله هو الآخر ينسحب الى الغابات كما ورد عند بعض المؤرخين (٢) ، والذى اظنّه ان ذلك كان بعد معركة قصيرة نشبت بين الجانبين ، كانت غير متكافئة ، انجلت عن فرار الفهريّ، لما ذكره ابن خلدون من ان العام الذى تلا موقعة قسطلونة ـ عام ١٦٩ هـ ـ شهد لقاء ثانيا بين الفهريّ وقوات الحكومة ، فكانت الهزيمة من نصيبه (٣) .

ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل في طليطلة عام ١٧٢ هـ :ـ

أسباب الثورة ومجريات أحداثها :ـ

بدأت ثورة سليمان بن عبد الرحمن في طليطلة بعد وفاة والده الأمير عبد الرحمن في عام ١٧٢ هـ (٤) ، اذ انه لم يكن حاضرا عند وفاة والده حيث كان واليا على طليطلة وكذلك الحال بالنسبة لأخيه هشام فقد كان واليا على ماردة (٥) ، وقد جاءت أخبار ثورة

---

(١) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٥٨؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) انظر ابن عذارى ، ج ٢، ص ٥٧ـ٥٨ ؛ وانظر ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٣) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٩.

(٤) ابن عذارى ، ج٢، ص ٦١؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١ وذكر ان مبايعة الأمير هشام كانت في بداية جمادى الأولى من عام ١٧٢ هـ.

(٥) انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٠؛ ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٠ـ١١١؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٦١؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٥٠؛ وانظر ابن الخطيب ،أعمال، ص ١١.

سليمان في المصادر مختلفة بعض الشيء عن بعضها ، فقد جاء عند بعض منها ما يفهم منه ، أنّ قيام سليمان بالثورة كان ناتجا بسبب سخطه على تولّي هشام لمقاليد الحكم ، لكونه كان الأسرع في الوصول الى قرطبة قبله ، نظرا للمعلومات التي ذكرت أن الأمير عبد الرحمن عندما توفي أوصّى ولده عبد الله بان يسلّم خاتم الحكم لمن يصل أولاً الى قرطبة من اخويه سليمان وهشام ، فكان هشام هو الذى وصل، فسُلّمت له مقاليد الامارة الأمر الذى جعل سليمان يرفض ولاية أخيه هشام ويبدأ بمحاولاته لاسقاط هشام والقضاء عليه (١) ، ومن المؤكد ان الذى في ماردة سيصل قطعا قبل الذى في طليطلة ، اذا ما تساوت الظروف ، لأنّ وصول الخبر لسليمان سيتأخر عن الوقت الذى يصل فيه الخبر لهشام ، وبالتالي يتوجه هشام الى قرطبة قبل أن يعلم سليمان بالخبر ، وحتّى لو أنهما علما في الوقت نفسه لكان هشام هو اسبقهما في الوصول، لأن ماردة أقرب الى قرطبة من طليطلة ، فاذا ما صحّ هذا القول فانّه سيكون اجحافا لحقّ سليمان ، بالاضافة الى اعتباره أكبر اخوته سنا (٢) .

أما الرأى الذى جاءت به المصادر الأخرى فقد بيّن أنّ الأمير عبد الرحمن قد أوصى بالامارة الى هشام (٣) ، وهذا الرأى اكثر واقعية وقبولا من القول السابق، نظرا للشواهد التي ذكرتها المصادر صاحبة الرأى الأوّل، اذ يفهم منها أنّ الامير عبد الرحمن كان يميل الى هشام ،وانه كان مقتنعا به ليكون خليفته في الحكم اكثر من سليمان (٤) ، ومما يؤيّد هذا الاعتقاد تلك الحادثه التي وقعت في زمن الأمير عبد الرحمن بين سليمان والرجل الكناني الموالي لهشام: عندما كان سليمان واليا

---

(١) ابن عذارى، ج٢، ص ٦١ (وذكر انّه قيل) ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١، وذكر ان الأمير عبدالرحمن كان قد وكّل ابنه عبد الله وقال له: " من سبق اليك من اخويك، فابرأ اليه بالخاتم والأمر، فان سبق اليك هشام فله فضل دينه ، وعفافه ، واجتماع الكلمة عليه ، وان سبق اليك سليمان، فله فضل سنّه ونجدته وحبّ الناس له " فوصل هشام، وجاء عند ابن عذارى بالنسبة لصفات سليمان حبّ الشاميّين له بدل حبّ الناس .

(٢) ابن الأثير، ج٦، ص ١١٠، ١١١ ؛ابن عذارى، ج٢، ص ٦١ ؛ النويرى، ج ٢٣، ص٣٥٢ ؛لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١ ؛ ابن خلدون، م٤، ص ٢٧٠.

(٣) ابن الأثير، ج٦، ص ١١٠، ١١١ ؛النويرى، ج ٢٣، ص ٣٥٢ ؛ ابن خلدون، م٤، ص ٢٧٠.

(٤) انظر ابن عذارى ، ج ٢، ص ٦١(قيل)وهذا يعني انه لا يرى هذا الرأى؛ وانظر لسان الدين بن الخطيب ، أعمال ، ص ١١.

على جيّان، قدم الكناني على هشام في قرطبة شاكيا له ما اصابه من سليمان بسبب علاقته به، فتوجه هشام فورا الى قصر والده الأمير وطلب منه ان يكتب لسليمان بعدم التضييق على الكناني او التعرض له، فاستجاب الامير لطلب هشام، بل انه أمر بقضاء الديّة عن الكنانيين من بيت مال المسلمين (١)، يعزز ما سبق ما قاله الأمير لابنه هشام: ان ذلك سيكون أفضل له، لأنّ الكنانيين سيحفظون له هذا الموقف في المستقبل، وكتب الى سليمان بعدم التعرض للكناني وأهله (٢).

ويستشف مما سبق ميل الأمير عبد الرحمن لولده هشام، وكذلك يتضح منها المنافسة الشديدة بين الاخوين، والحقد الذى يكنّه سليمان لهشام، والذى كما يبدو كان ناتجا عن مكانة هشام عند أبيه.

ومن الواضح أنّ غضب سليمان نتج عن حرمان والده له في تولّي الامارة، لكونه كان أكبر اخوته سنا (٣)، ولقناعته ان هشاما لا يتفوق عليه وليس أقدر منه على ادارة الحكم فلماذا يحابي والده هشاما الاصغر منه ويوصي له بالامارة؟ لذلك كان يرى انّه لا بدّ له من الثورة ضد هذا الوضع، ومحاولة اسقاط هشام، واستعادة حقّه في الامارة، وخاصة انه كان يتولى أمر ولاية طليطلة، والتي هي ليست بالولاية البسيطة، فقام بأخذ بيعة أهل طليطلة والذين حولها (٤)، وبمعنى آخر أنّه بويع بالامارة من قبل ولاية طليطلة، وهكذا فانّه قد أصبح في الاندلس أميران أمير قرطبة الشرعي، وأمير طليطلة الثائر على القرارات التي اُتّخذت في قرطبة خلال وجوده في طليطلة واليا عليها، والتي أدّت الى تولّي هشام مقاليد الحكم.

---

(١) انظر أخبار مجموعة، ص ١٢٢-١٢٤.

(٢) انظر أخبار مجموعة، ص ١٢٣-١٢٤.

(٣) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٠، ١١١؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦١؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٥٢؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال، ص ١١؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٠.

(٤) قال الرازى في (ابن عذارى)، ج٢، ص ٦٢.

المواجهة بين قوات الجانبين : وجد سليمان نفسه مضطرا لخوض المعركة سواء أكان هشام قد خُصّ بوصية والده بشأن الامارة، ام أنّه لم يُخصّ ، فكلا الأمرين يعتبران من وجهة سليمان امتهانا له وتقليلا من شأنه اذ لا يمكن ان يسكت على مثل هذا الوضع ، ولا يمكن ان تتقبل نفسيته رؤية أخيه الاصغر منه أميرا عليه ، في الوقت الذى يجب أن تكون الامارة له في الظروف الطبيعية ، والجدير بالذكر أنه كانت بين هذين الاخوين منافسة حادة في حياة والدهما ، ويتضح ذلك من خلال ظهور شخصيتهما دون باقي الاخوة كمرشحين ومتنافسين على تولي مقاليد الحكم (١) .

ومن الأمور التي اشارت سليمان هو عدم علمه بوفاة والده الا بعد وصول هشام الى قرطبة وهيمنته على مقدّرات الدولة في قرطبة قبل أن يعلم بحقيقة الأمر (٢) ، ومن الأمور التي تسجل هنا ان شقيقهما عبد الله أخذ البيعة لهشام في قرطبة قبل أن يصلها (٣) ، هذا الأمر، وعدم واقعية وصيّة الأمير عبد الرحمن بالامارة لمن يصل أولا من ولديه سليمان وهشام، حسم الأمر لصالح هشام منذ البداية .

نشوب القتال : اختلفت المعلومات الواردة في المصادر حول مجريات أحداث الصراع بين الأخوين سليمان وهشام ،فبعض المصادر توحي بأنّ سليمان بقي قابعا في طليطلة دون أن يحرك ساكنا حتّى توجه اليه هشام لمحاربته في عام ١٧٣ هـ (٤) ، وهذا لا يعقل، اذ لا يمكن ان تبقى شخصيّة كشخصية سليمان القوية طيلة سبعة أشهر - وهي الفترة

---

(١) انظر ابن عذارى ، ج ٢، ص ٦٠-٦١، ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١ .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج٢، ص ٦١-٦٢؛ وانظر ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٠-١١١؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٥٢ - ٣٥٣؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠ .

(٣) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١١؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٥٢؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٠ .

(٤) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٦ وذكر ان هناك من قال ان سليمان ثار سنة ١٧٢ هـ، ولكنه رفض هذا القول وذهب الى القول بان ذلك كان في عام ١٧٣ هـ؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٥٣؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠ .

المتبقية من عام ١٧٢ هـ بعد وفاة الأمير عبد الرحمن[1] – هادئة لا تحرك ساكنا ، تنتظر عدوّها اللدود أن يُجمّع الناس حوله لينقضّ عليها ويقضي على آمالها في الوصول الى سدّة الحكم ، اذ من المناسب ان يتحرك سليمان لمواجهة خصمه ومحاربته بسرعة قبل أن يتمكن هشام من بسط سيطرته ونفوذه على المناطق والأقاليم الاندلسية الأخرى .

والحقيقة أنّ ما حصل هو ما ان علم سليمان بخبر وفاة والده وتوليّ هشام مقاليد الحكم في قرطبة حتّى قام بخطوة مضادة حيث أخذ بيعة أهل طليطلة ومن جاورها[2] ، وقام بحشد القوات ثم اتجّه عام ١٧٢ هـ – وهو العام الذى توفي فيه والده – متقدما نحو جيّان ، والتقى أخاه هشاما في معركة حامية في منطقة جيّان ، كانت نهايتها لصالح قوات قرطبة ، حيث انتصرت على القوات الطليطلية[3] ، ولكنّ سليمان لم يكن بالشخصية السهلة التي تستسلم من أوّل هزيمة تلحق بصاحبها ، اذ انه قام باعادة صفوفه وتجميع قواته ، والتقى مرّة أخرى بالقوات القرطبية ، ولكنّ حظّه هذه المرّة لم يكن أحسن من حظّه في المعركة السابقة ، وقد وقعت هذه الموقعة عام ١٧٢ هـ أيضا[4] ، ويبدو أنّ فصل الشتاء قد اضطرّ الأمير هشاما الى العودة الى قرطبة ، الأمر الذى أعطى سليمان الفرصة لكي ينسحب الى طليطلة ، ويقوم باعادة تنظيم قواته ، ومن الواضح أنّه لم يكن باستطاعة قوات قرطبة أن تنهي حركة سليمان في هذه السنه .

---

(١) ذكرت المصادر ان وفاة الداخل كانت في شهر ربيع الثاني وان بيعة هشام كانت في شهر جمادى الاولى ، انظر ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٥٨، ٦١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١ ؛ النويرى ، جـ ٢٣ ، ص ٣٥٠، ٣٥٢ ؛ وانظر ابن عبد ربّه ، العقد ، ص ٢١٤، ٢١٥ فقد ذكر ان الداخل توفي في جمادى الأولى ، من سنة ١٧٢هـ ، وان هشاما تولى في الشهر نفسه من السنة ايّاها .

(٢) قال الرازى في (ابن عذارى) ، جـ٢ ، ص ٦٢ .

(٣) ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٦١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١ .

أمّا عام ١٧٣ هـ فقد شهد تطورا آخر في نطاق موقف ابناء الأمير عبد الرحمن الداخل حيث أنّ ولده عبد الله ـ الذى أدّى الأمانة التي أوكله فيها والده الى أخيه هشام بعد وفاة والده ـ اختلف مع أخيه هشام بعد سبعة أشهر من ولايته أى في عام ١٧٣ هـ (١)، فما كان منه الا ان اتجه الى أخيه سليمان في طليطلة وانضم اليه ، الأمر الذى جعل هشاما يرسل خلفه من يحاول ارجاعه ، عندما علم بخروجه ، ولكن عبد الله وصل الى طليطلة قبل ان يلحقوا به (٢)، ولم يشر لسان الدين ابن الخطيب الى مثل هذا المعنى بل انه ذكر ان عبد الله لحق باخيه سليمان بعد منازعته هشاما في الحكم ، مما عجل في خروج هشام لمحاربتهما (٣).

ويبدو انه ونتيجة لخروج عبد الله وتوجهه الى طليطلة ، وقيام هشام بالتحرك بقواته الى طليطلة ، اعتبر بعض المؤرخين ان ذلك هو بداية خروج سليمان وأخيه عبد الله (٤)، وأنّ أول مواجهة وقعت بين الجانبين كانت في عام ١٧٣ هـ ، متناسين فترة الأشهر السبعة المتبقية من عام ١٧٢ هـ ، التي أصبح فيها هشام هو الأمير في قرطبة ، غير مشيرين لما وقع فيها ، ونتيجة لما أورده فانّه يفهم ان سليمان بقي في طليطلة ، ولم يحاول التوجه الى قرطبة للقضاء على هشام والسيطرة عليها ، بل انه بقي ينتظر في طليطلة حتى تأتيه القوات القرطبية لتحاربه في معقله ، هذا من

---

(١) انظر ابن الخطيب ،أعمال، ص ١١؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦٢؛ وانظر ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٢، ١١٦؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٥٣ فقد ذكرا ان عبد الله خرج الى داره بعد وصول أخيه هشام مظهرا الطاعة وفي نفسه غير ذلك، وفي عام ١٧٣هـ خرج مع أخيه سليمان على هشام ، ويفهم من هذا القول أنّه من البداية لم يكن راضيا عن امارة هشام بل انّه فعل ما فعله لانه لم يكن كما يبدو قادرا على ازالة الامارة عن هشام ، لأن هشام كما تبين من كلام والده عنه من أنّه ستجتمع الكلمة عليه ، مما يؤكد انّه كان مفضلا للكثير من الناس، بالاضافة الى كون والده قد عهد اليه بالامارة ، فلا يستطيع عبد الله المخالفة ، ربما لأنّ عددا من المتنفذين في قرطبة كانوا يميلون لجانب هشام ؛ وانظر ابن خلدون ، م ٤، ص ٢٧٠.

(٢) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٢ ؛ النويرى ، ج٢٣ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١ ؛ ابن خلدون ، م٤ ، ص ٢٧٠.

(٣) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١.

(٤) ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١١٦ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن خلدون ، م٤ ، ص ٢٧٠.

ناحية، ومن ناحية أخرى فان سليمان لا يمكن أن يظل صامتا عام ١٧٢ هـ مستسلما ليعلن الثورة في عام ١٧٣ هـ ، والذى أراه ومن خلال المصادر نفسها ان سليمان كان معلنا للثورة في عام ١٧٢ هـ ، ولكنّ بعض المصادر لم تشر الى ذلك الآ في عام ١٧٣هـ عندما اختلف عبد الله مع أخيه هشام وقام بالتوجه الى أخيه سليمان بطليطلة.

حصار طليطلة : لقد جاءت معلومات المصادر حول أحداث عام ١٧٣ هـ ، عامة ملخصة دون تحليل حتّى للاخبار الموجزة التي وردت في ثناياها، فاكتفت بالقول أن الامير هشاما قام بمحاصرة أخويه سليمان وعبد الله في طليطلة، وان سليمان كان قد حشد أعدادا كبيرة (١) ، دون ان تبين فيما اذا كانت قد وقعت مواجهة بين قوات الجانبين أدّت الى دحر قوات سليمان، الأمر الذى ادّى الى قيام سليمان وقواته بالتحصن داخل طليطلة، حيث انّها لم تعد قادرة على المواجهة خارج تحصينات المدينة، أم ان لجوء سليمان للتحصن في طليطلة كان خطة دبّرها لينفّذ ما كان قد عزم عليه والذى نفّذه فيما بعد، وهو القيام بالخروج من طليطلة خفية، والتوجه الى قرطبة للاستيلاء عليها، كما ذكرت بعض المصادر بعد ان ترك ابنه واخاه عبدالله يحفظان طليطلة (٢) .

واكثر الظنّ ان سليمان لجأ الى عملية التحصن في طليطلة بعد أن تأكّد انه لا يمكنه الانتصار على القوات القرطبية بقيادة أخيه هشام، لذلك قام باعمال فكره في محاولة الانتصار على هشام باسلوب مختلف عن الاسلوب الذى اتّبعه عام ١٧٢هـ ، وذلك بعدم قيامه بمواجهة هشام عسكريا وجها لوجه، الآ بعد ان يقوم بالسيطرة على مقرّ حكم هشام في قرطبة، عند ذلك يكون الميزان قد أصبح في جانبه، فيقوم بمطاردة أخيه بعد أن تكون قد خارت عزائم بعض قواته والتي في النهاية لا يعنيها ان تبقى تحارب الى أمد طويل الى جانب هشام، فقام بالتوجه الى قرطبة، تاركا هشاما محاصرا طليطلة، ولكن خطة سليمان فشلت عندما علم هشام بخبر سليمان (٣) ، ولكنّ هشاما

---

(١) انظر ابن الأثير، جـ٦، ص١١٦؛ وانظر ابن عذارى، جـ٢، ص ٦٢؛ النويرى ، جـ٢٣، ص٣٥٣؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠.

(٢) انظر ابن عذارى، جـ٢، ص ٦٢؛ ابن الأثير، جـ٦، ص١١٦؛ النويرى، جـ٢٣، ص ٣٥٣ ؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٠ فقد ذكر ان سليمان خالف هشام خلال عملية الحصار واتجه الى قرطبة.

(٣) انظر ابن الأثير، جـ٦، ص١١٦؛ النويرى، جـ٢٣، ص ٣٥٣؛ وانظر ابن عذارى، جـ٢، ص ٦٢؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠.

هو الآخر واجه مكيدة سليمان بخطة قام فيها بالابقاء على حصار طليطلة، وفي الوقت نفسه أرسل جزءا من قواته للسير الى قرطبة لمواجهة سليمان (١)، أمّا سليمان فسار في خطته حسب ما وضع من ترتيبات فوصل الى شقندة (٢) وتمكن من دخولها، ولكنّه واجه صعوبة من المدافعين عن قرطبة من أنصار هشام، حيث منعوه من الدخول (٣)، وهنا فشلت خطة سليمان اذ في هذا الوضع الذى كان فيه على أبواب قرطبة يحاول دخولها، وصلت القوات التي بعثها هشام لمواجهة سليمان ومنعه من تحقيق هدفه، فما أن اقتربت تلك القوات من قرطبة حتّى اضطرّ سليمان الى الانسحاب من وجهها (٤)، اذ من الواضح انه لم يكن معه قوات كبيرة يستطيع من خلالها السيطرة على قرطبة، فمضى الى جهات ماردة، وقد وصفته المصادر بالهارب، ولكنّ محاولته اكتساب ولاء ماردة والسيطرة عليها تبين مقدار محاولاته واصراره على هزيمة أخيه هشام والاستيلاء على الأمر، وكما انها توضح في الوقت ذاته انه كان على مقدره عاليه من الكفاءة، وانه ليس بالرجل الليّن العريكة ولكنّ محاولته في ماردة لم تلاق الاّ الخسران، حيث ان واليها المعيّن من قبل هشام حاربه الى أن هزمه (٥)، اذ لا يعقل أن يتمكن سليمان ببساطة من السيطرة على ماردة التي كان عليها هشام واليا عند وفاة والده، وقد قام هشام عندما سار الى قرطبة بعد أن علم بوفاة والده بتعيّين حدير المعروف بالمذبوح على ماردة كوال لها، الذى من المؤكد انّه كان من أنصاره (٦)، بالاضافه الى اعتبار أنّ ولاية

---

(١) ابن الأثير، ج٦، ص١١٧؛ ابن عذاري، ج ٢، ص ٦٢؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٣.

(٢) شقندة: قرية تقع قبالة قصر قرطبة بالقرب من نهر قرطبة (نهر الوادى الكبير)، انظر الحميرى، ص ١٠٤.

(٣) انظر ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٦-١١٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٣؛ وانظر ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير، ج٦، ص١١٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢؛ النويري، ج ٢٣، ص ٣٥٣؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٠.

(٥) ابن الأثير، ج٦، ص١١٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص ٦٢؛ النويري، ج٢٣، ص ٣٥٣؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٠.

(٦) انظر ابن عذاري، ج ٢، ص ٦١-٦٢؛ وانظر النويري، ج٢٣، ص ٣٥٠؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٠ مع الأخذ بعين الاعتبار أن هشاما كان واليا على ماردة عندما توفي والده.

هشام لماردة لا بدّ وانّها خلقت حُبّا وتعاطفا بين بعض من فيها وبين هشام ، فلذلك كان حظُّ سليمان في محاولته السيطرة على ماردة الفشل المرير.

وعودة الى طليطلة المحاصرة ، التي على الرغم من الفشل والهزائم التي لحقت باميرها سليمان وفراره ، لم يتمكن الأمير هشام من السيطرة عليها طيلة شهرين من الحصار وعدة أيام أُخر، عند ذلك وعندما استيأس من اخضاعها قررّ العودة الى قرطبة هذا العام (١) ، مكتفيا بما حققه من مكاسب وانتصارات ، اذ ان عام ١٧٣هـ كان في حقيقة الأمر هو عام تحطيم قدرة سليمان على الوصول الى قرطبة ، والقضاء على آماله في الوصول الى كرسي الامارة ، اذ أصبحت حركته أشبه بحركة تمردية لم يعد لها أثر كبير في اقلاق نفس الأمير هشام كما كان الحال في عامي ١٧٢هـ / ١٧٣هـ .

ومن التدابير الاقتصادية التي اتخذها الأمير هشام ضد أهالي طليطلة ليتسنّى له اخضاعهم ، بتحطيم قوتهم وقدراتهم التي تساعدهم على المضيّ في مناصرة أخيه سليمان، وقيامه باتلاف ركيزة من ركائز طليطلة المهمة وهي الثمار والمزروعات التي تقع خارج تحصينات المدينة ، وخاصة قطع الاشجار المثمرة التابعة لهم (٢) ، لاضعاف موقفهم المساند لسليمان بمواصلة الحرب .

وفي سنة ١٧٤هـ بعث الأمير هشام جيشا كبيرا بقيادة ابنه معاوية لمحاربة أخيه سليمان في تدمير (٣) ، والذى من المؤكد انه قد اتجه اليها بعد فشله بالسيطرة على قرطبة وماردة في عام ١٧٣هـ (٤) ، وكانت الحملة موفقة حيث ان القوات القرطبية نجحت في القيام بهجمات ناجحة في تلك المنطقة ، ممّا اضطرّ سليمان الى اللجوُ الى البربر

---

(١) أى عام ١٧٣ هـ :ابن الأثير، ج٦، ص ١١٧؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٦٢؛ النويرى، ج٢٣ ، ص ٣٥٣.

(٢) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٧؛ النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٥٣.

(٣) تدمير: هي مدينة أوريولة، وانما سميت تدمير نسبة الى اسم حاكمها الذى عاصر فتوحات المسلمين لتلك المنطقة: انظر ابن عذارى ، ج٢، ص ١١ وكما أنه ذكر ان تدمير هي مرسية ، انظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣.

(٤) ابن الأثير، ج ٦، ص ١١٦-١١٧؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦٢؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٥٣ ؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٠.

في نواحي بلنسية ، مستفيدا من الجبال الوعرة ليحتمي فيها مما افقد قوات معاوية القدرة على الحركه في المناطق الوعرة فعاد معاوية بقواته الى ابيه بقرطبة ، بعد أن قام بانزال أشدّ الضربات في تلك المناطق .(١)

ومن المؤكد أن سليمان قد ايقن انه قد انتهى سياسيا وعسكريا وانّه لم يعد باستطاعته القيام بشيء ذي قيمة ، فهذه السنة نجا ولكنّ السنة القادمة أو التي تليها سينتهي أمره ، وبالتالي سيقتل ، فآثر ان ينهي حركته اذ ما زال أمامه مجال للنجاة ، ومتسع من الوقت ليفاوض على ميراث والده ، فاقترح على هشام ان يغادر الاندلس الى عدوة البربر (المغرب) بأهله وأولاده ، فوافق هشام على ذلك، ويبدو أنّه تمّ الاتفاق على أن يعطى سليمان ٦٠ الف دينار مصالحة على تركه ابيه ، فاعطيها كما ذكرت بعض المصادر ورحل الى المغرب ،(٢) وقد ذكرت بعض المصادر ان سليمان طلب الأمان ولكن هشاما اشترط عليه مغادرة الاندلس .(٣)

واختلفت المصادر في أمر عبد الله بن الأمير عبد الرحمن، فبعضها ذكر ان عبد الله سار مع أخيه سليمان الى المغرب ،(٤) في حين أنّ بعضها الأخر ذكر أن الأمير هشاما انزله في قرطبة عند ابنه الحكم بن هشام عندما قدم عليه(٥) في عام ١٧٣هـ(٦) على قول ، بينما ذكر قول آخر ان ذلك كان عام ١٧٤هـ(٧) ، ومن الاسئلة التي لا بدّ من طرحها هنا ما يلي: اذا ما نزل عبد الله حقيقة عند الحكم فلماذا سار مع أخيه سليمان ؟. واذا كان الصواب هو انه سار مع اخيه سليمان فلماذا قدم على هشام بعد عودته من حصاره لطليطلة ؟ هل كان ذلك محاولة لاجراء مفاوضات بين الجانبين ؟ بعد أن

---

(١) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١١٧ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٣ ؛ النويرى ، ج٢٣ ، ص ٣٥٣-٣٥٤ ؛ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٠ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١١٧ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٤ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٣ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١ .

(٤) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٠ . (٥) ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(٦) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١١٧ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٥٣ .

(٧) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٣ .

شعر أنّ حركة سليمان انتهت بعد أن فكّ هشام الحصار عن طليطلة ، وبالتالـــي دارت المفاوضات ، وأخيرا نجحت بعد قيام حملة معاوية بن هشام على اوريولة ، التي تـــمّ فيها اضعاف سليمان الى ابعد ما يكون من حالة التشريد ، الأمر الذى جعل سليمـــان مقتنعا ، ان لا مجال أمامه الا التفاوض والخروج عن الاندلس ، وان عبد الله هـــذا قد اختار مرافقة أخيه سليمان الى بلاد المغرب ، ومن المحتمل ان ذهاب عبد اللـــه الى هشام كان بايعاز من سليمان وكان ذلك في عام ١٧٤هـ ، كما اشار احد المصـادر الى ان توجه عبد الله الى قرطبة كان عام ١٧٤هـ (١) ، وان الأمير هشاما قام بانزالـــه عند ابنه الحكم ، حيث لم تسفر مفاوضاته عن شيء الا بعد ان ظهرت نتائج حملة القوات القرطبية على منطقة مرسية ، عندما وافق سليمان وتمت الوساطة ، وخرج عبد الله مع اخيه سليمان لانه ما جاء الا من أجل المفاوضات ، وربما ان هذا هو الاقرب للحقيقـة وللذى جرى فعلا .

وبعد رحيل سليمان وأولاده الذين من البديهي انهم قد تركوا طليطلة بعـــد ان كانوا فيها (٢) ، بعد الهزائم التي لحقت بسليمان في منطقة مرسية ، وبعد توجـــه عبد الله الى قرطبة ، وفي هذا الوضع لا بدّ وأنّ أهل طليطلة قاموا بالكتابة لهشام بدخولهم في طاعته ، ولكن دون أن يسمحوا لمدينتهم أن تذل وذلك من خلال طلبهم الأمان للجميع ، فقبل الامير هشام توبتهم (٣) في عام ١٧٥هـ ، واعطاهم الامان على ذلك ، وقام بارسال ابنه الحكم واليا عليهم في عام (٤) ١٧٥ هـ على حسب ما ذكر ابن خلدون ، فـــي حين أنّ بعض المصادر ذكرت ان ارسال الحكم واليا على طليطلة كان عام ١٧٦هـ (٥) .

---

(١) ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٦٣ .

(٢) على اعتبار أنّ سليمان كان واليا على طليطلة ، وفي هذه الحالة فان أهلـه واولاده لا بدّ وان يكونوا معه فيها ، كذلك القول الذى ذكرته بعض المصـادر من أن سليمان استخلف على طليطلة ابنه عندما توجه الى قرطبة في محاولته الفاشلة للسيطرة عليها : أنظر ابن الأثير ، جـ٦ ، ص ١١٠ ، ١١٦ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٦١ ، ٦٢ ؛ النويرى ، جـ٢٣ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥٣ ؛ وانظر لسان الدين ابن الخطيب أعمـــال ، ص ١١ ؛ ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٣) ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٧١ ؛ ابن الأثير ، جـ٦ ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٧١ .

(٥) ابن الأثير ، جـ٦ ، ص ١٣٢ ؛ النويرى ، جـ٢٣ ، ص ٣٥٦ .

<u>ملاحظات حول الثورات السابقة :</u> انّ قادة الثورات الطليطلية لحدّ الأن كانوا من العرب المسلمين، ومن قريش على وجه التحديد، وكما ان يوسف الفهري وابنه محمد والقائد السلمي وسليمان بن عبد الرحمن لم يكونوا من سكان طليطلة، والصفة التي تندرج تحتها تلك الثورات ما عدا تمرد السلمي(حركته) انها كانت صراعا على الحكم، لم تظهر فيها شخصيات أهل طليطلة الأصليين ، سواء الذين أسلموا أو الذين ظلوا متمسكين بمعتقداتهم، بل كانت ما تزال الصراعات تسيّرها الخلافات بين ابناء المسلمين الذين قدموا الى الاندلس، وحتى انها كانت منحصرة في قريش وفي الأسر المتنفذه منها كالفهريّين والامويّين، وكانت تدور من أجل الاستئثار بالحكم دون باقي المتنافسين .

وتلتقي الثورات السابقة في النهاية التي آلت اليها، وبالهزيمة التي حالفتها والتي لم تتركها حتى ارتوت منها، وبالتالي فان الطليطليين لم يستفيدوا من تلك الثورات الآ الخراب والحصار والخسائر البشرية والمادية التي لحقت بهم .

من النقاط التي تسجل حول الاحداث التي ظهرت فيها الثورات الطليطلية في هذه الحقبة من الزمن، هو اندلاع وانتشار احداث ثورتين من ثوراتها في معظم انحاء ولاية طليطلة القديمة ـ وهما ثورتا أبي الاسود وسليمان ـ الأمر الذى يشير الى ان ولاية طليطلة لم تكن قد حُجّمت بعد في الفترة الاولى من عهد الامارة الاموية في الاندلس عن الحجم التي كانت عليه في عهد الولاة (١) ، والتي من المؤكد أنها جزّئت بعد الثورات اللاحقة التي وقعت في طليطلة التي ساتناولها في الصفحات القادمة .

وفي مقابل هذه الثورات كان لطليطلة موقفان سياسي وعسكرى قد لعبتهما في هذه الفترة، وهو قيام والي طليطلة المدعو حبيب بن عبد الملك، بالطلب الى عامله على شنتبرية ـ سليمان بن عفان ـ بن عثمان بن عفان، ان يقوم بمحاربة شقنا بن عبد الواحد البربرى المكناسي، فنفّذ ما طُلب منه ولكن البربرى استطاع قتل

---

(١) انظر البكرى، جغرافية ، ص ٦٢-٦٣؛ انظر عنان، دولة ، ق:١، ص ٦٩ ،١٣٠؛ عنان، جغرافية ، م :٣-٤، ص ٣٨؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٥١-١٥٤ ، ١٥٦-١٥٧ .

سليمان بن عفان، وكان ذلك في عام ١٥١هـ (١) ، وهذه المحاولة تسجل لطليطلة في هذه الفترة، والتي حاولت جاهدة ان تعفي أمر ثورة شقنا ولكنها لم تفلح في ذلك ، أي بمعنى آخر مشاركة الحكومة المركزية في قرطبة في تحمل أعباء الحكم وذلك يتضح من خلال المشاركة في القضاء على الخارجين على سلطان الحكومة، كما هو حالها في المساهمة في الخروج على الحكومة بمساعدة من حاول استعادة حقا قد سُلِبَه الشاشر، كما هو الحال بالنسبة ليوسف الفهري وابنه أبي الاسود، وينطبق ذلك على ثورة سليمان ، حيث كان يرى ان الامارة من حقّه وانه أولى بها فكانت ثورته .

ولهذا استطيع القول ان ثورات طليطلة في هذه الفترة، لم تكن ثورات اجتماعية او ثورات ضد الحكومة بسبب عدم الرغبة في الانضواء تحت قيادتها وتنفيذ مآربها سواء الاقتصادية او غيرها، بل انها كانت ترمي الى القضاء على امارة عبد الرحمن، والعودة الى قرطبة لتوليّ زمام الحكم ما عدا ثورة السلمي، وأظن ان ذلك ينطبق على ثورة هشام الفهري .

ومن الملاحظات المهمة التي يجب ان تسجل في رصيد طليطلة في هذه الفترة هي قيام واليها من قبل عبد الرحمن الداخل في عام ١٦٨ هـ بقيادة عساكر طليطلة والدخول الى أرض جليقية لمحاربتهم، وتمكنّه من الانتصار على القوات التي واجهته في المنطقة التي دخل اليها، وعودته الى طليطلة بسلام مصطحبا معه بعض الغنائم التي استولى عليها من الاعداء (٢) ، هذه الاشارة وضّحت مدى فعاليّة طليطلة في بداية عهد الامارة من حيث قيامها بواجبها كولاية قريبة من نصارى جليقية، بمواجهتهم في عقر دارهم، وبهذا كانت طليطلة قد أصبحت رأس حربة متقدمة للمسلمين توجّه الى صدور الاعداء في الشمال ، وفي الوقت نفسه تتحمل أولى الصدمات من القوات المعادية لحكومة الاندلس المسلمة .

---

(١) انظر النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٤٣ – ٣٤٤؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٦٧ ولكنه قال ان هذه الاحداث قد وقعت عام ١٥٠هـ .

(٢) ابن الأثير، ج ٦، ص ٧٩–٨٠ ولم يذكر من هو الوالي الذى قام بذلك.

المعارضة الطليطلية ابّان عهد الأمير الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦هـ : اختلفت المصادر في المعلومات التي أوردتها عن المعارضة الطليطلية في عهد الأمير الحكم بن هشام، من حيث عدد الثورات التي قامت فيها، وفي السنوات التي حدثت فيها تلك الثورات، وكذلك ورود بعض المعلومات عن أحداث قد وقعت في طليطلة في بعض المصادر، وعدم ورود تلك الأحداث في مصادر أخرى : فابن القوطية مثلا اكتفى بذكر ما حل بالمعارضة الطليطلية في زمن الأمير الحكم في موقعة الحفرة، والاسباب التي دفعته الى الاقدام على تنفيذ تلك المذبحة التي أطاح من خلالها برؤوس رجالات من المعارضة في مدينة طليطلة (١)، أمّا ابن الأثير فقد ذكر ثورة عبيدة بن حُمَيْد عام ١٨١هـ (٢)، الا انه قام بالخلط بين بعض أحداث ثورة عام ١٨١هـ، وأحداث وقعة الحفرة، مع أنّه ذكر حادثة الحفرة مرّة أخرى في عام ١٩١ هـ (٣)، بينما اكتفى ابن سعيد بالاشارة الى أن معارضة قد وقعت في مدينة طليطلة عام ١٨١هـ، اتخذت شكل الثورة، الا ان الأمير الحكم وجّه ضربة لتلك المعارضة بواسطة مؤامرة دبّرها للقضاء على رأس المعارضة في طليطلة من خلال بعض أعيان المدينة نفسها، فتمّ له ما أراد (٤)، ثمّ أشار الى قيام الأمير الحكم بالتوجه الى طليطلة في عام ١٩٩هـ، بعد أن قام بالتمويه على الطليطليّين، من خلال توجّهه الى مُرسِيه في البداية، الأمر الذى أفاده في كسب عامل المفاجأة، الذى مكنّه بالتالي من دخول طليطلة دون عناء ومشقّة، ومن ثمّ أقدم على اتخاذ عدة اجراءات وقائية للحيلولة دون قيام المعارضة في طليطلة بثورات في المستقبل، منها تهجير بعض قياديّي طليطلة الى تُرجِلّة (٥)، وقد ساعده ذلك على اخفات جذوة الثورة في نفوس الطليطليين لفترة من الزمن وصفها المؤلف انّها كانت قد امتدت لفترة زمنية طويلة (٦)، في حين أنّ ابن عذارى ذكر ان ثورة عبيدة كانت قد حدثت في طليطلة عام ١٨١هـ، ولكنّه ربط أحداث وقعة الحفرة بالاحداث

---

(١) انظر ابن القوطية، ص ٤٥-٤٩.   (٢) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨.

(٣) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨، ١٩٩.   (٤) انظر ابن سعيد، ج١، دار المعارف، ص٤٠.

(٥) ذكر ابن سعيد ان تُرجلة: تقع في منطقة ماردة، واصبحت في عهد دول الطوائف تابعة لمملكة بطليوس: انظر ابن سعيد، ج١، ص ٣٦٠؛ وقد ورد عند ياقوت، ج٢، ص ٢٢، انّها كانت تابعة لماردة، وتقع في منتصف المسافة بين قرطبة وسمّورة، ولكن رسم كتابتها جاء عنده تُرجيلةُ، في حين ان الحميرى ذكر مدينة باسم تَرْجالَة، ولم يذكر غيرها بهذا الاسم: انظر الحميرى، ص ٦٣.

(٦) انظر ابن سعيد، ج١، ص ٤١.

السابقة ، حيث بيّن المؤلف ان عمروسا قام بمراسلة أهل طليطلة الى أن تمكّن من دخولها ، فبنى القصر على باب جسر طليطلة ، وأعدّ مكيدة الحفرة حيث قتل اعدادا كبيرة من أشراف طليطلة [١] ، وكما انه ذكر التدابير التي اتخذتها الحكومة في قرطبة عام ١٩٩هـ ، للقضاء على المعارضة الطليطلية [٢] ، وهي التي أشار اليها ابن سعيد .

وأمّا النويري فقد جاءت أخباره مشابهة للأخبار التي وردت عند ابن الأثير ، باستثناء الخلط بين بعض المعلومات التي ذكرها ابن الأثير على انّها وقعت عام ١٨١ هـ [٣] ، بينما هي في الحقيقة قد حدثت عام ١٩١هـ ، أيّ عام مذبحة الحفرة ، أمّا بالنسبة لابن الخطيب فقد كان أقلّ المصادر السابقة ذكرا لأحداث المعارضة الطليطلية في زمن الأمير الحكم ، وردّ الحكومة على تلك المعارضة ، فقد اكتفى بذكر أحداث وقعة الحفرة ولكنّه جعل زمن حدوثها عام ١٨١هـ [٤] .

واخيرا نتوجّه الى ابن خلدون لمعرفة ما جاء عنده من معلومات واشارات تتعلق بالمعارضة المسلّحة في طليطلة أيّام حكم الأمير الحكم ، فأول معلومة ذكرها عن المعارضة في طليطلة ، هي ثورة عبيدة في عام ١٨١هـ ، والتي تمكّن من اشهائها الى درجة جعل فيها المؤلف القائد عمروس بن يوسف قد قام بقتل الباقين ، بعد اغتيال قائد المعارضة في طليطلة من قبل بني مخشي ، والذين اغتيلوا هم بدورهم من قِبَل بعض البربر في طلبيرة [٥] ، وليس هذا فقط بل انّ عمروسا قام باستعمال ولده يوسف بن عمروس على طليطلة [٦] ، حيث ان ابن خلدون انفرد عمّن سبقه بذكره ان عمروسا قد استعمل ابنه على طليطلة ، وسيره في هذا الخطّ حتّى انه ذكر ان عددا من المناوئين كانوا قد التحقوا بالفرنج سنة ١٨٩هـ ، وقاموا بتحريضهم على الاستيلاء على طليطلة ،

---

(١) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩ .

(٢) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٤-٧٥ .

(٣) انظر النويري ، ج ٢٣ ، ص٣٦١ ، ٣٦٥ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤ - ١٥ .

(٥) انظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣ .

(٦) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣ .

فتمّ لهم ما ارادوا ، وامتلكوا طليطلة وتمكّنوا من أسر اميرها يوسف ، وسجنه في مكان يسمّى صخره قيسر (١) ، ولكنّ القائد عمروسا والد الأسير كان قد توجه الى سرقسطة ليحميها من العدو ، ولمّا أسر ابنه قام بارسال قوات بقيادة ابن عم له ، فتمكّن هذا القائد من الحاق الهزيمة بالاعداء ، وسار على أثر ذلك الى المكان الذى كان محتجزا فيه يوسف بن عمروس ، واستطاع تخليص الأسير من أيدى آسريه (٢) .

<u>ثورة عبيدة بن حُميد عام ١٨١هـ :</u> سأبدأ باستعراض المواجهة بين المعارضة في طليطلة والحكومة المركزية مبتدئا بالمواجهة بين الحكومة وبين المعارضة في طليطلة عام ١٨١هـ :- لم يكد يمضي وقت قصير على تولّي الحكم بن هشام لمقاليد الحُكم حتى امتلأت الاندلس بالمعارضة وقد اتخذت المعارضة اسلوب الثورات المسلّحة طريقا لها (٣) ، والذى يعنينا منها حركات المعارضة التي ظهرت في طليطلة ، ولقد كان أوّل تلك الثورات بروزا على مسرح الاحداث ثورة عام ١٨١ هـ ، التي كانت بقيادة عبيدة بن حُمَيد (٤) ، فكان تصدّي الحكومة المركزية لهذه الثورة بواسطة أحد القادة التابعين لها في مدينة طلبيرة المدعو عمروس بن يوسف حيث طلبت منه أن يقوم

---

(١) ورد عند ابن الأثير والنويرى ان اسم الصخره كان صخره قيس : انظر ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٨٧ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٤ .

(٢) انظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

(٣) ابتدأت فترة حكم الأمير الحكم بن هشام بعد وفاة والده عام ١٨٠هـ ، وقد امتلأت معظم انحاء الاندلس بالثورات ، وعلى رأس تلك الثورات ثورة عمّه سليمان بن عبد الرحمن الداخل الذى عبر الى الاندلس ، بالاضافة الى الثورات الطليطلية : انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، وما بعدها ؛ انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩ - ٧٠ وما بعدها ؛ انظر النويرى ، ج٢٣ ، ص ٣٥٨-٣٦٥ ؛ انظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٢-٢٧٤ .

(٤) انظر ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٥٨ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩ ؛ وانظر ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤٠ فقد ورد اسم قائد الثورة عنده عبيدة بن خُمير ، ومن الواضح ان الاختلاف جاء في النقطة التي وضعت فوق حرف ح ، وكتابة الحرف الأخير كحرف الراء ؛ وانظر النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦١ فقد جاء الحرف الاخير من حمير على شكل الراء ، وابن خلدون ، ج ٢٣ ، ص ٢٧٣ فقد حرّف اسم حميد الى عمير .

بمحاربة الثائرين في مدينة طليطلة ، فنفّذ ما طُلب منه [١] ، ومن خلال هذه الاشـــارة يتضح ان طلبيرة التابعة أصبحت تحارب مدينة طليطلة قاعدة الولاية الطليطليـــة [٢] ، وذلك نتيجة لخروج الأصل على الحكومة وديمومة تبعية الفرع للمركز .

تمكّن عمروس من التضييق على أهل طليطلة نتيجة للحرب التي دارت بينـــه وبينهم ، ولكنّه لم يتمكن من اخضاعها بالقوة فلجأ الى المكيدة ، حيث قام باستمالة بني مخشي ـ وهم من أهل طليطلة ـ عن طريق تبادل الرسائل مستعملا معهم اسلـــوب الاغراء لكي يدفعهم الى القيام بقتل زعيم الثوار في طليطلة ، فتمّ له مـــا أراد ، ونتيجة لهذا الفعل لجأ بنو مخشي الى عمروس بطلبيرة ، لينالوا الجائزة على مـــا فعلوه ، ولقد كانت جائزة قيمة ، اذ انهم ما إن وصلوا الى طلبيرة حتّى اقتحـــم عليهم جماعة من البربر مكانهم الذي كانوا فيه ، وقتلوهم لوجود ثأر قديم لهـــم [٣] ، والظاهر ان عمروسا كان يريد التخلص من بني مخشي أيضا ، اذ لا يمكن ان يـــترك اناسا خدموه مثل تلك الخدمة ، دون أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لتوفير الحمايـــة لهم ، وعمروس بطلبه من بني مخشي القيام بقتل عبيدة لا بُدّ وأنّه كان يقصد قتـــل قائد الثوار في طليطلة بأناس لهم مكانتهم في طليطلة [٤] ، والذين من المُرجّح انّهـم لم يكونوا راضين عن زعامة عبيدة ، فكانوا يكنّون له الحسد والبغضاء ، بسبـــب المكانة التي وصل اليها ، فاغتنموا مراسلات عمروس لهم ، وأقدموا على قتل عبيـــدة ومن ثمّ لجأوا الى عمروس، ولكنّهم هم الاخرين لم ينجوا من خطط عمروس ، حيث تـــمّ

---

(١) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٥٨ ؛ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٦٩ ؛ النوّيرى ، ج٢٣ ، ص ٣٦١ ؛ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣ ؛ وانظر ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤٠ : فقد خالـــف المصادر السابقة بقوله ان الحكم ارسل الى بعض أعيان طليطلة بقتل عبيـــدة فكان له ما أراد . وأرى ان مكاتبة الحكم قد قصد فيها ممثل الحكم وهو عمروس ، حيث نسب فعل المأمور الى الامر وفعل التابع الى المتبوع .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٥١-١٥٤ ، ١٥٦ .

(٣) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٥٨ ؛ ابن عذاري ، ج٢ ، ص ٦٩ ؛النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦١ ؛ ابـــن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٣ .

(٤) انظر ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤٠ فقد وصف الذين أقدموا على قتـــل قائد الثورة الطليطلية عام ١٨١ هـ ، أنهم من أعيان طليطلة .

قتلهم وهم في ظل حمايته ، وسواء أكان ذلك قد تمّ بعلم عمروس أو بعدم علمه ، فانني أرى انه كان له رغبة في أن يحدث ذلك، اذ لا يمكن ان يترك أناسا قدّموا له مثل تلك الخدمة الجليلة التي قدّموها دون حراسة ودون الأخذ بعين الاعتبار أن محاولة لقتلهم قد تقع بسبب العداوة بينهم وبين بعض بربر طلبيرة ، ويؤكد ما ذهبت اليه ما ذكرته بعض المصادر عن قيام عمروس بارسال خبر مقتلهم ومقتل قائد الثورة الطليطلية الى الأمير الحكم ، حتّى أنّها بالغت في تأكيد هذا الخبر بايرادها أنّ رؤوسهم قد أُرسلت مع رأس عبيدة الى الأمير الحكم بن هشام (١) .

ونتيجة لاقدام بني مخشي على قتل عبيدة وما تبع ذلك من قيامهم بالقدوم الى عمروس في طلبيرة ، ومن ثمّ اغتيالهم فيها من قبل بعض بربرها ، يُفهم من كلام ابن خلدون أنّ ذلك أدّى في النهاية الى تَمَكُّنْ عمروس بن يوسف من مدينة طليطلة ، ويتضح ذلك من خلال المعلومات التي أوردها عن هذه الحادثة ، اذ أنّه ذكر ان عمروسا قام بقتل الباقين، مما أدّى الى التخفيف من حدّة المعارضة في طليطلة في هذه الفترة حيث تمكّن عمروس من استعمال ابنه يوسف على طليطلة (٢) ، والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو: من هم الباقون الذين قتلهم عمروس ؟ هل هم الذين نجوا من مذبحة بني مخشي بطلبيرة؟ أم انهم كانوا بقية رؤوس الثورة الطليطلية في هذه الفترة؟ الأمر الذى جعل طليطلة بالتالي تخضع له بعد أن تمّ القضاء على قياداتها المحليّة ، مما سهل له القيام باعادة طليطلة الى حظيرة الطاعة للحكومة المركزية ، فقام على إثر ذلك باستعمال ابنه يوسف بن عمروس عليها ، والأمر الذى يجب اخذه بعين الاعتبار ان صحت أخبار ابن خلدون والذى يتضح من خلال المعلومات السابقة ، هو أنّ طليطلة ولأوّل مرّة كانت قد خضعت لوالٍ معيّن من قبل والٍ على منطقة طلبيرة التي كانت تابعة لها (٣) ، وأنّ مدينة طليطلة لم تعد مركزا لولاية طليطلة بل

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٦١ ؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣. فانّه ذكر أنّ رأس عبيدة هو الذى أرسل الى الحكم، وان بربر طلبيرة قتلوا بني مخشي.

(٢) ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣.

(٣) تقع طلبيرة ضمن حدود ولاية طليطلة ابّان عهود الرومان والقوط، ومن ثم في عهد الولاة المسلمين وبداية عهد الامارة الاموية ، انظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٥١-١٥٤، ١٥٦.

أصبحت طليرة في هذه الفترة القصيرة هي المركز نظرا لخطورة الثورات في طليطلة ، وبذلك تكون قد اصبحت ولأول مرة في تاريخها تابعة بعد أن كانت متبوعة هذا بالنسبة للولاية الطليطلية ، امّا على نطاق الاندلس فقد سبق وأن أصبحت طليطلة تابعة بعد أن انتقلت عاصمة الاندلس منها الى اشبيلية ، ومن ثمّ الى قرطبة في بداية عهد المسلمين (١) .

ولكنّ السؤال الذى يفرض نفسه في هذا المقام هو : لماذا لم يذهب عمروس بنفسه ليتولى أمر طليطلة ما دامت قد خضعت له ؟ هذا ان كان خبر ارسال ابنه يوسف الى طليطلة نائبا عنه خبرا صحيحا ؟

الا ان المعلومات التي ذكرها ابن خلدون حول تولية عمروس بن يوسف ابنه على طليطلة (٢) ، وعملية أسر ابنه من قبل الفرنج واستيلائهم على مدينة طليطلة عام ١٨٩هـ ، تدور حولها بعض الشكوك وتتبادر الى الذهن بعض التساؤلات منها : هل تَمَكّنَ القائد عمروس ــ قائد طلبيرة عام ١٨١هـ ــ فعلا من انهاء حركة المعارضة في طليطلة في عام ١٨١هـ ؟ وهل تمكّن حقا من دخول طليطلة في ذلك العام ؟.

لم تقل المصادر السابقة ــ التي قمت باستعراض ما قالته حول ثورة عبيدة (٣) ــ ان طليطلة عادت بعد مقتل زعيمها طائعة للحكومة المركزية ، باستثناء ابن عذارى الذى ذكر ان عمروسا عمل كل ما بوسعه لاستمالة أهل طليطلة عن طريق المراسلة ، الى ان سمحوا له بالدخول الى مدينتهم فقام ببناء القصر ومن ثمّ تنفيذ مذبحة الحفرة ضدّهم (٤) ، وهذا القول بحدّ ذاته يؤكد انّه لم يتمكن من دخول طليطلة الا بعد أن سمحوا هم له بذلك.

---

(١) انظر هذه الدراسه ف ٢ ، ص ٨٢-٨٤، ١٣١-١٣٢ ، ف ٣ ، ص ١٣٤.

(٢) ابن خلدون ، م ٤: ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٣) انظر ابن سعيد ، ج١، دار المعارف ، ص ٤٠؛ انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨. الا انّه ذكر قيام عمروس بقتل ٧٠٠ من أهل طليطلة ، بعد وجود فراغ وانقطاع في المعلومات ، علما بان هذه الاحداث حدثت عام ١٩١هـ في موقعة الحفرة الا انّه لم يذكرها ، وموضعها السليم هو في عام الحفرة عام ١٩١هـ ، حيث نفذ المذبحة انظر المصدر نفسه ، ج٦، ص ١٩٩ ; انظر النويرى ، ج ٢٣، ص ٣٦١.

(٤) انظر ابن عذارى ، ج٢، ص ٦٩-٧٠.

وأمّا ابن الخطيب فانّه لم يشر الى ثورة عبيدة ، الآ انّه ذكر ان مذبحة الحفرة قد وقعت عام ١٨١ هـ (١) ، ولو ان طليطلة خضعت فعلا لعمروس ، فلماذا هرب اذا بنو مخشي الذين اغتالوا قائد المعارضة في طليطلة؟ لِمَ لم يبقوا فيها ما داموا هم من أعيانها ، وقد فعلوا ما فعلوا بايحاءٍ من الحكومة ولصالحها (٢) ؟ ام انهم اغتالوه فقط وهربوا وبقيت أوضاع طليطلة كما هي على معارضتها للحكومة؟ ومن الاسئلة التي لا بدّ من طرحها هي:هل انّ قتل قائد الثورة غيلة ينهي الثوره ويوقفها؟ وهل ان معارضة طليطلة قد انتهت فعلا بعد مقتل عبيدة؟ كيف انتهت تلك الثورة ما دام الذى قُتِلَ هو رجل واحد وهو قائدها؟ ألم يكن في طليطلة رجال غيره كانوا قادرين على ادارة وقيادة المعارضة بعد مقتل قائدها السابق ؟ وهل كان من الممكن أن تنتهي ثورة في مدينة مثل طليطلة كانت الحصانة التي تتمتع بها من أهمّ ميزاتها (٣) ، مضافا اليها الأوضاع الداخليّة المترديّة في الاندلس بسبب قيام الثورات في معظم ارجائها (٤) .

وهل يعقل ان طليطلة قد القت بنفسها بسهولة في أحضان القائد عمروس تائبة مستسلمة مع انّه لم يفلح في تحقيق الانتصار عليها عن طريق المواجهة العسكرية وكل الذى فعله هو تدبير مؤامرة لاغتيال زعيم الثورة فيها (٥) ؟.

أغلب الظنّ ان طليطلة لم تستلم ولم تتوقف ثورتها ومعارضتها ، واعتقد ان الحكومة لم تكن في وضع يؤهلها للقيام بعمل ضد طليطلة في ذلك الوقت ، بسبب مشاغلها ومتاعبها الاخرى،لذلك فانّ الحكومة لم تقم بمحاولة جدّية لاستعادة نفوذها

---

(١) انظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥ .

(٢) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨ ؛ ابن سعيد، ج١، دار المعارف ، ص ٤٠ ؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٦٩ ؛ النويرى ، ج٢٣، ص ٣٦١ ؛ ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٣ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص٥-٧ ، ف ٢ ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ وانظر كلا من المصادر التالية فقد اشارت الى ان احد اسباب قيام الثورات في طليطلة هو الحصانة التي تتمتّع بها .انظر ابن الأثير ، ج٦، ص ١٩٩ ؛النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٥ ؛ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٥ .

(٤) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٢، ١٩٩-٢٠١ ؛انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩-٧٧ ؛انظر النويرى، ج٢٣، ص ٣٥٨-٣٦٥ ؛انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٢-٢٧٤ .

(٥) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٥٨ ؛ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩ ؛النويرى، ج٢٣، ص ٣٦١ ؛وانظر ابن سعيد، ج١، دار المعارف ، ص ٢٧٣ .

في طليطلة الا بعد فترة من الزمن والتي كانت عام ١٩١هـ بعد مذبحة الحفرة [١].

وقد ورد عند بعض المصادر ان الفرنج قد استولوا على مدينة تطيلة [٢]، وان الأمير الحكم كان قد استعمل على ثغور الأندلس أحد كبار قادته المدعو عمروس بن يوسف، وان هذا القائد قد قام باستعمال ابنه يوسف على تطيلة، ولكنّ الاعداء وبمعاونة مجموعة من الخارجين على الحكومة القرطبية تقدّموا الى تطيلة وتمكّنوا من الاستيلاء عليها، ومن أسر أميرها يوسف بن عمروس، الا انّه خُلّصَ من أيديهم بواسطة قائد وجّهه عمروس لمقاتلة أولئك الأعداء وقد كان الأسير موجودا في مكان يسمّى صخرة قيس، وكان زمن ذلك الحدث في عام ١٨٧هـ [٣].

ومن الواضح أنّ اخبار ابن خلدون عن عمروس وابنه واستيلاء الفرنجة على طليطلة، تشابه الى حد بعيد الاخبار التي وردت عند ابن الأثير والنويري، من حيث ان عمروسا كان هو القائد العام للمنطقة، ومن ناحية قيامه باستعمال ابنه يوسف على المنطقة التي استولى عليها الاعداء، وكذلك وقوع الابن في الأسر الى ان تمّ تخليصه من أيديهم [٤]. الا ان الاختلاف قد وقع في اسم المكان الذى استولى عليه النصارى، حيث ورد عند كل من ابن الأثير والنويرى ان اسم المكان الذى استعمل عليه يوسف بن عمروس هو تطيلة [٥]، في حين ان ابن خلدون جعل ذلك المكان هو طليطلة [٦]، وكما ان الاختلاف بين الجانبين كان في تاريخ السنة التي وقع فيها هذا الحادث، فابن الأثير والنويرى قالا بان تلك الاحداث قد وقعت عام ١٨٧هـ [٧]، بينما نصّ ابن

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٥.

(٢) تُطَيْلَة: تقع في منطقة الثغر الأعلى من الاندلس وهي على مقربة من مدينة سرقسطة. انظر ابن سعيد، ج٢، دار المعارف، ص ٤٣٣، ٤٤٩؛ الحميرى، ص ٦٤؛ وانظر ياقوت، ج ٢، ص ٣٢ فقد ذكر انها تقع الى الشرق من قرطبة.

(٣) ابن الأثير، ج٦، ص ١٨٧؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٤.

(٤) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٨٧؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٥) ابن الأثير، ج ٦، ص ١٨٧؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٦٣.

(٦) ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٧٣.

(٧) ابن الأثير، ج ٦، ص ١٨٧؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٦٣.

خلدون على ان ذلك كان عام ١٨٩هـ ، بعد ان ربط كلامه باحداث عام ١٨١هـ دون فصل المعلومات عن بعضها[1] ، الأمر الذى جعل المعلومات تختلط مما يؤدى بالتالي الى الالتباس في فهم القراء[2].

ومن الأمور التي يتحفظ فيها على معلومات ابن خلدون التساؤل التالي: كيف تمّ للاعداء وهم على حسب قوله الفرنجة[3] اختراق المدن والحصون والبلدان التي تقع قبل مدينة طليطلة والاستيلاء عليها رغم وجودها في وسط الاندلس[4]؟.

واخيرا استطيع القول ان طليطلة لم تخضع للحكومة في عام ١٨١هـ بعد مقتل قائد الثورة فيها ، بل انّ الحكومة غضّت الطرف عن طليطلة لأنها كانت منشغلة بالثورات الداخلية الأخرى[5] ، ومواجهة هجمات الاعداء الخارجية من المسيحيين في الاجزاء الشمالية من شبه الجزيرة الايبيرية[6] ، الى ان جاء الوقت المناسب الذى استغلته الحكومة في قرطبة ، حيث قامت بتدبير خطة للقضاء على رؤوس المعارضة في طليطلة عام ١٩١[7] .

واعتقد ان المعلومات التي ذكرها ابن خلدون فيها بعض الاخطاء ، التي من المحتمل أنّ نُسّاخ الكتاب قد وقعوا فيها سواء أكان خطأ في الكتابة أو بسبب القراءة ، ولكن يغلب على ظنّي ان عددا من الاخطاء ، كانت ناتجة عن ناشر كتاب ابن خلدون بسبب عدم وجود بعض الأحرف الأمر الذى جعله يقوم بعملية اجتهاد وذلك من خلال القيام بوضع حرف او حرفين لبعض الكلمات مثلا ، كما تصوّر ذلك من خلال قراءته للنص،

---

(١) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٣.

(٢) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه ، م:٤، ص ٢٧٣.

(٤) ابن صاعد ، ص ٦٣؛ الادريسي ، صفة ، ص ١٧٣؛ المراكشي ، ص ٢٩؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٤؛ المقّرى ، نفح ، ج١، ص ١٦١.

(٥) انظر ابن الأثير ، ج٦، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٨، ١٦٢، ١٩٩-٢٠١؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩-٧٧؛ انظر النويرى، ج ٢٢، ص ٣٥٨ - ٣٦٥؛ انظر ابن خلدون م:٤، ص ٢٧٢-٢٧٤.

(٦) انظر ابن الأثير ، ج٦، ص ١٨٧؛ انظر النويرى ، ج ٢٢، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٧) ابن الأثير ، ج٦، ص ١٩٩؛ النويرى، ج٢٢، ص ٣٦٥؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

وأرى ان قراءته لكلمة تُطيلة كانت طليطلة نظرا لانها جاءت بعد التحدث عن أحداث ثورة عبيدة التي كانت في طليطلة (١) .

ومن الملاحظات التي استطيع ان اقول بها حول كتاب ابن خلدون هذا الذى اخذت عنه معلوماتي انه يوجد فيه الكثير من الاخطاء في أسماء الأشخاص والمواقع وفي السنوات ، واسوق مثالا على ذلك على سبيل الاشارة وليس للحصر، اسم قائد الثورة في طليطلة عام ١٨١هـ، وورد في المصادر ان اسمه هو عبيدة بن حُميد (٢) ، أو ابن حمير (٣) ، أو خمير (٤) ، وهما قريبان من اللفظ الأول، بينما جاء عند ابن خلدون ان الاسم كان هو عبيدة بن عمير (٥) .

<u>مذبحة الحفرة عام ١٩١ هـ :-</u>

من الأسباب التي دفعت الأمير الحكم الى تدبير خطة المذبحة المنظمة التي عُرفت بمذبحة الحفرة ضد المعارضة في طليطلة : رغبته في إضعاف روح المعارضة والثورة في نفوس الطليطليّين لجعلهم يفكرون طويلا قبل القيام بأيّ معارضة قد يُقْدِمون عليها ، وقد اعتقد ان ذلك يتسنّى له عن طريق القضاء على الرؤوس المدبّرة للثورات والرؤوس المساندة لها في مدينة طليطلة (٦) ، وخاصة انها عاندته وبشراسة طيلة السنوات التي أعقبت تولّيه الحُكم ، والتي رجحْتُ أنّ المعارضة فيها قد استمرت من عام ١٨١هـ الى العام الذى تمّ له فيه وضع السيوف في رقاب الكثير من كبار المعارضين في طليطلة دون أن يخسر رجلا واحدا (٧) .

---

(١) انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) ابن الأثير، جـ٦، ص ١٥٨ ؛ ابن عذارى ، جـ٢، ص ٦٩.

(٣) النويري ، جـ ٢٢، ص ٣٦١.

(٤) ابن سعيد، جـ١، دار المعارف ، ص ٤٠.

(٥) ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٣.

(٦) انظر ابن القوطيّة ، ص ٤٥-٤٦ وقد جاء عنده ان أهل طليطلة قد بلغوا مبلغا عظيما من الاستخفاف بالعمّال ، والقيام بمعارضة اوامر الحكومة ، لذلك قرّر الحكم القيام بتدبير المكيدة ضدهم ؛ انظر ابن الأثير، جـ٦، ص ١٩٩ ؛انظر النويري، جـ ٢٢، ص ٣٦٥ ؛انظر ابن خلدون ، م:٤، ص ٢٧٥.

(٧) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٣٠-٢٣١،٢٣٢.

نتيجة لشدّة المعارضة في طليطلة وطول المدّة التي استمرت فيها المعارضة خارجة عن سلطان الحكومة المركزية ، قام الحكم بوضع خطة كانت غاية في المكر والدهاء والتخطيط وقد تميّز واضعها بالقدرة على الصبر والتحمّل ، حيث انه لم يندفع الى مواجهة مباشرة معهم بعد ان جرّب حظه عام ١٨١هـ ، وقد ورد عند ابن القوطية خبر مفاده أنّ الحكم لم يكن يطمع في الاستيلاء على طليطلة ، واعادتها الى قبضة الدولة ، ما دام الشاعر الحكيم غربيب الطليطلي (١) ، بين ظهرانيي المعارضة الطليطلية لأن أهل طليطلة كانوا يعتمدون على آرائه وتوجيهاته ، ولكنّ الحكم وبعد ان توفيّ غربيب (٢) قام باستدعاء عمروس وكشف له عن نيّته في الايقاع بأهل طليطلة (٣) ، وهذا الخبر أكدّ دون أي مجال للشك في أنّ عملية الحفرة وتوليّ عمروس لطليطلة كانت قد تمّت بعد وفاة غربيب وهذا بحدّ ذاته يدّعم أخبار بعض المصادر التي قالت أنّ عام موقعة الحفرة كان عام ١٩١هـ (٤) ، ويضعّف أخبار من قال ان مذبحة الحفرة قد وقعت أحداثها عام ١٨١هـ ، ويشير الى ان المعارضة في طليطلة قد استمرّت الى عام ١٩١هـ (٥) ،

---

(١) وقد أشار عدد من المصادر الى شخص غربيب فقد ذكر ابن حيّان ، تحقيق: د. مكيّ ، ص ٢١١ ، انّ اسم غربيب هو غربيب بن عبدالله الثقفي وذكر انّه توفيّ بطليطلة عام ٢٠٧هـ ؛ وقد اشارت كلا من المصادر التالية الى ان غربيب هو شاعر وقد وصفوه بالطليطلي انظر الحميدى، ص ٣٢٦ ؛ انظر الضبيّ ، ص ٤٤٢ ؛ وانظر ابن سعيد ، ج٢ ، دار المعارف ، ص ٢٣-٢٤ فقد ذكر ان غربيب هو ابن عبدالله الطليطلي ، وانه شاعر قديم . وقد ذكر ابن عبد الملك المرّاكشي الاوسي ، الذيل والتكملة ،السفر ٥، ق:٢ ، ص ٥٢٢ : ان اسمه غربيب بن عبد الله الثقفي وانه كان اديبا شاعرا ثاقب الفطنة ، وذكر انه يقال ان سبب خروجه من قرطبة وقوعه في امرائها واعلانه لجورهم ، اما ابن الكتاني فانه لم يرد عنده الا شعر لرجل اسمه غربيب وقد اشار محقق الكتاب الى انه غربيب الطليطلي: انظر ابن الكتاني ، كتاب التشبيهات في اشعار أهل الاندلس ، تحقيق : د. احسان عباس ، ص ٢٦٩-٣٠٦.

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ وهذا يعني انه توفي قبل عام الحفرة ١٩١هـ ، الا ان ابن حيّان ذكر ان غربيب بن عبد الله توفي بطليطلة عام ٢٠٧هـ أي بعد وفاة الحكم انظر: ابن حيّان ، تحقيق : د. مكيّ ، ص ٢١١.

(٣) ابن القوطية ، ص ٤٦.

(٤) ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٩٩ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٦٥ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٥.

(٥) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩-٧٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤.

وان الحكومة المركزية لم تتمكّن من بسط نفوذها على طليطلة ، الّا بعد وفاة حكيم وشاعر طليطلة ، والذى جاء سياق ذكره في حادثة موقعة الحفرة ، اذ وردت الاشارة الى انّه توفي قبل استدعاء الحكم عمروسا (١) وكان استقدام عمروس قد تمّ عام ١٩١هـ ، عندما تهيأت الظروف المناسبة للامير الحكم حيث قام باستدعائه ، ـ علما انه كان قائدا له على بعض المناطق المواجهة للقوى المسيحية في شمال شبه الجزيره الايبيرية ـ ، وبعد ان بالغ الأمير الحكم في اكرام عمروس قام باطلاعه على الخطة التي وضعها للقضاء على المعارضة في طليطلة ، واستشاره فيها ، وقاما بوضع الترتيبات اللازمة لانجاح الخطة ، وأوّل تلك الترتيبات كانت تولية الأمير الحكم عمروسا على مدينة طليطلة ، ولكي يتقبّل المعارضون في طليطلة بشكل خاص ، والطليطليّون بشكل عام ، عملية انهاء معارضتهم وثورتهم ، دون خوض أية مواجهة معهم ، قام الأمير الحكم بتوجيه كتاب لهم بيّن فيه انّه ينوى توجيه والٍ عليهم ، يمّت لهم بصلة النسب من حيث كونه ينحدر من أصل ايبيري (٢) ، اذ انّ أصله كان من مولدّي مدينة وشقة .

---

(١) ابن القوطية ، ص ٤٦ ، وانظر العذرى فقد ذكر ان عمروسا قدم قرطبة فولاّه الحكم طلبيرة ثم منها تقدم الى طليطلة واقام بنيان جبل عمروس : انظر العذرى ، ص ٢٧ وفي عبارته قطع للمعلومات وعدم اكتمال حيث ان المعنى جاء ناقصا .

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ ؛ ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ؛ وانظر النويرى ، ج٢٣ ، ص٣٦٥ ؛ ابن خلدون ، م :٤ ، ص ٢٧٥ . وقد ذكر الحميرى ان مدينة وشقة تقع في منطقة الثغر الأعلى ، وتبعد عن سرقسطة خمسون ميلا : انظر الحميرى ، ص ١٩٥ . اما تعريف كلمة المولدين ، فان د . العبادى قد عرفهم بقوله "ان المولدين هم الذين ولدوا من أباء مسلمين وامّهات اسبانيات ، ونشئوا على الاسلام ، فهم خليط من دم أهل البلاد الأصليين ومن دم العرب والبربر الفاتحين ، وقد نمت هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة بسرعة كبيرة حتّى صارت تؤلف الكثرة الغالبة من سكان الأندلس ، فكان منهم التجار والمزارعون وأهل الحرف المختلفة والطلبة والفقهاء ، وغيرهم ، وبمضيّ الوقت شعر هؤلاء المولّدون بنقص في حقوقهم العامة رغم كونهم أهالي البلاد الاصليين ، وانهم يتحملون عبىء المغارم (الضرائب) دون ان يكون لهم نصيب في ثروات البلاد ومناصبها الرئيسة التي كانت حكرا على الطبقة الارستقراطية العربية الحاكمة" انظر : د . العبادى ، في التاريخ ، ص ٣٣٠ ؛ وانظر د . عبد البديع لطفي ، الاسلام في اسبانيا ، ملتزمة النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٨م ، ص ٢٤ . وارى ان المولّدين وبالذات مولدّي طليطلة قد كانوا من اصل ايبيرى ، ولكنهم اعتنقوا الاسلام ، وازداد انتشار الاسلام في ذراريهم فسمّوا بالمولدين لكونهم ينحدرون من اصل ايبيرية .

ومن الواضح ان عمروسا هو الآخر قام بدور فاعل في هذا الوقت ، وانّه حاول استمالة أهل طليطلة اليه من خلال اظهار حبّه لهم وتعاطفه معهم ، وربّما انه أقنعهم انه قام بالايعاز الى بعض الموالين له بقتل بني مخشي ، وان ذلك كان انتقاما لما أقدموا عليه من قتل قائد ثورة طليطلة عام ١٨١هـ (١) ، ويظهر ان الاشارة التي وردت في بعض المصادر والتي بيّنت ان عمروسا قام بمراسلة أهل طليطلة لكيّ يسمحوا له بالدخول الى المدينة ، والتي وردت في سياق حديث المصادر عن أحداث ثورة طليطلة في عام ١٨١هـ على انها حدثت في ذلك العام (٢) ، اعتقد انّها كانت في عام ١٩١هـ في هذا الموقف بالذات .

فللأسباب السابقة ولكون ان عمروسا كان مؤلدا مثل غالبية أهل طليطلة (٣) ، وكذلك لتغيّر الاوضاع في الاندلس، حيث ان الاوضاع الداخلية بدأت تسودها فترة استقرار نتيجة لإحكام سيطرة الأمير الحكم على الاوضاع الداخلية في البلاد بعد القضاء على المعارضة التي سادت انحاء متعددة من البلاد في بداية عهده (٤) ، لذلك شعر الطليطليون أنّه قد تفرّغ لهم ، وبسبب ذلك الشعور قاموا باستغلال هذا الظرف وخاصة أنّ الأمير تقدّم لهم بعرض مقبول، اذ انه ذكر لهم في كتابه الذى ارسله لهم ، انه لا ينوى استعمال ولاة عليهم ممّن يكرهون من الأشخاص ولا من موالي بني أميّة ، بل انّه اختار لهم رجلا

---

(١) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٥٨ ؛ابن عذارى، ج٢ ، ص٦٩ ؛النويرى، ج٢٣ ، ص ٣٦١ ؛ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٧٣ .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩ .

(٣) على اعتبار ان العناصر الفاتحة لم تنزل في مدينة طليطلة باعداد كبيرة وان الكثير من أهل طليطلة قد أسلموا ، وان ابنائهم قد اصبحوا مسلمين، ولكنهم من اصول ايبيرية ،انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص١٩٠ ،١٩٥-١٩٦ ، ف ٤ ، ص٢٣٥ ، رقم(٢) .

(٤) انظر ابن عذارى، ج٢ ، ص ٦٩-٧٢ ، فقد ورد عنده ان الثورات كانت منتشرة في الاندلس وان الحكم كان يوجه الحملات ويقودها بنفسه للقضاء على الخارجين على الحكومة ،أمّا من سنة ١٩٠-١٩٩هـ فقد هدأت الاوضاع الداخلية ، ولم يكن هناك حوادث تذكر الا ما كان من محاربة القوات النصرانية في الأجزاء الشمالية من ايبيريا ،انظر المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٢-٧٤؛ وانظر النويّرى، ج٢٣ ، ص ٣٦١ - ٣٦٩ فانّ أخباره تشير الى خفوتٍ في حدّة الثورات واعدادها في بداية العقد العاشر من المائة الثانية للهجرة تقريبا ، حيث ان الثورات الداخلية في هذا الزمن خفّت عمّا كانت عليه طيلة عقد الثمانينات من القرن نفسه .

يمُتّ لهم بالقرابة من حيث أنّه مسلم مثلهم ينحدر من أصول ايبيرية (١)، للاسباب السابقة جميعها، ـ وليستريح المعارضون في طليطلة فترة من الوقت ـ، اذ من المحتمل أنّ العامل الاقتصادى كان له دور في جعلهم يوافقون على القبول بالوالي المعيّن من قِبَل الحكومة والذى روعي في اختياره رغبتهم، كما ظنّوا، لانهم لا بدّ وانّهم قد تأثّروا من ناحية اقتصادية، والذى من المرجح ان ذلك التأثّر قد نتج بسبب المضايقة الاقتصادية التي تعرّضوا لها والناتجة عن تحجيم تجارتهم، واضعاف مواردهم الاقتصادية التي كانت تدّر عليهم الاموال، لذلك كلّه قرّر أهل طليطلة، وخاصة القوى المعارضة ان يدخلوا في طاعة الحكومة المركزية (٢)، الى ان تحين لهم فرصة قادمة كما اعتقد.

وأرى ان مراسلة عمروس بن يوسف لأهل طليطلة كانت بعد وصول كتاب الحكم اليهم حيث أوجد كتاب الحكم في نفوس بعضهم رغبة في انهاء المعارضة، كما أتصّور، فكانت الخطوة الثانية هي دور عمروس في اقناعهم على الموافقة على الدخول في طاعة الحكومة، ولا بدّ أنه قام بترغيبهم بالتقرب والتودد لهم، فتّم له ولأميره ما أرادا حيث تمكّن أخيرا عمروس من الدخول الى طليطلة بسلام (٣)، ولكنّ مكيدة الحكم كانت للمعارضة في طليطلة بالمرصاد، اذ ان عمروسا وبعد ان دخل الى طليطلة، بدأ باتخاذ الخطوات الكفيلة لتنفيذ الخطة المدبّرة وانجاحها، حيث بدأ بمداخلة مع زعماء المعارضة فيها ـ بعد أن أحسن معاملتهم واشعرهم بثقته فيهم ـ مُسرّاً لهم أنّه يكره بني أميّة جميعا، وانه يوافقهم على رأيهم فيهم، وعدم الالتزام لهم بالطاعة، ولكنّه يتحيّن الفرصة المناسبة للخروج على الحكومة، فوثقوا في كلامه، واطمأنوا الى أفعاله (٤).

---

(١) انظر ابن القوطية، ص ٤٦؛ ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويّري، ج٢٣، ص ٣٦٦؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥ فانه ذكر أن أهل طليطلة أنسوا لولاية عمروس عليهم بعد أن عينّه الحكم.

(٢) ويفهم مما جاء في بعض المصادر أنّ أهل طليطلة وافقوا على دخول عمروس الى المدينة، وذلك نظرا لدخوله اليها فيما بعد واطمئنان أهلها اليه: انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويرى، ج ٢٣، ص ٣٦٦.

(٣) ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٦٦.

(٤) ابن القوطية، ص ٤٦–٤٧؛ ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩–٢٠٠؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٦٦؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

ثمّ جاءت المرحلة الاولى لتنفيذ ما عزمت الحكومة على تنفيذه في قيـادات المعارضة في طليطلة اذ بعد مضيّ فترة من الوقت على استقرار عمروس في طليطلة ، قام باطلاع وجهاء طليطلة على نيّته القيام ببناء قصر ليكون مستقرا للوالي وأتباعه ليُريح أهل طليطلة من المشاكل التي قد تنجم عن وجود رجالات الحكومة وأتباعهم بين الاحياء السكنية ، فوافقوه على رغبته ، وبنى البناء الذى كان ينوى اقامته ، في جبل عُرف بجبل عمروس، وقد ورد عند ابن القوطية (١) ان رغبة الحكم كانت في أن يتمّ البناء في جانب من جوانب المدينة ، ولكنّ أهل طليطلة لم يقبلوا ذلك الاّ ان يكون في وسط المدينة ، فتمّ إقامة البناء في وسط طليطلة (٢) ، وهذه الاشارة فيها من حذر وانتباه المعارضة في طليطلة ما فيها ، حيث مع ان الطليطليين قد وافقوا على اقتراح عمروس الاّ انهمّ مع ذلك رفضوا ان يكون البناء في أحد اطراف المدينة (٣) ، الاّ ان ابن عذارى ذكر ان ذلك البناء كان على باب جسر طليطلة (٤) ، ومن الواضح ان سبب رفض أهل طليطلة لاقامة القصر على بوابة الجسر كان بسبب تخوفهم من ذلك الموقع الذى سيوّفر للحكومة فرصة اغلاق ابواب المدينة عليهم ، وحصرهم متى شاءت ، فلهذا الاحتمال ونظرا لانتباه المعارضة الطليطلية ، رفض أهل طليطلة الاقتراح ، وقبلوا ان يكون البناء بينهم ليظلّ الوالي في قبضتهم ، اذا ما شعروا منه اية خطورة ، فيكون كالرهينة في ايديهم .

<u>الخديعة :</u> بعد أن اتّم القائد عمروس بناء القصر في طليطلة أرسل الى الحكم يخبره عن اتمام البناء ، عند ذلك أرسل الحكم الى احد قادته في المنطقة الحدودية

---

(١) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦-٤٧ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٢٠٠ ؛ وانظر النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ ؛ وانظر ابن خلدون ، م : ٤ ، ص ٢٧٥ فقد ذكر ان عمروسا اشار على أهل طليطلة ببناء مدينة يعتزل فيها مع أصحاب السلطان فوافقوه ونفذ ذلك ، واعتقد ان المدينة هي ابنية القصر ، حيث مقرّ الوالي ومكان الولاية ، ومنازل بقيّة الاداريّين ، واتباعهم بالاضافة الى الحرّاس فلذلك ارى ان القصر كان عبارة عن حيّ كامل خصص لاصحاب واتباع الادارة المركزية في مدينة طليطلة .

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٦٩ .

المواجهة للاعداء في الشمّال يطلب منه أن يرسل كتاب استغاثة الى الحكومة في قرطبة طالبا فيه امداده بالجند، وداعيا الى النفير، فقام الحكم باستنفار الناس من قرطبة ومن غيرها من الاقاليم التابعة لنفوذ الحكومة، وقام باسناد قيادة الجيش الى ابنه عبد الرحمن يعاونه في قيادته عدد من القادة والوزراء، واتجه الجيش في الظاهر لمواجهة خطر الاعداء، ولكن ما إن اجتاز الجيش مدينة طليطلة بقليل حتىّ جاء الخبر أنّ العدو الذى أستنفر الجيش بسببه قد عاد من حيث أتى، وقد وصل الخبر للجيش وهو في احدى المناطق التابعة لطليطلة تعرف بالجيّازين (١)، ومن هذا المكان قررّ الجيش الحكومي العودة من حيث أتى (٢)، ولكنّ الخطة التي وُضعت للاطاحة بالرؤوس الطليطلية المعارضة، ما زالت تسير بهدوء، وبإحكام منقطع النظير دون ان يتنبه الجيش الحكومي، ولا المعارضة في طليطلة الى المكيدة المدبّرة ضد الرؤوس المحرّضة والمتزعمة للثورات في مدينة طليطلة، ضدّ الحكومة.

في هذه اللحظة وعندما اقترب الجيش من طليطلة اقترح عمروس والي مدينة طليطلة على قادة ووجهاء طليطلة الخروج واستقبال ابن الأمير ودعوته الى النزول في المدينة، لينظر وبطريقة غير مباشرة الى حصانة وقوّة طليطلة، حتى لا يطمع فيها بنو أميّة اكثر ممّا اعطوا من الولاء (٣)، ولكنّه قال لهم هذا الكلام بصفة الناصح، فإذا لم يكونوا راغبين في ذلك، فانّه هو بصفته نائبا عن الحكومة في طليطلة يتوجب عليه الخروج واستقبال ابن الأمير الحكم والامراء والقادة، فوافقوه على اقتراحه وخرجوا معه وقاموا بدعوة ابن الأمير للدخول الى مدينتهم ولكنّه أبدى

(١) انظر ابن القوطية، ص ٤٧؛ وانظر ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠، وذكر ان ارسال عمروس الى الحكم كان بعد مضيّ مدة من بناء القصر؛ النويرى، ج٢٢، ص ٣٦٦؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥ وذكر عملية استنجاد أحد القادة في منطقة الثغر الأعلى بالامير الحكم دون ان يذكر ان ذلك كان حسب الخطة المرسومة، ولكن يفهم من خلال سياق كلامه ما قالت به المصادر السابقة. امّا ابن عذارى فقد ذكر ان عمروسا هو الذى أعدّ ونفذ المذبحة دون الاشارة الى الأمير الحكم: انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٦٩-٧٠.

(٢) انظر ابن القوطية، ص ٤٧؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠؛ النويرى، ج ٢٢، ص ٣٦٦؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

(٣) ابن القوطية، ص ٤٧؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠؛ النويّرى، ج ٢٢، ص ٣٦٦؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

عدم رغبة في ذلك، الا انهم شددّوا في دعوته، فما كان منه الا قبول تلك الدعوة [(١)]، اذ ان هذا التشدد كان أيضا من جوانب الخطة التي رسمها الأمير الحكم، لكي يؤكد الطليطليون الدعوة ويصرّوا عليها، وكأنّ ابن الأمير ليس عنده علم بتلك الدعوة، وأنّه غير راغب في قبولها، ولكنّه أخيرا نزل عند رغبتهم نظرا لجديّة الدعوة وقوّتها ليزورهم في مدينتهم، فوافق على تلبية دعوتهم [(٢)].

قام عبد الرحمن بن الأمير الحكم باكرام وجوه أهل طليطلة، ممّا زاد في طمأنتهم الى سلامة تصرفهم، وفي هذا الوقت سُلّم كتاب الأمير الحكم سرّا الى عمروس، وكان في ذلك الكتاب الكيفية التي يجب فيها تنفيذ مآرب الحكومة في قادة المعارضة في طليطلة، فنفذت خطته فيهم، بعد دخول ابن الأمير ومعه بعض القادة والجند الى طليطلة، حيث نزلوا في منزل عمروس (القصر)، وبعد فترة استراحة طلب ابن الأمير الى وجوه طليطلة سواء الذين كانوا في المدينة او في البادية الحضور لتناول الطعام من الوليمة التي سيعدها تكريما لهم، وتقديرا لما ابدوه من حُبّ استضافته في مدينتهم [(٣)].

وأيّما اكرام كان، فقد كان للقصر مدخلان، فكانت خيولهم والدّواب التي يركبونها تؤخذ عند الباب الذى سيدخلون منه، ليجدوها عند الباب الذى سيخرجون منه بعد تناول طعام الوليمة كما قيل لهم، فكانوا على هذه الحالة يدخلون ليتناولوا من الوليمة التي أعدّت لهم، ولينالوا هدايا ابن الأمير، ولكنّهم ما إن كانوا يدخلون من الباب الأوّل حتى يجتث السيّافون رؤوسهم ويرموا بجثثهم في الحفرة التي كانت بداخل القصر والتي نتجت عن استعمال ترابها في بناء وتشييد القصر [(٤)]،

---

(١) انظر ابن القوطية، ص ٤٧–٤٨؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠؛ النويّرى، ج٢٣، ص٣٦٦–٣٦٧؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

(٢) ابن القوطية، ص ٤٨؛ ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٦٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥.

(٣) انظر ابن القوطية، ص ٤٧–٤٨؛ انظر ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠ ولم يشر الى وجهاء طليطلة في البادية بل اكتفى بالقول ان الدعوة وجهّت الى وجهاء أهل طليطلة؛ النويرى، ج٢٣، ص ٣٦٦–٣٦٧.

(٤) انظر ابن القوطية، ص ٤٧، ٤٨؛ وانظر ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠٠–٢٠١؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٦٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٦.

وقد بلغ من قُتل منهم على حسب رأى بعض المصادر خمسة آلاف وثلاثمائة رجل (١) ، بينما ذكرت مصادر أخرى ان عدد من قُتِل من وجهاء طليطلة يوم الحفرة قد بلغ سبعمائة رجل من اشرافهم (٢) .

وهكذا نجحت خطة الأمير الحكم في التخلص من أشراف ووجهاء طليطلة ، الذين كانوا يتزعمّون المعارضة الطليطلية ضد الحكومة ، معتقدا ان هذه الضربة ستعيد لأهل طليطلة رشدهم وتمنعهم من التفكير بالثورة مرّة أخرى، ولكي نرى مدى نجاح المذبحة التي خطط لها الأمير في تحقيق اهدافها ، لا بدّ من رؤية ما حدث في السنوات المتبقية من حياة الأمير الحكم لكي نستطيع الحُكم على نجاح أو عدم نجاح خطته التي نُفذّت بالرؤوس المعارضة في طليطلة .

فقد جاء في بعض المصادر أنّ المعارضة لم تقم لها قائمة طيلة السنوات المتبقية من حياة الأمير الحكم ، وقد بالغت في ذلك حتىّ انها جعلت فترة هدوء المعارضة الطليطلية تمتد طيلة حياة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٣) ، الا ان بعض المصادر الأخرى قد ذكرت ان معارضة أخرى برزت في عهد الأمير الحكم في مدينة طليطلة ، وهي التي أشارت اليها في أحداث عام ١٩٩ هـ (٤) .

---

(١) ابن القوطية ، ص ٤٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٥ ولكنّه ذكر ان ذلك كان في عام ١٨١هـ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٤ ؛ وانظر النويّري، ج ٢٣ ، ص ٣٦٥ فقد ذكر ان عدد الذين قتلوا زاد على خمسة آلاف رجل من أعيان طليطلة .

(٢) انظر ابن الأثير، ج٦ ، ص ١٥٨، ٢٠١ علما بانه ذكر ان المذبحة كانت عام ١٩١ هـ، الا انه لم يذكر العدد ولكنه ذكر ذلك في احداث عام ١٨١هـ ؛ انظر ابن عذارى، ج ٢ ، ص ٧٠ فقد ذكر ان سبعمائة من أشراف طليطلة قتلوا في موقعة الحفرة عام ١٨١هـ .

(٣) انظر ابن القوطية ، ص ٤٩ ؛ ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٢٠١ ؛ النويّري ، ج٢٣ ، ص ٣٦٧ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٦ فقد ذكر ان طاعة أهل طليطلة حَسُنت الى أيّام الفتنة . علما ان ابن الأثير قد ذكر ثورة هاشم الضرّاب عام ٢١٤هـ ، انظر ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ٤١٥-٤١٦ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ وانظر النويّري ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٩ .

(٤) انظر ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٤ .

المعارضة الطليطلية في عام ١٩٩ هـ :- اظهر الأمير الحكم بن هشام عام ١٩٩هـ، انّه يريد التوجه الى مُرسية ، في حين ان قصده كان مدينة طليطلة (١) ، حيث قام بالكتابة الى بعض قادته على الاقاليم الاندلسية بنزوله في مرسية ، ومن ثمّ قيامه بمحاربة العصاة والثائرين، وكان يرمي من وراء عملية التوجه الى مرسية وانفاذ الكتب الى عُمّاله (٢) ، عدم إتاحة اية فرصة لأهل طليطلة للاستعداد لما هو مُقدِمٌ عليه ، والقيام بالتحصن داخل المدينة واغلاق المنافذ المؤدية اليها ، ونجحت خطته هذه المرّة ايضا ، اذ أنّ الأخبار وصلت الى أهل طليطلة من أنّه اتجه صوب مناطق أخرى فأمنوا وانتشروا في اراضيهم خارج المدينة ، للاهتمام بمزروعاتهم ، وكان أعوان الحكومة يراقبون الوضع ، فأرسلوا الى الأمير الحكم بخبر خروج أهل طليطلة الى مزروعاتهم خارج المدينة ، وقد كان يتّجه الامير الى جهات طليطلة رويدا رويدا ، فما ان عرف بهذه الوضعية حتى جدّ في المسير اليها ، وطوى المسافات ، بسرعة الى ان تمكن من الوصول اليها ليلا ، والمعارضة في طليطلة لم تشعر بالذي حدث ، وهي في غفلة عمّا يجري ، وأخذت القوات تصل اليه كل على حسب مقدرته ، فاستولى على المدينة (٣) ، اذ لم يستطع المعارضون فعل شيء يدرأ عنهم الذى حلّ بهم ،فبغتوا بوجود القوات الحكومية بقيادة الرجل الأوّل في الاندلس ، تجول في ميادين المدينة واحيائها ، ونكاية فيهم أمر الأمير بمنع الدخول الى المدينة أو الخروج منها لتشديد قبضته عليهم (٤) ، وهكذا فان الأمير الحكم مرّة اخرى تمكّن من السيطرة على طليطلة دون قتال ، وكل ذلك حدث بالمكيدة والخطة الناجحة المدبّرة (٥) .

---

(١) ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٤. وذكر ان الأمير قصد تدمير ، وسبق وان بيّنتُ ان تدمير هو اسم حاكم مدينة أوريولة القوطي وقت الفتح الاسلامي. انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢١٩ الهامش رقم (٣).

(٢) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٤.

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٤.

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٤.

(٥) انظر المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٩-٧٠ ، ٧٤.

وعملية دخول الأمير الى طليطلة بالصورة التي تمكن فيها من الدخول اليها تشير بشكل واضح الى ان هناك بعض الناس فيها كانوا يعملون لصالح الحكومة ، ومما يدعمّ هذا القول هو معرفة الحكم بخروج أهل طليطلة الى مزروعاتهم خارج المدينة (١) ، اذ ان مثل هذه المعلومات الدقيقة في الغالب ، تأتي من قِبل أُناس في الداخل يكونون مطلّعين على مجريات الاحداث الدقيقة في طليطلة ، ولهذا فانّه يتضح ان مجموعات من الناس كانت تناصر الحكومة ضد المعارضين داخل طليطلة .

وقد قام الأمير الحكم باتخاذ عدة تدابير احترازية لانهاء أو اضعاف المعارضة في طليطلة الى أبعد قدر ممكن من اضعاف لحركة المعارضة وروح الثورة في نفوس رجالات طليطلة ، والحدّ منها ، فقام بتهجير قسم من أهلها من المناطق المرتفعة الجبلية التي يسكنون فيها الى المناطق السهلية (٢) ، وكما انه اتخذ خطوة أخرى زيادة في النكاية فيهم ، لانزال الرعب والخوف في نفوسهم وذلك من خلال قيامه باحراق ديارهم ، ولم يكتف بذلك بل انه قام بابعاد أعداد منهم الى مناطق بعيدة ، والتي أشار اليها ابن عذارى بقوله أن الحكم انزلهم في الصحراء (٣) ، وقد جاءت الاشارة الى هذا الفعل اكثر وضوحا عند ابن سعيد حيث بيّن أن الحكم نفى وجوه أهل طليطلة الى ترجلّه (٤) ، ونتيجة لهذه الخطوة والاجراءات فانّ المعارضة في طليطلة قد خمدت مدة من الزمن كانت طويلة كما وصفها المؤلف (٥) .

ولقد جاء عند ابن عذارى، أن الأمير الحكم قام باعادة الذين هجرّهم من طليطلة اليها (٦) ، والسؤال الذى يُطرح هنا : متى ردّهم؟ ولماذا؟ هل يعني ذلك انه تأكد من حُسنِ طاعتهم؟ علما انه سبق وان اوقع بهم في عام ١٩١هـ ، في موقعة الحفرة (٧) ،

---

(١) ابن عذارى ، ج٢ ، ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٧٥ .

(٤) ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤١ . وانظر بالنسبة لـ ترجلّه . هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤١ .

(٦) ابن عذارى، ج٢، ص ٧٥ .

(٧) انظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩–٢٠١ ؛ابن القوطية ، ص ٤٥–٤٨ ؛النويّرى، ج٢٣، ص٣٦٥–٣٦٧ ،ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٥ .

ام انّ الذين ردّهم الأمير ـ ان كان رد أُناساً ـ هم مجموعات من الطليطليين الذين كان قد أمر بتهجيرهم من المدينة، اذ من الواضح انه قام بتهجير أعداد كبيرة من سكان طليطلة، فأعاد البعض اليها كما أظنّ بعد تعهدّهم بعدم القيام بالمعارضة، وحتى تقديم أيّ نوع من أنواع المساندة والدعم لأى مجموعة قد تقوم بالمعارضة، أمّا رؤوس المعارضة والشخصيات الخطرة والبارزة فاغلب الظنّ انه لم يسمح لها بالعودة الى مدينة طليطلة، هذا من ناحية عقلية منطقية، امّا من ناحية النصوص النقلية، فهناك الاشارة التي قالت أنّ أحد رجال المعارضة في طليطلة كان موجوداً في قرطبة منذ أن نُفي من طليطلة الى عام ٢١٤هـ، حتى استطاع القيام بالتسلل من قرطبة خفية والهرب الى طليطلة موطنه الذى هُجِّر منه والقيام باعلان الثورة فيها، وكان ذلك الشخص هو هاشم الضرّاب (١)، اذ من هذه الاشارة يتضح ان عدداً من الأشخاص الخطرين من رجالات المعارضة في طليطلة ظلّوا مبعدين عن مدينتهم، حتى عام ٢١٤هـ حيث اشتعلت الثورة من جديد، بعد أن تمكنّ أحد اولئك الرجال من الفرار من منفاه والعودة الى طليطلة.

والاشارة التي جاءت بها بعض المصادر والمتعلقة بأحداث عام ١٩٩هـ وما قام به الحكم من اجراءات ضد المعارضة في طليطلة، توضح ان المعارضة في طليطلة قد برزت وتجددت في هذه المدينة مرّة أخرى (٢)، اذ أن التدابير التي سبق وأن اتخذها الأمير الحكم عام ١٩١هـ لم تُعطِ النتائج المرجوة منها، حيث جاءت الاشارات في عام ١٩٩هـ الى أنّ هناك معارضة كانت مستفحلة في طليطلة، وان طليطلة لم تكن تابعة للحكومة المركزية، ولكنّ السؤال الذى يفرض نفسه هنا متى تجددت تلك المعارضة وظهرت ؟ هل كانت قبيل عام ١٩٩هـ؟، أم أنّها كانت بُعيد عام ١٩١هـ ؟ حيث جمّع الطليطليون أنفسهم وشدّوا على جراحاتهم وقاموا بالثورة يحدوهم هذه المرة ـ بالاضافة الى عملية المعارضة والثورة ـ الأمل بالأخذ بثأر قتلاهم في موقعة الحفرة عام ١٩١هـ (٣)، والذى استطيع قوله في هذا المقام هو: ان المعارضة الطليطلية تمكنّت

---

(١) ابن الأثير، ج٦، ص ٤١٥-٤١٦؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨٣؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٧٩.

(٢) ابن سعيد، ج١، دار المعارف، ص ٤١؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٧٤-٧٥.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٤٠-٢٤١.

مرّة أخرى من السيطرة على طليطلة من أيدى أعوان ورجالات الحكومة المركزية ،اذ انّ حملة الحكومة عام ١٩٩هـ على طليطلة وضحت مقدار قوة المعارضة في طليطلة ، ومقدرتها على تحريك الناس في طليطلة لصالحها .

هذه المعارضة وبالرغم من الضربات الشديدة التي تلقتها ، كانت تظهر من جديد في أيّة فرصة تسنح لها ، والقيام بالثورة والعصيان ضد الحكومة المركزية في قرطبة ، لهذا لا بدّ من محاولة دراسة الدوافع الكامنة وراء المعارضة في طليطلة ونجاحها في القيام بهذه الثورات المتتالية في عهد أمير أموي واحد هو الحكم ، حتى انّها لم تخضع لسلطته بمقدار ما كانت خارجة عن تلك السلطة (١) .

فما هي أسباب تلك الثورات ؟ أهي اسباب سياسية ؟ ام أسباب دينية ؟ أم اسباب اقتصادية ؟ ام هي أسباب اجتماعية ؟ ومن هم القائمون على رأس تلك الثورات ؟ لا بدّ قبل الادلاء بأي حكم على مثل هذه الاسئلة من مراعاة معرفة المعارضة وأهدافها : هل كانت تهدف الى الاستقلال عن جسم الدولة المسلمة في الاندلس ؟ أم أن المعارضة كانت معارضة لِحُكم بني أميّة ؟ أم انّها كانت معارضة لحكم ابناء الفاتحين والقادمين من العرب والبربر المسلمين ؟. أم انها كانت ثورة ضد سياسة بني أميّة تجاه طليطلة ؟ بسبب الولاة والقادة الذين كانت ترسلهم ، وبالتالي عدم رغبة طليطلة في أن تدار ادارة مباشرة ، اذ انّها كانت تطمح الى ادارة لا مركزية ، وترغب في ان تحكم نفسها بنفسها ؟ وبالتالي لا ترغب في أن تؤدّي الأموال والضرائب (الخراج) الى الحكومة المركزية (٢) ، أم أنّها معارضة كانت تخفي وراءها نقمة الطليطليين على حلول قرطبة

---

(١) حيث ان الثورة ابتدأت في طليطلة مع تولي الأمير الحكم لمقاليد الحكم في الأندلس واستمرّت الى عام ١٩١هـ، ومن ثمّ بعد ذلك قيام ثورة عام ١٩٩هـ: انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ،ص ٢٢٤ومابعدها . ومن المعروف ان الأمير تولّى حكم الأندلس من عام ١٨٠-٢٠٦هـ: انظر ابن عبد ربّه ، ج ٥، ص ٢٠٦، واذا ما حسبنا ثورة طليطلة من عام ١٨٠-١٩١هـ، ومن ثم اضافة مدة الثورة التي حدثت فيها وتمّ القضاء عليها عام ١٩٩هـ والتي من المُرجحّ انّها قامت بعد موقعة الحفرة بزمن قصير، فتكون نسبة طاعة طليطلة ،الى ثوراتها متساوية على أقلّ تقدير.

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٣٧، رقم (٢) ، وانظر د. العبادي، في التاريخ، ص ٣٣٠ اذ يفهم من كلامه ان المولدين لم يكونوا راغبين في دفع الضرائب .

محلّ طليطلة في تبوء مكان الصدارة والمركزية في الاندلس ، والتي كانت طليطلة هي صاحبة تلك المكانة في السابق ؟ (١) أم ان تلك الثورة كانت تُحرِّكها الهزائم والفشل التي منيت بها في ثوراتها السابقة حيث انها لم تنجح في أىّ ثورة من الثورات السابقة (٢) ، وهناك عامل رئيس من العوامل التي كانت تغذّى المعارضة وهو القتلى الذين قتلوا في الثورات السابقة دون تحقيق أىّ مكسب سابق ؟ أم ان الثورة في طليطلة كانت ثورة المسلمين الذين ينحدرون من أصلاب العناصر المغلوبة في الأندلس، ضدّ المسلمين من ابناء العناصر الفاتحة (الغالبة)؟ أم انّها ثورة الأيبيريّين من مسلمين ونصارى ضد العناصر القادمة والوافدة الى الاندلس بسبب استئثار تلك العناصر خيرات البلاد ، وبسبب سيطرتها على مقاليد الحُكم؟ كما أشار أحد المراجع (٣) ، حتّى انّها كانت تحكم وتسيّر الأُمور المحلّية في مناطق غالبية سكانها من الايبيرين، اذ ان المسلمين الفاتحين لم يستقروا فيها بالكثرة العددية التي استقروا فيها في مناطق ايبيرية أخرى مثل المناطق الجنوبية من الاندلس (٤) ، ومع كل هذا فلا يولىّ على طليطلة الا من هو من القادمين وبالتحديد من المقربيّن لبني أميّة (٥) .

---

(١) انظر هذه الدراسة ف ١ ، ص ٧-٨ وما بعدها ، ف ٢ ، ص ٨٣-٨٤ ، ف ٣ ، ص ١٣٤-١٣٧ .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ١٩٨-١٩٩ ، ٢٠٠-٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨-٢١١ ، ٢١٧-٢٢٤ .

(٣) انظر د . العبّادى، في التاريخ ، ص ٣٣٠ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٩٥-١٩٦ ؛ وانظر أخبار مجموعة ، ص ٣٨ فقد جاء فيه ان عرب الأندلس تمركزوا في المناطق الجنوبية من الأندلس - الا عرب سرقسطة ومناطقها - بسبب الثورة البربرية في الأندلس عام ١٢٣هـ، وانظر عنان ، ق ١: ، ص ٦٩-٧٠ فقد ورد عنده ان معظم القبائل العربية نزلت في المناطق الجنوبية من الأندلس .

(٥) وهذا ما يفهم ممّا ذكرته بعض المصادر حول ما أوردته في كتاب الحكم الى أهل طليطلة عام ١٩١هـ من انه لا ينوى تولية أحدا من موالي بني أميّة ، وحتى أنه يفهم ان الأمير ينوى ارسال امراء عليهم من المسلمين الذين ينحدرون من أصول ايبيرية ، كما هو الحال بالنسبة لعمروس ، انظر: ابن القوطية ، ص ٤٦ ؛ انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ؛ انظر النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ ؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٧١-١٧٥ .

ولمحاولة الاجابة على الاسئلة السابقة لا بدّ من معرفة الدوافع التي كانت تؤدّى الى قيام الطليطليّين بالمعارضة المسلّحة ضد الحكومة ، وعوامل وجودها في طليطلة : بادىءذى بدء لا بدّ من الوقوف أمام الاشارة التي ذكرتها بعض المصادر المتعلقة بخطاب الحكم لأهل طليطلة عام ١٩١هـ، وقفة تدبّر وتمحيص لما جاء في كتابه الذى بعثه اليهم ، وقد عُرِّف عمروس انّه كان من المولّدين مثل الطليطليّين المعارضين،(١) وهذا يعني ان المعارضة في طليطلة كانت في عهد الأمير الحكم معارضة من قبل المولّدين فيها ، وان المعارضة الطليطلية قبلت أخيرا انهاء معارضتها للحكومة في قرطبة مقابل هذا العرض .(٢)

ويستدلّ من العرض الذى قدّمه الحكم للمعارضة ، انّ من الاسباب التي أدّت الى ثورتهم عدم رغبتهم وعدم رضاهم عن الولاة الذين يعيّنون عليهم ، وهؤلاء الولاة كما يفهم من الاشارة التي أوردتها بعض المصادر كانوا من موالي بني أميّة والمقربين منهم (٣) ؟ وكما يظهر العرض بشكل واضح مدى احتجاج أهل طليطلة على عدم تولية أُناس منهم على ولاية طليطلة ، لذلك فانهم قبلوا عرض الحكم ، الذى تعهّد فيه بعدم تعيين ولاة على طليطلة يكونون من المقرّبين والموالين لبني أميّة (٤) ، وكتاب الأمير الحكم فيه ما يفيد من انّه سيقوم في المستقبل بتعيّين ولاة لطليطلة ، من غير العناصر الفاتحة ، بل انه سيختار الولاة من بني جلدة أهل طليطلة ، حيث أن سوادهم الأعظم كان من سكان شبه جزيرة أيبيريا ، فالعناصر الفاتحة لم تستقر في طليطلة باعداد كبيرة (٥) ، لذلك فانّها لم تشكل نسبة عددية كبيرة ، تستطيع من خلالها حفظ التوازن في المدينة من خلال حفظ التوازن بين العناصر الغالبة والمغلوبة ، لعدم وجود نسبة معقولة بينها .

وان كان قد دخل اناس كثر من العناصر المغلوبة في الاسلام،الاّ انهم كما هو واضح قد أصبحوا ينظرون الى العناصر القادمة من الشمال الافريقي على انّها

(١) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ ; ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ; النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٦٦ ;وانظر ابن خلدون ، م ٤: ، ص ٢٧٥ .

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ ; ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ; النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ .

(٣) ابن القوطية ، ص ٤٦ ; ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ; النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ .

(٤) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ ; ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ;النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ .

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٩٥-١٩٦ .

قد استأثرت بخيرات ومقدّرات البلاد الاقتصادية ، وكذلك الاستئثار بادارة دفة الحكم (١) والسؤال الذي من المؤكد انه قد جال في نفوسهم هو: لِمَ لا يحكم الطليطليّون أنفسهم ما داموا هم الآخرون مسلمين ؟ ولماذا كان يعيّن عليهم الولاة والقادة فقط من العناصر المقرّبة من بني أميّة؟ ويجب ان لا يغيب عن تصوّراتنا اذا ما أردنا دراسة الأحداث السياسية في طليطلة دراسة عميقة ، الأخذ بعين الاعتبار ماضيها السياسي الذى كانت تتمتع به داخل شبه الجزيرة الايبيرية ، وكونها كانت مركز البلاد ، ومنها كان يعيّن القادة والحكام الاداريّين لبقية الاقاليم الأيبيرية (٢) ، وكذلك النظر اليها على اعتبار انّها كانت المركز الديني لكل سكان شبه الجزيرة الايبيرية قبل الاسلام ، اذ أنّ المجامع الدينية الكاثوليكية كانت تعقد بها حيث كانت تتخذ القرارات المهمة حول أهمّ القضايا التي تواجهها البلاد ، وكذلك لتصريف أمور الرعية (٣) ، فكيف بها وقد أصبحت تابعة لقرطبة؟ اذ انّها صارت مجرّد ولاية ضمن الدولة الاسلامية في الأندلس (٤) ، والأدهى من ذلك ، انّها ومع أنّ اعدادا كبيرة من أهلها قد أسلموا ودخلوا في هذا الدين الجديد ، الّا ان ذراريهم ظلّوا مواطنين من الدرجة الثانية بعد الفاتحين وبالذات الجماعات والاشخاص المقرّبين من بني أميّة؟ فلماذا لم يكن يعيّن الولاة عليها من العناصر الاسلامية التي تعود باصولها الى العناصر الايبيرية؟ ، يبدو ان هذا هو الذى شعر به الطليطليّون المسلمون من أصل ايبيرى ، وهذا يتضح من خلال العبارات التي وردت في كتاب الحكم للمعارضة في طليطلة عام ١٩١هـ (٥) ، فلذلك

---

(١) انظر د . العبّادى ، في التاريخ ، ص ٣٣٠ فقد ذكر ان سبب ثورات المولّدين في الأندلس هو شعورهم بان ثورات البلاد والمناصب المهمة كانت محتكرة من قِبل العائلات العربية .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ١٣٤-١٣٧ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ١٢-١٥ ، ١٨-١٩ ، ٤٢ ومابعدهما ، ٤٧-٤٩ ؛ وانظر مجمع طليطلة الثالث ، ص ٨٧-٨٩ ، ٩٧-٩٨ ، ١١١ ؛ وانظر د . سالم ، حواضر الأندلس الأسلامية : طليطلة ، مجلة الفكر الاسلامي ، السنة الاولى ، عدد: ٥ ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٣٤-١٣٦ ، ١٤١-١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦-١٥٧ .

(٥) انظر ابن القوطية ، ص ٤٦ ؛ انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٩ ؛ انظر النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٦٦ .

قاموا بالثورات ، وبالاضافة الى ذلك ، ان الأموال التي كانت تأتي لطليطلة في العهود السابقة لدخول الاسلام في الاندلس من مختلف انحاء البلاد اصبحت كلها تصبّ في مدينة قرطبة ، كونها العاصمة ، حتى ان طليطلة هي الأخرى كانت تدفع مبالغ من المال لحكومة قرطبة (١) ، وهذا ولا شك انعكس على الوضع الاقتصادى في طليطلة مع مرور الأيام ، اذ أن كثيراً من العناصر التي كانت مستقرّة فيها كانت تستفيد من تلك الاموال وتجمّعها في مدينتهم ، سواء عن طريق تشجيع الحركة التجارية ، أو الصناعية في المدينة او في غيرها من مرافق الحياة الأخرى، هذا الوضع وهذه الميزة خسرتها طليطلة ابّان العهد الاسلامي ، وبالتالي فانّ أبناء وأحفاد اولئك الذين عاصروا صدارة طليطلة لباقي مدن ايبيريا ، قد بدأوا يشعرون بنضوب الثروات المالية من أيديهم وقد كانوا قد تعودوا على ذلك النمط المتميّز من الحياة كابرا عن كابر ، فلذلك تحرّكت عوامل الحقد والغضب في نفوسهم على هذا الوضع الذى وجدوا أنفسهم فيه ، ويؤيّد ما ذهبت اليه ، الاشارة التي جاءت في بعض المصادر كون الذين نفذّ الأمير الحكم فيهم القتل في مذبحة الحفرة كانوا من أشراف المدينة (٢) .

لهذا أستطيع القول انّ أبناء واحفاد طبقات الأشراف في طليطلة والذين كانوا قد دخلوا في الاسلام ، قد بدأوا يشعرون بفقدانهم الكثير من مزاياهم ، وخسرانهم لمقوّمات بقائهم كطبقات اجتماعية متميّزة ، كانت تمتلك في أيديها خيرات طليطلة ، بل وخيرات الأندلس بصفتهم أشراف البلاد لأنّ العاصمة عادة ما تستقطب رجالات الأعمال والكبراء وأصحاب رؤوس الأموال ، لكلّ هذه المخاسر التي خسروها ورغم أنّ الأحفاد قد أصبحوا مسلمين الا انهم ، وان غالبيتهم ، قد أغضبها ما آلت اليه أحوالهم ، مضافا الى ذلك انهم لم يتمتعوا كذلك بحكم محليّ لمدينتهم ، بل ان ذلك كان من نصيب الوافدين الى الأندلس ، اخوانهم في الدين ، وبالذات من أنصار بني أميّة ومن مواليهم ، لكلّ ذلك شعروا بالألم لما هم عليه وفيه ، فلذلك قاموا بالثورات وبمعارضة قويّة لبني أُميّة في عهد الأمير الحكم ، وربّما ان الأعداد التي خسروها في بعض

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص١٣٧ ، رقم (٢) .

(٢) انظر ابن القوطية ، ص ٤٨ ؛ انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٥٨ ؛ انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٠ ؛ انظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤-١٥ .

الحركات السابقة التي قامت في طليطلة كان لها أثر في نفوسهم ، وكذلك فشلهم في تحقيق أي انتصار في الثورات السابقة ضد الحكومة [(١)] ، مع أنني أرى ان المسلمين الطليطليّين من أصل ايبيرى، لم يشاركوا كل المشاركة ولم يهتموا كل الاهتمام في الثورات السابقة كمشاركتهم الفاعلة في الثورات التي حدثت في عهد الأمير الحكم وفي العهود التي تلت عهده والتي سأتناولها بالبحث عبر الصفحات القادمة ، لأنّ الثورات في عهد الأمير الحكم كانت ثوراتهم هم بشكل خاص ، وتعنيهم بالدرجة الأولى، امّا الثورات التي حدثت قبل الحكم فانها كانت ثورات عامّة ليس لهم فيها أيّ مكسب يذكر، فما هي مثلا المكاسب التي سيجنيها الطليطليون من جرّاء نجاح ثورات الفهريّين [(٢)]، أو تمرّد القائد السُلمي [(٣)] ، وحتىّ من ثورة سليمان بن عبد الرحمن الداخل [(٤)] فهي مجرّد صراع بين أخوين من الاسرة الحاكمة ، لا يعود على أهل طليطلة بكبير فائدة يرجونها ، فان انتصر سليمان أو خسر، فما هي الفائدة التي سيجنيها مسلمو طليطلة ، الذين ينحدرون من أصل ايبيرى من وراء ذلك النصر ؟ ربّما يعود ذلك النصر عليهم بالسوء، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان ميول سليمان بن عبد الرحمن الداخل كانت مع أهل الشام [(٥)] ، أيّ انه من المتوقّع في حالة نجاحه في ثورته ان تزداد في عهده سيطرة العناصر الاسلامية الغالبة أكثر من زيادتها في عهد اخيه هشام.

<u>هجرة بعض ثوّار قرطبة الى طليطلة</u> : ورد عند ابن سماك ان مجموعات من الذين فرّوا من قرطبة بعد ثورة الربض من وجه قوات الأمير الحكم، قد اتّجهوا الى طليطلة بسبب معارضة الطليطليّين للحكم فاستقرّ الفارّون فيها ، الى العام الذى اوقع فيه الأمير

---

(١) حيث ان جميع الثورات التي سبقت الثورات في عهد الحكم في طليطلة قد فشلت : انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ١٩٨-٢٠٣ ، ٢١١-٢١٩ ، ٢٢٢-٢٢٣ .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ١٩٣-٢٠١ ، ٢٠٤-٢١١ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٠٢-٢٠٤ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢١٧-٢٢٣ .

(٥) انظر ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٦١ .

الحكم بأهل طليطلة وبهم سوّية (١) ، الا ان السؤال الذي يجب طرحه في هذا المقام ومحاولة الاجابة عليه هو : متى حدثت وقعة الربض ؟

اختلفت المصادر حول العام الذى وقعت فيه ثورة الربض بقرطبة ، والتي اضطرّ بسببها الثوار الى الفرار والرحيل الى مناطق داخل الاندلس وخارجها ، فبعض المصادر ذكرت ان العام الذى وقعت فيه ثورة الربض العامّة كان عام ١٩٨هـ (٢) ، في حين ان مصادر أخرى قالت ان وقعة الربض كانت عام ٢٠٢هـ (٣) ، وهناك قول آخر لابن خلدون حيث ذكر ان العام الذى وقعت فيه ثورة الربض كان عام ١٩٠هـ (٤) ، ويغلب على ظنّي ان نزوح وتهجير أهل الربض من قرطبة كان عام ١٩٨هـ ، بسبب الاشارة التى ذكرها ابن سمّاك والتي تقول ان الأمير الحكم أوقع بالربضيين النازحين من قرطبة الى طليطلة وبالمعارضة الطليطلية وأن آخر مقام الربضيّين في طليطلة كان الى العام الذى أوقع فيه الحكم بهم وبالمعارضة في طليطلة معا (٥) .

ومن المعروف ان آخر معارضة قامت في طليطلة في عهد الأمير الحكم كانت عام ١٩٩هـ (٦) ، وقد سبق وان بينت ان الحكم قام بتهجير ونفي اعداد كبيرة من أهل طليطلة بعد موقعة عام ١٩٩هـ (٧) ، لكلّ ما سبق وللاشارة التي وردت عند ابن سعيد والتي جاء ذكره لها بعد أحداث عام ١٩٩هـ في طليطلة بقوله : ان جمهورا من الذين التجأوا الى طليطلة من أهل الربض ، رحلوا من طليطلة الى الاسكندرية في مصر (٨) ، وهذا يشير بشكل

---

(١) ابن سمّاك العاملي ، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة ، دراسة وتقديم وتحقيق: د. محمود علي مكي ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ١١٥.

(٢) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ١٩٨ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٠.

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٧٥ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥.

(٤) ابن خلدون ، م ٤ ، ص ٢٧٤.

(٥) ابن سمّاك ، ص ١١٥.

(٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٤٢-٢٤٥.

(٧) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٨) ابن سعيد ، ج١ ، دار المعارف ، ص ٤١.

ضمني الى ان رحيلهم كان بعد ايقاع الحكم بالمعارضة في طليطلة عام ١٩٩هـ، ونظرا لاستيلاء الحكم على طليطلة والقضاء على المعارضة فيها اضطرّ الربضيون المهاجرون الى طليطلة الى الاتجاه شرقا الى الاسكندرية حيث استقرّوا فيها.

فلكل ما سبق استطيع القول ان اللاجئين الى طليطلة من جرّاء ثورة الربض في قرطبة قد لجأوا اليها في عام ١٩٨هـ، كما اعتقد، وليس في عام ٢٠٢هـ كما ذكرت بعض المصادر (١)، لأنّ طليطلة في ذلك الوقت لم تكن فيها معارضة، لأنني لم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها اشارات الى المعارضة في طليطلة بعد عام ١٩٩هـ، وكذلك الحال بالنسبة لقول ابن خلدون فانني استبعد ان تكون ثورة الربض العامة قد حدثت عام ١٩٠هـ كما ذكر (٢)، لأنّ هناك اشارات في عدد من المصادر اشارت جميعها الى وقوع بدايات تمرّد ومؤامرات أهل الربض في عام ١٨٧هـ (٣)، أو عام ١٨٩هـ (٤)، وان ذلك تكرّر عام ١٩١هـ (٥)، فلذلك أرى أنّ السبب الذى جعل ابن خلدون يذكر ثورة الربض الشهيرة في عام ١٩٠هـ، اختلاط أمر تحركات أهل الربض في قرطبة عليه، حيث انه ظنّ ان عملية اعدام الاثنين والسبعين رجلا من أهل الربض في قرطبة عام ١٨٧هـ (٦)، أو عام ١٨٩هـ (٧)، او تحرّكهم وهو قائم على حصار الثّوار في ماردة عام ١٩١هـ ومن ثمّ رجوع

---

(١) ابن عذارى، ج٢، ص٧٥؛ ابن الخطيب، اعمال، ص١٥.

(٢) ابن خلدون، م:٤، ص٢٧٤.

(٣) انظر ابن الأثير، ج٦، ص١٨٨-١٨٩؛ وانظر النويّرى، ج٢٣، ص٣٦٤-٣٦٥.

(٤) ابن عذارى، ج٢، ص٧١.

(٥) وقد ذكر ابن الأثير أنّ الحكم وفي خلال محاصرته لماردة عام ١٩١هـ أتاه الخبر من قرطبة، بان هناك بداية عصيان في قرطبة فعاد اليها بسرعة وقضى على ذلك التمرّد وهو في بدايته: انظر ابن الأثير، ج٦، ص٢٠١؛ وانظر النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٦) انظر ابن الأثير، ج٦، ص١٨٨-١٨٩؛ انظر النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٧) ابن عذارى، ج٢، ص٧١.

الأمير الحكم الى قرطبة واقدامه على اعدام عدد من المتمردين (١)، قد جعله يتصور ان ثورة الربض العامة كانت قد حدثت عام ١٩٠ هـ، والتي اسفرت عن ترحيل وهجرة اعداد كبيرة من سكان قرطبة المعارضين الى مناطق في داخل الاندلس أو في خارجها (٢).

واخيرا يمكنني القول انه ونتيجة لفرار بعض أهل الربض من قرطبة الى طليطلة، فانّ ذلك قد ساعد على قيام المعارضة في طليطلة واشتدادها، الأمر الذى دفع بالامير الحكم الى القيام بتهجير اعداد من أهالي طليطلة بعد أنّ تمكنّ من المدينة، وقد بقيت طليطلة هادئة بقية فترة حياة الأمير الحكم.

المعارضة الطليطلية في عهدالأمير عبدالرحمن بن الحكم:

استمرت طليطلة على طاعتها للحكومة في السنوات الأولى من حكم الأميرعبدالرحمن، الى أن حلّت سنة ٢١٤هـ، حيث تمكنّ هاشم الضرّاب (٣) ـ وهو أحد الذين أُخرجوا من طليطلة بعد أن قام الأمير الحكم بتهجير ونفي أعداد من زعماء المعارضة في طليطلة عام ١٩٩هـ (٤) ـ، من العودة الى طليطلة من منفاه في قرطبة، في عام ٢١٤هـ (٥)، وورد عند

---

(١) ابن الأثير، ج٦، ص ٢٠١ ؛النويّري، ج٢٣، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٤. فقد ذكر أنّ اعدادا من الربضيّين قد هاجروا الى مدينة فاس، وبعضهم الآخر لحق بالاسكندرية.

(٣) سميّ هاشم بالضرّاب لأنه اشتغل في الحرف مع الحدادين في قرطبة بعد أن أَخرج الحكم أهل طليطلة الى السهل. انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٨٣.

(٤) أنظر ابن عذارى، ج٢، ص ٨٣؛ وانظر ابن الأثير، ج٦، ص ٤١٦؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٧٩ فقد ذكرا أن هاشما الضرّاب خرج من طليطلة عندما أوقع الحكم باهل طليطلة، علما بانهما لم يذكرا أحداث عام ١٩٩هـ بالنسبة لما حدث للمعارضة في طليطلة، وانما يشيران الى احداث عام ١٩١هـ عام الحفرة، وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٩ فقد ذكر رأيا مخالفا لِما سبق حيث جعل هاشم الضرّاب من أهل وقعة الربض.

(٥) ابن الأثير، ج ٦، ص ٤١٦؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٨٣؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٧٩.

ابن خلدون ان ذلك كان عام ٢١٥هـ ، حيث التف حوله أهل الشرّ والفساد كما تصفهم المصادر[1] ، والذين يغلب على الظنّ انهم كانوا من الذين هُجّروا من طليطلة[2] ، ومن الذين كانوا يعارضون سياسة الحكومة الأموية تجاه طليطلة ، والملاحظ على أخبار المصادر التي تذكرها في هذا المجال أنّها تتحدث من وجهة نظر الدولة وليس من موقف محايد أو من وجهة نظر المعارضة .

وعلى اثر اجتماع تلك المجموعات لهاشم الضرّاب ـ قائد المعارضة الطليطلية في تلك الفترة قام بشنّ عدة غارات على العرب والبربر[3] ، وقد بيّن ابن الأثير ان الضرّاب قام بالاغارة على وادى نحويبة حيث وجه هجماته على البربر[4] ، والأمر الذى له دلالته هو مهاجمة قوات الضرّاب للعرب وللبربر ومن المعروف انهما العنصران اللذان قدما الى الاندلس واستقرّا فيها بالاضافة الى بقية السكان السابقين[5] .

ونظرا لما حققه قائد الثورة في طليطلة من انتصارات ، وانتشار أخبارها تجمعّت له أعداد ضخمة من (أهل الشّر) الأمر الذى ساعد على تقوية حركة الثورة بقيادة هاشم الضرّاب وتغذيتها بعناصر جديدة ، ممّا جعل ذكره ينتشر في البلاد[6] ، واعتقد ان

---

(١) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٩ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ .

(٤) انظر ابن الأثير ، ج٦ ص٤١٦ ؛ وانظر النويّرى ، ج٢٣ ص ٣٧٩ ، فقد ذكر ما ذكره ابن الأثير الاّ ان اسم الوادى جاء عنده وادى جونيه .

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص١٨ ، ١٩ ، ثم انظر ف ٣ ، ص١٩١-١٩٢ ، ١٩٥-١٩٦ ، وانظر الى كل من المصادر التالية فانها ذكرت ان القوات الفاتحة كانت من عنصرى العرب والبربر مضافا اليهما الموالي ، ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٤٦-٤٧ ؛ انظر ابن الأثير ، ج ٤ ، ص ٥٦١ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩ ؛ المقّرى ، نفح ، ج٤ ، ص ٢٣١ ، ٢٥٤ ؛ وانظر اخبار مجموعة ، ص ٦ ، ٣٨-٣٩ .

(٦) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٩ .

الذين اجتمعوا له كانوا من المهجّرين من طليطلة ، وممّن تتحرّك في نفوسهم مشاعر الثورة والكراهية لسياسة بني أميّة والحكومة في قرطبة .

بعد ذلك قامت المعارضة الطليطلية بقيادة الضرّاب بشنّ عدة هجمات على بربر شنت برية وقد تمكنّت المعارضة الطليطلية بقيادته من احراز انتصارات عليهم (١) ، هذا الوضع الذى أضحت عليه المعارضة في طليطلة اضطرّ الأمير عبد الرحمن بن الحكم الى ارسال أحد قادته المدعو محمد بن رستم لمناجزة المعارضة الطليطلية فدارت حرب بين الجانبين في عام ٢١٤هـ (٢) ، ولكنّ قوات الحكومة لم تحقق مكاسب على الثورة الطليطلية ، ويتبين ذلك من خلال سكوت بعض المصادر عن نتيجة المواجهة (٣) ، وذكر البعض الآخر منها ان الجانبين لم يتمكنّا من تحقيق نصر واضح (٤) ، اذ ان الثورة ظلت مشتعلة ومنتصرة الى عام ٢١٦هـ حيث دلّت المعلومات التي اوردتها بعض المصادر على أنّ محمد بن رستم كان قد عُيّن عاملا على المنطقة الوسطى من الاندلس المواجهة للقوات النصرانية في الجزء الشمالي من ايبيريا ، وقد قام نائب الحكومة المعيّن بمحاربة هاشم الضرّاب (٥) ، الذى كان قد استولى على عدّة مواضع من المناطق المجاورة لطليطلة (٦) .

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ وانظر ابن الأثير، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ النويّرى، ج٢٣ ، ص ٣٧٩ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢) انظر ابن عذارى، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ وانظر ابن الأثير، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ النويّرى، ج ٢٣ ، ص ٣٧٩ ؛ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٧٩ : فقد ذكروا ان الأمير عبد الرحمن بعث جيشا لمحاربة الثورة الطليطلية ، الاّ ان قوات الحكومة لم تظفر بالنصر على قوات المعارضة الطليطلية .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ .

(٤) ابن الأثير، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ النويّرى، ج٢٣ ، ص ٣٧٩ ؛ ابن خلدون، م:٤ ، ص ٢٧٩ .

(٥) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ .

(٦) ابن الأثير، ج٦ ، ص ٤١٦ وذكر انه تجاوز بركة العجوز؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٧٩ .

وأرسلت الحكومة قوات كبيرة عام ٢١٦هـ لمناجزة قوات الثّوار لوضع حد لتقدمهم وانتشار المعارضة الطليطلية ، فدارت المعركة شديدة لعدة أيّام بين الجانبين بالقرب من حصن سُمُسْطا بمجاورة روربة (١) ، وقد ورد عند ابن خلدون ان اسم المكان الذي دارت فيه الموقعة هو دروقة (٢) ، وأخيرا دارت الدائرة على قوات طليطلة ، وقد قُتل قائد الثورة هاشم الضرّاب مع اعداد كبيرة من قواته (٣) .

لم تتوقف المعارضة في طليطلة بعد مقتل القائد هاشم ، حيث استمرّت المعارضة والثورة فيها ، لأن قوات الحكومة لم تدخل طليطلة في عام ٢١٦هـ ، وبقيت المعارضة فيها مستمرّة بعد هذا التاريخ ، وكانت الحكومة قد شُغلت بمعالجة بعض القضايا الأخرى مثل محاربة الثورة في ماردة ، وحصارها عام ٢١٧هـ (٤) ، حتّى جاء عام ٢١٩هـ ، حيث وجّهت الحكومة قوات لمحاربة الثورة الطليطلية بقيادة أمّية بن الحكم ، ولكنّه لم يتمكن من تحقيق انتصار حاسم عليها حيث كان قد قام بمحاصرتها ، وعندما فشل في افتتاحها قام باتلاف زروع وثمار أهل طليطلة ، كتدبير أمني اقتصادى للحدّ من قوّة المعارضة واستمرارها في الصمود والتصدّى للحكومة (٥) .

وقد ترك قسماً من قواته في قلعة رباح بقيادة ميسرة الفتى، لتقوم تلك القوات بمباشرة العمل بالتضييق على طليطلة ومحاصرتها ولكنّ المعارضة الطليطلية قررّت التقدم باتجاه قلعة رباح لمهاجمتها باعداد كبيرة ، الا ان وصول خبر تحرّكهم

---

(١) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤١٦ . ولم اعثر على توضيح في المصادر حول موقع سمسطا وروربة .

(٢) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ . ودُروقة : مدينة بالاندلس من المناطق التابعة لقلعة أيوب تبعد عنها ثمانية عشر ميلا : انظر الحميرى ، ص ٨٦ .

(٣) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٧٩ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ .

(٤) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ .

(٥) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٤٤ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٤ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٧٩-٣٨٠ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ وقد خالف المصادر السابقة بذكره أن أمية قائد الحملة كان ابنا للأمير عبد الرحمن بن الحكم وليس أخوه .

الى قلعة رباح قد أفسد عليهم خطتهم ، حيث لم تُغن عنهم كثرتهم شيئا ، اذ ان قائد قلعة رباح المُخلّفِ عليها حشد الجموع التي استطاع تحشيدها ، وقام بوضع كمائن في الطرق المتوقع ان تسلكها قوات المعارضة الطليطلية ، فما ان اقتربت قوات المعارضة بعد ان وزعوا مهمّات المهاجمة على بعضهم البعض حتّى خرجت عليهم الكمائن وعملت أعمالها فيهم من القتل، فكانت الهزيمة للقوات الطليطلية ولقد كانت نسبة القتلى منهم عالية جدا ، ولهول الحادثة لم يتمالك قائد قوات الحكومة نفسه ، حيث توفي بعد أيّام من تاريخ وقوعها جزعا على مقتل تلك الاعداد (١) ؟ وذلك إن صحّ ان موته كان فعلا بسبب جزعه على أعداد القتلى من المعارضة الطليطلية .

وقد حدثت عام ٢١٩هـ في طليطلة فتنة سُميّت بملحمة العرّاس ايضا (٢) ، والتي من المؤكد انّها وقعت بسبب الخلافات والمنافسات الطليطلية الداخلية ، حيث أودت بالكثير من الطليطليين، الّا ان الذين سقطوا هذه المرّة قد سقطوا بايد طليطلية .

شهد عام ٢٢٠ هـ مواجهة بين القوات الحكومية وبين المعارضة الطليطلية ، فقد ذكر ابن عذارى ان الأمير عبد الرحمن اتجه الى طليطلة وعندما وصل الى قلعة رباح استعمل عليها أبا الشمّاخ ، وترك عنده قوات كبيرة من الفرسان لمناجزة طليطلة ، في حين ان الأمير سار الى الاقاليم الغربية من الاندلس (٣) .

ولم تحقق تلك القوات ـ التي وضعت في قلعة رباح ـ النصر على المعارضة في طليطلة ، حيث جاء في مصادر أخرى ان الأمير عبد الرحمن بعث قوات من جيشه لمحاربة الثوّار في طليطلة ، ودار بين الجانبين قتال، ولكنّ قوات الحكومة لم تظفر بشيء من

---

(١) انظر ابن الأثير، جـ٦، ص ٤٤٤؛ ابن عذارى، جـ٢، ص ٨٤؛ النويّرى، جـ ٢٣، ص ٣٨٠؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٧٩ فقد جاء عنده معلومات فيها شيء من الاختلاف عمّا ذكرته المصادر السابقة ، من ذلك ان قلعة رباح أتخذت مكانا للقوات الحكومية للاغارة على طليطلة المرّة تلو الأخرى لتشديد الحصار عليها وان تلك القوات أُرسلت من قِبل الأمير عبد الرحمن.

(٢) ابن الأثير، جـ٦، ص ٤٤٤.

(٣) ابن عذارى ، جـ٢، ص ٨٤.

المعارضة الطليطلية عام ٢٢٠هـ (١) ، ومن الواضح ان المواجهة كانت قد تمّت عن طريق شن الغارات والهجمات على طليطلة وعلى مصالحها الاقتصادية لإضعاف الرغبة عند غالبية أهل طليطلة في استمرار المواجهة لتمهيد الطريق امام الحكومة في سنوات لاحقه للقيام بحسم المواجهة لصالحها بعد ان يكون الجُهدُ قدأخذ مأخذه من الطليطليين العوّام ، وبذلك تكون الفرصة قد هُيئت للقضاء على حركة المعارضة بعد ان يكون قد تخلّى عنها معظم أنصارها من أهل طليطلة .

ولقد آتت سياسة الأمير عبد الرحمن تجاه المعارضة الطليطلية أكلها حيث ورد في بعض المصادر أنّ جماعة من أهل طليطلة خرجوا عام ٢٢١هـ الى قلعة رباح - التي كانت مركزا متقدما للقوات الحكومية لمواجهة القوات الثائرة في طليطلة - وبيّنوا للقادة الحكوميّين الموجودين في قلعة رباح الكيفية التي يُمكن للحكومة أن تتبعها للدخول الى طليطلة والقضاء على المعارضة فيها (٢) ، وقد ذكر ابن عذارى ان الذى قام بذلك الفعل هو ابن مُهاجر الذى كان قد خرج من طليطلة والتحق بالقوات الحكومية في قلعة رباح في عام ٢٢١هـ (٣) ، ومن المؤكد أنّه كان من قادة المعارضة في طليطلة ، ويعرف مكامن القوة والضعف فيها .

توجهت القوات الحكومية الى طليطلة مع الذين خرجوا منها الى مداخل المدينة ، وقاموا بفرض حصار شديد على طليطلة ، حيث كُشفت هذه المرّة نقاط الضعف في طليطلة أمام القوات الحكومية ، فاستغلتها تلك القوات أحسن استغلال اذ فعلت ما أشار عليها ابن مهاجر أن تفعله من قطع باقي المرافق التي تغذّي المعارضة الطليطلية ، ولقد كان للاجراءات التي نفذّت ضد طليطلة خلال عملية الحصار الأثر البالغ والمُهم في إنهاء حركة المعارضة فيما بعد (٤) .

---

(١) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٥٤ ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٨٠ .

(٢) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٤) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٥ ؛النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ .

واستمرّ الحصار متواصلا الى عام ٢٢٢هـ[1] ، حيث قام الأمير عبد الرحمن بتعزيز القوات المُحاصِرة بقوات جديدة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم ، فبلغ الجَهد والاعياء من أهل طليطلة مبلغا عظيما ، حيث طالت عليهم مدّة الحصار ، ممّا جعلهم يُصبحون في موقف ضعف اذ لم يعد بمقدورهم الصبر على استمرار الحصار والمواجهة ، الأمر الذى أدّى في النهاية الى تمكّن القوات الحكومية من دخول المدينة بالقوة في الثامن من رجب من عام ٢٢٢هـ[2] ، حيث قام قائد قوات الحكومة بتجديد القصر الذى بُني في عهد الأمير الحكم على يدى قائد الحكم آنذاك عمروس بن يوسف[3] ، وظلّ الوليد بن الحكم في طليطلة يدبّر أُمورها حتى شهر شعبان من عام ٢٢٣هـ وقد نتج عن تلك التدابير استقرار أوضاع طليطلة وركون أهلها الى الهدوء[4] ، لفترة من الزمن.

ومن الملاحظ على الثورة الطليطلة التي حدثت في زمن الأمير عبد الرحمن بن الحكم انها كانت ثورة سكان طليطلة الذين ينحدرون من أصول ايبيرية ، من الذين اعتنقوا الاسلام ، حيث انهم كانوا يحاربون المسلمين المنحدرين من اصول عربية وبربرية[5] ، ويلاحظ على طليطلة انّها كانت تتزعم الثورات نظرا لكثرة مولّديها وقلة

---

(١) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ .

(٢) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛انظر النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٥ حيث ذكر ان الذى بعثه الأمير هو عبد الواحد الاسكندراني فى حين أنّه أورد قولا آخر بان الذى بُعث هو الوليد بن الحكم ولكنّه قال بانه "قيل" أى انه مع الرأى الأوّل ، وكما انه ذكر ان دخول القوات الحكومية كان في شهر رجب ، وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٠ فقد ذكر ان الأمير عبد الرحمن بعث اخاه الوليد على راس قوات في عام ٢٢٢هـ الى طليطلة لحصارها ، فافتتحها بالقوة وهدأ الناس فيها ، وظلّ فيها الى آخر سنة ٢٢٣هـ.

(٣) ابن الاثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٥ ؛النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ .

(٤) انظر ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤٧٥ ؛ انظر النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٠ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٠ .

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٣٥- ٢٣٦ ، ٢٥٠ .

العناصر العربية والبربرية فيها [١] ، على عكس قلعة رباح التي يلاحظ عليها أنها كانت تقف الى جانب الحكومة في تصدّيها وقمعها للثورات الطليطلية [٢] ، وأرى ان ذلك كان بسبب وجود أعداد كبيرة فيها وفي أقاليمها من العناصر العربية [٣] ، ومن الملاحظات التي يتبيّنها الدارس لتاريخ هذه المدينة في هذه الفترة وقوف العنصر العربي والبربرى في منطقة طليطلة في وجه ثورات المولّدين فيها الى جانب القوات الحكومية [٤] ، ومن الملاحظات التي تسجل في هذا المقام ايضا ان طليطلة أصبحت مركزا وتجمعا لكل من تسوّل له نفسه القيام بالثورة ومحاربة الحكومة ، اذ أنّ اعدادا كبيرة قدمت اليها عندما ظهر فيها هاشم الضرّاب [٥] .

من خلال الاستعراض السابق بالنسبة لثورة هاشم الضرّاب ، يلاحظ انّها استمرّت لمدّة ثلاثة أعوام حتّى مقتله في عام ٢١٦هـ [٦] ، الاّ ان المعارضة الطليطلية استمرّت حيث ظلّت الثورات متلاحقة في طليطلة حتّى ان الحكومة لم تتمكن من دخولها حتّى عام ٢٢٢هـ [٧] .
وبهذا يتضّح ان المعارضة في طليطلة بقيت مسيطرة على الاوضاع فيها ما يقارب تسعة اعوام [٨] .

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٩١-١٩٢ ، ١٩٥ - ١٩٦ ، ف ٤ ، ٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٥٦-٢٥٨ . (٣) انظر ف ٣ ، ص ١٦٤ ، ١٩٥ .
(٤) انظر ف ٤ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٨ ، وانظر ف ٣ من هذه الدراسة بخصوص سكان شنت برية ووادى نحويه وقلعة رباح ، حيث ان سكان شنت برية ووادى نحويه يغلب فيها وجود العناصر البربرية ، في حين ان العنصر العربي كان له وجوده البارز في منطقة قلعة رباح ، انظر ف ٣ ، ص ١٣٤ ، ١٦٧- ١٦٨ ، ١٩٥ .
(٥) ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٧٩ .
(٦) انظر الى كلّ من المصادر التالية بالنسبة لسنة مقتل الضرّاب والسنة التي أعلن فيها الثورة : ابن الأثير ، ج٦ ، ص ٤١٦ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٨٣ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٧٩ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٧٩ . ومن خلال ذلك يتبين ان ثورة الضرّاب استمرّت لمدّة ثلاث سنوات .
(٧) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٩ .
(٨) وذلك يتضح من خلال النظر الى تاريخ اعلان ثورة الضرّاب عام ٢١٤ وتاريخ استيلاء الحكومة على طليطلة عام ٢٢٢هـ .

المعارضة في طليطلة ابّان عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ

توفي الأمير عبد الرحمن بن الحكم عام ٢٣٨هـ ، وخلفه في الحُكم ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن (١) ، الّا ان ابن الخطيب خالف القول السابق بذكره ان وفاة الأمير عبد الرحمن وتولّي ولده محمد الحُكم من بعده كان في عام ٢٣٣هـ (٢) ، لم يكد الأمير محمد ابن عبد الرحمن ان يعتلي سدة الحكم حتّى ثار عليه أهل طليطلة ، وتمثّلت ثورتهم بقيامهم بحبس عامل الأمير على طليطلة ، واشتراطهم لحلّ وثاقه اطلاق رهائنهم من قرطبة ، فكان لهم ما أرادوا فافرجوا عن عامل الحكومة (٣) ، وبهذا يكون أهل طليطلة قد أعلنوا الثورة والتمرد على سلطان الحكومة المركزية بقرطبة مع بداية حُكم الأمير محمد عام ٢٣٨هـ ، وبعملهم هذا يكونون قد ضمنوا الافراج عن رفاقهم المرهونين في قرطبة والذين كانوا قد أُخذوا لتقييد حركة أهل طليطلة عن القيام بأيّ عمل عدائي ضد الحكومة الأندلسية في قرطبة ، وباطلاق سراح الرهائن تكون أيدي أهل طليطلة قد أُطلقت لتفعل ما تشاء ضد الحكومة .

وقد اتخذت المعارضة الطليطلة خطوات ايجابية على طريق المعارضة ضد الحكومة ، ويستشف ذلك من خلال هروب أناسٍ من أهالي قلعة رباح خوفا من بطش المعارضة الطليطلية ، الأمر الذى دفع الحكومة الى ارسال قوات بقيادة الحكم بن عبد الرحمن الى طليطلة لمحاربتها في صيف عام ٢٣٩هـ ، فتمركزت تلك القوات بقلعة رباح ـ بعد أن كانت قد أقفرت من سكانها بسبب خشية أهلها من ثوّار طليطلة ـ ، وقد أعادت القوات الحكومية

---

(١) ابن عبد ربه ، ج ٥ ، ص ٢١٨ ؛ ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧٠ ؛ المرّاكشي ، المعجب ، ص ٢٣٨ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ وذكر انّ ذلك كان في شهر ربيع الآخر ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص٣٨٦ . وقد بيّن ان ذلك كان في شهر ربيع الأوّل وضعّف قول من قال ان ذلك كان في شهر ربيع الآخر ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٣ (في ربيع الآخر) ؛ المقّرى ، نفح ، ج ١ ، ص ٣٤٧ (في ربيع الآخر) .

(٢) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢١ .

(٣) انظر ابن حيّان ، في مخطوط القرويين ، لوحة ٢٥٩أ ؛ كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ وقد ذكرأن اسم العامل : حارث بن بزيع ؛ انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ .

بناء سور القلعة الأمر الذى مكّن القوات الحكومية من اعادة من فرّ من أهل المدينة اليها (١) ، ثم تقدم الجيش بعد ذلك الى نواحي طليطلة فانزل فيها الخراب (٢)، وفي السنة نفسها في شهر شوّال منها بعث الأمير محمد الى شندلة (٣) ، قاسم بن العبّاس وتمّام بن أبي العطّاف صاحب الخيل على رأس قوات أخرى، فلما وصلا أندوجر (٤) (Andujar) خرجت

(١) انظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ، ٢٥٩ب: كما نقله عنان، في كتابه دولة ، ق :١، ص ٢٨٨. وكما ورد في مخطوط القرويين أن مجموعات من أهل مدينة جيّان هم الاخرين غادروا مدينتهم وتحصنوا بالجبال خوفا من الثوّار الطليطليين، ولهذا السبب أقام الأمير محمد حصنا على مقربة من جيّان سمّي بـ (أندة العرب) وحشد فيه العرب المقيمين على الطاعة :انظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ٢٥٩ب كما نقله عنان، في كتابه دولة ، ق:١، ص ٢٨٨ ؛انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٤؛ وانظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧١؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير، ج ٧، ص ٧١؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٣.

(٣) شُنْدُلة : حصن يقع على فرع من أفرع الوادى الكبير يسمى نهير(Jandula)على مقربة من مدينة جيّان، انظر ابن حيّان، مخطوط القرويين، لوحة ٢٥٩ب: كما نقله عنان، في كتابه دولة ، العصر الأول – ق:١، ص ٢٨٨.

(٤) أندوجر، فحص يقع الى الجنوب من منطقة شندلة القريب من مدينة جيّان.انظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ٢٥٩ ب كما نقله عنان، في كتابه دولة ، العصر الأوّل –ق:١، ص ٢٨٨. أمّا المكناسي فقد وصفها بانّها مدينة صغيرة أُسست في بسيط من الارض على جانب الوادى الكبير المارّ بقرطبة واشبيلية ، ولكنه سمّاها اندوخر Andujar انظر المكناسي ، ص ٦٨، ١٩٨. أمّا محقق الكتاب محمد الفاسي فقد كتبها اندوخر وبيّن ان هذا هو إسمها الصحيح. واندوخر تقع الى الشمال من جيان ، وفي الشرق الشمالي لقرطبة ، هذا على حسب اوصاف المكناسي انظر الخريطة التي اعدّها المحقق : محمد الفاسي، ص ٢٥٠. وامّا ابن صاحب الصلاة فقد جعلها تقع في الوسط ما بين قلعة رباح وقرطبة : انظر ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك ، تاريخ المنّ بالامامة على المستضعفين، استخرجه من مخطوط اكسفورد عبد الهادى التازى، ط ١، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، خريطة المغرب وافريقية والاندلس في العصور الوسطى ، ص ٦٣٠. وكما يفهم مما ذكره الحميرى ان اندوجر تقع بالقرب من العقاب : انظر الحميرى، ص ١٠٩؛ انظر مؤنس ، رحلة الاندلس ، ط ٢، ص ٣٤٨ فقد وضعها على الوادى الكبير الى الشرق من قرطبة ، في الشمال الغربي لمدينة جيان ؛ وانظر الحجي ، مع الاندلس لقاء ودعاء، ص ٩ وقد بيّن انّها تقع الى الجنوب من قلعة رباح.

عليهم كمائن أهل طليطلة ، ودارت الحرب بين الجانبين ، فكانت الهزيمة من نصيب القوات الحكومية ، حيث فرّ القائدان بعد أن أصيب معسكرهما .(١)

وبهذا يلاحظ ان القوات الطليطلية الثائرة قد أضحت على درجة عالية من القوة والتنظيم حيث انّها استطاعت معرفة تحركات القوات الحكومية ، ووضعت لها الكمائن ، وانزلت بها هزيمة فادحة في منطقة اندوجر (اندوخر) التي هي أقرب الى قرطبة منها الى طليطلة ، ويدل ذلك على قوة الثورة في طليطلة وقوة تنظيمها من جهة ، وعلى ضعف الحكومة من جهة أخرى.

نتيجة لهذا الوضع اضطر الأمير محمد الى أن يتوجه بنفسه هذه المرّة على رأس القوات الحكومية ،(٢) فقام في شهر محرّم من عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م بالخروج الى طليطلة ، ولم يكن ثوّار طليطلة يغطّون في سبات عميق ، اذ انهم علموا بتوجه الأمير محمد اليهم لمحاربتهم ، فاتخذوا قرارا خطيرا تمثّل بالاستفادة من القوات المسيحية الموجودة في الاجزاء الشمالية من ايبيريا التي كانت في حالة حرب مع الاندلس الاسلامية .(٣)

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٤ ؛ وانظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ، ٢٥٩ ب كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٨٨ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٧١.

(٢) ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧٤؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤.

(٣) بدأت بداية تكوّن القوات النصرانية في الاجزاء الشمالية من شبه الجزيرة الايبيرية خلال النصف الاول من القرن الثامن الميلادى ، وكانت بداياتها كخلايا وتجمعات للعصاة تغير وتنسحب الى قمم الجبال واشهر مكان عرف كنقطة البداية لتلك المجموعات صخرة كابدونغا ''كهف اونجا'' Cavedonga (صخرة بلايو) ، ومن ثمّ أخذت تتزايد على مرّ السنين ، بسبب انشغال المسلمين بالفتوحات في غاله (فرنسا) ، ومن ثمّ انشغالهم بالتطورات الداخلية التي أخذت بالظهور وخاصة ثورة البربر في المغرب وامتداد الثورة الى الاندلس في العقد الثالث من القرن الثاني الهجرى ، وما تبع ذلك من انسحاب لقوات المسلمين من الاجزاء الشمالية الى مناطق في الداخل ، وكذلك ما تبع ذلك من تنازع وتنافس بين الولاة ، وكذلك الصراع الذى نشب بين سكان الاندلس من المسلمين الفاتحين ، والقوات الشامية (طالعة بلج) ، وكذلك احتدام الصراع بين العصبيات اليمانية والمضريّة في الاندلس ، واضافة الى كلّ ما سبق فهناك دخول عبدالرحمن الداخل الى الاندلس وقيامه بانشاء دويلته ، التي انفصلت عن جسم الدولة

فأرسلوا الى ملك جليقية أُردُن[(١)] بن اذفونس، (اردونيو)، يستمدونه العون ضدّ القوات

تابع هامش رقم (٣) صفحه

الاسلامية الأم في المشرق بعد سقوط الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية كوريثة لها عام ١٣٢هـ. ويُضاف الى ذلك ايضا الصراع على العرش في اسرة عبد الرحمن الداخل بعد وفاة الأمير بين أولاد المُتوفىّ واخوانه وأعمامه، مضافا الى الثورات الداخلية الأخرى، وكذلك المجاعات التي حدثت في العقد الرابع من القرن الثاني الهجرى في الاندلس، حيث خرج الاندلسيون الى مناطق طنجة وأصيلا في ريف المغرب ليحصل قسما منهم على الطعام، وقسما ليعيش هناك. لكل هذه الاسباب مجتمعة تدعمت قوة ونفوذ المجموعات النصرانية في الاجزاء الشمالية من ايبيريا، وكونّت دويلات في مناطقها وأخذت تتوسع على حساب الدولة الاموية في الاندلس مستغلة حالات الضعف والتناحر والفوضى التي كانت تدب في اوساطها من حين لآخر. وقد ساعد تلك الدويلات على الثّبات والتوسع روح الاندفاع وحبّ القتال عند المسيحيين سواء في الاجزاء الشمالية من ايبيريا أو من بلاد فرنسا أو من المتطوعين الآخرين من البلدان الاوروبية.* في حين ان ذلك الوضع كان معكوسا في الجانب الاسلامي الاندلسي حيث كان انفصال الاندلس عن جسم الدولة الام في المشرق سياسيا وعسكريا واقتصاديا وسكانيا، إذ لم يعد الاندلس يعتمد على ظهير مساند له، بل أصبح على مسلمي الاندلس ان يواجهوا الاخطار بمفردهم دون الاعتماد على أىّ دعم من دولة معظم المسلمين.* انظر الى كلّ من المصادر والمراجع التالية : أخبار مجموعة، ص ٢٨-٣١، ٣٨-٤٤، ٤٦، ٥٦-٥٨، ٦١-٦٢؛ انظر ابن الخطيب، أعمال، ص ٣٢٢-٣٣٠؛ انظر ابن خلدون، م: ٤، ص ٢٦٥، ٣٨٥-٣٨٧؛ انظر د. مؤنس فجر، ص ٢٣٥، ص ٣٤٢-٣٤٥؛ انظر فروخ، العرب، ص ١٠٨-١١١، ١٣٠-١٣٢، ١٣٩، ١٥١-١٥٤، وما بعدها؛ انظر عنان، دولة، ق:١، ص ١١٢-١١٨، ١١٩-١٢٦؛ انظر د. الحجيّ، التاريخ، ص ٢٦٩، ٢٧٦؛ انظر بشتاوى، عادل، الاندلسيون المواركة، ص ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩؛ وانظر د. بيضون، الدولة، ص ٢٩٨. فقد ذكر ان جليّقية كانت النواة الأولى للدولة المسيحية في شمال شبه الجزيرة الايبيرية التي اصحت تعرف فيما بعد بمملكة ليون او استورقة، ثم اتسعت وضمّت مملكة قشتالة (Castellas) التي حوت بداخلها المنطقة التي كانت تُعرف بالقلاع، ثم قامت مملكة نصرانية اخرى هي نافار (نبّره) (Navrra) في المناطق الشمالية.

(١) هو اردون الاول حكم من سنة ٢٣٦ - ٢٥٢ هـ/ ٨٥٠ - ٨٦٦م : انظر د. الحجيّ، التاريخ، ص ٢٧٢.

الحكومية في قرطبة بعد أن أخبروه بتوجه رجل الاندلس الأوّل على رأس القوات القرطبية لمحاربتهم ـ أي محاربة ثوّار طليطلة ـ (١)، فما كان من ملك جليقية الا أن اغتنم هذه الفرصة لتوجيه ضربة قاصمة للوجود الاسلامي في الاندلس ، فبعث اليهم أخاه غُشُون على رأس النجدة التي أرسلها لهم والتي وُصِفت بكثرة عدد أفرادها (٢) ، كما ان المعارضة الطليطلية استمدّت العون ايضا من ملك البشكنس (ملك نافار/نبّره) فكان لهم ما أرادوا ، اذ ان امدادات عسكرية وصلتهم من قِبله (٣) .

وفي الجانب الآخر لم يخف على الأمير أمر تلك الاتصالات وما أسفرت عنه ، فانه عرف بكل ما حدث عندما كان على مقربة من طليطلة ، فجمع أمره وأحكم كيده وتدبيره ، فعبّأ الجيوش وكمّن الكمائن بناحية وادي سليط ، وتقدّم على رأس قوات قليلة من جيشه لملاقاة ثوّار طليطلة ، ومن شايعهم من القوات النصرانية القادمة من الممالك النصرانية في الشمال الايبيري ، وانطلت الحيلة على ثوّار طليطلة حيث انهم اخبروا قادة القوات المسيحية المناصرة لهم بما رأوا من قلّة القوات الحكومية الاندلسية فاندفعت القوات النصرانيه الى الدخول في المعركة ، وقد طمع قادتها في النصر والغنيمة ، ولكي لا يضيعوا الفرصة السانحة ، والزمن الذى خالوه لجانبهم ، بادروا

---

(١) ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧٤ ; ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ ; النويري ، ج٢٣ ، ص ٣٨٧ ; ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٠ ; ابن خلدون ، م ٤ : ص ٢٨٤ ; ثمّ انظر بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩١ فانه جعل ان استنجاد نصارى طليطلة بنصارى الشمال ، كان نتيجة لما حل بهم من ضيق بسبب تعصب الأمير محمد الديني ، ولكنّني لا استطيع مجاراة بروكلمان في قوله ذلك ، لأنّ ثورات أهل طليطلة كانت تشتعل في أية فرصة تسنح لهم منذ ما يقارب الستين عاما وقد عرفنا ان تلك الثورات كانت تقوم على اكتاف المولّدين ولا يعني ذلك انه لم يشترك نصارى طليطلة بتلك الثورات ولكن لم يكن لهم دور القيادة في تلك الثورات ، انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٢٤-٢٢٩ ، ٢٣٣-٢٣٧ ، ٢٤٢-٢٥٠ ، ٢٥٣-٢٦٠ ، (منذ عهد الحكم بن هشام) .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤-٩٥ ; وانظر ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧٤ ; وانظر النويري ، ج ٢٣ ، ص ٣٨٣ .

(٣) ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧٤ ; ابن خلدون ، م ٤ : ص ٢٨٤ .

الى خوض المعركة ولكنّ الأمر اختلف عندما نشبت المعركة بين الجانبين حيث خرجت الكمائن من مكامنها من جهتي اليمين والشمال، وتتابعت الخيل في اللحاق بالأمير محمد، حتى صارت القوات الحكومية كالأمواج الزاحفة، فانهزمت القوات النصرانية ومعها القوات الطليطلية، فقُتلوا شرّ قتله (١)، لأن المكيدة فاجأتهم وكذلك حجم القوات الحكومية وحسن تنظيمها، وسلامة توقيت بروزها الى ساحة المعركة، فكانت تلك الوقعة ضربة قاسية للمتحالفين ضد الأمير محمد، وورد في بعض المصادر ان عدد ما جمع من رؤوس قتلى اعداء الحكومة بلغ ثمانية آلاف راس غير الذين فقدوا (٢)، وعلى حسب رواية أهل طليطلة فانّ عدد القتلى بلغ عشرين الفا بما فيهم الثمانية الاف رأس التي جمعت (٣).

وأمّا عام ٢٤١هـ فيظهر انه لم يشهد مواجهة قوّية بين القوات الحكومية والقوات الطليطلية الثائرة، حيث وردت اشارة الى ان الامير محمد اكتفى في عام ٢٤١هـ بتعزيز قوات الحكومة في قلعة رباح وطلبيرة بالجند والفرسان، وانه استعمل عليها عامله حارث بن بزيع (٤).

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٥؛ ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٨٧-٣٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٢١؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٤؛ وانظر المقّرى، نفح، ج١، ص ٣٥٠ فقد ذكر ان اسم الوادى هو: وادى سليطة أى بزيادة التاء المربوطة.

(٢) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤ وقد ذكر رأيا نسبه الى أهل طليطلة ان عدد من قتل من الطليطليين وانصارهم من القوات النصرانية بلغ عشرين الفا؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٥، الا انه ذكر ان عدد من فقد من الطليطليين وحلفائهم من القوات النصرانية عشرين الفا؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٣٨٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٢١؛ وانظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ٢٦٠أ و ب و ٢٦١أ: كما نقله عنان، دولة، ق:١، ص ٣٨٩ فقد ذكر ان الرواية الاسلامية قدّرت عدد القتلى باحد عشر الفا غير الاسرى.

(٣) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤؛ انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٣٨٨؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٤ فقد اكتفى بالقول ان عدد القتلى من أهل طليطلة بلغ عشرين الفا؛ وانظر كذلك المقّرى، نفح، ج١، ص ٣٥٠.

(٤) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٥؛ ثم انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٨٠ دون ان يذكر طلبيرة واسم العامل الذى استعمل على قلعة رباح، النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٨٨.

ومن الواضح ان عدم تحرّك الأمير محمد لمهاجمة أهل طليطلة هو انحصارهم داخل مدينتهم من جهة ، ورغبته في انزال ضربات شديدة بالقوات المسيحية في منطقة البة والقلاع (قشتالة القديمة) وفعلا كان له ما أراد فانزل الخراب في تلك المناطق وافتتح بعضا منها (١) .

وجّه الأمير محمد ابنه المنذر في عام ٢٤٢هـ على رأس جيش أعدّه لمحاربة أهل طليطلة ومحاصرتها ، والقيام بتخريب مصادر الرزق التي تعتمد عليها (٢) ، والأمر الذى يلاحظ على مجريات الثورة الطليطلية في هذا العام انها وبعد هزيمتها في عام ٢٤٠هـ مع القوات النصرانية على أيدى الأمير محمد وجيوشه ، انّها أصبحت في داخل مدينة طليطلة ، وان الوضع اختلف عام ٢٤١هـ حيث أصبح موقف القوات الطليطلية التحصن داخل أسوار مدينتهم ، بينما كانت تقوم القوات الحكومية بمحاصرتهم داخل مدينتهم ، واستغلال وجودهم في الداخل والقيام بعمليات تدمير وتخريب للاقتصاد الطليطلي من حيث محاصرة التجارة والقضاء على محاصيلهم الزراعية التي تقع خارج اسوار مدينة طليطلة .

الاّ ان عام ٢٤٣هـ شهد تحولا في موقف أهل طليطلة حيث خرجت قواتهم الى طلبيرة الموالية للحكومة في قرطبة ، حيث من الواضح انهم أرادوا كسر الطوق الذى فُرض عليهم من قِبل القوات الحكومية في طلبيرة وفي مناطق قلعة رباح ، ولكنّ قائد طلبيرة

---

(١) انظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ٢٦١ ب: كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٩٠ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٨٠ ؛ وانظر النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٣٨٨ .

(٢) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٦ ؛ وانظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ٢٦٢ أ : كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٩٠ . فقد ذكر ان الأمير محمد أرسل قوات كبيرة لمحاربة أهل طليطلة بقيادة ولده المنذر الاّ أنّ اهلها لم يخرجوا خارج مدينتهم فقامت القوات الحكومية بمحاصرتها ، ونفذّت عمليات تخريبية في شواحيها .

مسعود بن عبد الله العريف شعر بما عزم الطليطليون على القيام به فقام بنصب الكمائن لهم لايقاعهم في شركه ، وكان له ما توقع حيث تمّ قتل اعداد منهم ، قدّرتهم الروايات بسبعمائة رأس من رؤوس وجهاء طليطلة (١) .

وبهذا تكون قد فشلت محاولة المعارضة الطليطلة في اعادة سطوتها على المناطق المجاورة لها والموالية للحكومة لارغامها على ترك أماكنها كما حدث في عام ٢٣٨-٢٣٩هـ بقلعة رباح (٢) ، وجيّان (٣) .

هلّ عام ٢٤٤هـ وكان حال القوات الطليطلية المعارضة قد أصبح على أسوأ حال سواء من جرّاء مهاجمتهم عسكريا أو تخريب اقتصادهم بواسطة فرض حصار اقتصادى على المدينة لاجبار أهلها على الاستسلام والرضوخ (٤) ، وكانت أعداد قوات المعارضة قد قلّت، وجذوة اندفاعهم وثورتهم قد خبت في نفوس الكثير من سكان طليطلة لتوالي الهجمات عليهم من قِبل القوات الحكومية (٥) .

في ظلّ هذه الظروف قرّر الأمير محمد ان يسير بنفسه على رأس جنده لانهاء عملية خروج طليطلة عن سلطات الحكومة ، ولكنّ مواجهة عسكرية بين الجانبين لم تحدث بسبب تحصن القوات الطليطلية داخل طليطلة ، الا المناوشة التي جرت على الجسر الذى يربط طليطلة بالمناطق المجاورة ، وكانت تلك العملية قد خُطط لها من قِبل الأمير محمد

---

(١) ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٨٣ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٦ ؛ وانظر النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٨ .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤ ؛ انظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ٢٥٩ ب: كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٨٨ ؛ انظر ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٣ .

(٣) انظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ٢٥٩ ب : كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٨٨ .

(٤) انظر ابن الأثير ، ج٧ ، ص ٧١ ،٧٤ ،٨٠ ؛ انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٦ ؛ انظر النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٨٧ ،٣٨٨ ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٣ ،٢٨٤ : فانه لم يُشر الى أحداث سنة ٢٤٤هـ الا انه ذكر ان الأمير محمد توجه الى طليطلة عام ٢٤٣هـ فاوقع بهم ، وخرّب ضياعهم الأمر الذى دفعهم الى الدخول في صلح معه الا انهم نكثوا العهد فيما بعد ، ولم يفصّل في ذلك.

(٥) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٩٤-٩٥ ،٩٦ .

حيث دبّر مكيدة بواسطة البنائين والمهندسين لتدمير الجسر دون ان يشعر بذلك الحماة والحرّاس الطليطليون الذين يتواجدون على الجسر، وعلى مقربة منه على طرف نهر تاجه ، فنُفّذت رغبته وتمّ له مراده فغرق الحماة والمدافعون عن الجسر (1) وبهذا الفعل تكون القوات الحكومية قد فرضت حصارا على المدينة دون ان تبقي قوات لمحاصرتها ، لأنّ العمل على اعادة الجسر سيستغرق زمنا ليس بالقصير حيث ان اهل طليطلة سيبقون محصورين في الداخل محرومين من القيام بالمتاجرة مع المناطق المجاورة وكذلك اعمال الزراعة ، حتى يتمّ بناء القنطرة ، وسيصبحون في وضع أسوأ اذا ما حلّ فصل الشتاء قبل ان يتم اعادة بناء القنطرة ، كلّ ذلك مستثنى منه الاعمال المنظمة التي ستقوم بها القوات الحكومية .

هذا الوضع الذى صارت اليه المعارضة الطليطلية أجبرها في عام ٢٤٥هـ على طلب العفو من الأمير مقابل الدخول في الطاعة ، فكان لهم ما أرادوا حيث عقد لهم الأمير الأمان وعرف هذا الامان بالامان الأول (2) .

---

(1) انظر ابن عذارى، ج٢ ، ص ٩٦ ؛ وانظر ابن حيّان ، القرويين ، لوحة ، ٢٦٢ أ كما نقله عنان ، في كتابه دولة ، ق:١ ، ص ٢٩١ ، ففي روايته بعض الاختلاف عن رواية ابن عذارى، وانظر المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ١٦٢ فقد ذكر ان قنطرة طليطلة كانت تقع على نهر تاجه حيث ان طولها ثلاثمائة باع ، وعرضها ثمانون باعا وانها تهدّمت في عهد الامير محمد عندما ثار عليه اهلها ، فدبّر مكيدة في هدمها وأورد شعرا ل عباس بن فرناس من ذلك قوله :

أضحت طليطلة معطلة   من أهلها في قبضة الصقر

(2) ابن عذارى، ج٢ ، ص ٩٦ وسأتطرق للأمان الثاني في الصفحات القادمة ، علما أن ابن عذارى ذكر ان الامان كان عام ٢٤٠هـ وذكر ذلك في أحداث السنه التي بين سنتي ٢٤٤ و ٢٤٦ وأرى ان ذلك كان خطأ في الكتابة ، حيث انّ السنة التي تقع بين سنتي ٢٤٤هـ و ٢٤٦هـ هي سنة ٢٤٥هـ وكذلك من الطبيعي ان يتم طلب الأمان بعد أحداث الحصار في ٢٤٤هـ، ومن الواضح ان الخطأ وقع في كتابة رقم الصفر ، فبدل ان يكتب ٢٤٥ كتب ٢٤٠ هـ .

أما الأمان الثاني فقد تمّ ابرامه عام (٢٥٩هـ/٨٧٢م) بين أهل طليطلة والحكومة ممثّلة بالأمير محمد بن عبد الرحمن (١)، ولا يعرف بالتحديد متى تمّ نقض العهد الأول الذى عقد عام ٢٤٥هـ، فقد جاء في بعض المصادر ان الأمير محمد قام بعملية تمويه عام ٢٥٤هـ حيث أشاع انه يريد التوجه الى طليطلة وفعلا تقدّم من قرطبة باتجاه طليطلة الا ان وجهته الحقيقية كانت ماردة حيث انحرف بقواته عن خط سيره السابق واتجه بسرعة صوب ماردة (٢)، وكان يهدف من وراء ذلك التكتيك القضاء على المتمردين فيها باقل جهد ووقت ممكنين قبل ان يستعدّ ثوارّ ماردة للأمر فيتخذوا الاجراءات المناسبة لاطالة عملية الصمود. والأمر الذى أُريد ان انّوه اليه هنا هو ان طليطلة كما هو واضح مما سبق كانت في هذا العام خارجة على سلطان الحكومة، اذ كيف بامير البلاد يريد التوجه الى طليطلة لمحاربتها اذا ما كانت لا تزال على عهدها لم تنقضه، فمن الواضح اذا ان طليطلة هي الاخرى كانت معارضة للحكومة، وانها قد نكثت العهد واعلنت العصيان والثورة ضد الحكومة، ومن الشواهد التي تعزز ما ذهبت الى القول به ما ذكره ابن خلدون من أنّ الأمير قام بمحاصرة طليطلة عام سبع واربعين ومائتين للهجرة لمدّة ثلاثين يوما (٣)، وكذلك الخبر الذى ذكرته عدد من المصادر والذى بيّن ان عهد أمان قد أُعطي لأهل طليطلة عام ٢٥٩هـ وان الذى أعطاهم ذلك الأمان هو الأمير محمد بن عبد الرحمن عندما خرج بنفسه لمحاصرة طليطلة ومحاربتها، بسبب مخالفة أهلها له وخروجهم على طاعته، ولكنهم عندما شعروا بالضيق، والحزم من قِبل الأمير

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٢، ص٩٦، ١٠١؛ انظر ابن حيّان، ج٥، ص٢٧٧؛ انظر ابن حيّان، القرويين، لوحة، ٢٧٠ ب (رواية عيسى بن أحمد الرازى)، كما نقل ذلك عنه عنان، في كتابه دولة، ق:١، ص٢٩٧؛ وانظر ابن الأثير، ج٧، ص٢٦٥ حيث انه ذكر الأمان في هذا العام ولكنّه لم يكن قد أشار الى الأمان الأوّل؛ وانظر كذلك النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٩٠.

(٢) انظر ابن عذارى، ج٢، ص١٠٠؛ انظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ٢٦٨ أ كما نقل ذلك عنه عنان، في كتابه، دولة، ق:١، ص٢٩٦.

(٣) ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٤.

طلبوا الأمان فأعطوه، وتمّ أخذ عدد من وجهائهم كرهائن لضمان تنفيذ طاعتهم وعدم القيام بالمخالفة ونكث العهود من جديد [(١)]، وقد رتّب عليهم مبالغ ومقادير محددة من العشور يؤدونها في كل عام [(٢)].

وذكر ابن عذارى ان أهواء أهل طليطلة قد انقسمت فيمن يُستعمل عليهم، ففريق منهم طلب تولية مطرّف بن عبد الرحمن على طليطلة، وفريق آخر طالب باستعمال طربيشة بن ماسويه [(٣)]، وجاءت الفرصة مواتية للأمير محمد ليحدّ من قوة وزخم استمرارية المعارضة الطليطلية في ثورتها حيث ولّى كل واحد منهما جانبا، وقد تولّى كل واحد منهما اجزاء محددة من مدينة طليطلة ومن أقاليمها، ولكنّهما ما لبثا ان اختصما وتنازعا الأمر كل يريد الولاية خالصة له دون شريك او منازع، حيث طمعا كلاهما بالانفراد في السيطرة على طليطلة دون منافسه، وأخيرا تغلب انصار طربيشة بن ماسويه الداعون الى تقديمه على حساب منافسه وخصمه مطرّف وبالتالي تأخيره عن الولاية وعن المساواة بصاحبهم طربيشة [(٤)].

ومن خلال تدقيق النظر في الخطوة السابقة التي أقدم عليها الأمير محمد يلاحظ ان هدف الحكومة كان زرع الانقسام، او بمعنى أدق ترسيخه وتوسيع شُقّته بين جناحي المعارضة في طليطلة ليسهل عليه السيطرة على طليطلة، أو على أقل تقدير إضعاف المعارضة والهائها في معارك جانبية لكي لا توسّع من نطاق عملياتها ونفوذها خارج المناطق الطليطلية التابعة لها.

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٧، ص٢٦٥؛ النويّري، ج٢٣، ص٣٩٠؛ وانظر ابن حيّان، ج٥، ص٢٧٧؛ وانظر ابن حيّان، القرويين، لوحة ٢٧٠ب: كما نقل ذلك عنه عنان، في كتابه دولة، ق:١، ص٢٩٧ ولكنّه لم يُشر الى عملية الحصار التي قام بها الأمير لطليطلة، وانظر ابن عذارى، ج٢، ص١٠١.

(٢) ابن عذارى، ج٢، ص١٠١.

(٣) ابن عذارى، ج٢، ص١٠١؛ وانظر الى كلّ من المصادر التالية فانّه يفهم من اخبارها ما دلّت عليه اخبار ابن عذارى: انظر ابن الأثير، ج٧، ص٢٦٥، ٢٧١-٢٧٢؛ النويّري، ج٢٣، ص٣٩٠-٣٩١.

(٤) ابن عذارى، ج٢، ص١٠١.

والظاهر أنّ أهل طليطلة لم يستكينوا بعد ذلك ولم يتركوا جيرانهم اذ انهم خرجوا في عام ٢٥٩هـ الى حصن سُكيان وكان سكانه من البربر فلمّا التحم الجانبان انهزم أحد مقدّميّ أهل طليطلة المدعو مطرّف بن عبد الرحمن نكاية بمنافسه طربيشة المقدم الآخر لطليطلة لاضعافه ، وفعلا انهزم الطليطليون وقد قُتل منهم أعداد كبيرة (١) .

والملاحظ هنا ان التنافس الداخلي بين جناحي المعارضة في طليطلة أدّى الى ايقاع هزيمة قاسية بالقوات الطليطلية ووقوع اصابات كبيرة في صفوفهم نتيجة خطة الانسحاب التي أعدّها ونفّذها مطرّف بن عبد الرحمن المنافس الرئيس للمقدم الثاني طربيشة ، الأمر الذى لم ينسه مطرّف حيث كاد لطربيشة في هذه الموقعة ممّا أدى الى مقتله (٢) .

ومرّة أخرى وقع الطليطليون ضحايا تنافسهم حيث تكررت عملية الغدر بين قيادة جناحي المعارضة في طليطلة اذ ان محاولة الانهزام وتدبير الانسحاب نكاية بالخصم المنافس تكرّرت عام ٢٦٠هـ عندما ظهر موسى (٣) بن ذى النون الهوّارى بشنت برّية وقيامه بالاغارة على أهل طليطلة ودخوله حصن وليد من شنت برية ، حيث خرج اليه الطليطليون

---

(١) ابن الأثير ، جـ٧ ، ص ٢٦٥ وقد ذكر ان اسم مطرّف هو عبد الرحمن بن حبيب، الّا انه عاد وذكر ان اسمه هو مطرّف بن عبد الرحمن في موضع آخر من كتابه انظر المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص ٢٧٢ . ويبدو ان اسم مطرّف قد سقط في ص ٢٦٥ وان عبد الرحمن هو والده ، وقد ورد اسمه كذلك عند النويّرى مطرّف بن عبد الرحمن بن حبيب، النويّرى، جـ٢٣ ، ص ٣٩٠ ؛ وانظر ابن عذارى، جـ٢ ، ص ١٠١ ؛ وانظر ابن خلدون ، م: ٤ ، ص ٢٨٥ ، النويّرى، جـ٢٣ ، ص ٣٩٠-٣٩١ . وقد بالغ المصدران في ذكر ارقام قوات الجانبين حيث ذكرا أن قوات أهل طليطلة كانت عشرة الاف مقاتل في حين ان قوات حصن سُكيان كانت سبعمائه رجل وهذه فيها من المبالغة ما فيها فهي تتكلم من وجهة نظر الحكومة ضد المعارضة الطليطلية، على الرغم من انقسام القوات الطليطلية الّا ان حجم القوات أرى انه فيه بعض المبالغة .

(٢) انظر ابن الأثير ، جـ٧ ، ص ٢٦٥ ، ٢٧١ بالنسبة لمقتل طربيشة فانه يفهم من خلال اخباره ان طربيشة قتل ، لأن الذى ردّ المكيدة لمطرّف عام ٢٦٠هـ هو محمد بن طربيشة (طربيشة) .

(٣) ذكر ابن خلدون ان اسمه مظفر بن موسى بن ذى النون :انظر ابن خلدون ، م: ٤ ، ص ٢٨٥ .

في اعداد كبيرة ، فلما بدأت المعركة انهزم (انسحب محمد بن طريشة وانصاره) من ميدان المعركة (١) ، فالتبس الأمر على عوامّ طليطلة وتبعوه بالهزيمة ، الأمر الذى أدّى الى انهزام مطرّف بن عبد الرحمن الذى كان قد فعل الأمر نفسه في العام السابق - أىّ عام ٢٥٩هـ - فرَدّ له ابن منافسه السابق الكيد بكيد مماثل، الأمر الذى عاد على أهل طليطلة بالويلات والمصائب حيث ان اعدادا أخرى من الضحايا قُدمت دون فائدة او مبرّر، هذه الهزيمة جعلت من موسى بن ذى النون شخصا مُهيبا ويحسب له كل الحساب وتقوّى على حساب أهل طليطلة (٢) .

مما سبق يلاحظ عدم تنظيم وانضباط المعارضة الطليطلية سواء أكان ذلك من ناحية سياسية أو عسكرية ، حيث انها لم تستطع التغلب على أعداد أقل بكثير من أعداد قواتها في موقعة سُكيان او في موقعة حصن وليد ، وانها لم تكن موحدة سياسيا امام القوات الحكومية أو أنصارها أو أىّ قوة اخرى، حيث ان التنافس والتناحر كانا سببين واضحين في هزيمة المعارضة الطليطلية سياسيا وعسكريا أمام أعدائها فهي لم تحقق استقلالا ذاتيا ولم تبرز كقوة معارضة لها نفوذها في رسم سياسة وادارة البلاد الأندلسية ، ولم تنجح في السيطرة على أماكن خارج المناطق التي كانت تتبع لطليطلة في فترات سابقة ، أىّ انها لم تكتسب صفة الثورة الاندلسية الواسعة العامة ، لتخرج من كونها ثورة اقليم طليطلة ومدينة طليطلة بالذات .

---

(١) انظر ابن الأثير ، ج٧، ص ٢٧١-٢٧٢ ؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٥ . وقد ذكرا ان عدد قوات طليطلة كان عشرين الفا ، ويبدو ان المصادر تتابع خط سيرها في اعطاء القوات الطليطلية دائما رقما كبيرا من حيث تعدادها ، ولكنها - أى القوات الطليطلية - ما تلبث ان تنهزم بسهولة بعد انسحاب فريق من الفرقاء المنضوين تحت لواء المعارضة الطليطلية ، الأمر الذى يشير الى عدم تنظيم وانضباط القوات الطليطلية المعارضة .

(٢) ابن الأثير، ج٧، ص ٢٧٢.

ومن الملاحظات التي تسجل على طليطلة في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن انها لم تخضع لسلطان الحكومة الا بُرهة قصيرة من الزمن لكي تفكّ عنها الحصار ومن ثمّ تعود الى الثورة من جديد ، ومن الملاحظات كذلك انّها لم تكن خاضعة لسلطان الحكومة عند وفاة حاكم الاندلس الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وانّها برزت كاحدى المناطق التي اشتعلت بالثورات ضد الحكومة المركزية في عهد الامير محمد (١) ، ومن السمات البارزة على عهد الأمير محمد - على الرغم من قيامه بجهود جبّارة للقضاء على الثورات الداخلية وتوحيد البلاد - ، ان هذا العهد تميّز بانه عهد تمزق وتشرذم البلاد الاندلسية ، بسبب الثورات الداخلية (٢) ، وبسبب قيامه بمحاولات متكررة للحدّ من قوة وتوسّع الممالك المسيحية في شمال الاندلس التي كانت ترمي الى التقدم على حساب الدولة الاموية في الاندلس، وكذلك التصدّى للاخطار الخارجية (٣) .

---

(١) لقد بدأت الثورة الطليطلية عام ٢٣٨هـ عند اعتلاء الأمير محمد العرش واستمرّت متواصلة الى عام ٢٤٥هـ أىّ ما يقارب الثمانية أعوام حتى خضعت لسلطة الحكومة وأعطيت عهد الامان الاوّل، ولا أدرى بالضبط مدّة بقائها تحت سلطة الحكومة الا من الاشارة التي ذكرت أنّ الأمير محمدا حاول التمويه عام ٢٥٦هـ باظهاره التوجه الى طليطلة للقضاء على العصيان وكان مقصده الحقيقي التوجه الى ماردة ، ومن ثمّ لا بدّ من التذكر ان عهد الامان الثاني الذى أعطي لأهل طليطلة قد نُقض في العام نفسه من قبلهم عندما شنّوا غارة على حصن سكيان التابع سكانه بولائهم للحكومة في قرطبة ، فمن هنا استطيع القول ان طليطلة استمرّت على عصيانها وعدم اطاعة الحكومة حتّى وفاة الأمير محمد في عام ٢٧٣هـ. انظر هذه الدراسة ف ٤ ، ص ٢٦١-٢٧٣. وانظر الى كل من المصادر التالية حول وفاة الامير محمد: انظر ابن عبد ربه ، ج ٥ ، ص ٢١٩ ؛ابن الأثير ، ج٧، ص ٤٢٤ ؛ابن عذارى، ج٢، ص ٩٤ ؛ النويّرى، ج٢٣، ص٣٩٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٣.

(٢) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤، ٢٨٨-٢٨٩، ٣١٠-٣١١، ٣٢٠-٣٢١، ٣٦١، ٣٦٩، ٤١١، ٤١٦، ٤٢٠ ؛ انظر العذرى، ص ٣٤، ٣٥، ٤١ ؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦ ؛ انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٤ ؛ وانظر د. سالم ، تاريخ، ص ٢٤٣-٢٥٩.

(٣) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤، ٩٠، ٩٤، ١٠٩-١١٠، ١٧٧، ٣١٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٤١١ ؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٦-٩٧، ١٠١، ١٠٢ ؛انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٣٨٨، ٤٩١ ؛انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٥ ؛ وانظر بشتاوى ، ص ٤٧، ٤٩.

ومن الأمور الواجب ملاحظتها على هذا العهد وعلى المعارضة الطليطلية ابّانه هي استعانة الثوّار الطليطليين بقوات من خارج حدود الدولة ضد الحكومة المركزية (١)، وقد صدرت الاستعانة من أهل طليطلة للوقوف في وجه رغبات وتحرّكات الحكومة المركزية في الاندلس الرامية الى استعادة طليطلة ، فكان لها ما أرادت ولكنّ آمالها خابت مع آمال منجديها باضعاف الحكومة المركزية لزيادة الضعف العام في الاندلس ليسهل على كلّ فريق منهما تحقيق مقاصده وأمانيه فيما لو هزم الجيش الحكومي الاندلسي الذى كان بقيادة رجل البلاد الأوّل والذى ستكون عواقبه وخيمة على مستقبل الاندلس والوجود الاسلامي فيها .

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٤-٩٥؛ انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٣٨٧؛ انظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٠؛ انظر ابن خلدون، م:٤، ص٢٨٤؛ انظر المقّرى ، نفح، ج١، ص ٣٥٠.

أوضاع طليطلة السياسية في عهدي الأميرين المنذر بن محمد وعبدالله بن محمد٢٧٣هـ - ٣٠٠هـ :

منذ ان وافق الأمير محمد بن عبد الرحمن على استعمال اثنين من قيادتي طليطلة وهما طربيشة بن ماسويه ومطرّف بن عبد الرحمن كواليين لمدينة طليطلة وأقاليمهما ، في عام ٢٥٩هـ (١) ، لم تعد طليطلة خاضعة لسلطان حكومة قرطبة المباشر، اذ ان القيادة المحليّة لطليطلة صارت في أياد معارضة للحكومة (٢) وبقيت كذلك حتى تولىّ عبدالرحمن الناصر مقاليد الحُكم في الاندلس، ومن ثمّ قيامه باستعادة طليطلة وبسط سيطرة الدولة عليها عام ٣٢٠هـ (٣) ، وان الاسباب التي جعلتني أقول بهذا الرأىّ هي عدم ورود أخبار في المصادر التي اطلّعت عليها تبيّن ان طليطلة قد عادت لسلطة الحكومة في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجرى، ومن تلك الاسباب ما ذكرته بعض المصادر حول مهاجمة القوات الحكومية لطليطلة إبّان عهد الأمير المنذر بن محمد، فذكر أحد تلك المصادر أنّ المعارضة الطليطلية أقدمت على تجنيد البربر المنفييّن من ترجيلة في صفوفها عام ٢٧٣هـ (٤) ، الاّ ان الحكومة لم تسكت عن ذلك فوجهتّ اليهم حملة للقضاء على تحركاتهم

---

(١) ابن عذارى ، ج٢، ص١٠١.

(٢) اذ ان اسرة بني قسيّ حكمت طليطلة مدّة ما يقارب العشر سنوات، في الفترة الواقعة بين عاميّ ٢٨٣هـ و ٢٩٣هـ، وبعد ذلك حكم الطليطليون انفسهم بقيادة ابن الطربيشة حتى استيلاء الناصر على طليطلة وفرضه سيطرة الحكومة عليها ، كما أنّ عنان ذكر خبرا مفاده ان اسرة بني ذى النون فرضت سيطرتها على طليطلة من عام ٢٧٤هـ حتىّ عام ٢٨٣هـ حيث استولى عليها بنو قسيّ منهم ، انظر عنان، دولة ،ق:١، ص٣٣٦. علما انّي لا أميل الى هذا القول الذى لم يبين فيه عنان مصدر معلوماته ، لأن ثورة طليطلة في ذلك الوقت كانت ثورة المولّدين وسبق وان تحارب معهم بنو ذى النون في عام ٢٦٠هـ ودارت بين الجانبين حرب ذهب نتيجتها الآف من القتلى من الطليطليين ،انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٧٢-٢٧٣. فكيف ينسون ذلك ويسمحوا بكل سهولة لبني ذى النون دخولها ، علما انّها من أمنع المدن واحصنها واكثرها سكانا بصفتها كانت عاصمة للقوط.

(٣) ابن عبدربه ،جه،ص ٢٤٤ ;ابن حيّان ، جه ، ص ٣١٧، ٣١٨ ;ابن عذارى، ج٢ ، ص ٢٠٦. وورد ان الناصر ظفر بأهل طليطلة عام ٣١٥هـ: انظر ابن الأثير ، ج٨، ص ١٨٠ ،انظر ابن الوردى، تتمة المختصر في اخبار البشر، اشراف وتحقيق: احمد البداوى، ج: ١، ص ٣٨٧.

(٤) ابن عذارى ، ج٢، ص ١١٦.

في مهدها قبل ان يستفحل الخطر المتأتي من تحشيد مجموعات من خارج طليطلة لصالح المعارضة ، وبالفعل تمّ للحكومة مبتغاها فقُتِل من الثوّار عدة آلاف وأُلحقت بقواتهم الهزيمة [1] .

ومن تلك الاسباب ما جاء في مصدر اخر بخصوص تحصّن الثائر عمر بن حفصون بطليطلة [2] ، وقيام الأمير المنذر بن محمد ـ الذى لم تدم فترة حكمه طويلا ، فتوفيّ في عام ٢٧٥هـ علما بانّه تولىّ الحكم بعد وفاة والده عام ٢٧٣هـ ـ بمحاصرته داخل طليطلة ، وطلب ابن حفصون الأمان ، ومن ثمّ نكثه للعهد بعد أن أُعطي ما طلب ، مما حدا بالأمير المنذر الى معاودة فرض الحصار على ابن حفصون داخل طليطلة ، ولكنّ الأجل عاجل الأمير وهو قائم على حصاره طليطلة ، واضطرّت القوات المحاصرة الى الانسحاب والعودة الى قرطبة [3] .

ومن الاسباب ايضا ما ذُكِرَ حول خضوع طليطلة لحكم أسرة بني قسيّ ـ المولّدة التي قدمت من الثغر الأعلى [4] ـ لفترة من الزمن ، فقد ذكرت بعض المصادر أخبارا مفادها

---

(١) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١١٦ .

(٢) لم أعثر على هذه الروايّة الاّ عند النويّرى ، ومن المعروف ان ثورة ابن حفصون لم تصل الى طليطلة ، وقد ذكر ابن عذارى ان مركز ابن حفصون كان في بربشتر وان القوات الحكومية وعلى رأسها الأمير المنذر حاصرته فيها ، ثمّ عاودت الحصار عليه في بربشتر ايضا الاّ ان الأمير توفيّ وهو محاصر لابن حفصون على أسوار حصن بربشتر: انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١١٦ ، ١١٧ ؛ وانظر ابن القوطيه ، ص ٩٠ فقد ذكر ان ثورة عمر بن حفصون كانت في كورة ريّة ؛ وانظر اخبار مجموعة ، ص ١٥٠ فقد ذكر ان الامير المنذر كان محاصرا لعمر بن حفصون عام ٢٧٣هـ ؛ وانظر المرّاكشي ص ٥٢ فانه ذكر ان الامير المنذر توفي وهو على قلعة ببشتر محاصرا لعمرو بن حفصون ؛ وانظر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

(٣) النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٣٩٤ .

(٤) الثغر الأعلى: هو عبارة عن مدينة سرقسطة واعمالها من المدن الشمالية المتاخمة لحدود نافار (نبرّه) وليون وقطلونيه ، وهناك الثغر الأوسط وهو عبارة عن طليطلة وأعمالها ، أيّ المناطق الواقعة بمواجهة الممالك المسيحية ، وهناك الثغر الادنى ، وهو عبارة عن المنطقة الغربية الواقعة بين نهر دويره ونهر التاجه ومن مدنه قورية وقلمرية وشنترين . انظر عنان ، دولة ، ق:١ ، ص ٣٣٥ . وبالنسبة لكون اسرة بني قسيّ من المولّدين من منطقة الثغر الأعلى انظر السامرّائي ، الثغر الاعلى الاندلسي ، ص ٣٧٢ .

ان لُبّ بن محمد تقدّم في سنة ٢٨٥هـ من طليطلة باتجاه جيّان، وتمكن من السيطرة على حصن قسطلونة[١]، الّا ان خبر مقتل والده على أبواب سرقسطة خلال محاصرته اياها، اضطرّه الى العودة الى طليطلة، ومن ثَمَّ التوجه الى سرقسطة لقيادة القوات التي كانت تحت امرة والده، وقيامه بمحاربة عامل مدينة وشقة في العاشر من شهر شوّال من عام ٢٨٥هـ[٢]، ولكن هناك بعض التساؤلات التي من الواجب طرحها في هذا المقام وهي : متى وكيف سيطر محمد بن لبّ على طليطلة ؟ ألم يكن لطليطلة قيادات محلّية ؟ فأين ذهب قادة المعارضة فيها ؟ .

تمكنّت أسرة بني قسيّ بقيادة محمد بن لُبّ بن موسى من بسط نفوذها على طليطلة عام ٢٨٣هـ/٨٩٧م بعد أن فقدت سيطرتها على الثغر الأعلى، على إثر سيطرة اسرة بني تجيب على سرقسطة عام ٢٧٦هـ[٣]، ولكنّ توجه لب بن محمد الى سرقسطة عام ٢٨٥هـ وقيامه بأعمال عسكرية في مناطقها أدّت في النهاية الى إبعاده عن حكم طليطلة، اذ ان عنان ذكر ان لُبّاً فقد سيطرته على مدينة طليطلة، الا ان دعوة وُجهّت اليه من قِبل أهل طليطلة يدعونه فيها الى حكم المدينة، فأرسل اليهم أخاه مطرفاً لينوب عنه في حكمها، ولكن وبعد فترة قام محمد بن اسماعيل بن موسى – وهو من أبناء عمومته – بحركة تمرّد ضده أدّت في النهاية الى تولّي محمد بن اسماعيل مقاليد الحكم في طليطلة، وظلّ حاكما لها حتّى مقتله عام ٢٩٣هـ/٩٠٦م بايدي أهلها[٤]، ومنذ ذلك الوقت صارت مقاليد الحُكم فيها بايدى أهلها وابرز هؤلاء لُبّ بن الطربيشة الذى استمر في حكمها حتّى انتزعها منه عبد الرحمن الناصر[٥].

---

(١) ابن عذارى، جـ٢، ص ١٣٩. (٢) العذري، ص ٦٥.

(٣) عنان، دولة، ق:١، ص ٣٣٦ (عن ابن حيّان)؛ السامرّائي، ص ٢٧١.

(٤) انظر ابن حيّان، المقتبس، جـ٣، نشر ملشور: انطونيه باريس، ١٩٣٧م، ص١٤٠، كما نقله السامرّائي، ص ٢٧٤؛ انظر عنان، دولة، ق:١، ص ٣٣٦؛ وانظر ابن عذارى، جـ٢، ص ١٤٢ بالنسبة لسنة مقتل محمد بن اسماعيل.

(٥) انظر عنان، دولة، ق:١، ص ٣٣٦؛ وانظر المصادر التالية بالنسبة لذكر ان لبّ بن الطربيشة كان حاكما لطليطلة عام ٣٠٨هـ: انظر ابن حيّان، جـ٥، ص ١٦١–١٦٢؛ انظر ابن عذارى، جـ٢، ص ١٧٦.

ممّا سبق، ومن خلال القاء نظرة عامّة على أوضاع الأندلس في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري، وبدايات عهد عبد الرحمن الناصر، والذى كانت فيه الاندلس تعجّ بالثورات والانقسامات والعصبيات والتي أدّت بالتالي الى انحسار سلطة الحكومة في المناطق القريبة من قرطبة، فقط واستيلاء الأسر المتنفذة في الأقاليم على المناطق القريبة منها (١)، وبالنظر الى ما ذكره ابن عبد ربّه من أنّ طليطلة لم تخضع لسلطان بني أميّة مدة سبعة وسبعين عاما قبل ان يتمكن عبد الرحمن الناصر من اخضاعها لسلطان الحكومة عام ٣٢٠هـ (٢)، أستطيع القول ان طليطلة لم تكن خاضعة لسلطان الحكومة

---

(١) اخبار مجموعة، ص ١٥٣ وذكر ان الاندلس كانت في حالة فوضى واضطراب وان الثورات كانت مشتعلة في كل ناحية منها عندما تولّى عبد الرحمن بن محمد الناصر مقاليد الحكم عام ٣٠٠هـ؛ ابن الأثير، ج٧، ص ٤٣٥ فقد ذكر أنّ الأمير عبد الله بن محمد منذ ان تولّى مقاليد الحكم في الاندلس عام ٢٧٥هـ والاندلس مشتعلة بالثورات وصار في كل جهة متغلب، ولم تزل كذلك طوال ولايته التي استمرّت حتى عام ٣٠٠هـ، انظر المصدر نفسه، ج٨، ص ٧٣-٧٤؛ انظر المرّاكشي، ص ٥٣ فقد ذكر المعلومات التي ذكرها ابن الأثير؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢-١٣٣، ١٣٨، ١٤١-١٤٦، ١٤٩؛ انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٣٩٤-٣٩٥، ٣٩٧؛ انظر ابن الخطيب، اعمال، ص ٢٧، ٢٨؛ انظر ابن خلدون، م ٤، ص ٢٨٩-٢٩٥، ٣٠٣-٣٠٥؛ وانظر عنان، دولة، ق ١، ص ٣١٨-٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٦-٣٢٧، ٣٣١-٣٤٠، ق ٢، ص ٣٧٠، ٣٧٤؛ وانظر د. سالم، تاريخ، ص ٢٥٣-٢٥٩، ٢٦٥-٢٧٥؛ وانظر د. العبّادى، في تاريخ، ص ١٦٧-١٦٩.

(٢) انظر ابن عبدربه، ج٥، ص ٢٤٤ فقد ذكر شعرا سجّل فيه أحداث عام ٣٢٠هـ، والذى يعنينا هو ما يتعلق بطليطلة ومن ذلك :

فأذعنت وقبْلها لم تُذعنِ ... ولم تُقِد من نفسها وتُمكنِ

ولم تدِن لرّبها بدينِ ... سبعاً وسبعين من السّنينِ

وبالقاء نظرة فاحصة على ما قاله يتبين ان طليطلة لم تخضع لسلطان الحكومة منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وباجراء عملية حسابية بطرح سبع وسبعين سنه من تاريخ استعادة الحكومة لسلطتها على طليطلة في عام ٣٢٠هـ نجد ان الحكومة فقدت سلطتها على طليطلة منذ عام ٢٤٣هـ، وبالفعل فانّها قد خرجت على الحكومة منذ عام ٢٣٨هـ عندما تولّى الامير محمد مقاليد الحكم في الاندلس، الاّ انها اعطيت عهد أمان في عام ٢٤٥هـ، ثم نكثت ذلك العهد فيما بعد، انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٦١-٢٦٩ .

في تلك الفترة، ولكنّها لم تقم كما هو واضح بعمليات ضد القوات الحكومية كما فعلت في ثوراتها السابقة (١)، بل انّها اكتفت بالاستقلال عن الحكومة من ناحية تعيين الولاة عليها اذ ان الحكومة لم تعد ترسل الولاة اليها، وكذلك من ناحية الشؤون العسكرية اذ لم تعد تشارك في ارسال قوات للمساهمة في الحملات التيكانت ترسلها الحكومة، ومن ناحية عدم ارسال المستحقات المالية المرتبة عليها ايضا، وذلك يتضح من خلال ما ذكرته بعض المصادر حول امتناع الثائرين في الاندلس عن أداء الاموال المخصصة على مناطقهم للحكومة في قرطبة، ممّا كان له اسوأ الأثر على قوّة الحكومة خاصة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢).

ويمكن القول ان طليطلة كانت تتبع للحكومة تبعيّة اسميّة، مفرغة من أيّ مضمون فعليّ ومما يؤيّد هذا القول أنّ بني قسيّ كانوا خاضعين ظاهريّاً للحكومة في قرطبة عندما كانوا مسيطرين على طليطلة (٣)، والقول الذى ذكر ان لبّ بن الطربيشة خرج مع عبد الرحمن الناصر لمقاتلة الجلالقة في عام ٣٠٨هـ، ووصف ابن الطربيشة انه كان يظهر الطاعة ويخفي المعصية (٤)، يؤكد ان ثورة أهل طليطلة لم تكن بهدف الاستقلال التام بل انها كانت ترمي الى الاستقلال الذاتي، وان تُحكم من قِبل اهلها، وانها لم تكن مرتاحة لدفع أيّة أموال للحكومة، لأنّها اعتبرت ذلك مهانة لها وكأنّها عبارة عن أتاوة تدفعها.

فكانت تقوم بادارة وتسيير الأمور المحلّية المتعلقة بها القيادات المحلّية المتنفذة، والتي أعتقد انّها كانت تتألف من الزعامة الطليطلية المحلّية، وخاصة

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٥٤-٢٥٧، ٢٦١-٢٦٣، ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) انظر النويّرى، ج٢٢، ص ٣٩٥-٣٩٦، ٣٩٧.

(٣) انظر قول ابن حيّان، ج٣، باريس، ١٩٣٧م، ص ١٤٠: كما نقله السامرّائي، ص ٣٧٤.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٧٦.

من أسرة طربيشة بن ماسويه [1]، وربما من اسرة مطرّف بن عبد الرحمن – مقدّمي طليطلة اللّذين برزا في عهد الأمير محمد عام ٢٥٩ هـ – [2]، بالاضافة الى بعض الزعامات التي تفرض نفسها على المجتمع الطليطلي المحلّي، وبقيت السلطة بايدى الزعامات المحلّية [3] في طليطلة حتّى قيام عبد الرحمن الناصر في عام ٣٢٠هـ، باعادة فرض هيمنة وسلطة الحكومة على طليطلة [4]، وبالتالي اعادة تبعية طليطلة المباشرة للحكومة ويتضح ذلك من خلال قيام الحكومة مباشرة بتعيين الولاة والقادة لطليطلة، والذين كانوا من خارجها [5].

---

(١) والاسباب التي دفعتني الى القول بهذا الاعتقاد هي : ان لبّ بن الطربيشة كان يحكم طليطلة عام ٣٠٨هـ كما بينت ذلك، وبالرجوع بالذاكرة الى عام ٢٥٩هـ حيث كان طربيشة بن ماسويه هو أحد مقدميّ طليطلة آنذاك، ولكن المقدم الآخر غدر به في العام نفسه عندما دبّر مكيدة الانسحاب من أمام بربر شُكيان، وورود خبر في عام ٢٦٠هـ مفاده ان محمد بن الطربيشه (طربيشه) انتقم من مطرّف المقدم الآخر لطليطلة، بانسحابه من ميدان المعركة عام ٢٦٠هـ نكاية بمطرّف، مما كان له الاثر الواضح في هزيمة مطرّف وانصاره، ومما سبق أخلص الى القول ان محمد بن الطربيشه ظهر عام ٢٦٠هـ كأحد قادة طليطلة البارزين والذى تولّى القيادة من اسرة طربيشة بن ماسويه بعد محمد، هو لُبّ بن الطربيشة، انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) ابن عذارى، ج٢، ص ١٠١.

(٣) باستثناء الفترة التي سيطرت فيها اسرة بني قسيّ على طليطلة التي دامت ما يقارب العشر سنوات، انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٧٨.

(٤) ابن عبد ربه، ج ٥، ص ٢٤٤؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٧، ٣١٨؛ ابن عذارى، ج ٥، ص ٢٠٦؛ وانظر ابن الأثير، ج٨، ص ١٨٠؛ وانظر ابن الوردي، تتمة، ج:١، ص ٣٨٧ فقد ذكرا ان ذلك كان عام ٣١٥هـ.

(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٧٦–١٧٩، ١٨٩–١٩٠.

ثانيا : المعارضة الطليطلية في عصر الخلافة :-

المعارضة الطليطلية ابّان حكم عبد الرحمن الناصر:

تولّى عبد الرحمن بن محمد الناصر الحكم بعد جدّه الأمير عبد الله بن محمد عام ٣٠٠هـ (١) ، والأندلس تعجّ بالثائرين والخارجين على سلطان الحكومة في قرطبة (٢) ، بما في ذلك مدينة طليطلة (٣) ، فابتدأ عهده بالحزم والتصميم على اعادة فرض سيطرة الحكومة على سائر مناطق وأقاليم الأندلس ، وبالفعل تمكّن بالسياسة والحرب معا من اخضاع المناطق الثائرة (٤) ، الى ان جاء دور طليطلة التي وصفتها بعض المصادر انّها كانت خارجة عن سلطة بني أميّة في الاندلس ، بقيادتها المحليّة المتنفذة في أمورها ، بزعامة لُبّ بن الطربيشة ، الذى بادر عام ٣٠٨هـ الى الخروج الى عبد الرحمن الناصر والمشاركة معه بقواته لقتال القوات الجليّقية التي أغارت على حصن القُليعة القريب من مدينة الفرج (وادى الحجارة) (٥) ، ونعتت بعض المصادر خروج القوات الطليطلية بقيادة لُبّ بن الطربيشة بأنه خروج نفاق لأن طليطلة كانت خارجة عن سلطان الحكومة ، الا انها حاولت اظهار الطاعة للامير عبد الرحمن الناصر مع انّها تُبطن المعصية (٦) .

---

(١) المرّاكشي، ص ٥٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٥٦؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ٢٨.

(٢) اخبار مجموعة ، ١٥٣؛ المرّاكشي، ص ٥٣؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ١٥٧، ١٥٨؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٣٩٧؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٩؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٧٩.

(٣) ابن عبد ربّه ، ج ٥، ص ٢٤٠؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ١٦٠، ٢٨٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٧٦، ٢٠٢؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٣٠٠؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٣٠٥.

(٤) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠، ٢٨٣؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢، ص ١٥٩-١٦٦، ١٧١، ١٧٣-١٧٤، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٣-١٩٧، ١٩٨، ١٩٩-٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦-٢٠٧؛ وانظر النويّرى، ج٢٣، ص ٣٩٧، ٣٩٩.

(٥) ابن حيّان، ج٥، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ١٧٦.

(٦) ابن حيّان، ج ٥، ص ١٦٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٧٦.

لكنّ هذا الوقت لم يكن هو الزمن المناسب للقضاء على استقلال طليطلة وخروجها من أيدي الحكومة، وظلّت طليطلة على حالها الى ان جاء أوان حسم الموقف مع الطليطليين لاخضاعهم للسلطة المباشرة للحكومة الاندلسية، وأُختلف في الزمن الذي أعيد فيه اخضاع طليطلة فجاء في بعض المصادر أنّ ذلك كان عام ٣١٥هـ (١)، في حين أن مصادر أخرى ذكرت ان الحكومة أعادت فرض سيطرتها على طليطلة عام ٣٢٠هـ (٢)، وكانت عملياتها لاستعادة طليطلة قد بدأت منذ عام ٣١٨هـ (٣).

امّا الكيفية التي تمكنت فيها الحكومة من اخضاع طليطلة، والأحداث التي جرت فهي كما يلي : لم تقدم الحكومة على مهاجمة طليطلة وتجريد الحملات عليها دون سابق انذار، فان عبد الرحمن الناصر قام بالإعذار الى أهل طليطلة عن طريق ارسال وفد من أكابر العلماء والفقهاء ومن كبار خاصته الى طليطلة، لاقناع أهلها بالخضوع لسلطان الحكومة، والدخول في الطاعة (٤)، رغبة منه في عدم اراقة الدماء والتسبب في حدوث نزيف دم، كانت الأندلس في غنى عن وقوعه، نظرا للأخطار التي كانت تشكلها الممالك النصرانية في الشمال الايبيري، اذ انّها استغلّت حالة الفوضى والاضطرابه وضعف سلطة الحكومة الامويّة على الاقاليم الاندلسية التي كانت تمرّ بها الاندلس في

---

(١) ابن الأثير، ج ٨، ص ١٨٠، ذكر ان الناصر ظفر باهل طليطلة عام ٣١٥هـ؛ ابن الوردي ، تتمة، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٤؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٨؛ ابن عذارى، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٣) ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠-٢٨٢؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠. وذكر ان من اكابر الفقهاء الذين اختارهم الناصر لهذه المهمّة محمد عبد الملك بن أيمن بن محمد ابن ابراهيم بن عيسى، ومحمد ابن عبد الله بن ابي عيسى بالاضافة الى عدد من كبار خاصة عبد الرحمن الناصر منهم عبيد الله بن عبد الله الزجّالي؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٢.

الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري وفي بداية عهد عبد الرحمن الناصر [(١)]، وبدأت في مضاعفة جهودها لزيادة قوّتها، الى ان تمكنت من الاستيلاء على مناطق جديدة من ارض الدولة الاندلسية، مستفيدة من الصراعات الداخلية في الأندلس [(٢)]. وكان من الأجدر ان تُحقن تلك الدماء التي ستنزف من الجسد الاندلسي، وتدّخر الأموال والجهود التي ستبذل لما هو أهم من مجرّد الرغبات والاهواء والمصالح الاقليمية.

وعمل الناصر ذلك يتضح منه حنكته السياسية، فارسال وفد مصالحة من قبله الى أهل طليطلة سيزيد من رغبة العامّة والخاصة في الأقاليم الاندلسية التابعة لسلطانه في محاربة أهل طليطلة فيما لو لم يستجيبوا لعرض المصالحة والدخول في الجماعة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فانّ عرض المصالحة والذى توجه فيه نخبة من العلماء والفقهاء [(٣)]، سيُحدث رغبة عند قسم من أهالي طليطلة بالخضوع والدخول في الطاعة، رغبة منهم في عدم حدوث اراقة دماء والحاق اضرار وخراب في الممتلكات الطليطلية، بسبب المعارك التي ستقع، والتي ستكون في غير صالحهم، فلم لا يقبلون بالمصالحة ويحفظون دماءهم وممتلكاتهم وكرامتهم؟ أعتقد ان هذا هو الوضع الذى حدث، لأنّه لا بدّ وانّ اناسا سيخشون على ممتلكاتهم من نتائج الحرب وما ستخلّفه من دمار وخراب، من المؤكد ان تكون هناك مجموعات من الناس استجابت لدعوة وافكار العلماء والفقهاء، واقتنعت بها، الا ان الرأى الذى غلب وسيطر هو رأى المتنفذين في طليطلة المتمثل في عدم الرضوخ وعدم الاستجابة للدعوة الحكومية.

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٧٩ رقم (١).

(٢) انظر ابن عذارى، ج٢، ص ١٢٤ فقد ذكر ان اذفونش بن أردون استولى على مدينة سمّوره عام ٢٨٠هـ وقام بتحصينها، وانظر المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤١، ١٤٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠-١٧١، ١٧٢-١٧٣، ١٧٥-١٧٩، ١٨٥، ١٨٧-١٨٩، ٢٠٣، ٢٠٦-٢٠٧؛ وانظر ابن حيّان، ج٥، ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ٣١٧-٣١٨؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٣٠٥، ٣٠٧؛ وانظر عنان، دولة ق:١، ص ٣٤٠، ٣٤١؛ ق:٢، ص ٣٨٤-٣٨٥، ٣٦١، ٢٧٨-٢٨٠، ٢٨٠-٢٨٤؛ وانظر د. سالم، تاريخ، ص ٢٨٩؛ وانظر د. العبّادى، في التاريخ، ص ٢١٠.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٢.

مجريات الأحداث المتعلقة باسترجاع سلطة الحكومة على طليطلة :

بعد عودة وفد المصالحة الذى أرسله عبد الرحمن الناصر الى أهل طليطلة عام ٣١٨هـ، خائبا من المهمّة التي كلف فيها ، قام الناصر بارسال وزيره سعيد بن المنذر على رأس جيش لمحاربة أهل طليطلة في شهر ربيع الآخر من عام ٣١٨هـ وطلب اليه القيام بمحاصرة طليطلة ومضايقتها ، حتى يلحق به مع جنده ، فنفذ الوزير ما طُلب منه ، وقام بتشديد الحصار عليها ، وظلّ كذلك الى ان لحق الناصر به مع قواته ، علما ان بداية تحرّك الناصر كانت في بداية شهر جمادى الأولى من العام نفسه (١) . وكان حصن مورة تابعا لسيطرة المعارضة في طليطلة ، متخذة منه نقطة لمهاجمة انصار الحكومة ، ونقطة تجمّع للثائرين ، فقد جاء ذكر ذلك عندما تحدثت بعض المصادر (٢) عن توجه عبد الرحمن الناصر الى طليطلة ، ونزوله في موضع قريب من الحصن يدعى محلّة الغُدر .

تمكنت الحكومة من الاستيلاء على حصن مورة دون قتال، نظرا لاستجابة قائد الحصن مطرّف بن عبد الرحمن بن حبيب (٣) للتحذير الذى وجهه اليه الناصر بواسطة رسل أرسلهم

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٨١؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٢ .

(٢) انظر ابن حيّان، ج ٥ ، ص ٢٨٢ (مَوْره) ؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٢ .

(٣) التعليق على مطرّف بن عبد الرحمن بن حبيب : هل ان مطرفا هذا هو قائد طليطلة السابق ؟ لِمَ خرج الى الحصن ؟ من المؤكد ان اسرة طربيشة بن ماسويه وانصارها ، تمكنّوا من فرض سيطرتهم على طليطلة ممّا حدا بمطرّف الى الذهاب الى حصن موره ، ومن المعروف أنّه سبق وان تغلّب انصار طربيشة بن ماسويه على مطرّف وانصاره في تقديمهم طربيشة على مطرّف ، الأمر الذى دفعه الى الانسحاب من المعركة مع أهل حصن سكيان عام ٢٥٩هـ ، الاّ ان محمد بن الطربيشة كاد لمطرّف عام ٢٦٠هـ بنفس الطريقة التي استخدمها مطرّف مع طربيشة في العام السابق . انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٧١ - ٢٧٣ . ولكن يؤخذ على القول الذى قال ان مطرّفا كان قائدا لحصن مورة عام ٣١٨هـ، هو انّ مطرّفا وطربيشة رُشّحا لتولّي امر طليطلة من قِبل أهلها عام ٢٥٩هـ ، وبعملية حسابية استطيع القول ان عمر مطرّف بلغ تسعا وخمسين سنة ما بين عام ٢٥٩ و ٣١٨ هـ ، فلو افترضنا ان عمره كان عشرون عاما جدلاً، فان مجمل عمره يكون قد اصبح تسعاوسبعين عاما مع انّي استبعد ذلك، وربّما ان ابنا لمطرّف هو الذى كان موجودا في حصن مورة عام ٣١٨هـ .

اليه، والقاضي بتسليم الحصن وخروج مطرّف منه، فما كان من قائد المعارضة في الحصن الا الموافقة على التسليم لأنه لا مناص له من ذلك، واستخلف الناصر على الحصن من يقوم بضبطه وتنظيم شؤونه (١)، ثمّ واصل مسيرته، حتى وصل مكانا يسمى جرنكش (٢)، على مقربة من طليطلة في الرابع عشر من جمادى الأولى من العام نفسه (٣)، من هذا المكان - الذى كان عبارة عن جبل، والذى كان يتمتع بمزايا الاشراف على سهل طليطلة ونهر التاجه المارّ بها، والتحكم بكرومها ومزارعها -، قررّ الناصرأن تحاصر قواته طليطلة من جهة باب المقبرة، ليكون ذلك أبلغ في النكاية، واشد في المضايقة، لأنّ ذلك سيزيد من قوّة الحصار الأمر الذى سيشدد الخناق على أهل طليطلة.

نفّذ عبد الرحمن الناصر ما عزم عليه في اليوم الثاني واستخدم في نكايتهم ما لم يخطر على أذهانهم طيلة المدّة التي قضاها في المحاصرة والبالغة سبعة وثلاثين يوما، فقام بقطع ثمارهم، وتخريب قراهم وتدمير مزروعاتهم ومحاصيلهم (٤).

---

(١) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٢) ورد عند ابن عبد ربّه، ان الاسم جرْنكشه: انظر ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣، وورد عند ابن حيّان لفظ هذا المكان حرنكس. انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٨؛ في حين انّه ورد عند ابي عذارى جرنكش انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣، والملاحظ على الاسم ان التنقيط هو سبب الاختلاف في اللفظ وأرى ان ذلك كان خطأ وسهوا وقع فيه ناسخوا المخطوطات عندما كتبوا النّص، فمثلا ورد الخطأ عند ابن حيّان فمرّة جاءت كتابتها حرنكس وفي المرّة الثانية كتبت حرنكش، ومن المؤكد أن اللفظ الأول عند ابن حيّان ينقصه النقط الثلاث على آخر حرف فتكون عنده الكلمة حرنكش ويصبح الاختلاف بينه وبين المصدرين الآخرين هو عدم وجود نقطة تحت الحرف الأوّل بالنسبة للفظ ابن حيّان ويغلب على الظنّ ان لفظ الكلمة هو: جرنكش.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢-٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

لم يكتف الناصر بفرض الحصار الشديد على طليطلة والقيام بمحاربة المعارضة فيها اقتصاديا، بل أنه أقدم على خطوة اخرى في محاربتهم، فطلب من قواته القيام ببناء حصن ليكون مستقرًا لقوّاته في جرنكش (١)، ووصفت بعض المصادر المباني التي أقيمت في ذلك الموقع انها شكلت مدينة وأنّ الناصر أطلق عليها اسم مدينة الفتح، وكان قد كلف وزيره سعيد بن المنذر تنفيذ البناء واكماله (٢)، وزيادة في إحكام الأمر، أمر بنقل الاسواق الى مدينة الفتح، وتحضيرها لتكون كل متطلبات العسكر موجودة فيها، وشحنها بالعُدد والأقوات والصنّاع والبنّاشين (٣)، وانزل بها خاصة قوّاته، ورتب لهم أماكنهم وفترات الحصار والجهات التي ستقوم كل طائفة من الجند بقيادة نخبة من كبار القادة بواجبها في فرض الحصار، على طليطلة حتىّ صارت القوّات محيطة بطليطلة إحاطة السوّار بالمعصم (٤).

أمّا طليطلة نفسها فلم يتركها تتنفس الصعداء بل عيّن محمد بن سعيد بن المنذر قائدا للجند على باب القنطرة، وشدّ على سعيد وابنه في الاكثار من محاربة أهل طليطلة (٥). قدم على الناصر – قبل ان يعود الى قرطبة من طليطلة – صاحبا حصني قنالش (قنيلش) والفهمين ليدخلا في طاعته، تتقبّلهما ونقلهما معه الى قرطبة وكافآهما (٦)، وكان رحيل الناصر عن طليطلة لست بقين من جمادى الآخرة من عام ٣١٨هـ (٧).

---

(١) وصف ابن عبد ربّه ان المباني التي أمر عبد الرحمن الناصر بانشائها انهما عبارة عن حصن منيع مهمتّه التكفل بمحاربة اهل طليطلة وذكر ذلك في ابيات شعر منها: فيها غزا بعزمه طليطلة وامتنعوا بمعقل لا مثل له
حتىّ بنى جرنكشه بجنبها حصنا منيعا كاملا بحربها
وكلمة فيها تعني في سنة ٣١٨هـ. انظر ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣.

(٢) ابنّ حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣.

(٥) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣–٢٨٤؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٦) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣ (قنالش)؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣ (قنيلش).

(٧) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٤؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

ممّا سبق يلاحظ ان طليطلة وبعض المناطق الواقعة في اقليمها لم تكن خاضعة لسلطة الدولة وكذلك الحصون التالية: مورة[(١)] وقنالش (قنيلش) والفهمين[(٢)]، بالاضافة الى مناطق أخرى لم تسمّها المصادر انما أشار أحدها الى انّ الناصر خرّب القرى التابعة لأهل طليطلة عام ٣١٨هـ[(٣)]، كما ان البناء الذى أمر به الناصر ان يُقام ويتمم ليصبح مدينة اسمها الفتح، كان من أقوى الضربات التي وجهّت لطليطلة في عصر الخلافة وكان لها الأثر الكبير في ضمان تبعيّة طليطلة للحكومة وعدم قيامها بالثورات في عصر الخلافة فيما بعد، لأن تلك القاعدة الحكوميّة المتقدمة - التي ربضت على موقع مهم من حيث الارتفاع والتحكم في مداخل طليطلة ومواردها[(٤)] -، كانت تراقب كلّ تحركات أهل طليطلة، وممّا عزّز ذلك الموقع هو: وضع الاسواق التجارية بالاضافة الى المتطلبات المهمّة في تلك المدينة الجديدة[(٥)]، اذ انها اصبحت صاحبة المركز الاقتصادى في منطقة طليطلة نظرا لتحكمها في مدينة طليطلة بسبب موقعها الذى كان يشرف على الطرق التجارية والمداخل والمخارج المؤدّية الى اراضي أهل طليطلة الزراعيّة، ساعدها في ذلك اسكان عناصر عسكريّة موالية للحكومة فيها[(٦)]، على عكس العناصر التي في طليطلة، والتي كانت تتخذ مواقف عدائية ضد الحكومة في قرطبة[(٧)]، وبمعنى آخر ان مدينة الفتح لم تكن بحاجة الى طليطلة، في حين ان طليطلة كانت بحاجة الى مدينة الفتح بسبب موقعها وتحكّمها بالداخلين والخارجين الى طليطلة.

---

(١) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٢) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣.

(٤) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٢-٢٨٣ بالنسبة لموقع مدينة الفتح؛ وانظر ابن عذارى، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٥) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٦) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٣.

(٧) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص٢٢٤ وما بعدها، ٢٥٣ ، وما بعدها، ٢٦١، وما بعدها، ٢٧٦، وما بعدها.

من الأمور التي استغلها عبد الرحمن الناصر عام ٣١٨هـ التعجيل بارسال قواته الى طليطلة، لحرمان المعارضة فيها من الاستفادة من المحاصيل والثمار التي اقترب زمان جنيها وقطافها، والتي ستستفيد منها المعارضة في عمليّة اطالة المقاومة والصمود أمام القوات الحكوميّة، وهذا ما أدركته الحكومة من خلال ردّ أهل طليطلة غير الواضح والمماطل عندما قابلهم وفد المصالحة الذى أرسلته الحكومة لهم عام ٣١٨هـ (١)، وكذلك من خلال الرسالة التي ارسلوها الى الوزير موسى بن محمد بن حدير يرجونه التوسط لهم عند عبد الرحمن الناصر، الا انه فهم مغزاهم، الذى كانوا يهدفون من ورائه الى تأخير قيام الحكومة ارسال قوات لمحاربتهم، بقصد الاستفادة من محاصيلهم وثمارهم التي دنا وقت نضوجها ليستفيدوا من ذلك في عمليّة الاستعداد لمواجهة القوات الحكومية (٢).

<u>ارسال تعزيزات حكوميه جديدة الى طليطلة:</u> لم يكتف عبد الرحمن الناصر بالقوات التي تركها على حصار طليطلة، بل قام بارسال قوات جديدة بقيادة ابن سليم عام ٣١٨هـ (٣)، لتدعيم واسناد القوات الحكومية المحاصرة لطليطلة لتضييق الخناق على المعارضة الطليطلية، عززت الحكومة تلك القوات بقوات جديدة بقيادة القائد دُرّي في عام ٣١٩هـ (٤)، وقامت بتشديد القبضة على طليطلة.

أرى ان تلك الامدادات من الرجال والقادة كانت تذهب للقيام بالمحاصرة لتحل محل القوات المُحاصِرة أو بعض منها لكي تأخذ القوات التي كانت تقوم بمهمّة الحصار قسطا من الراحة، لكي لا يملّ جنود الحكومة من القيام بواجب الحصار، وتكون بذلك

---

(١) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٠؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٢.

(٢) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨١.

(٣) ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣. وقال الرازى ان اسم القائد هو الزبير بن السليم وقد وردت الاشارة اليه في عام ٣٢٠هـ على انه قائد القوات الحكومية القائمة على محاصرة طليطلة: انظر قول الرازى في ''ابن حيّان''، ج ٥، ص ٣٢١.

(٤) ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣. واسم القائد هو درّى بن عبد الرحمن: انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٢٠؛ ابن عذارى، ج ٥، ص ٢٠٧.

عملية التبديل مفيدة في تجديد الجهد والعزم، والتأكيد على اصرار الحكومة على بسط سيطرتها على طليطلة، في حين ان المعارضة الطليطلية لم تكن تعرف الرّاحة نتيجة لتداول الحصار عليهم من قبل القوات الحكوميّة.

ذكرت بعض المصادر ان الناصر أراد ان يتوجه لمحاربة أهل طليطلة عام ٣١٩ هـ، الا أنّه تراجع عن فكرته تلك واستغنى عن الذهاب الى طليطلة بالقادة والجند الذين رتّبهم لمحاصرتها، واكتفى بامدادهم بالعدد والعدة، والأعطيات، وشدّد عليهم في بذل أقصى درجات الجدّ والعزيمة (١).

في حين ان ابن عبد ربّه اكتفى بالقول ان قوات أُرسلت الى طليطلة بقيادة القائد دُرّي (٢) لتكون رديفا للقوات التي أرسلت لمحاصرتها عام ٣١٨هـ، علما ان المصادر لم توضّح الأسباب التي جعلت الناصر يغيّر رأيه في الذهاب الى طليطلة لمحاصرتها (٣)، ومن المؤكد أنّ مناعة طليطلة (٤)، وعدم ظهور بوادر ضعف في موقف المعارضة الطليطلية تشجع الناصر على الذهاب اليها لاخضاعها جعلته يؤجل ذلك، لأنّ قواته المحاصرة لها لم يكن يعوزها عدد الرجال أو العتاد (٥)، فرأى الناصر ان ذهابه لن يكون مجديا في عام ٣١٩هـ، وان عليه ان ينتظر بقية هذا العام لكي تعطي عمليّة الحصار الأهداف المرجوّة منها، بعد أن يكون الجهد والعناء والضعف قد بلغ من أهل طليطلة مبلغه، عندئذ يتوجه لتوجيه الضربة القاصمة لهم. واعتقد انّه قام بارسال قوات جديدة كما ذكر ابن عبد ربّه وابن حيّان (٦)، وأنّ أحد تلك البعوث التي أنفذها الناصر الى طليطلة في عام ٣١٩هـ كان بعث القائد دُرّي.

---

(١) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٧؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٤.

(٢) ابن عبد ربه، ج ٥، ص ٢٤٣.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٧؛ ابن عذارى، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٤) انّ مدينة طليطلة كانت من أشدّ المدن حصانة: انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٧٩، ٣١٨– ٣١٩؛ وانظر هذه الدراسة، ف ١، ص ٥ – ٧.

(٥) اذ انّه ترك قوات كبيرة لحصارها، وارسل قوات جديدة في العام نفسه، وكذلك في عام ٣١٩هـ.

(٦) انظر ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٤٣؛ انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٨٧.

كما ان قوات من العاصمة قرطبة توجّهت بقيادة الوزير القائد أحمد بن محمد بن حُدير الى طليطلة عام ٣١٩هـ، وقامت بعملية محاصرة طليطلة مع القوات والقادة الذين كانوا يقومون بعمليّة الحصار[(١)] ، علما ان قوات الوزير ابن حدير كانت متوجهة الى الثغر الأعلى لمواجهة قوات الممالك النصرانيّة في الشمال التي كانت تعدّ لمهاجمة تلك المناطق ، مستغلّة انشغال حكومة الاندلس في أمر طليطلة الا ان الاخبار وصلت الى القادة القائمين على حصار طليطلة[(٢)] ، فأرسلوا للناصر يخبرونه بالخبر، فأعدّ لذلك وزيره ابن حدير على رأس قوات أرسلها على الفور للتصدى لتلك المحاولة، ولكنّ سرعة تحرك الحكومة وقيامها باعداد وارسال القوّات أدّت الى تراجع القوات المعادية ـ بعد ان علمت تلك القوات بتحرك القوّات الحكومية ـ عن فكرة مهاجمة مناطق الثغر الأعلى، عندئذ سارت القوات الحكوميّة بقيادة ابن حدير الى طليطلة للمساهمة في القضاء على صمود المعارضة الطليطلية وتشديد القبضة عليها[(٣)] .

هذا الخبر يكشف مدى الأخطار التي كانت تجرّها الثورات الداخلية في الاندلس على الوجود الاسلامي في تلك الربوع، الأمر الذى كان يُكسب الممالك النصرانية الفرص لاعداد أنفسها وتجميع قواها للانقضاض على مناطق مجاورة لها كما كان سيحدث في عام ٣١٩هـ ، وكما حدث عام ٣٢٠هـ، عندما توغلّت قوات الجلالقة في منطقة طليطلة لتساعد المعارضة الطليطلية في الخروج من المأزق التي كانت فيه[(٤)] ، اذ ان القوات الجلّيقية (قوات مملكة ليون) استولت على مجريط خلال مسيرتها تلك[(٥)] ، وفي الوقت نفسه تؤدى

---

(١) انظر ابن عبد ربّه، ج ٥، ص ٢٨٨؛ ابن عذارى ، ج ٢، ص ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٢) ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٤؛ وانظر ابن حيّان، ج٥، ص ٢٨٨ فانّه لم يذكر ان الأخبار وصلت للقادة بل انّه ذكر انه بلغ الناصر، فقام بارسال القوات . ومن المؤكد ان الاخبار وصلته عن طريق القادة المُحاصِرين لطليطلة ولكنّه اكتفى بالقول ان الناصر أُبلغ في ذلك .

(٣) ابن حيّان، ج ٥ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٧ـ٣١٨؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٦.

(٥) عنان، دولة، ق:٢، ص ٣٨٥ علما انه لم يذكر مصدر خبره.

الثورات الداخلية الى اضعاف المسلمين في الاندلس ، بسبب نزيف الدم الذى كانت تخلفه وراءها نتيجة للجراح التي أصابت الجسد الاندلسي ، وبسبب اضعاف الاقتصاد ، واضاعة الوقت والجهد في اخماد الثورات الداخلية بدل ان تصب تلك المقدّرات الماليّة والعسكرية والبشرية في شريان الاعداد لمواجهة الاخطار المحدقة بالأندلس من قبل الممالك المسيحية في الشمال الايبيرى .

الكيفية التي تمّ فيها للحكومة السيطرة على طليطلة عام ٣٢٠هـ : بادئ ذي بدء لا بدّ أن توضح الكيفية التي تمّ فيها للحكومة السيطرة على طليطلة ، هل ان المعارضة الطليطلية انهارت في عام ٣٢٠هـ بمجرّد خروج قائد طليطلة ثعلبة بن محمدّ عبد الوارث (١)؟ والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا : هل كان ثعلبة هو قائد طليطلة الوحيد؟ أم أنّه كان واحدا من قيادييها؟ وهل كان خروجه من طليطلة وتقديمه الاعتذار الى الناصر عن شخصه (٢)؟ أم كان بصفته قائدا من أبرز قادة المعارضة في طليطلة؟ ومن الأمور التي تستوقف انتباه الدارس لتاريخ هذه الفترة ، الكيفية التي تمّ فيها للحكومة السيطرة على طليطلة ، هل أقتحمت القوات الحكومية طليطلة وسيطرت عليها بالقوّة؟ أم ان المعارضة الطليطلية اضطرّت للتسليم ؟ وهل كان التسليم استسلاما كاملا ؟ أم انّه كان بشروط نتجت عن مفاوضات جرت بين الجانبين ؟ ان كان الأمر كذلك فما هي تلك الشروط ؟ وما هي دلالاتها ان وجدت ؟.

<u>حملة الحكومة على طليطلة سنة ٣٢٠هـ بقيادة عبد الرحمن الناصر، واستنجاد أهل طليطلة بالجلالقة ؟</u>

بدأ عبد الرحمن الناصر في الاستعداد للتوجه بحملة الى طليطلة تكون بقيادته شخصيا في بداية شهر جمادى الأخرة من عام ٣٢٠هـ ، وبدأ تحركه في الرابع عشر من شهر

---

(١) ابن حيّان ، جـ ٥ ، ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٢٠٧.

(٢) ابن حيّان ، جـ ٥ ، ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، جـ٢ ، ص ٢٠٧.

رجب من العام المذكور[١]، واعتقد ان سبب توجهه هذه المرّة كان بسبب استنجاد أهل طليطلة بقوات نصارى جلّيقية (مملكة ليون) بعد ان اشتدت معاناتهم من شدّة الحصار الذى فرضه عليهم القادةُ الحكوميون المحاصرون لهم ، فاستغلّ الجلالقة بقيادة (الملك راميرو الثاني ''رذمير'') ملك ليون Ramero II[٢]، ذلك الوضع وتقدّموا لنصرة المستنجدين بهم[٣]، واستولوا في طريقهم على حصن مجريط[٤]، الاّ ان قادة القوات الحكومية المحاصرة لأهل طليطلة علموا بتقدم القوات الجلّيقية فخرجت قوات منهم لمواجهتهم ، ودارت بين الجانبين معركة لم تسمّها المصادر، كانت العاقبة فيها للمسلمين اذ أنّ تلك القوات فرّت مولّية الأدبار[٥].

بعد أن سمع الطليطليون أخبار هزيمة وفرار القوات التي استنجدوا بها ، وبنوا الآمال عليها لتخليصهم ممّا كانوا فيه من شدّة الحصار والعناء ، وأصبحت أحوالهم كرجل لُفّ حول عنقه حبل المشنقة ، عندئذ رأوا ان لا مناص لهم الاّ الولوج من باب الحكومة والانقياد لها ، والانصياع لأوامرها ، يحدوهم الرجاء والأمل في عفو عبدالرحمن الناصر وصفحه عنهم لكي يأمنوا بجواره ، فطلبوا الدخول في طاعة الحكومة ، فمنحوا الأمان والعفو[٦]، وتمّ ذلك بعد أن قام القادة بأبلاغ الناصر، فخرج ليشرف على ذلك بنفسه[٧]، وأرى ان الناصر كان على علم بالحالة التي وصل اليها أهل طليطلة ، وخاصة بعد فشل حملة الجلالقة (مملكة ليون) التي كانت ترمي الى فك الحصار عن أهل طليطلة ، فتوجّه الى طليطلة ، واعتقد أنّ توجّه الناصر اليهم ، ووصول أخبار الهزيمة التي منيت بها القوات التي عوّل عليها الطليطليون في اخراجهم من محنتهم ، وفرارها

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٧؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٦.

(٢) عنان ، دولة ، ق:٢ ، ص ٣٨٤. ويسمّى ايضا ردمير الثاني وقد حكم من عام ٣٢٠-٣٣٩هـ /٩٣٢-٩٥٠م انظر د. الحجيّ التاريخ ، ص ٢٧٣.

(٣) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٧-٣١٨؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٦.

(٤) عنان ، دولة ، ق:٢ ، ص ٣٨٥.

(٥) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٦) ابن حيّان ، ج٥ ، ص ٣١٨؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧.

(٧) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧.

الى موطنها ، دفعت أهل طليطلة الى طلب الأمان والدخول في الطاعة ، لأنّه لم يبق أمامهم أمل في النصرة من أحد ، وبلغ الحصار منهم كلّ مبلغ ، فقرّروا طلب الأمان من الناصر قبل ان يصل اليهم بقواته ويأخذ المدينة بالقوّة ، حفاظا على كرامتهم قبل ان تهدر .

والسؤال الذى لا بدّ من الاجابة عليه هو : لماذا خرج ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث من طليطلة عام ٣٢٠هـ معتذرا الى الناصر راجيا الصفح عنه ؟ علما ان خروجه حدث قبل وصول الناصر الى مدينة الفتح (١) ، مع ان المصادر نفسها ذكرت أنّ أهل طليطلة توسّلوا الى الحكومة في قبول طلبهم المتعلق برغبتهم في انهاء المعارضة والخضوع لسلطة الدولة ، وان يُمنحوا الأمان والعفو عمّا كان منهم (٢) ، وطلب أهل طليطلة حدث قبل خروج القائد الطليطلي ثعلبة بن محمد زمنيا ، فلِمَ خرج ما دام عرض المعارضة الطليطلية كان بمثابة عرض من جميع أهل المدينة في الخضوع لسلطة الحكومة مقابل العفو والأمان لجميع من فيها ؟.

في اعتقادى ان خروج ثعلبة الى الناصر قبل ان يقترب الناصر من طليطلة ، كان بمثابة تأكيد على الرغبة في الخضوع وزيادة في الحرص على أخذ الأمان والعفو لأهل طليطلة ، مقابل استسلام وانقياد الطليطليين لسلطة الحكومة .

وفعلا فانّ الناصر تقبّل اعتذار ثعلبة ودخوله في طاعة الدولة ، وتقبّل الناصر ذلك منه كقائد طليطلة المدبّر لأمرها ، كما وصفته بعض

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٢) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ؛ ابن عذارى ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

المصادر[1] ، أي ليس بصفته الشخصية ، ومما يؤكد القول ان ثعلبة خرج الى الناصر قبل وصوله لمدينة الفتح معتذرا عنه وعن أهل طليطلة ، ذِكرُ ابن حيّان أنّ أهل طليطلة حذوا حذو ثعلبة واقتدوا بفعله ، فبدأوا يخرجون الى الناصر معلنين ندمهم ومعذرتهم عمّا بدر منهم ، مقدّمين الطاعة والولاء اللذين قوبلا بالعفوعنهم وتأمينهم والاحسان اليهم[2] .

والمعلومات التي ذكرها ابن عذارى تشبه المعلومات التي ذكرها ابن حيّان ،الا ان الذى يعنينا من رواية ابن عذارى قوله : ان الناصر عفا عن ثعلبة عندما التقى به ثمّ انه أمّن أهل طليطلة ، فخرجوا بعد ذلك الى معسكر القوات الحكومية[3] ، ويفهم من قول ابن عذارى أنّ أهل طليطلة أُمّنوا بعد أن عفى الناصر عن مقدمّهم ثعلبة بن محمّد ، وبعد ذلك خرجوا الى المكان الذى كانت فيه القوات الحكومية ، وأرى ان خروجهم كان لتقديم الطاعة والولاء واعلان الندم عمّا سلف ، وليس للحصول على الطعام كما صوّر خروجهم ابن عذارى[4] ، فلا يعقل ان يخرجوا فورا للحصول على الطعام ، فالذى جعلهم يصبرون طيلة مدّة الحصار يجعلهم قادرين على الصبر لبضعة أيّام أُخر حتى تهدأ الأمور اكثر ويروا ما الذى ستفعله الحكومة بعد أن اعلنوا الانقياد والولاء لها ، واعلان الحكومة في المقابل منحهم الأمان والعفو .

---

(١) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧ فقد وصف ثعلبة انّه مقدم أهل طليطلة . ولكن السؤال الذى لا بدّ من اشارته هنا هل كان ثعلبة هو قائد طليطلة الوحيد؟ ام انّه كان واحدا من قياديّيها ؟. سبق وان ذُكِرَ ان لُبّ بن الطربيشة كان مقدم طليطلة عام ٣٠٨هـ : انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ١٦٢ ؛ وانظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ١٧٦ ، فأين ذهب ابن الطربيشة ؟ وما هو مصيره ؟ أهو حيّ يرزق؟ ان كان كذلك ما دوره ؟ وهل ان ثعلبة المذكور هو مقدّم طليطلة الوحيد؟ أم انّه احد مقدميّها ؟ـ علما انّه كان لطليطلة مقدميّن في عام ٢٥٩هـ: انظر ابن عذارى ،ج٢ ، ص ١٠١ ، ـ وذهب الى مقابلة الناصر كمندوب عن جميع أهل طليطلة ليقدّم الولاء والطاعة ويأخذ الأمان له ولأهل طليطلة ، كل ما استطيع قوله هو أنّ ثعلبة كان أحد قادة طليطلة البارزين وانّه ذهب بوصفه ممّثلا عن المدينة ، فوُصِف انه قائدها .

(٢) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٣١٨ .

(٣) ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

(٤) انظر ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

استطيع القول ان ثعلبة بن محمد خرج لمقابلة الناصر بصفته ممّثلا عن أهل طليطلة لتقديم الاعتذار عمّا ارتكبه أهل طليطلة وتقديم الولاء والطاعة، اذا ما استجابت الحكومة لمطلبهم، وهو العفو عن أهل طليطلة جميعا واعطاؤهم الأمان، لأنّه لا بدّ وان تجرى مقابلة بين وفد او شخص من أهل طليطلة والناصر، لأخذ الأمان للجميع، ولا يتسنّى ذلك الّا من خلال قيام وفد او شخص يمثّل المدينة بتقديم الاعتذار واعلان الطاعة للحكومة مقابل الحصول على عفو عامّ وأمان لجميع أهل طليطلة، لذلك أرى ان هذا هو الذى حدث، ويتضح ذلك من خلال رواية الرازى التي ذكر فيها أنّ أهل طليطلة اشترطوا شروطا فقبلها الناصر (١)، وعادة ما يتم ذلك بواسطة خروج وفد ولقائه بالجهة المقابلة، فتجرى المفاوضات، أو يتّم خلال اللقاء تقديم المطالب والشكاوى، فيُصار بعد اللقاء الى المصالحة واتمام ما جرى بين الفريقين.

عرض رواية الرازى :

والآن سأذكر رواية الرازى، والتي قال فيها أنّ أحد علماء طليطلة أخبره عن الكيفية التي تمّ فيها للحكومة اخضاع طليطلة، فأوّل خطوة كانت قيام القوات الحكومية بمحاصرة طليطلة من معظم جوانبها (٢)، ومن ثمّ القيام بتشديد الحصار ومضايقة أهل طليطلة بالحيلولة بينهم وبين جميع مرافقهم الحيّوية، مما كان له اشدّ الأثر في الاضرار بالفقراء وممّن لم يكن عنده وفرة من المخزون الغذائي. وعندما وصل الأمر الى هذا الحدّ ضربت الحكومة ضربتها اذ ان قائد المعسكر الحكومي المُحاصر لطليطلة والمدعو الزبير بن السليم أعلن بواسطة نداء عامّ الى أهل طليطلة وخاصة للضعفاء والأرامل والأيتام والفقراء منهم، ''أنّ من بلغه الحصار وناله الجوع ويمنعه من الخروج الخوف منه، فليخرج متى شاء، آمنا مطمئنا في نفسه وعياله وماله وولده، يقيم حيث يشاء ويمضي الى حيث يريد، لا يعرض له باذى، ولا ينال بمكروه، فاصغى طبقات الناس من أهل المسكنة الى ذلك منه، وطرقوا في الخروج اليه، ولم تبنزل

---

(١) انظر قول الرازى في ''ابن حيّان''، ج ٥، ص ٣٢٢.

(٢) قال الرازى في ''ابن حيّان''، ج ٥، ص ٣٢١. وهو احمد بن محمد الرازى.

طوائفهم يتتابعون في ذلك ويكثرون منه ، كلما أدركهم الجهد ونالهم الحصار، ودخل فيهم من لم يكن من الأصناف المسموح لها بالخروج فخرج المقاتلة من الفرسان والرّجالة طمعا في الاحسان والراحة وهروبا من الحصار والضيق، وانتشرت أخبار المعاملة الحسنة التي كان يتلقاها الخارجون عن طليطلة ، اذ ان الخارجين بدأوا في تشجيع أقاربهم ومعارفهم داعينهم الى ان يحذوا حذوهم ، وانتشر الأمر أكثر وبدأ النزوح عن طليطلة بشكل واسع حتى ان ذوى القوّة من أهل طليطلة بدأوا في الخروج عن مدينتهم وانتشر الأمر ايضا بشكل واسع في صفوف المحاربين (١) .

أما الذين ظلّوا في طليطلة فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبلغ الاعياء والارهاق منهم مبلغا عظيما ، الأمر الذى أجبرهم أخيرا على طلب الصلح والصفح ، فما كان من الحكومة الا الاستجابة لدعوة المعارضة (٢) ، حتى ان الرازى ذكر ان أهل طليطلة اشترطوا شروطا فأُعطوا ما طلبوا : ومن شروطهم "الحريّة عن الوظائف والاعفاء عن النوائب ومن شكوس القَبالات ومعرّة الانزال في الدّور ، وأن لا يؤخذ منّا (القول للشيخ الطليطلي ويقصد أهل طليطلة) غير الزكاة المفروضة على السنّة المعلومة ، وان لا يعزل عنّا صاحب صلاتنا ، ولا يقدّم علينا الا خيارنا ، ومن تتفق عليه جماعتنا ، فلم يمنعنا السلطان ذلك كلّه ، ولا ضايقنا في شيء منه فأسمحت عند ذلك قرابتنا وألقينا اليه بايدينا ، وفتحنا له مدينتنا ، فدخلها على حكمه ، ووفى لنا بعهده ، وتغمدّنا جميعا بعفوه ، وتلقى اساءتنا بصفحه ، ونظر لنا ولبلدنا باحسن نظر ، وأكمله واحوطه بعاجل الوقت ومآل عاقبته ، بأن فصل بيننا وبين القصر المخصوص به لعمّاله بسور منيف بيننا وبينهم ، فكان ذلك صلاح الجميع وسكون نفوسهم واستقامتهم على الطريقة بحمد ربهم" (٣) .

---

(١) قال الرازى في "ابن حيّان" ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

(٢) قال الرازى في "ابن حيّان" ، ج ٥ ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

(٣) قال الرازى في "ابن حيّان" ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

<u>ملاحظات حول رواية الرازي</u> : تميّزت رواية الرازى انّها تتكلم من وجهة نظر أهل طليطلة ، لأنّ المصدر الذى استقى الرازى معلوماته منه ، كان شيخا من علماء طليطلة أخبره بتلك الأخبار في مسجد طليطلة (١) ، والأهمّ من ذلك ان الشيخ الطليطلي عاصر فترة الأحداث وأشار الى شخصه على أنّه ممّن عانوا من شدّة الحصار الذى تضاعف بسبب خروج بعض سكان طليطلة منها نتيجة للحصار المفروض عليها (٢) .

ويُستشف من رواية الرازى ان سياسة الحكومة كانت ترمي الى تشجيع خروج الناس عن طليطلة (٣) ، لاضعاف قوّة المعارضة في طليطلة وقدرتها على الاستمرار في الصمود ، ونجحت تلك السياسة التي انتهجتها الحكومة تجاه المعارضة الطليطلية اذ ان الأمر تعدّى الناس العاديين في المدينة الى المقاتلين من الفرسان والرجّالة ، حتىّ ان ذوى القوّة والاغنياء تركوا المدينة لتلاقي مصيرها (٤) ممّا كان له اسوأ الأثر في نفوس الباقين ، وهذا يعني ان المعارضة أصبحت في موقف حرج من جرّاء هذه السياسة ، هذا الوضع بالاضافة الى شدّة الحصار (٥) وعدم وجود بارقة أمل في الخلاص من الحصار أدت في النهاية الى طلب الأمان ، ومن خلال طلب الأمان والقبول بالخضوع لسلطة الحكومة ، قدّم أهل طليطلة بعض المطالب قبل ان يستلموا ويفتحوا أبواب مدينتهم ، وبيّن الشيخ الطليطلي (٦) ان مطالب أهل طليطلة أجيبت وان عبد الرحمن الناصر كتب لهم كتابا بذلك .

---

(١) قال الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

(٢) انظر قول الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢١ .

(٥) انظر المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

(٦) انظر قول الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

ومطالبهم تتلخص في : أولا : الحريّة عن الوظائف (١) ، أي ان يكونوا احرارا في العمل في الوظائف الحكومية ، وربّما ان المقصود هو ان لا يُسخّروا (٢) للعمل في الوظائف الحكومية ، الّا اذا وافق ذلك رغباتهم .

ثانيا : والاعفاء عن النوائب ، ومعنى كلمة الاعفاء والعفو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب (٣) ، وامّا كلمة النوائب : فهي جمع نائبة ، بمعنى المصيبة ، والنوائب ما ينوب الانسان أيّ ما ينزل به من المهمات والحوادث (٤) ، فيصبح المعنى المقصود للمطلب الثاني : التجاوز عمّا يحدث (٥) ، وأرى ان المقصود هو: التسامح والصفح عن كلّ ما حدث ، ولا يمنع ذلك ان المقصود هو الصفح عن الزلّات التي سترتكب في المستقبل ، وانْ لا يكون الهدف هو المعاقبة ، بل ترك المجال مفتوحا امام الاشخاص الذين يرتكبون اخطاء للتوبة وللتراجع عمّا فعلوا .

ثالثا : والاعفاء من شكوس القَبالات (٦) ، ومعنى شكوس المأخوذة من كلمة شكس التي تعني سيّئ الخلق ، فتصير شكوس بمعنى سيئي الخلق (٧) ، وامّا كلمة القَبالات : فهي الكفالات لأنّ معنى القبالة هو الكفالة ، وورد في حديث ابن عبّاس : ايّاكم والقبالات فانّها صَغار وفضلها ربا ، ومعنى ذلك : هو ان يتقبّل بخراج او جباية اكثر مما أعطى ، فذلك الفضل ربا ، فان تقبّل وزرع فلا بأس (٨) ، ومعنى ان يتقبّل بخراج ان يتكفل بالخراج .

---

(١) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٢) ورد قول لعمر بن عبد العزيز انه طلب الى عماله عام ١٠٠هـ ازالة السخرة عن أهل الذمّة الذين يعملون في الارض الخراجيّة . انظر ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٠٠ ، ومن هذا القول يستشف ان الحكومة في الاندلس ممثّلة في عمّالها ورجالها في طليطلة ، كانت تستخدم أهل الذمّة في اعمال تعود خصوصيتها للحكومة ، فكره أهل طليطلة ذلك وتذمّروا منه ، ولم تتقبّله نفوسهم . ولهذا فان هذا المطلب الطليطلي العام يشير الى ان اهل طليطلة كانوا يشعرون بالظلم والاهانة من جرّاء السخرة للحكومة .

(٣) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٤) ابن منظور ، ج ١٥ ، ص ٧٢ . (٥) ابن منظور ، ج ١ ، ص ٧٧٤ .

(٦) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٧) ابن منظور ، ج ٦ ، ص ١١٢ . (٨) ابن منظور ، ج ١١ ، ص ٥٤٤ .

ويصبح المعنى للمطلب الثالث الذى طالب به أهل طليطلة : وهو الاعفاء من شكوس القبالات ، أى انّهم طلبوا اعفاءهم من استعمال الرجال الذين يتصفون بسوء الخلق عليهم ، الذين كانوا يتكفلون ويلتزمون القيام بجباية الخراج أو أىّ جباية أخرى، لأن مثل هؤلاء سيرهقونهم ويحمّلونهم اكثر من طاقاتهم لأنهّم سيجبون منهم اكثر ممّا هو مستحق عليهم ، لكي يأخذ هؤلاء الملتزمون الأموال الزائدة لجيوبهم الخاصة .

رابعا : الاعفاء من معرّة الانزال في الدور (١) ، أى بمعنى ان أهل طليطلة تذمّروا من استقبال وتقديم الضيافة للعمّال المسلمين في بيوتهم ، وان نفوسهم لم تكن تطيق نزول موظفي الدولة فيمنازلهم ، والقيام بتقديم المطعم والمشرب والمسكن لهم خلال مرورهم في مناطق أهل الذمّة ، اذ انهم كانوا ينظرون اليه على انه واجب رغم انوفهم لانهم لم يفعلوه من تلقاء نفوسهم وبمحض اراداتهم ، وقد ذكرت بعض المصادر انّ الذميّين من أهل مصر كانوا يخصصون بعض الاراضي من قراهم للنفقات العامّة ، ـ بعد فتح المسلمين لمصر عام ٢٠ هـ ـ للانفاق على الكنائس والحمامات العامة ، ولضيافة العمّال المسلمين ، وكانت تقوم كل قرية بذلك على حده ، كما ان المهنيّين منهم كانوا يساهمون بقسط محدود من تلك النفقات كل حسب طاقته وقدرته (٢) .

ورد في بعض المصادر أنّ الامام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، بعث مالك بن الاشتر عام ٣٨ هـ (٣) ، واليا على مصر ، ولكنّ مالكا سُمّ من قبل رجل من أهل الذمّة لحساب معاوية بن ابي سفيان عندما نزل في ضيافته ، اذ ان الذمّي وضع السمّ له في

---

(١) قال الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٢-١٥٣ ؛ المقريزى ، الخطط ، ج١ ، ص ٧٧ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٧١ .

(٣) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٩٦ ؛ ابن الأثير ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ ؛ ابن كثير ، ج ٧ ، ص ٣١٣ ؛ وانظر الكندى ، ولاة مصر ، ص ٤٦ فانّه ذكر ان مالك بن الاشتر نزل في مدينة القُلزم في بداية شهر رجب سنة ٣٧هـ .

العسل فتوفيّ في الحال[1] . كما أنّ الماوردي ذكر أنّ أهل الشام في عهد عمربن الخطاب وضع عليهم حقّ ضيافة من مرّ بهم من المسلمين ثلاثة أيّام ممّا يأكلون وكان ذلك شرطا من شروط الصلح[2] .

من هاتين الاشارتين يتعزز القول السابق : ان العمّال المسلمين كانوا ينزلون في بيوت أهل الذمّة خلال مرورهم من المناطق التي كانوا يقطنونها ، ولهذا أخلص الى القول أنّ أهل طليطلة كانوا يعتبرون انزال عمّال الحكومة في بيوتهم عسارا يصيبهم ، لذلك كان الغاء هذا الأمر هو مطلب طليطلي ، لكن من المعروف ان الانزال في البيوت وتضييف مستخدمي الدولة خلال أسفارهم كان من واجبات أهل الذمّة ، لذلك استطيع الجزم ان نصارى أهل طليطلة كان لهم دور واضح في الاشتراك في المعارضة الطليطلية والمساعدة على القيام بالثورة وتغذيتها بكل ما يستطيعون ، والملاحظ ايضا ان هذا المطلب رغم تعلّقه باهل الذمة من أهل طليطلة الا انه كان مطلبا عامّا من مطالب أهل طليطلة جميعا سواء أكانوا من المسلمين أم من النصارى ، والحقيقة أنّ هذا المطلب فيه مهانة لاهل الذمّة ، ويُلحق العار بهم ، لأنّه يعتبر تمييزا بين مختلف مواطني الدولة الاموية في الاندلس ، لانّه لو اقتصر على فترة بداية الفتح لجاز الأمر ، لاعتبارات منها حاجة القوات الفاتحة للضيافة وخاصة اذا ما كان ذلك بعد الاسفار التي كانوا يقومون فيها ، على اعتبار انهمّ موظفو حكومة ويقومون بواجب عام ، ولا يوجد في المناطق التي يعملون بها مسلمون ، ولكن بعد ان استقرّت الأمور واصبح الجميع في دولة واحدة لهم حقوقهم التي يتمتعون بها وعليهم واجبات يؤدونها ، بالاضافة الى كثرة المسلمين في طليطلة ، سواء أكان ذلك بسبب استقرار المسلمين في طليطلة ، أو كان بسبب اعتناق الكثيرين من أهل طليطلة لمبادئ الاسلام[3] .

---

(١) الطبرى ، ج ٥ ، ص ٩٦ ،ابن الأثير ، ج٣ ، ص ٣٥٣ ،ابن كثير ، ج٧ ، ص ٣١٢ وقال ان الخازار المقدّم على الخراج في القلزم استقبل ابن الاشتر ودسّ له السّمّ في الشراب ، وانظر الكندى ، ص ٤٧، ٤٨ فانّه يفهم من أقواله المعنى الذى ذهبت اليه المصادر السابقة .

(٢) انظر الماوردى ، ص ١٤٤-١٤٥ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف٣ ، ص ١٩٠-١٩٦ .

ـ في ظل هذه الظروف والمتغيرات ـ أرى ان استمرار تقديم الطعام والشراب وربّما المنام لعمّال الدولة من قبل أهل الذمّة يعتبر اجحافا لحقوق مواطنتهم لأنّ الادارة المحلّية في طليطلة بالاضافة الى المسلمين فيها ، أولى في استضافة عمّال الدولة وانزالهم في بيوتهم ، او في المباني العامّة التابعة للحكومة ، لأن القيام بواجب الضيافة من الأمور المستحبة عند المسلمين ، كما انها مستحبة عند البشر جميعا . وكذلك انّ الانزال في الدور يعتبر مهانة تلحق بأهل الذمّة في طليطلة ، وخاصة على نفسيات شامخة ، كنفسيات الطليطليّن تأنف من المذلة والتبعية ، أو من أىّ أمر يعتبر فيه اهانة لمشاعرهم .

خامسا : ومن شروطهم ان لا يؤخذ منهم غير الزكاة المبيّنة في السُنّة المعلومة [١] ، أىّ بمعنى انّهم تذمّروا من فرض الحكومة ضرائب عليهم ، وطالبوا ان لا تقوم الحكومة بجباية أيّة اموال منهم الاّ الزكاة لانّهم مقتنعون باحقيّة دفعها ، وغير راضين عمّا يُفرض عليهم سواها ويكتشف من هذا المطلب ان الحكومة كانت تجبي منهم ضرائب مختلفة لا يرون انّهم ملزمون بدفعها شرعا كالزكاة ، وانّهم كانوا يتذمّرون من سياسة الحكومة الماليّة التي كانت تفرض عليهم دفع ضرائب للخزينة اذ انّهم اعتبروها ظلما وتعسفا ، وهضما لحقوقهم المالية .

سادسا : من المطالب التي قدمّوها للحكومة ، وطالبوها القيام بتطبيقها ، ان لا يُعزل عنهم صاحب صلاتهم ، ولا يقدّم عليهم الاّ خيارهم ، ومن يتفقون عليه [٢] . والملاحظ على هذا المطلب أنّ أهل طليطلة تمسّكوا بصاحب صلاتهم ، نظرا لقناعتهم به ، وطالبوا بابقائه على عمله ، وان لا يُستعمل عليهم الاّ خيارهم ، الذين يجمع عليهم معظم أهل طليطلة . وكأنّيّ بهذا المطلب انّه مطلب يتعلق بالناحية العباديّة والفقهية لأهل طليطلة بمعنى انّهم أرادوا أن يكون اختيار صاحب الصلاة بايديهم وكذلك أيّة أمور أخرى تتعلق

---

(١) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٢) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .

بالنواحي العلمية والفقهية والامور العباديّة ، اذ يجب فيمن يراد استعماله على الامور المحليّة في طليطلة ، ان يكون : من أهلها أوّلا ، ومن خيارهم ثانيا ، وان يكون شخصا متفقا عليه طليطليا ثالثا .

وأرى ان ذلك مستثنى منه القيادة العامّة لطليطلة ، أيّ الوالي أو القائدالعام لطليطلة ، وربّما بعض الوظائف الاداريّة الهامّة في طليطلة ، لأنّ عبد الرحمن الناصر استعمل عندما أراد العودة الى عاصمة ملكه قرطبة ، قائده درّي بن عبد الرحمن على طليطلة عام ٣٢٠ (١) ، وظلّ الولاة يترددون عليها من قبل الحكومة (٢) ، معظم عهد الخلافة .

بعد التدقيق في الشروط التي اشترطها أهل طليطلة ، يلاحظ عليها انّها كانت عبارة عن مطالب وشكاوى تقدّموا بها للناصر ، لرفع تلك المظالم عنهم والتي تذمرّوا منها ، والموافقة على مطالبهم ، والتي أقرّ الشيخ الطليطلي ـ مصدر رواية الرازى ـ ان الناصر وافق على جميع الشروط التي اشترطها الطليطليون ، ولم يردّ لهم مطلبا على الرغم من الأعمال التي ارتكبوها ضدّ الحكومة مع انّهم كانوا في وضع لا يسمح لهم بالمطالبة بايّة مطالب (٣) ، وهذا القول يتحدّث من وجهة نظر المعارضة الطليطلية .

عندما وافق الناصر على مطالب المعارضة الطليطلية ، على الرّغم من الوضع السيّء الذى كانت فيه ، تقبل الطليطليون الخضوع للحكومة بنفوس مرتاحة وفتحوا المدينة للقوات الحكوميّة ، ووفىّ لهم الناصر بالعهد الذى اعطاهم ايّاه (٤) .

أخلص الى القول ان المطالب التي اشترطها أهل طليطلة للاستسلام والدخول في طاعة الحكومة كانت عبارة عن المطالبة بالعفو عمّا مضى (٥) ، وان لا يجبروا على العمل في الوظائف الحكوميّة الاّ ان يكون ذلك بمحض ارادتهم (٦) ، وان لا يستعمل عليهم مستخدمون

---

(١) قال الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ ؛ ابن عذارى ، ج٢ ، ص ٢٠٧ .
(٢) قال الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ ؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٧٦-١٧٩ . حيث ان الحكومة صارت ترسل الولاة والقادة لطليطلة طيلة عصر الخلافة .
(٣) قال الرازى في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .
(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٩٩ . (٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٩٩ .

من المتكفلين بجمع الخراج المستحق عليهم، يتصفون بسوء الخُلق وعدم الأمانة، يأخذون منهم أكثر ممّا هو مستحق عليهم (١)، وان يعفى أهل الذمّة في طليطلة من تقديم الضيافة لموظفي الدولة (٢)، وان لا تأخذ منهم الحكومة الا الزكاة المفروضة (٣)، والا يعزل صاحب صلاتهم وان يكون لهم دور في ادارة بلدهم، فلا يعيّن عليهم الا من يرضون به (٤).

ممّا سبق يلاحظ على مطالب أهل طليطلة انّها كانت عبارة عن شكاوى وتظلّمات من معاملات واوضاع سابقة لم يطيقوها، ولا تتقبلها نفوسهم، ومثال ذلك التذمرّ من استضافة مستخدمي الدولة في منازلهم، ومن ظلم وجور الموظفين المكلفين بجمع الضرائب المستحقة (٥)، كالخراج الموضوع على الأرض المفتوحة، والجزية التي تؤخذ عن النفوس القادرة من أهل الذمّة (٦).

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٩٩-٣٠٠. (٢) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٣٠٠-٣٠٢.
(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٣٠٢. (٤) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣.
(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٩٩-٣٠١.
(٦) مفهوم الخراج: لغة اسم الكراء والغلّة: (أ) والخراج لم يرد في نص القرآن الكريم، ولذلك كان فيه الاجتهاد، والاشارة التي وردت في القرآن هي: قول الله عز وجل: ''أم تسألهم خرجا فخراج ربّك خير'' والمقصود بقوله تعالى'' أم تسألهم خرجا'' وجهان الوجه الأول، يأتي بمعنى الأجر، والوجه الثاني النفع (ب). وأما المقصود بقوله تعالى ''فخراج ربّك خير''، والمقصود بقوله تعالى ''أم تسألهم خرجاً'' وجهان الوجه الأوّل يأتي بمعنى فرزق ربك في الدنيا خير منه وهذا قول الكلبي، والثاني فأجر ربك في الآخرة خير منه، وهذا قول الحسن (ت). والخراج اسم لما يخرج، والخراج بالنسبة للعبد والأمة، ومعنى خراج العبد والأمة، بان يؤدّي العبد أو الأمة للسيد خراج غلته، أي أجره (ث). وامّا الخراج الاصطلاحي الذي أصبح يطلق في خلافة عمر بن الخطاب على خراج الأرض، يعني واردها، وهو الذي يتبادر الى ذهن الدارس للنواحي الاقتصادية في صدر الاسلام، فهو ما وُضع على الأرض المفتوحة، والتي لم يستجب أهلها لدعوة الاسلام، وقاتلوا المسلمين، وكان حقّا للمسلمين جميعا الذين كانوا في تلك الفترة أو الذين سيأتون فيما بعد (ج). وامّا الجزية: فتؤخذ من أهل الذمّة ومن لهم شبه كتاب سماوي (ح)، وان الجزية نص قرآني بينما الخراج كان من اجتهاد عمر بن الخطاب والصحابة الذين وافقوه، قال تعالى: ''قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية

كما يلاحظ على مطالب أهل طليطلة انها كانت شكوى وتظلّم من السياسة المالية

تابع هامش رقم (٦)
عن يد وهم صاغرون [خ]. والجزية تفرض على رؤوس رجال الذمّة [د] واسم الجزية مشتق من الجزاء، إمّا جزاء على كفرهم وامّا جزاء على حماية المسلمين لهم [ذ]. وامّا الخراج فهو حق للمسلمين على أرض البلاد المفتوحة عنوة [ر]. والجزية تسقط بالاسلام وخراج الأرض لا يسقط بالاسلام، وهذا ما يُفهم من الحوار الذى دار بين الخليفة عمر بن الخطاب وبين الدهقان الذى أسلم من عين التمر، بطلب الدهقان أن توضع عنه جزيته وخراجه، الّا ان عمر وضع عنه الجزية ولم يضع عنه خراج أرضه، ويفهم هذا من قول عمر له أمّا جزية رأسك فنرفعها وامّا ارضك فللمسلمين [ز]. ولقد بيّنت في الفصل الثاني الكيفية التي تمّ بها فتح الاندلس، وطليطلة بشكل خاص اذ انها فتحت بالقوّة [س]. وهذا يعني أنّ أرضها كان يؤدّى عنها الخراج، فمن الممكن أنّ الذين أسلموا من أهلها كانوا يرغبون في وضع الخراج عنهم مثل دهقان عين التمر وانّهم كانوا يرون انّه لا يتوجب عليهم دفع الخراج عن الأرض، بل الزكاة بصفتهم قد اصبحوا مسلمين، وربما ان هذا هو مقصد أهل طليطلة عندما اشترطوا عام ٣٢٠هـ ان لا يؤخذ منهم الّا الزكاة المعروفة [ش].

(أ) ابن جعفر، ص ٢٠٧؛ الماوردى، ص ١٤٦؛ ابن منظور، ج٢، ص ٢٥١-٢٥٢. (ب) الماوردى، ص ١٤٦. (ت) الماوردى، ص ١٤٦. (ث) ابن منظور، ج٢، ص ٢٥١-٢٥٢. (ج) انظر ابي يوسف، الخراج، ص ٢٥-٢٩؛ وانظر آدم، موسوعة الخراج، ص ١٧؛ ابن سلام، أبي عبيد، الاموال، ص ٧٧-٧٨؛ ابن عبد الحكم، ابي محمد، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٩٥؛ البلاذرى، فتوح، ص ٢٩٩، ٣٠٢، ٣١١؛ اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص ١٥٤؛ الصولي، أدب الكتاب، ص ٢١٠؛ الماوردى، ص ١٤٧؛ ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٤٤؛ ابن منظور، ج٢، ص ٢٥١-٢٥٢؛ ابن رجب الحنبلي، موسوعة الخراج، الاستخراج، ص ٤٢. (ح) انظر ابي يوسف، ص ١٣١-١٣٢. (خ) الماوردى، ص ١٤٢. (د) آدم، موسوعة، ص ٢٣؛ البلاذرى، فتوح، ص ٢٩٩؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٣٩؛ الماوردى، ص ١٤٢. (ذ) الماوردى، ص ١٤٢؛ المقريزى، الخطط، ج١، (طبعة بولاق ١٢٧٠هـ)، ص ١٨٢. (ر) ابو يوسف، ص ٢٥ وما بعدها؛ آدم، ص ١٧؛ ابن سلام، أبي عبيد، ص ٧٧-٧٨؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١٥٤؛ المقريزى، الخطط، ج١، ص ٧٧. (ز) انظر آدم، موسوعة، ص ١٤١-١٤٢؛ وانظر ابن الحكم، ابي محمد عبد الله، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٩٥ فقد ذكر ان من يسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم الّا ان ارضه هي للمسلمين، لأنه لو اسلم قبل ان يتم الفتح كانت له ولكنّها فيء للمسلمين عامة، والمقصود هنا الارض الخراجية التي فتحت عنوة. (س) انظر هذه الدراسة، ف ٢، ص ٩٤-٩٩، ١١٨-١١٩. (ش) انظر قول الرازى في (ابن حيّان)، ج ٥، ص ٣٢٢.

للحكومة ، اذ انّهم طالبوا بأن لا تفرض عليهم ضرائب الاّ الزكاة المفروضة [(1)] ، ويستشف من هذه النقطة أنّ الحكومة كانت تجبي منهم في فترات سابقة أموالا ، لم يكن أهل طليطلة على اقتناع باحقيّة الحكومة في جبايتها ، وكذلك لم تكن عندهم الرغبة والرضى عن القيام بدفع أيّة أموال للحكومة . وهذه الدلالة تؤكد أنّ أحد العوامل التي كانت تؤدّى الى قيام الثورات في طليطلة ، تذمرّ أهل طليطلة وسخطهم على السياسة المالية التي كانت تطبّقها حكومة بني أميّة في الأندلس، كما ان مطالبهم تظهر النزعة الاستقلاليّة لأهل طليطلة ، ورغبتهم الشديدة في ان يديروا شؤون بلدهم بأنفسهم؛ حيث انّهمّ كانوا يرغبون في ان تترك الحكومة لهم ادارة الشؤون المحلّية في مدينتهم ، ويتبّين ذلك من خلال تمسكّهم في بقاء صاحب صلاتهم على عمله ، وتشديدهم على ان يكون المُعيّن على ذلك من أهل طليطلة ، وان لا يستعمل عليهم أحد في ذلك الاّ برضاهم واجماعهم ، والذى اشترطوا فيه ان يكون من خيارهم [(2)] ، أىّ من علية القوم في طليطلة وخيرتهم وليس من غيرهم او من أوضع الناس فيهم ، ويُستشفُ من هذا ان هناك طبقة معينّة ظاهرة كانت تريد ان تكون أُمور طليطلة وادارتها في أيديهم ، وممّا يدعّم هذا الرأى: الخبر الذى ورد في أحد المصادر والذى بيّن أن أهل طليطلة طلبوا من الأمير محمد بن عبد الرحمن ان يستعمل عليهم اثنين من مُقدميّ طليطلة عام ٢٥٩هـ ، وفعلا كان لهم ما ارادوا [(3)] . ويؤيد ما سبق ما ذكره الاصطخرى من ان طليطلة وماردة كانتا شائرتين على بني أميّة الاّ انه يخطب بهما لهم [(4)] . فلذلك أستطيع القول أنّ أهل طليطلة كانوا ميّالين الى الاستقلال الداخلي (الحكم الذاتي) عن الحكومة في النواحي المالية والاداريّة المحليّة .

والذى يلفت الانتباه بالنسبة للمعارضة الطليطلية : التعاون الوثيق بين مسلمي طليطلة والنصارى فيها ، ويتضح ذلك من خلال وضع بنود الصلح ، وخاصة البند الذى يخصّ أهل الذمّة والمتعلق في الغاء حق الضيافة المتوجب عليهم للمسافرين من مستخدمي الدولة [(5)] .

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٣٠٢ .   (٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٣٠٢-٣٠٣ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٧١ .   (٤) الاصطخرى ، ص ٣٦ .

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٣٠٠-٣٠٢ .

دخول عبد الرحمن الناصر طليطلة والترتيبات التي اتخذها بعد ذلك :-

في اليوم الثاني من دخول طليطلة في طاعة الحكومة ، دخلها عبد الرحمن الناصر في السادس والعشرين من شهر رجب من عام ٣٢٠هـ، وتجوّل فيها وشاهد على الواقع طبيعتها ومقدّراتها ، وقد دهش من شدّة حصانتها الطبيعية والانشائية (١) ، وكثرة أعداد سكانها ومواردها ، فحمد الله على تمكنّه منها (٢) ، لذلك وليقطع الطريق على المعارضة فيها من التفكير بالقيام بثورات في المستقبل ضدّ الحكومة ، قام بوضع عدّة ترتيبات واجراءات للحيلولة دون قيامها بأى معارضة في المستقبل، من تلك الاجراءات القيام ببناء وتحصين بناء متقن ليكون مقرّا للقادة والولاة الحكوميين المشرفين على أمر طليطلة ، من مزايا ذلك البناء التحكم في حركة أهل طليطلة (٣) ، وكان الموقع الذى اختاره لذلك، المكان المسمّى بالحزام ، الذى يقع على مقربة من باب القنطرة ،(أى على طريق الداخل والخارج من والى طليطلة) (٤) ، وأوكل أمر اكمال التخطيط الذى وضعه لقائده درّى بن عبد الرحمن (٥) ، وشحن ذلك الموقع بالرجال والسلاح والمؤن ، ومن الاجراءات التي اتخذها الناصر ضد أىّ تفكير بالمعارضة والثورة في المستقبل من قِبل أهل طليطلة ، هدمُ بعض الأماكن والبنايات الخطرة (٦) ، التي قد تُشكّلُ خطرا على سلطان الحكومة في طليطلة فيما بعد ، وظلّ الناصر في طليطلة مدّة ثمانية أيّام حتىّ أكمل ما دبّره ورأى بعينيه اساسات البنايات التي أمر بها ان تقام (٧) .

ومن الترتيبات التي أقدم الناصر على تنفيذها في طليطلة إصلاح ما أفسدته الحرب ، واعادة ترميمه وتحصينه ، ومن أبرز ما قام به في هذا المجال اعادة بناء قنطرتها على نهر تاجة المارّ بها (٨) .

---

(١) يعني حصانة ومتانة الأسوار المحيطة بها انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٩.

(٢) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٨-٣١٩؛ ابن عذارى، ج٢، ص ٢٠٧.

(٣) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٩-٣٢٠؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٧.

(٤) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٩-٣٢٠.

(٥) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٢٠؛ ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٧.

(٦) ابن عذارى ، ج٢، ص ٢٠٧؛ ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٢٠.

(٧) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣٢٠؛ ابن عذارى ، ج ٣، ص ٢٠٧.

(٨) ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٩.

قامت الحكومة بكلّ هذه الأعمال في طليطلة لتحافظ على سيطرتها في المدينة ، وترسيخ سلطانها فيها في المستقبل، أمّا رأي أهل طليطلة بقول الشيخ الطليطلي في الاجراءات التي أقدمت الحكومة على تنفيذها في طليطلة ، وخاصة فصل المنطقة التي يوجد فيها القصر المخصص لولاة طليطلة عن باقي أجزاء المدينة بسور مرتفع، فانّه خطوة حسنة من الحكومة ، كان فيها صلاح الجميع أدّى الى سُكون نفوسهم ، وبالتالي اطاعة الحكومة طاعة مستقيمة (١) .

والفصل بين رجال الحكومة وبين العامة أمر محبّذ ، لتلاشي وقوع الاخطاء ، وحدوث المشاكل التي ستقع نتيجة للاحتكاك بين الفريقين، أمّا وجود البنايات المخصصة لرجال الحكومة على مقربة من الجسر المتحكم في الداخلين والخارجين من والى طليطلة فهو في حقيقة الأمر ضد مصلحة المعارضة اذا ما رغبت في القيام بالثورة من جديد ، ولكن ما دام ان المعارضة قد انتهت في طليطلة بازالة المسبّبات التي من أجلها كان يقوم الطليطليون بالثورات ، بمجرّد موافقة عبد الرحمن الناصر على مطالبهم ، فان المعارضة لم تَعُدْ بحاجة الى القيام بالثورات ، لذلك لا يضيرها تحكُّم الحكومة في مدخل طليطلة لأنّ مطالبهم تحققت (٢) .

النتائج التي ترتبت على استعادة الحكومة لسلطتها على طليطلة :

من النتائج التي ترتبت على استعادة الحكومة لسلطتها على طليطلة عام ٣٢٠هـ (٣) ، بقاء طليطلة تحت سلطة الحكومة معظم فترة عصر الخلافة الأموية في الأندلس ،اذ انّها لم تعد تميل الى انتهاج اسلوب المعارضة المسلحة ضدّ الحكومة ، فخيّم الاستقرار على طليطلة بعد اخضاعها في العام المذكور ، اذ أنّ خضوعها للحكومة عام ٣٢٠هـ، أضعف بل

---

(١) قال الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .
(٢) انظر قول الرازي في ''ابن حيّان'' ، ج ٥ ، ص ٣٢٢ .
(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧ .

أزال نعرة المولّدين فيها ، الأمر الذى كان له أثره في خضوعها لبني ذى النون البربر بعد سقوط الخلافة الاموية في الاندلس فعليا (١) .

كما ان استعادة الحكومة لسلطانها على طليطلة عام ٣٢٠هـ، أضعف الى حدّ كبير رغبات بعض نصارى طليطلة الى القيام بالثورات والتشجيع على المعارضة ، وأتبين ذلك من خلال خضوع طليطلة الكامل بعد العام المذكور، وكذلك من القول الذى ذكره ابن حيّان كون أنّ الشمامسة (٢) في طليطلة ذلّوا ولم يعد بمقدورهم فعل أىّ عمل (٣) .

ومن الأمور التى ترتبت على اعادة فرض الحكومة لسلطتها على مدينة طليطلة ، زيادة قوّة الدولة الاموية في الاندلس في النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية ، فبدل أن تُضيّع الحكومة جهودها العسكرية والسياسية والاقتصادية في محاربة الثورات

---

(١) انتهت الخلافة الاموية في سنة ٤٢٢هـ وفي قول آخر سنة ٤٢٤هـ: انظر بالنسبة للرأى الأول كلا من المصادر التالية : ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٨٣؛ ابن عذارى، ج٣، ص ١٤٥، ١٥٢، ١٥٥، وانظر بالنسبة للرأى الثاني ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٨٤؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٣٨، امّا بالنسبة لاستيلاء بني ذى النون على طليطلة فقد كان سلميا حتىّ ان وفدا من اهلها ذهبوا الى شنتبرية وطلبوا من ابن ذى النون ان يتولى حكم مدينتهم فارسل معهم ابنه اسماعيل بن عبد الرحمن، علما انّني ساتناول هذا الموضوع في الفصل الخامس من هذه الدراسة : انظر ابن عذارى، ج ٣، ص٢٧٦-٢٧٧ ؛ ابن الاثير، ج٩، ص ٢٨٨؛ ابن الوردى، تتمة ، ج١، ص ٤٩٨؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٠؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧ ذكر ان بداية سيطرة بني ذى النون على طليطلة كانت عام ٤٢٧هـ، وانظر القلقشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٤ وذكر ان اسماعيل بن ذى النون استولى على طليطلة عام ٤٠٩هـ وهو قول لا يقوى على الوقوف في وجه المعطيات التاريخية التي ساتناولها في الفصل الخامس.

(٢) شماس/شمامسة : احدى الرتب الدينية التي كان يتولاها رجال الدين النصارى ويسمّى الذين يقومون بذلك شمامسة ، وكانوا يلازمون بيعهم ، ويقومون بحلق رؤوسهم من الوسط: انظر الزبيدى ، تاج ، ج٤، ص ١٧٢.

(٣) ابن حيّان ، ج:٥، ص ٣٢٠.

الطليطلية أصبحت تستخدم ذلك الجهد في مواطن أخرى، عدا عن ذلك، استفادت الحكومة من الجهد الطليطلي في تعزيز الجهد الحكومي العام. كما وأدّى استرجاع طليطلة في النهاية الى التفرغ لمواجهة الاخطار الأخرى، مثل خطر الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة الايبيّرية، ومساهمة طليطلة في ذلك الواجب، فظهرت مساهمة طليطلة جليّة للعيان في الحملات التي كانت توُجّه لمحاربة الممالك المسيحية (١)، وكذلك مساهمتها في ارسال قوات معها في عهد الأمير الحكم المستنصر عام ٣٦٢هـ الى العدوة المغربية لمحاربة الفاطميين، وذكر ابن حيّان أنّ عدد القوات المشاركة من طليطلة قُدّرت بالف وسبعمائة محارب (٢). وليس هذا فقط بل ان انطراء طليطلة تحت لواء الحكومة ساعد الاخيرة في ارساء قواعد الحكم في مختلف انحاء الأندلس، وذلك من خلال تفرّغ الحكومة للاوضاع الداخلية.

هكذا انتهت المعارضة الطليطلية منذ عام ٣٢٠هـ بعد دخولها في عقد الجماعة في الأندلس، واستمّر الاستقرار السياسي مخيّما على ربوعها بقيّة عهد عبدالرحمن الناصر، وفي عهدي الخليفتين من بعده، الحكم المستنصر وهشام المؤيّد، اذ انني لم أعثر على معلومات أشارت الى قيام ثورات طليطلية ضد سلطان بني أميّة حتّى

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، وانظر ابن عذارى، ج٢، ص ٢١٤ فقد ذكر ان قائد الحكومة على طليطلة عام ٣٣٦هـ المدعو قُنْد مولى الناصر قام بالاغارة على أهل جلّيقيه وحالفه الحظ في ذلك. وانظر المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٥، ٢٦٧ فقد ذكر ان محمد بن ابي عامر التقى مع القائد غالب عام ٣٦٦هـ في مدينة مجريط ومن هناك تقدّما وافتتحا حصن مولة. وانظر المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٧ فقد ذكر ان محمد بن ابي عامر دخل طليطلة عام ٣٦٧هـ واجتمع مع القائد غالب فيها، ثم توجها معا فافتتحا حصن المال وحصن زنبق، ودوّخا مدينة شلمنقه، واخذا ارباضها ثم عادا؛ وانظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٤٥٢ فقد ورد عنده أنّ القائد احمد بن الوزير عبد الحميد بن بسيل قائد طليطلة انفذ سرّيتين الى جلّيقية في عام ٣٢٨هـ فعادتا بعد ان ظفرتا، وكما ورد عنده ايضا ان مطرّف بن ذى النون قام بالتصدى لقوات من الاعداء حاولت مهاجمة ثغر طلمنكة عام ٣٢٨هـ. انظر المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٥٢.

(٢) ابن حيّان، تحقيق: الحجيّ، ص ١١٧-١١٨.

أواخر القرن الرابع الهجري، علما انني سأتناول نهاية الحكم الأموي في الأندلس ودور طليطلة في الأحداث التي جرت في الفصل الخامس من هذه الدراسة عندما أتناول طليطلة إبّان حكم بني ذى النون وسقوطها بيد القشتاليين عام ٤٧٨هـ (١) .

الملاحظات الأساسية حول المعارضة الطليطلية ابّان الحكم الأموي في الاندلس :ـ

أسباب المعارضة الطليطلية :ـ بادئ ذي بدء يجب ان لا ينسى ان طليطلة كانت هي العاصمة لشبه الجزيرة الايبيرية قبل العهد الاسلامي (٢) . وانّها كانت صاحبة المكانة الأولى في تلك المنطقة من العالم ، ومن ثمّ خسارتها للمزايا والمكاسب التي كانت تتمتع بها في العهود السابقة لحساب قرطبة سواء أكان ذلك من النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية أو المعنوية (٣) .

أعتقد ان من أهمّ الاسباب التي ساعدت على القيام بالثورات في طليطلة ابّان العهد الأموي في الاندلس الموقع الجغرافي والاستراتيجي المميّز لطليطلة ، اذ انّها تقع في المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة الايبيريّة (٤) ، وانّها امتازت بالحصانة

---

(١) سقطت طليطلة عام ٤٧٨هـ : انظر ابن بسام ، الذخيرة ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٨ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٥ ؛ ابن الأثير ، ج١٠ ، ص ١٤٢ ؛ المرّاكشي ، ص ١٢٦ ؛ النويّري ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٢٨٩ ؛ الحميري ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٨ ؛ القلقشندي ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ؛ انظر المقري ، نفح ، ج١ ، ص ٤٤١ ، ج ٤ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، وانظر المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٥٢ فقد ورد عنده ان سقوط طليطلة كان عام ٤٧٥هـ ؛ وانظر أشباخ ، تاريخ ، ص ٥٩ فقد ذكر ان سقوطها كان عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وهو يستقي معلوماته بالاضافة الى المصادر العربية من المصادر الاسبانية ؛ وانظر عنان ، دول الطوائف ، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الاسلام ، ص ١١٢ .

(٢) ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٤ ؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ٧ ـ ٨ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، ف ٣ ، ص ١٣٤ ـ ١٣٧ .

(٤) ابن صاعد ، ص ٦٣ ؛ الادريسي ، صفة ، ص ١٧٣ ؛ المرّاكشي ، ص ٢٩ ؛ شيخ الربوة ، ص ٢٤٤ ؛ الحميري ، ص ١٣٠ ؛ المقري ، نفح ، ج١ ، ص ١٦١ .

الطبيعية ، حيث يحيط بها نهر التاجه [1] ، من جهات ثلاث ، وامّا الجهة الرابعة فطبيعة المسالك المؤدية اليها جبلية شديدة الوعورة ، عزز أهمية موقعها وجود اسوار قويّة تحيط بها [2] ، لتساعدها على الاحتفاظ بالأمن ، ولتحرسها من أيّ خطر خارجي سواء أكان من داخل شبه الجزيرة الايبيرية أو من خارجها ، يضاف الى ذلك ان طليطلة نفسها مقامة على هضبة مرتفعة [3] ، تحيط بها أو تقع على مقربة منها سلاسل جبلية مرتفعة [4] ، كما ان موقعها المتوسط تقريبا بين قرطبة ومملكة الجلالقة (استورياس، ليون، قشتالة) ، أثرّ على المعارضة فيها تأثيرا ايجابيا اذ انّها كانت تستفيد من ذلك وتستغلّه في قيامها بالمعارضة ضدّ الحكومة في قرطبة ، مستفيدة من حصانتها ، وموقعها القريب من الممالك النصرانية في الشمال عند الضرورة ، كما حدث في عام ٢٤٠هـ [5] ، و ٣٢٠هـ [6] .

---

(١) نهر تاجه : يأتي باب طليطلة من جهة المشرق ثم ينعطف الى جنوبها وينضغط في منطقة الجنوب تحت قنطرتها ، ثمّ يمرّ فيستدير حول جهتها الجنوبية كلّها الى مغارب المدينة ، فيشكل حول طليطلة ما يقارب ثلثي دائرة ثمّ يتجه غربا الى مدينة طلبيرة فيمرّ بها وبجنوبها ، ونهر تاجه أكبر أنهار الاندلس عرضا باجماع أهل طليطلة ، انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٩ ، وانظر المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣١٨-٣١٩ ، وانظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٣٦ وذكر ان احد أسباب الثورات في الأندلس منعة البلاد وحصانة المعاقل ، وانظر ابن خلدون ، م ٤ ، ص ٢٧٥ وذكر ان سبب ثورات طليطلة الحصانة التي تتمتع بها طليطلة ، وانظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ٥ - ٧ .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ٥-٧ ، انظر ابن حيّان ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ ، ٣١٩ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ٥ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ٥-٧ ، من تلك التلال تلال جوادیانا Guadiana التي تقع الى الجنوب من طليطلة .

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

من العوامل التي ساعدت على قيام الثورات في طليطلة ، الصراعات والانقسامات داخل المؤسسة الحاكمة ، كما حدث عندما استولى بنو العبّاس على مقاليد الحكم من بني أميّة ، الأمر الذى نجم عنه بقاء السلطة في الأندلس بيد يوسف الفهرى (١) ، ومن ثمّ استيلاء عبد الرحمن بن معاوية الأموى على السلطة في الأندلس، وما رافق ذلك من صراع بين الفهرى والداخل، والتجاء الفهرى الى طليطلة لينظم من هناك عملية لاستعادة سلطته المسلوبة ، الآ انه فشل في تحقيق ذلك (٢) ، الأمر الذى دفع ابنه محمدًا الى اللجوء الى طليطلة ، وقيامه بتنظيم معارضة لاسقاط الحكومة الجديدة بقيادة الداخل (٣) .

ومن العوامل التي ساعدت على قيام الثورات في طليطلة الصراع داخل البيت الأموى الحاكم نفسه كما حدث عقب وفاة الداخل عام ١٧٢هـ، بين ولديه سليمان وهشام ، واتخاذ الأوّل طليطلة مقرّا لحكمه ولثورته ضدّ أخيه لاسقاطه عن الحكم (٤) ، وأرى ان من الأسباب التي ساهمت في قيام الثورات الطليطلية ، الثورات والنزاعات المحليّة الأخرى، التي كانت تحدث في أنحاء مختلفة في الأندلس من حين لأخر (٥) ، اذ أنّ الأندلس لو كان خاليا من الصراعات الداخليّة ، لكانت الحكومة أقوى منها في حالة حدوث ثورات داخلية أخرى، وبالتالي لخشي أهل طليطلة القيام بالثورات نظرا لتفرغ

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٣٨، ١٤٢ ؛ وانظر ابن الخطيب ، اعمال، ص ٣٦ وذكر ان احد الاسباب التي أدّت الى كثرة الثورات في الاندلس قرب مناطق الثورات من معاقل النصارى.

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ١٩٧-١٩٨. (٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص٢٠٤-٢١١.

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢١١-٢١٦.

(٥) انظر ابن الأثير، ج٧، ص ٧٤، ٢٨٨-٢٨٩، ٢١٠-٢١١، ٢٢٠-٢٢١، ٣٦١، ٣٦٩، ٤١١، ٤١٦، ٤٢٠؛ انظر العذرى، ص ٣٤، ٣٥، ٤١؛ انظر ابن عذارى، ج٢، ص ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٥٧، ١٥٨؛ انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٤؛ وانظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٧٩ ، رقم (١)؛ وانظر ف ٤، ص ٢٨٢ رقم (٢)؛ وانظر د. سالم ، تاريخ، ص ٢٤٣-٢٥٩. وهذه كأمثلة وليس للحصر.

الحكومة وقوّتها ، والعكس صحيح اذ لو أنّ طليطلة كانت خاضعة لسلطان الحكومة مؤيدة لها ، لساعد ذلك على اضعاف روح الثورة لدى مناطق الأندلس الأخرى، نظرا لعدم قيام ثورات في طليطلة هذا من ناحية ، وللامكانات الهائلة التي ستكون متوفرة للحكومة من جرّاء تبعية طليطلة للحكومة من ناحية أخرى، الأمر الذى سيجعل التفكير بالثورة أمرا خطيرا سيجرّ على من يقوم به الويل والدّمار، وسيُحسب لذلك الف حساب قبل الاقدام على تنفيذ التمرّد والخروج عن طاعة الحكومة .

ومن الأسباب التي أدّت الى المساعدة في قيام المعارضة الطليطلية : النزعة الاستقلالية في النواحي الاداريّة المحلّية عند الطليطليين، ويتبين ذلك من خلال تذمّر أهل طليطلة من سياسة الحكومة الاموية تجاه طليطلة من الناحية الادارية (١) ، وذلك ان الحكومة لم تشرك أهل طليطلة في ادارة وحكم مدينتهم ، كما انّها لم تشرك عناصر منهم في الحكومة المركزية ، بل انّها قامت باستخدام ولاة على طليطلة من العناصر الفاتحة ، وخاصة من المقربين لبني أميّة أو من مواليهم ، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها الحكم بن هشام الى أهل طليطلة عام ١٩١هـ مبيّنا لهم أنّه يريد استعمال عمروس بن يوسف عليهم (٢) ، ومن خلال استعراض الولاة الذين استخدمتهم الحكومة عليها (٣) . لذلك استطيع القول أنّ أهل طليطلة لم يكونوا مقتنعين بالعّمال الذين كانت تستخدمهم الحكومة على ادارة طليطلة ، لأنّ هؤلاء القادة كان ينظر اليهم من قبل الطليطليّين على انّهم لا يتميّزون عن رجالات طليطلة بفوارق خاصة تجعلهم يقدّمون لحكم طليطلة في حين ان رجالات المدينة يؤخرّون عن تلك الأعمال مضافا الى ذلك عدم دفع أهل طليطلة الضرائب المخصصة عليهم ، ويتضح هذا من خلال ما أوردته بعض المصادر من أنّ الطليطليين التزموا بايتاء الجباية المستحقة عليهم ، وقبلوا العمّال بعد اعطائهم الأمان عام ٢٥٩هـ من قبل الأمير محمد بن

---

(١) ويتضح ذلك من الشروط التي وضعوها مقابل دخولهم في طاعة الحكومة عام ٣٢٠هـ، انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٩٩ - ٣٠٦.

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٣٥، ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٧١- ١٧٩.

عبد الرحمن [١] ، علما بأنّ الأمير محمد استخدم عليهم عام ٢٥٩هـ اثنين من أهل طليطلة [٢] . وهكذا فأنني أخلص الى القول أنّ أهل طليطلة كانوا يريدون ان يحكموا أنفسهم ويديروا شؤون مدينتهم بانفسهم بعيدا عن سياسة الحكومة التي كانت تقوم على ارسال ولاة الى طليطلة من غير أهلها [٣] .

وكان ممّا ساعد على تنمية النزعة الاستقلالية عند الطليطليين، الحصانة والموقع المنيع الذى كانت تتصف به طليطلة [٤] ، والكثرة السكانية فيها [٥] ، وكذلك التركيبة الاجتماعية لسكان المدينة من حيث قلّة العناصر السكانية المنحدرين من أصلاب المسلمين الفاتحين فيها ، بالمقارنة مع أهلها الأصليين والذين أصبحوا امّا مولّدين يعني أنهم مسلمون من حيث الديانة ، ولكنّهم منحدرون من أصول ايبيرية ، وأمّا مستعربين من أهل الذمة ومعظمهم بل جلّهم من النصارى الذين تمسّكوا بديانتهم المسيحية الكاثوليكية [٦] .

---

(١) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٧٧، ٢٨١ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٢، ص١٠١ فقد ذكر ان الأمير محمد بن عبدالرحمن رتّب على أهل طليطلة مبالغ ومقادير محددة من العشور يؤدونها في كل عام . وذكر النويّرى ان اهل المدن في عهد الأمير عبد الله بن محمّد قد امتنعوا عن اداء الخراج اليه . طبعا بما فيهم أهل طليطلة ; انظر النويّرى، ج٢٢، ص٣٩٥ .

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٣ ، ص ١٧١-١٧٩ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ١ ، ص ٥ - ٧ ، ف ٤ ، ص ٣١٢ ؛ وانظر ابن الأثير، ج٦، ص ١٩٩ فقد ذكر ان سبب ثورات أهل طليطلة ان نفوسهم قويت بحصانة بلدهم وكثرة اموالهم .

(٥) نظرا لكون طليطلة كانت عاصمة شبه الجزيرة الايبيرية عند دخول المسلمين الأندلس، ومن المعلوم ان العاصمة تكون في العادة مكتظة بالسكان لوجود المرافق الأساسية للدولة فيها وكذلك لتوفرّ الحماية لمن فيها . وللاشارة التي ذكرها ابن حيّان عند دخول الناصر طليطلة عام ٣٢٠هـ من انها كثيرة السكان، انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٣١٩ .

(٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٣، ص ١٩٠- ١٩٦ ، وانظر ف ٤ ، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

والجدير بالذكر أن من العوامل التي ساعدت على قيام الثورات في طليطلة ، سكانها من النصارى، اذ أنهم لعبوا دورا واضحا في اذكاء روح الثورة عند أهل طليطلة ، وبالتالي خروج الجميع على سلطة الحكومة ، ومما يعزز هذا القول،المطلب الطليطلي الذى اشترطوا على الحكومة تنفيذه عام ٣٢٠هـ مقابل الاستسلام والمتعلق بالغاء حق الضيافة للمسلمين على أهل الذمة (١) ، وكذلك من المعلومات التي أشار اليها ابن حيان خلال وصفه لاستسلام طليطلة عام ٣٢٠هـ قوله ان الشمامسة (٢) في طليطلة ذلوا بعد ذلك ولم يعد لهم أى أثر يذكر في مجريات الأحداث في طليطلة (٣) ، وهذا بالتالي يعزز القول ان طليطلة كانت تضم داخلها أعدادا كبيرة من أهل الذمة النصارى، وبالتالي فانه كان لهم دور واضح في المساهمة في المعارضة الطليطلية وتغذيتها ، وبالتالي التأثير على مجريات الأحداث في الاندلس ، ولذلك يتضح تحالف النصارى والمسلمين في طليطلة ضد الحكومة الأموية .

ولهذا أستطيع القول ان المعارضة في طليطلة كانت تقوم على كاهل العناصر المنحدرة من أصول ايبيرية من أهل طليطلة سواء أكانت تلك العناصر، من العناصر التي اعتنقت الاسلام ديانة ، أو التي ظلت متمسكة بالنصرانية كدين لها ، وذلك لأسباب متعددة منها : نظرتهم الى الفاتحين بانهم استأثروا بالسلطان والجاه والمال في الأندلس (٤) دون اعتبار الى السكان الأصليين وما كانت تقتضيه مصالحهم ورغباتهم ، ودون الأخذ بعين الاعتبار مرور الزمن وتغيره وولادة أجيال جديدة اختلفت نظرتها عن نظرة أسلافهم .

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٣٠٠ – ٣٠٢ .
(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٣٠٩ ، معنى شمامسة .
(٣) ابن حيان ، ج ٥ ، ص ٣٢٠ .
(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٤ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٧ ، ٢٤٧–٢٤٨ .

ومن الأسباب التي أدّت الى قيام الثورات في طليطلة تذمّر أهل طليطلة من السياسة المالية التي انتهجتها الحكومات الاموية المتعاقبة (١)، فقد ورد في بعض المصادر (٢) ان أهل طليطلة كانوا يمتنعون عن دفع ما يستحق عليهم للحكومات السابقة، لذلك قاموا بتقديم مطلب الى الناصر عام ٣٢٠هـ يتعلق بوجهة نظرهم للأمور المالية وما يرونه واجبا عليهم (٣).

من العوامل المهمّة التي دفعت الطليطليين الى انتهاج سياسة المعارضة المسلّحة ضد الحكم الأموي، الفساد الاداري الذي نتج عنه نظام الالتزام في جمع الضرائب، والذي كان يتصف من يقوم بهذه المهمّة بالفساد، اذ ان المتكفلين بجمع الضرائب كانوا يرهقون أهل طليطلة باجبارهم على دفع أموال أكثر ممّا هو مستحق عليهم، فلذلك طالب الطليطليون باصرار على ان لا يؤخذ منهم الا ما هو معلوم ومُقتنع به، واشترطوا فيمن يقوم بجمع ذلك ان يتصف بالخلق والأمانة والنزاهة (٤).

ومن الأمور التي زادت المعارضة الطليطلية اصرارا على القيام بالثورات، السياسة المجحفة التي طبقّها نظام الحكم الأموي تجاه النصارى من أهل الذمّة المتعلقة بالانزال في الدور (٥)، ومن الامور التي دفعت أهل طليطلة الى اللجوء الى المعارضة المسلّحة وبقوة أكبر من المرّات السابقة سياسة القسوة التي انتهجها

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٩٩–٣٠٠، وانظر ف ٣، ص ١٣٧، عن السياسة المالية لبني أميّة، ف ٤، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٧٧، ٢٨١؛ انظر ابن عذاري، ج٢، ص ٢٠٢؛ وانظر النويّري، ج ٢٣، ص ٣٩٥؛ وانظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٤٥.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٩٩ – ٣٠٢.

(٤) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٣٠٠ – ٣٠٢.

امراء بني أميّة ضد المعارضة الطليطلية ، بدءاً بالحكم بن هشام ومرورا بعبد الرحمن بن الحكم[1] ، لذلك طلبوا من عبد الرحمن الناصر التجاوز عن الزلات وترك سياسة الانتقام والمعاقبة[2] .

من خلال استعراض الثورات الطليطلية ابّان العهد الاموى في الأندلس يلاحظ على أهل طليطلة انّهم كانوا يتميّزون بنزعة طليطلية ، اتصفت بالقيام بمحاربة من هو غير طليطلي، وهذا ما أشار اليه ابن حيّان من أنّ نخوة طليطلية كانت موجودة عند الطليطليّين ضد الحكومات التي تعاقبت على الأندلس منذ أزمان مبكرة من التاريخ الطليطلي[3] .

انّ احدى النقاط التي كانت ترُكّز عليها الحكومة في محاربة الثورات الطليطلية العامل الاقتصادى اذ انّها كانت تلجأ الى الاستفادة من المحاصيل والثمّار الطليطلية في حين انّها حرمت المعارضة الطليطلية من الاستفادة من محاصيلهم الزراعية كما حدث في عدّة ثورات من ثورات أهل طليطلة[4] .

من الأمور التي تلاحظ على طليطلة في عهدي الامارة والخلافة بناء مناطق جديدة في منطقة طليطلة سواء كان الهدف من انشائها الوقوف في وجه غارات الممالك المسيحية المواجهة لمنطقة الأندلس الوسطى، أو كانت للوقوف في وجه الثورات

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٣٣- ٢٤٣، ٢٥٦ - ٢٥٩.

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢٩٩.

(٣) انظر ابن حيّان، ج ٥، ص ٢٧٢-٢٧٤، ٢٧٦-٢٧٧ ، وانظر المصدر نفسه ، ج ٥، ص ٣٢٠ فقد قال ان النخوة فارقت أهل طليطلة بعد عام ٣٢٠هـ ؛ وانظر ابن الخطيب ، أعمال، ص ٣٦ حيث ذكر ان احد العوامل هذه التي كانت تؤدى الى الثورات في الاندلس علو الهمم وشموخ الأنوف،وقلة الاحتمال لثقل الطاعة .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٤، ص ٢١٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٦، ٢٨٩.

الطليطلية وحصرها ووقف تمددها، أو لتكون نقاطا حكومية متقدمة لصد الهجمات الطليطلية. فالأمير محمد بن عبد الرحمن مثلا قام بانشاء مجريط وحصن بنة وطلمنكة (١). ومدينة الفتح التي أنشئت عام ٣١٨هـ في جبل جرنكش على مقربة من طليطلة لتكون معسكرا دائما للقوات الحكومية القائمة على حرب المعارضة الطليطلية (٢)، كما ان قلعة خليفة هي الأخرى بنيت في عهد عبد الرحمن الناصر عام ٣٢٨هـ (٣)، وحصنا وقش ومكّادة اللذين بنيا في عهد المنصور محمد بن أبي عامر عام ٣٦٦-٣٩٢هـ للوقوف في وجه هجمات الممالك المسيحية وليكونا معسكرين متقدمين للجهاد (٤).

من الأمور التي لا بدّ من الاشارة اليها في هذا المقام ورود اشارات تدل على ان أحد الأسباب التي كانت تؤدي الى تذمرّ أهل طليطلة وبالتالي الى قيامهم بالمعارضة المسلحة، الاحتكاك المباشر بين موظفي الحكومة واتباعهم في طليطلة من جهة والعامّة من أهل طليطلة من جهة أخرى، فلذلك زال هذا السبب بعد الابنية التي أمر الناصر بانشائها عام ٣٢٠هـ في طليطلة، وضرب الأسوار حولها، وذلك باعتراف أهل طليطلة أنفسهم بقيمة هذا العمل بلسان الشيخ الطليطلي مصدر رواية الرازي (٥).

من النتائج التي ترتبت على المعارضة الطليطلية في عهد الحُكم الأموي بالاندلس: اضعاف الحكومة واشغالها في فترات متعددة ومتفرقة ابّان حكم الأمويين ممّا ساعد على ترسيخ وجود الممالك النصرانية في الشمال الايبيري، ومن ثمّ ازدياد قوّتها، نظرا لانشغال الحكومة الاندلسية باخماد الثورات الداخلية بما في ذلك ثورات طليطلة (٦)، ليس هذا فقط بل انّ الأمر تعدّى ذلك الى توسّع الممالك المسيحية

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٦١-١٦٢، ١٦٢-٢٦٣.

(٢) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٧٠، ف ٤، ص ٢٨٦-٢٨٨.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٦٧. (٤) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٦٣.

(٥) انظر قول الرازي في "ابن حيّان"، ج ٥، ص ١٠٣-١٠٤؛ وانظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٣٨.

(٦) انظر هذه الدراسة، ف ٤، ص ٢٦٣-٢٦٦، ٢٧٤-٢٧٥، ٢٧٩-٢٨٠، ٢٨٣-٢٨٤، ٢٩١-٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٩ - ٣١٠.

على حساب الاراضي الاسلامية الاندلسية في فترات انشغال الحكومة بالثورات الداخلية في الأندلس وامدادها بكل الامكانات وعلى رأس ذلك ارسال قوات للمحاربة الى جانب الثوّار ضد القوات الحكوميّة، كما حدث عامي ٢٤٠هـ و ٣٢٠هـ عندما أرسلت الممالك المسيحية قوات منها لمساعدة المعارضة الطليطلية في الوقوف في وجه القوات الحكومية الأندلسية [(١)]، أيّ أنّ المعارضة الطليطلية والثورات الداخلية الأخرى فتحت المجال أمام الممالك المسيحية في الشمال للتدخل في الشؤون الداخلية للأندلس بمساعدة الثوّار وتحريضهم على الخروج على سلطان الحكومة الأندلسية، لاضعاف القوّة والرمز الذى كان يلتفّ حوله الاندلسيون المتمثّل في الحكومة الاموية في قرطبة، ليُسهل ذلك على الممالك المسيحية مدّ نفوذها وسلطانها على مناطق جديدة من أملاك الدولة الامويّة في الاندلس وممّا يؤيّد هذا الرأى تقدّم الجلالقة بقيادة (اذفونش ابن اردون) في عهد الأمير عبد الله بن محمد واستيلاؤهم على مناطق جديدة مثلما حدث لمدينة سمّورة عام ٢٨٠هـ [(٢)]. ولهذا أستطيع القول ان الثورات في الأندلس وعلى رأسها الثورات الطليطلية ساهمت في اضعاف سلطان بني أميّة في بعض الفترات الأمر الذى انعكس سلبا على الوجود الاسلامي في الأندلس، اذ أنّ الممالك النصرانية في شمال ايبيريا استغلّت الوضع واستفادت منه في تثبيت وجودها أوّلا، ومن ثمّ توسّعها ومدّ نفوذها وسيطرتها على مناطق من أملاك الدولة الأموية في الاندلس ثانيا، أدّى ذلك الوضع الى اقتراب تلك الممالك من منطقة طليطلة الذى أدّى في النهاية الى سقوطها بيد مملكة قشتالة عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م [(٣)]، والذى أرى أنّه أثّر بالتالي

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٤ ، ص ٢٦٣-٢٦٦، ٢٩١ ، ٢٩٣.

(٢) ابن عذارى ، ج ٢، ص ١٢٤.

(٣) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٨؛ ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٥؛ ابن الأثير، ج ١٠ ، ص ١٤٢؛ المرّاكشي، ص ١٢٦؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٨٩ ، الحميرى؛ ص ١٣٥، ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧-٣٤٨؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢.

على ضياع الأندلس من أيدى المسلمين أخيرا بعد أن سقطت طليطلة بيد القشتاليين – وهي المنطقة المتوسطة في الأندلس – [1] ممّا كان له الأثر الكبير والنتائج الوخيمة على الاندلس ككل ، اذ ان طليطلة أصبحت عاصمة لمملكة قشتالة بعد ان استولى عليها القشتاليون بعامين [2] . أى عام ٤٨٠هـ الموافق ١٠٨٧م.

---

(١) ابن صاعد، ص ٦٣؛ الادريسي ، صفة ، ص ١٧٣؛ المرّاكشي، ص ٢٩؛ شيخ الربوة ، ص٢٤٤؛ الحميرى، ص ١٣٠؛ المقرى، نفح، ج١، ص ١٦١؛ وانظر هذه الدراسة، ف ١، ص ٥.

(٢) بشتاوى ، ص ٥٠؛ وذكر ابن بسام أن الفونسو السادس استعمل ششند (سسنندو) على طليطلة عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م، ابن بسام، ق:١، م:١، ص ١٦٧.

الفصل الخامس

أثر الصراع بين دول الطوائف ، والصراع مع الممالك النصرانية على طليطلة :

أولا : دول الطوائف والصراع مع الممالك النصرانية وانعكاسات ذلك على طليطلة .

ثانيا : ضياع طليطلة من أيدي المسلمين .

دول الطوائف والصراع مع الممالك النصرانية وانعكاسات ذلك على طليطلة :

١ - نشوء دويلة بني ذي النون[١] بطليطلة :

سقوط الخلافة الأموية في الاندلس : أقدم عبد الرحمن بن محمّد بن عامر على اتخاذ خطوة كانت في غاية الخطورة على مستقبل الخلافة الأموية في الأندلس ، وذلك باجباره الخليفة الأموي هشام بن الحكم المؤيّد - المحجوب عن الرعية وعن ادارة دفة الحكم - على اصدار قرار يقضي بتعيينه وليّا لعهد المسلمين ، - أي خليفة من بعده - في عام ٣٩٩هـ[٢]، ممّا كان له أسوأ الأثر في نفوس بني أميّة وبعض قادة الدولة الأخرين ، لذا أوجد ذلك الفعل دافعا ومبررا قويّا لدى الكثيرين منهم للاطاحة باسرة محمد بن أبي عامر[٣] . وكان لمحمّد بن أبي عامر دور رئيس في اضعاف مركز الخلافة ، من خلال

---

(١) يعود بني ذو النون بنسبهم الى قبيلة هوّارة البربرية ، وذكر ابن عذارى ان اسم جدّ بني ذو النون الذى ينسبون اليه هو زَنُّون ، فتصحف بطول المدة فصار ذو النون ، وخالف ابن الخطيب بعض المصادر في الصورة التي غُيّر اليها زنّون اذ ورد عنده الرسم الذى صار يعرف بها بنو زنّون الى بني دنّون ، علما ان معظم المصادر ذكرت بني زنّون بصيغة (بني ذى النون) : انظر ابن عذارى ، ج٣ ، ص٢٧٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٦-١٧٧ ؛ وانظر المصادر التالية كونها قد ذكرت ان الاسم الأخير من اسرة بني ذو النون هو (بني ذو النون) : ابن بسام ، ق:٣ ، م:١ ، ص ٦٧ ، ٩٢ ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٢ ، ١٥٧ ؛ ابن الأثير ، ج ٧ ، ص ٢٧٢ ؛ ج ٩ ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ ؛ المرّاكشي ، ص ١٢٥ ؛ النويري ، ج ٢٢ ، ص ٤٤٠ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٢٨٥ ، ٣٤٧ .

(٢) انظر ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٦ ؛ وانظر الحُميدى ، ص ١٧ ؛ الضبيّ ، ص ٢١ ؛ ابن الكردبوس ، م :١٣ ، ص ٦٧ الاّ انه ذكر ان ذلك حدث عام ٤٠٠ هـ ؛ المرّاكشي ، ص ٨٦ ؛ ابن سعيد ، ج ١ ، ص ٢١٣ ؛ النويري ، ج ٢٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٩٠ - ٩٣ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٣ .

(٣) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٦٧ ؛ ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ٤٣ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ؛ وانظر الحُميدى ، ص ١٧ ؛ الضبيّ ، ص ٢١ فانهما ذكرا ان محمد بن هشام ثار على عبد الرحمن بن محمد بعد اربعة اشهر من اخذه البيعة لنفسه بولاية العهد .

قيامه بحجب الخليفة الصغير هشام المؤيّد عن الرعيّة واستشاره بتسيير شؤون الدولة، وبقي كذلك حتى بعد أنّ كبر الخليفة الصغير، الى أن توفيّ محمد بن ابي عامر عام ٣٩٢ هـ (١) واستمّر هذا الوضع بعد أن تولىّ عبد الملك بن محمد بن ابي عامر الحُكم حتى عام ٣٩٩هـ (٢)، وظلّ الوضع قائما في عهد ابنه الثاني عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر حتى عام ٣٩٩هـ (٣)، اذ بقيت اسرة محمد بن ابي عامر مستأثرة بالحُكم دون الخليفة هشام بن الحكم، الى أن أقدم عبد الرحمن بن ابي عامر على استصدار قرار من المؤيّد بتعيينه وليّا للعهد من بعده عام ٣٩٩هـ (٤)، على إثر ذلك قام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر باعلان الثورة في قرطبة مستغلا الفرصة التي سنحت له بوجود (٥)

---

(١) انظر الحميدي، ص ١٧ فقد ذكر ان محمد بن أبي عامر تغلبّ عليه فكان يتولى جميع الأمور وسار على ذلك النهج ولداه من بعده، فكان هشام المؤيّد لا يحلّ ولا يعقد، الضبيّ، ص ٢١؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٢؛ ابن سعيد، ج١، ص١٩٩؛ النويّري، ج ٢٣، ص ٤٠٤، ٤٠٦ ذكر ان المنصور قام بقتل من يصلح للامارة من بني اميّة وشرد الآخرين في البلاد؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٣١٧، ٣٢١ ذكر ان المنصور وولديه من بعده استبدّوا بالحُكم دون الخليفة هشام.

(٢) ابن سعيد، ج١، ص ٢٠١؛ ابن عذارى، ج ٣، ص ٣؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٨٣، ٨٩؛ واختلفت المصادر التالية مع المصادر السابقة في السنة التي توفيّ فيها ابن ابي عامر فقد ورد فيها ان وفاته كانت عام ٣٩٣هـ: ابن الأثير، ج٩، ص١٧٦؛ النويّري، ج ٢٣، ص ٤٠٥؛ وانظر الحميدي، ص ١٧؛ الضبيّ، ص ٢١ الا انهما لم يذكرا السنة التي توفي فيها محمد بن ابي عامر؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٥ — ٦٦ فانه يفهم من كلامه ان وفاة ابن ابي عامر كانت عام ٣٩٣هـ.

(٣) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٣—٤، ٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٨٣، ٨٩؛ النويّري، ج٢٣، ص ٤٠٦—٤٠٧؛ وانظر الحميدي، ص ١٧؛ الضبيّ، ص ٢١؛ وانظر ابن الكردبوس، م١٣، ص ٦٥—٦٦ فقد ذكر ان ولاية عبد الملك كانت سبعة أعوام.

(٤) انظر الحميدي، ص ١٧؛ الضبيّ، ص٢١؛ ابن عذارى، ج٣، ص ٣٧، ٣٨؛ النويّري، ج ٢٣، ص ٤٠٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٨٩؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٦ فقد ذكر ان ولاية عبد الرحمن بن محمد كانت عام ٤٠٠هـ.

(٥) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٦٦؛ النويّري، ج٢٣، ص ٤٠٧—٤٠٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٠٩—١١٠؛ واشار ابن درّاج الى ان عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر قد تولّى ولاية عهد المسلمين ولكنّه لم يحدّد العام: ابن درّاج، ديوان، ص ٤٥٦ — ٤٥٨.

عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر في احدى غزواته في منطقة طليطلة متجها الى حرب الجلالقة (١) . فلمّا وصلت أخبار الثورة في قرطبة الى عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر عاد اليها مُسرعا ، الا ان الجند الذين كانوا معه انفضّوا عنه وتركوه يواجه مصيره ، حيث لقي مصرعه (٢) . فصار الامر لمحمد بن هشام بن عبد الجبار حيث أعلن نفسه خليفة بعد خلع هشام بن الحكم في شهر جُمادى الأولى من عام ٣٩٩هـ (٣) .

بعد هذه الأحداث تواصلت سلسلة الصراعات الداخليّة في البيت الاموي، وبالذات في ذريّة عبد الرحمن الناصر، للاستحواذ على مقاليد الحكم، بين متولّ للأمر، وقائم بالثورة على الحاكم، من خلال اعتماد الثائر أو المخلوع على بعض الفعّاليات في قرطبة او في طليطلة (٤) ، وتعدّى الأمر ذلك الى محاولة الاستنصار بالممالك المسيحية في شمال شبه الجزيرة الايبيريّة ، مقابل تنازلات كان يُقدمّها المستعينون بتلك الممالك كما حدث في الفترة الممتدة من عام ٣٩٩ هـ ٤٠٣هـ (٥) .

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٤٨، ٤٩ ؛ وانظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤١٠، ٤١١–٤١٤ ؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ٩٦؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٤؛ وانظر الحُميدى، ص١٧ ؛الضبيّ ، ص ٢١ فانّهما ذكرا ان محمد بن هشام بن عبد الجبار ثار على عبد الرحمن بن محمد بعد اربعة اشهر من اخذه البيعة لنفسه بولاية العهد.

(٢) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٤٩–٥٠، ٥٢، ٧٢–٧٣ ؛النويّرى، ج٢٣، ص ٤١٤–٤١٦ ؛ابن الخطيب، أعمال، ص ٩٧–٩٨؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٤؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٧ فانه لم يشر الى ما ذكرته المصادر السابقة الا بخصوص مقتل وصلب عبد الرحمن ابن محمد بن ابي عامر.

(٣) الحميدى، ص ١٧ ؛ الضبيّ، ص ٢١ ؛ ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ٥ ؛ ابن عذارى، ج ٣ ، ص ٥٩ ؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤١٢–٤١٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٠–١١١ ؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٤.

(٤) مثل الاعتماد على البربر او العامة في قرطبة او الصقالبة ، وكذلك الاعتماد على منطقة طليطلة للسيطرة على مجرى الامور في قرطبة والاندلس، انظر: ابن عذارى، ج٣، ص ٤٩–٥٩ ، ٧٩–٨٢، ٨٣، ٨٤–٨٥، ٨٨–٨٩، ٩٣، ١٠٠–١٠١ ؛ الحميدى، ص ١٨، ١٩، ٢٠ ؛الضبيّ، ص ٢٢، ٢٣، ٢٤ ؛ابن الأثير، ج٨، ص ٦٨٠–٦٨١ ؛ ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ٦، ٧ ؛النويّرى، ج٢٣، ص ٤١١–٤١٢، ٤١٩، ٤٢٠–٤٢٢ ؛ابن الخطيب، أعمال، ص ١٠٩–١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦ ؛ابن خدون، م:٤، ص ٣٢٥.

(٥) اذ ان سليمان بن الحكم المستعين قام بالتوجه الى ثغر طليطلة بعد ان التف حوله البربر في منطقة خارج قرطبة ، في شهر شوّال من عام ٣٩٩هـ، وبعد ان اشتدّ الأمر عليه وعلى الذين معه استنصروا بـ شانجه بن غرسيه بن فرذلند (سانشو بن

وبهذا تكون مؤسسة الخلافة في الاندلس قد وصلت الى مستوى هابط وذليل، فبعد

تابع هامش (٥)

(٥) جارسيا بن فردينالد) ملك مملكة نافار ''نبرّه ''، الذى حكم من عام ٣٩١هـ -٤٢٦هـ/ ١٠٠٠-١٠٣٥م انظر: د.الحجي، التاريخ، ص ٣٢٧. ووردت الاشارة اليه في مصادر اخرى (ابن ادفونش) و (ابن مامة)، فامدّه شانجه (سانشو) وتقدمت جموع البربر والنصارى الى قرطبة، فتمكنت من دخول قرطبّه في اواخر المائة الرابعة في شهر ربيع الاوّل بقيادة سليمان المستعين انظر: ابن عذارى، ج٣، ص ٥١-٥٢، ص ٨٣ (عن كتاب الاقتضاب)؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٣؛ وانظر الحميدى، ص ١٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق:١، م:١، ص ٢٤، ٢٥، ٣٠(قول ابن حيّان)؛ الضبيّ، ص ٢٢؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٦٨٠-٦٨١؛ المرّاكشي، ص ٨٨؛ ابن الأبار، الحلّة، ج٢، ص ٦؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٥-٣٢٦. وورد في رواية أخرى أن سليمان المستعين والبربر الذين معه، أرسلوا الى ابن مامة النصراني(ابن مادويه الرومي) (ابن ادفونش) يعرضون عليه الصلح ليقوم الطرفان بمواجهة الخليفة محمد بن هشام وقائده واضح، ولكن رسل سليمان فوجئوا بوجود رسل ابن عبد الجبّار ورسل واضح عند النصراني يعرضان عليه الصلح مقابل التنازل له عن بعض المناطق الحدودية، ولكنّ الملك النصراني مال الى تلبية العرض الذى قدمّه سليمان المستعين، واشترط ان تُسلّم له بعض الحصون والمناطق الحدودية اذا كان الظفر حليفهم، وفعلا فان النصر كان لجانبهم وخسر محمد بن هشام المعركة، عندئذ طالب النصراني بتنفيذ العهد، الاّ ان سليمان والبربر اعتذروا له بسبب عدم وقوع تلك المناطق المتفق عليها تحت سلطانهم، وقد وعدوه بتسليمها حالما تصبح تحت سيطرتهم، فرحل لسبع بقين من شهر ربيع الأوّل من العام الاخير من المائة الرابعة للهجرة: انظر: ابن عذارى، ج٣، ص٨٦-٨٧(قول ابراهيم بن القاسم)؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٢٠-٤٢٢؛المقّرى، نفح، ج١، ص ٤٢٨. بعد ان لحقت الهزيمة بمحمد بن هشام المهدى التجأ الى طليطلة واستعان بالفرنج (ابن ادفونش)مقابل مدينة سالم فتسلمّوها بالاضافة الى الاموال والنفقات، فنهض النصارى معهم الى قرطبّة، فتمكن المهدى من استعادة حكمه على قرطبّة في شهر شوّال من السنة الاخيرة للمائة الرابعة للهجرة، انظر ابن عذارى، ج ٣، ص ٩٣-٩٤؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٤-١١٥؛ وانظر الحميدى، ص ١٨؛ الضبيّ، ص ٢٤؛ ابن الأثير، ج ٨، ص ٦٨١؛ المرّاكشي، ص ٨٩؛ ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ٧؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٦؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٤٢٨؛ وانظر ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٣١-٣٢ فانّه ذكر ان واضحا جمع عساكر الفرنجة وأهل الثغور فدارت المعركة سنة ٤٠٠هـ في شهر شوّال منها فكانت نهايتها لصالح محمد بن عبد الجبّار وقائده واضح؛ وانظر كذلك النويّرى، ج٢٣، ص ٤٢٣ الاّ انه اضاف ان واضحا شرط لهم ما ارادوه وان ملك النصارى (الفرنج) أرمقند قد قُتِل.وانظر ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٢٥ اذ ان قولا ورد عنده لابن حيّان يصف فيه دولة سليمان المستعين بقوله: انها دولة كفاها ذمّا ان انشأها شانجه وهدمها ارمقُند، وشبّتهما الجلالقة ومزقّتها الفرنجة. لم تدم فترة حكم محمد بن هشام الثانية طويلا اذ انواضحا

ان كانت تتدخل في الصراعات الداخلية في الممالك المسيحية كما كان الأمر في عهد

تابع هامش (٥)

(٥) ومن معه من مقاتلة العامريين قرروا اعادة هشام المؤيد الى سدة الحكم، فاعادوه في شهر ذي الحجة من عام ٤٠٠هـ وقتلوا محمد بن هشام انظر: ابن عذاري، ج ٣، ص ١٠٠؛ النويري، ج ٢٣، ص ٤٢٥؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٦؛ وانظر ابن الآبار، الحلة، ج٢، ص ٠٧ ثم ان سليمان والبربر راسلوا ملك النصارى (الفرنج)(ابن ادفوش) يستمدونهم وبذلوا لهم تسليم حصون كان المنصور بن ابي عامر قد استولى عليها منهم، فأرسل ملكهم الى المؤيد يعرفه الحال، ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر، فاستشار المؤيد أهل قرطبة في ذلك، فأشاروا بتسليمها اليه خوفا من أن يمد يد العون الى سليمان واستقر الصلح في شهر محرم سنة ٤٠١هـ انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢١٧؛ وانظر المقري، نفح، ج١، ص ٤٢٨-٤٢٩ ذكر ان المناطق التي تنازل عنها المؤيد للنصارى هي ثغور قشتالة. بينما ذكر ابن الخطيب ان هشاما المؤيد وواضح الصقلبي اضطرا نتيجة لغارات البربر جند سليمان على المدن وعلى قرطبة الى الاستغاثة بالنصارى على ان يتنازلا لهم عن بعض المناطق، وفعلا وصلت رسل ملك النصارى الى قرطبة، فأبرمت الشروط بين الجانبين والتي نصت على تسليم أكثر من مائتي حصن، مما فتح القادة المجاهدون من بني أمية وخاصة في عهد الحكم المستنصر والمنصور بن ابي عامر وابنه المظفر فيما بعد. وتم ذلك بحضور رجالات قرطبة انظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٧؛ وانظر النويري، ج٢٣، ص ٤٢٧ الا انه اضاف ان ابن شالوس سمع بما تسلم ابن مادويه من الحصون فأرسل يتهدد ويتوعد ما لم يعط حصونا أخرى، فأجيب الى ما سأل وسلمت له. امّا ابن عذاري فقد ذكر أنّ رسل (ابن مامة) القومس زعيم النصارى قدموا يستنجزون تسليم الحصون الى زعيمهم مقابل عدم التعرض لشيء من ثغور المسلمين وعدم مناصرة المؤيد، ولما وصل الرسل الى قرطبة كتب كتابا بالشروط وتسليم الحصون للنصارى بحضرة المؤيد وواضح ورجالات قرطبة، وبذلك عمت الفرحة صدور النصارى لأنهم حصلوا على جميع الحصون التي كان الحكم بن عبد الرحمن المستنصر ومحمد ابن ابي عامر وابنه المظفر قد استولوا عليها منهم انظر ابن عذاري، ج٣، ص ١٠٣ (عن الرقيق).

ومما سبق يلاحظ وجود عدة جهات نصرانية في الشمال الايبيري ساهمت في عمليات التدخل في الصراعات الداخلية في قرطبة في اواخر المائة الرابعة للهجرة واوائل المائة الخامسة للهجرة، فلذلك لا بد من الاشارة اليها ولو بشكل موجز، فلقد كانت توجد في ذلك الوقت اربع دويلات نصرانية في الاجزاء الشمالية من ايبيريا:

أولا: مملكة ليون (León) كانت عاصمتها أبيط (Oviedo) ثم نقلت الى مدينة ليون (León) في اواخر القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري، ولذلك أصبحت تعرف بمملكة ليون علما انها كانت تسمى مملكة (غاليسيا واستارياس) انظر د. الحجي، التاريخ، ص ٢٧١. حكم الفونسو الخامس (ادفونش) ابن برموده الثاني (Alfonso V)

(١)
الخليفتين عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر،ثم انعكس الأمر في بداية القـــرن

(ه) تابع هامش (ه)
مملكة ليون من عام ٣٨٩-٤١٨هـ/٩٩٩-١٠٢٧م ، وكان في بداية حكمه صغير السن فوضع تحت وصاية الأمير الكونت منندبث كونثالث(مِنْدو)(Menendo Gonzalez) انظر د. الحجي، المرجع نفسه ، ص ٢٧٣-٢٧٤ ؛ عنان، دول الطوائف، وهو العصر الثاني، ص ٣٦٣.
ثانيا : دويلة قشتالة (Castillo) كانت تُحكم من قبل قائد محلي مقرّه بُرغُش(Burgos) العاصمة ، خاضع لمملكة ليون وفي منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى ٣٥٩هـ / ٩٧٠م حصلت قشتالة على استقلالها على يد فرّان غُنصالص (كنزالز) (Ferna'n Gonzalez) ثم خلفه في قيادة دولته ابنه غرسيه (جارسيا)(Garcia Fernandez)واستمّر حكمه حتى سنة ٣٨٩هـ/٩٩٥م ، ثم تولى الحكم من بعده ابنه شانجه غرسيه (سانشو جارسيا (Samcho Garcia) وظلّ كذلك حتى سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م ، ثم سيطر سانشو الكبير ملك نافار علـــى قشتالة سنة ١٠٢٨م .انظر: د. الحجي ،التاريخ ، ص ٢٧٥ ؛ عنان، دول، ص ٣٦٣.
ثالثا : مملكة نافار(Navarra) تقع في بلاد البشكنس وعاصمتها بنبلونة ، بـــدأت محاولات الاستقلال عن امراء ليون في نهاية القرن الثاني الهجرى/ الثامن الميلادى، وكـــان يتربع على كرسي الحكم في الفترة التي اتناولها في البحث شانجه غرسيه الثالث،الكبير (سانشو)(Sancho Garces) وامتد حكمه من عام ٣٩١-٤٢٧هـ/ ١٠٠٠-١٠٣٥م ، ثم تلقـــب بملك اسبانيا النصرانية بعد ان ورث عرش قشتالة واحتل ليون ،انظر د.الحجي ،التاريخ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ وانظر عنان، دول، ص ٣٦٢-٣٦٣ ؛ بشتاوى، ص٥٠ . رابعا :- امارة قطالونيـــا (برشلونة) : تقع في القسم الشمالي الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا ،اعتمدت بصورة رئيسية علـى الدعم الذى حصلت عليه من غالة (فرنسا) ، وبدأت بمقاطعة حدودية أقامها الملك شارلمان ، وكانت تابعة لمملكة نافار أيام حكم سانشو الثالث،الا انهـا انفصلت فيما بعد،وكانت برشلونةقد انتزعت من قبل القطالونيين سنة ١٨٥هـ/٨٠١م .انظر بشتاوى، ص ٥٠ ،٥١ . وبـيّن عنان ان الذى امدّ سليمان المستعين بالجند هو سانشو غرسيه أمير قشتالة في سنة ٣٩٩هـ ، وبعد ان تمكن المستعين من السيطرة على قرطبة اتجه واضح الصقلبي - قائد الخليفة محمد المهدى المخلوع- الى طرطوشة واتصل مع الكونت رامون بوريل أمير برشلونة وزميله أمير اورقلة الكونت أرمنجو ، واتفق معهما على أن يمدّاه بجيش لمقاتلة سليمان وجنده فـــي قرطبة ، ولكن مقابل شروط باهظة منها التنازل عن مدينة سالم ... واخيرا دارت المعركة بين الجانبين بضراوة في شهر شوّال سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م ومن ابرز الذين قتلوا فيها مـــن الفرنج الكونت ارمنجو الذى تسمّيه الرواية العربية (ارمقند) . ثمّ حاول المستعين ان يحصل على معاونة سانشو غرسية أمير قشتالة مرّة اخرى - بعد تولي المؤيّد للخلافة في فترة حكمـه الثانية بعد الاطاحة بالمهدى وقتله - مقابل التنازل عن سائر الحصون الحدودية الـــتي افتتحها الحكم المستنصر ومحمد بن ابي عامر ،اذا تحالف معهم لخلع هشام المؤيّد ، الا ان سانشو فضل التعامل مع الخليفة المُمسك بزمام الحكم فوجّه اليه سفارة يطالب بالحصـــون الحدودية مقابل عدم التحالف مع المستعين، فوافق المؤيّد ورجالات قرطبة على ذلك. انظر عنان، دولة ، ق٢:١ ، ص ٥٩٢ ،٥٩٤ ،٥٩٥ ،٥٩٦ ،٥٩٧ .

(١) انظر ابن عذارى، ج٢ ، ص٢٣٥ ،٢٩٦-٢٩٧ ؛انظر ابن خلدون م:٤ ، ص٣٠٧ ،٣٠٨ ،٣١٤-٣١٥ ؛ انظر المقّرى، نفح ، ج١ ، ص ٣٨٤-٣٨٥ ،٣٨٨-٣٩٣ ؛المقّرى ،ازهار ، ج٢ ، ص٢٨٩ . كما حدث ذلك أيضا في عهد محمد بن ابي عامر في خلافة المؤيّد انظر ابن درّاج ، ص٣٩٥ ،٤٠٢-٤٠٥ ،٤١٢ ،٤١٦-٤٣٢ ،٤٣٤ .

الخامس الهجري بقيام الخلفاء الثائرين أو المخلوعين أو القائمين على أمور الحكم في الأندلس بالاستنجاد والاستنصار بقادة الممالك المسيحيّة في الشمال، الأمر الذي انعكس سلبا على قوّة الدولة الأموية في الاندلس وعلى المسلمين فيها أيضا، اذأن مرحلة الضعف التي سادت الأندلس منذ تلك الأحداث ساعدت على اضعاف المسلمين في تلك البقعة من العالم، وتفكيك عرى تماسكهم، في حين قابل هذا الوضع في الجانب المقابل زيادة قوّة ونفوذ الممالك المسيحيّة في شبه الجزيرة الايبيرية، من خلال الاستفادة من الصراع والتنافس الذى كان سائدا في داخل صفوف المسلمين في الاندلس (١).

لم يبق الصراع على منصب الخلافة في قرطبة مقتصرا على البيت الأموى بل ان عنصرا آخر دخل الى حلبة الصراع، فبنو حمّود المنحدرين من الأدارسة الذين يرجعون بنسبهم الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما (٢)، نافسوا بني أميّة على تولّي الخلافة خلال الربع الأوّل من القرن الخامس الهجرى، فالفترة الممتدة من سنة ٤٠٧ هـ — ٤١٤هـ، شهدت اعتلاء رجال منهم لمنصب الخلافة (٣)، وتنافسوا مع بني اميّة على الخلافة في قرطبة الى ان دُحروا عنها نهائيا عام ٤١٧هـ، واحتفظوا بمالقة والجزيرة الخضراء وقرمونة كمناطق تخضع لخلافتهم (٤). بعد ذلك تمّ اعادة الخلافة الى البيت الأموى، وبقي

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٢٨، ٢٣٩ فقد ذكر ان الاندلس اخذت تضعف والعدو يقوى في الفترة التي كانت تشهد الصراعات الداخلية بين المسلمين.

(٢) انظر الحميدى، ص ١٩، ٢٠ ؛ الضبيّ ص ٢٥، ٢٧ ؛ ابن الأثير، ج٩، ص ٢٦٩ ؛ المرّاكشي، ص ٩٠ ؛ ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ٢٦٩ ؛ ابن عذارى، ج٣، ص ١١٩ ؛ النويّرى، ج٢٣، ص٤٣١ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٢٨.

(٣) منهم علي بن حمّود، ومن ثمّ اخوه القاسم بن حمّود، ومن ثمّ يحيى بن علي بن حمّود سنة ٤١٢هـ، والقاسم بن حمّود مرة ثانية عندما استعاد سلطانه سنة ٤١٣هـ. انظر: الحميدى، ص ٢٠، ٢٥ ؛ الضبيّ، ص ٢٧—٣٠ ؛ ابن الأثير، ج٩، ص ٢٧١—٢٧٥ ؛ المرّاكشي، ص٩١، ٩٨—١٠٠، ١٠٢ ؛ ابن عذارى، ج٣، ص١٢٠—١٣٤ ؛ النويّرى، ج٢٣، ص٤٣١—٤٣٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٢١—١٣٨ ؛ ابن خلدون، م٤، ص ٣٢٨ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٤٣٠، ٤٣١—٤٣٢، ٤٣٥—٤٣٦، ٤٣٧—٤٣٨.

(٤) انظر الحميدى، ص ٢٧ ؛ الضبيّ، ص ٣٢—٣٤ ؛ ابن الأثير، ج٩، ص ٢٧٨ ؛ المرّاكشي، ص ١٠٢ — ١٠٣، ١٠٥ ؛ ابن عذارى، ج٣ ص ١٤٣—١٤٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٣٦—١٣٧، ١٣٨ ؛ ابن خلدون، م٤، ص ٢٢٨، ٢٢٩ ؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٤٣٨ ؛ وانظر لمؤلف مجهول، مجهول اسم الكتاب وهو يشتمل على اوراق تتعلق باخبار دول ملوك الطوائف بجزيرة الاندلس، ذيل على كتاب ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨٩—٢٩٢ فقد بيّن ان مالقة استمرت تحت حكم بني حمّود حتّى سنة ٤٣٨هـ.

الأمر فيهم حتى عام ٤٢٢هـ وقيل ان ذلك بقي حتّى عام ٤٢٤هـ حيث انتهى رسميا وجود مؤسسة الخلافة في الاندلس، والتي كانت موجودة في قرطبة ، اذ كانت تعتبر مركز الحكومة المركزية للاندلس، ومنها كانت تتحكم في ادارة وتسيير جميع الأمور في المناطق الخاضعة لسلطان المسلمين في الاندلس.

في ظلّ هذه الظروف أخذ كل قائد متنفذ أو أسرة متنفذة في منطقة من المناطق الاندلسية في الاستقلال كليّا عن قرطبة وادارة أمور المناطق التي تخضع لسلطان ذلك القائد، أو سلطان تلك الاسرة ، كما حدث في قرطبة اذ ان مقاليد الامور فيها صارت لرئيس الجماعة أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور، وادّعى انه يقوم بالحكم حتى تتفق الكلمة على رجل من أولي الشأن (٣) ، كما وان القاضي محمد بن اسماعيل وذريّته من بعده

---

(١) انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٣ ؛ابن عذاري، ج٣، ص ١٤٥، ١٥٢، ١٥٥ وقد ذكرا أن الخليفة هشام ابن محمد المعتمد خُلع في شهر ذى الحجة عام ٤٢٢هـ وتوفي بالثغر الاعلى عام ٤٢٨هـ في احدى جهات لاردة ؛ابن الوردى، تتمة ، ج:١ ، ص ٤٩٧ ؛ابن خلدون،م:٤ ، ص٣٣٠ ؛ وانظر ابن سعيد، ج١، ص ٥٥ فقد ذكر ان الدولة الاموية انتهت في الاندلس سنة ٤٢٠هـ.

(٢) انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٤ حيث ذكر انه (قيل)ان نداء في قرطبة اعلن ان لا يبقى احد من بني اميّة فيها ، وكان ذلك سنة ٤٢٤هـ وعلى اثر ذلك انحلّ عقد الجماعة وافترقت البلاد، انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٣٨. وورد قول للقلقشندى مفاده ان نهاية الدولة الاموية في الاندلس كانت عام ٤٢٨هـ عندما توفي هشام بن محمد: القلقشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٠.

(٣) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ١٨٥ وما بعدها اذ أنّه بيّن ان حكم بني جهور في قرطبة بدأ منذ عام ٤٢٢هـ، انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٤-٢٨٥ ؛ابن الوردى، تتمة ، م:١ ، ص ٤٩٧ ؛ وانظر المرّاكشي، ص ١١١ وذكر ان حكم بني جهور بدأ منذ ان انقطعت الدولة الاموية ، وانظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٣٩ ؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص١٤٧ ؛ وانظر ابن خاقان، مطمح، ص ١٨١-١٨٣ فقد ذكر ان جهور بن محمد كان من وزراء الدولة العامريّة ، وظلّ في الوزارة دون ان يتدخل الى ان اشتدت الفتنة عند ذلك راسل بعض القادة واهل التقوى لتقديم هشام المعتمد كخليفة ليلم الشمل وكان ذلك تحيّلا منه وتمويها ، واستولى على قرطبة بعد ان انقضت الدولة الامويّة .

من بني عبّاد استقلّوا باشبيلية (١)، وبنو هود في مناطق الثغر الاعلى في سرقسطة ولاردة (٢)، ومجموعة من القادة في طليطلة الى ان صار الأمر لبني ذى النون (٣)، وهناك

---

(١) تولّى القاضي محمد بن اسماعيل بن عبّاد أمر اشبيلية سنة ٤١٤هـ بعد اخراج القاسم بن حمّود من قرطبة، وشاركه في ادارة اشبيلية محمد بن مرشم الاهاني، ومحمد بن محمد الزبيدى، ثم استطاع ابن عبّاد ان يزيل سلطة شركائه وينفرد بالادارة. انظر: النويّرى، ج٢٣، ص ٤٢٣، ٤٤٢؛ انظر لمؤلف مجهول، كتاب مجهول الاسم؛ ذيل ملحق لكتاب ابن عذارى، ج٣، ص ٣١٤-٣١٥ الا انه ذكر ان اسم الرجل الثالث هو الوزير ابن مريم؛ وانظر ابن عذارى ج٣، ص ١٣٤-١٣٥، ١٩٣-١٩٦ فانه لم يشر الى الاسماء التي شاركت مع ابن عبّاد في الادارة؛ وانظر المرّاكشي، ص ١٢٦؛ ثم انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٥؛ وانظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٦٧ فقد اشار الى أنّ امراء المناطق الاندلسيّة سيطروا على المناطق التي يتواجدون فيها بعد الاحداث التي تلت قيام ثورة هشام بن محمد المهدى، ومن ثمّ قيام سليمان المستعين عليه. كما ان ابن بسام نوّه الى ان تفرق البلاد والطوائف في الاندلس قد بدأ بُعيد تولّي سليمان المستعين الخلافة في قرطبة. ولم ينصّ على أىّ فترة من فترتي خلافة المستعين أهي التي كانت عام ٤٠٠هـ أم التي حدثت عام ٤٠٣هـ: ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٢٥.

(٢) أول من حكم الثغر الأعلى في أيام الاضطرابات السياسية في الاندلس في اوائل القرن الخامس الهجرى يحيى بن منذر بن يحيى، بعد ان خلف والده في حكم سرقسطة والثغر الأعلى، وكان سليمان بن احمد بن هود قائدا من قوّاد منذر على لاردة، وبداية عملية ظهور بني هود في عام ٤٣١هـ بعد استيلائهم على مدينة لاردة ومنشون، ومن ثم توليّهم بُعيد ذلك لحكم سرقسطة عام ٤٣٨هـ: انظر ابن عذارى، ج٣، ص ١٧٨-١٧٩، ٢٢١؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٠-١٧١؛ وانظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٩؛ وانظر المرّاكشي، ص ١٢٤.

(٣) انظر العماد الاصفهاني، خريدة، ق:٤، ج٢، ص ٩٤ وقد اورد ارجوزة لابي طالب عبد الجبار الاندلس منها هذا البيت الذى يتعلق بطليطلة:

منها ابن يعيش ثار في طليطلة   ثم ابن ذى النون تصفى الملك له

كذلك انظر ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٨؛ انظر ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ٣٧ المتن والحاشية؛ انظر ابن سعيد، ج٢، ص ١١؛ انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٦-٢٧٧؛ انظر ابن الوردى، تتمة، ج١، ص ٤٩٨، ٤٩٩ وذكر الارجوزة التي ذكرها العماد الاصفهاني؛ انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٠؛ انظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٧؛ انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧؛ وانظر القلقشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٤ فقد اكتفى بالقول أنّ اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون استولى على طليطلة أيام الفتنة سنة ٤٠٩هـ وبقي حاكما عليها حتى عام وفاته ٤٢٩هـ.

الكثير من الافراد والاسر التي سيطرت على مناطق أندلسية (١) ، وعرفت هذه الفترة الزمنية في الاندلس بفترة دول الطوائف (٢) وبهذا تكون الوحدة السياسية التي كانت تربط الأجزاء الاندلسية قد تلاشت بعد ان تفككت الدولة الاموية فصارت مزقا متناثرة ودويلات صغيرة متناحرة فيما بينها ، اذ لم يعد لها ذلك الجيش الواحد الذى كان يحافظ على مصالحها ويدافع عنها ، فتعددت الجيوش وكثر القادة بعد ان كان للاندلس قائد واحد ، وادارة واحدة تسيّر وتشرف على جميع نواحي الحياة في البلاد ، كما ان مدنا برزت كعواصم يتبعها مناطق تدور في فلكها ، وغدت كل دويلة يحكمها حاكم يدبّر أمورها ، فيعلن الحرب والسلم ، ويُبرم المعاهدات متى شاء وكيف أراد . وهذا بطبيعة الحال ينطبق على الوضع السياسي في طليطلة فهي كمثيلاتها من المناطق الأندلسية استقلت عن السلطة المركزية في قرطبة منذ عهد الاضطرابات التي شهدتها مع بداية القرن الخامس الهجرى . الا ان المصادر اختلفت في أخبارها حول مجريات الأحداث في طليطلة في اوائل القرن الخامس الهجرى ، وفي الكيفية التي تمكنت فيها بعض العناصر من تحقيق ذلك ، وبالتالي لا بدّ من معرفة تلك العناصر التي تمكنت من السيطرة على المدينة : فبعض المصادر بيّن أنّ عبد الرحمن بن منيوه (مُنْيُوه) كان الحاكم لمدينة طليطلة وتوابعها عندما بدأت الاضطرابات (الفتنة) في الاندلس ، وبعد أن أدركته منيّته

---

(١) من دول الطوائف بنو الافطس في بطليوس وشنترين وقد سيطروا عليها بعد وفاة أوّل الثائرين فيها في عهد الاضطرابات الفتى سابور: انظر ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٣ ؛ انظر ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن الوردى ، تتمة ، ج:١ ، ص ٤٩٨ . وانظر المصادر التالية بالنسبة للمناطق التي سيطر عليها بعض الافراد والاسر المتنفذة منذ عهد الاضطرابات السياسية في الاندلس في اوائل القرن الخامس الهجرى مثل: المرية ، بلنسية ، دانية ، مالقة ، قرمونة ، الجزيرة ، غرناطة ، ومرسيه : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨–١٦٥ ، ١٦٦–١٦٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٩ – ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ؛ وانظر ابن الكرديوس ، م:١٣ ، ص ٦٧ ؛ ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٩١ ؛ المرّاكشي ، ص ١٢٧ ؛ لمؤلف مجهول ، مجهول اسم الكتاب (ذيل ملحق بكتاب ابن عذارى) ، ج٣ ، ص ٣١١ وذكر ان ابا عبدالله البرزالي استقل بقرمونة سنة ٤٠٤هـ ؛ وذكر ابن درّاج ان مباركا ومظفرا العامريين استوليا على بلنسية منذ اوائل الفتنة قبل خلافة القاسم بن حمّود . ابن درّاج ، ص ٥٢٠

(٢) ابن بسام ، ق:١ ، م:١ ، ص ٢٥ ؛ ابن الكرديوس ، م:١٣ ، ص ٧٨ واطلق على هذه الفترة ايام الفرق ، ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٨٤ ؛ المرّاكشي ، ص ١٤٧ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص١٥٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤٤ .

خلال الفتنة تولى الحكم بعده ابنه عبد الملك بن عبد الرحمن بن منيوه (مُتَيُّـوه) ولكنّه لم يحسن ادارة البلاد والعباد فتّم خلعه من قبل أهل طليطلة ، وولّوا على أنفسهم من ينظر في أمرهم ، ولكنّ افعاله لم ترق لهم فأطاحوا به ، فحلّ مكانه رجل آخر الا انه خُلع ، عندئذ رأى رجالات طليطلة ان يرسلوا الى ابن ذى النون ـ الذى كان والياعلى منطقة شنت برية (شنتبرية) في آخر مدّة الجماعة ـ فوجّه اليهم ابنه اسماعيل ابن عبد الرحمن بن ذى النون، فدانت له طليطلة ومناطقها فدبّر سياستها واحكم ادارتها معتمدا على مشورة كبار رجالها وعلى رأس هؤلاء الشيخ أبو بكر الحديدى، الذى كان شيخها والمنظور اليه بها من أهل العلم (١) .

امّا بعض المصادر الأخرى فانّها ذكرت أنّ أوّل من تغلب على طليطلة بعد حكم بني أميّة ـ مع استمرار حكمهم بقرطبة ـ رجل يقال له ابن يعيش ، وذلك أنّ اهلها لمّا خرجوا على طاعة بني أميّة ، قدمّوا عليهم ابن يعيش وولّوه تسيير أمورهم ، الا أنّ حكمه لم يدم طويلا ، فصارت رئاسة طليطلة الى اسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرّف بن ذى النون الهوّارى (٢) .

وقال ابن خلدون ان الذى تولى طليطلة منذ أول الفتنة هو يعيش بن محمد بن يعيش، واستمر في حكمها حتى سنة ٤٢٧هـ عندئذ استدعي الظافر اسماعيل بن عبد الرحمن ابن سليمان بن ذى النون الهوّارى من حصن افلنتين الذى سبق له وأن تغلّب عليه في زمن (الفتنة) في عام ٤٠٩هـ، علما ان اسلافه كانت لهم رئاسة في شنتبرية (٣) .

---

(١) ابن عذارى، ج٣ ، ص ٢٧٦-٢٧٧ ؛ وانظر ابن الخطيب،أعمال، ص ١٧٧ ، اذ انه لم يذكر أن أهل طليطلة بعد ان خلعوا عبد الملك بن متيوه ولّوا عليهم غيره ...ولكنه ذكر ان أهل طليطلة اتفقوا على ان يرسلوا الى ابن دنّون(ذىالنون) ليأتي الى طليطلة ليتولى مقاليد الحكم فيها ، كما أن لفظ متيوه هو لابن الخطيب، علما انّه لم يقل ان عبدالرحمن بن متيوه كان على رأس السلطة في طليطلة .

(٢) النويّرى، ج٢٣ ، ص ٤٤٠ ؛ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٨٨ ؛ابن سعيد ، ج٢ ، ص١١ ، وورد بيت الشعر التالي عند العماد الأصفهاني وابن الوردى وهو من ارجوزة أبو طالب عبدالجبار الأندلسي:

وابن يعيش ثار في طليطلة ... ثم ابن ذىالنون تصفّى الملك له

العمادالأصفهاني، ق:٤ ، ج٢ ، ص ٩٤ ؛ابن الوردى، تتمة ، ج :١ ، ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٣) ابن خلدون، م :٤ ، ص ٣٤٧ ؛القلقشندى، صبح ، ج٥ ، ص ٢٥٢ لكنه لم يقل ان اسماعيل أستدعي الى طليطلة بل ذكر أن اسماعيل مضى الى طليطلة فملكها .

بينما ورد عند ابن بشكوال ان يعيش بن محمد بن يعيش الأسدى الطليطلي المكنّى ابا بكر، تولّى الأحكام ببلده ثمّ آلت اليه رئاستها ، وعمّت المنافع أهل طليطلة في الفترة التي تولاها ، الا انه أُقصي عن حكم طليطلة فالتجأ الى قلعة أيوب حيث وافاه اجله فيها سنة ٤١٨هـ في قول، وسنة ٤١٩هـ في قول آخر (١) . في حين ان ابن الأبّار ذكر ان طليطلة كانت تحت حكم ابن يعيش وبقي يصرّف أمورها وهو متمسك بولاية قضائها (٢) . أى انه كان يصرّف شؤون طليطلة السياسية والعسكرية والادارية والمالية مع بقائه متمسكا بادارة القضاء الطليطلي، بمعنى انه كان يديرها باسم القضاء أىّ انه كان يلقّب قاضي طليطلة أو قاضي الجماعة في طليطلة أو شيخ الجماعة في طليطلة . وهذا يعني ان رأس الحكم في طليطلة كان في عهد ابن يعيش يتخذ لقب القاضي، وهو ما أشار اليه ابن عذارى، عندما ذكر القاضي ابا القاسم محمد بن اسماعيل.. بن عبّاد ، وانه انتهج أسلوب ابن يعيش صاحب طليطلة في الحكم وادارة بلاده، بتمسكه بخطة القضاء وتسمّيه بذلك ، مع انه يفعل ويحكم كأىّ حاكم مستقل بادارة بلاده (٣) .



وورد عند ابن سعيد ان ابن يعيش كان يقوم بادارة القضاء في طليطلة عندما أعلن خروجه على الحكومة في قرطبة (٤) . وجاء عند ابن بشكوال انّ الافتاء في طليطلة كان يقوم على كاهليّ سعيد بن أحمد بن سعيد بن كوثر الانصارى الطليطلي ومحمد بن يعيش ، وتوفي الأول سنة ٤٠٠هـ (٥) ، كما انه ذكر في موضع آخر ان أحمد بن سعيد بن كوثر الانصارى ولي أحكام طليطلة مع يعيش بن محمد ولكنّ الأخير استثقله فدبّر قتله ، وهناك قول لابن حيّان انه توفي بشنترين عام ٤٠٣هـ (٦) .

وهناك مصادر لم تشر الى الذين تولّوا تصريف الأمور في طليطلة قبل اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون، واغفلت أىّ ذكر لهم

---

(١) ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٦٨٩.

(٢) ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ٣٧.

(٣) ابن عذارى، ج٣، ص ١٩٦ علما أنّ محمد بن اسماعيل تولّى قضاء اشبيلة عام ٤١٤ هـ خلفا لوالده: انظر المصدر نفسه ، ص ١٩٦.

(٤) ابن سعيد ، ج٢، ص ١١.

(٥) ابن بشكوال، ق:١، ص ٢١٤.

(٦) ابن بشكوال ، ق:١، ص ٣٧.

واكتفت بالقول ان الذى تغلّب على طليطلة في أول الفتنة هو اسماعيل بن ذى النون . ومن هؤلاء المرّاكشي (١) ، وكذلك القلقشندى الذى ذكر ان اسماعيل المذكور استولى على طليطلة زمن الفتنة سنة ٤٠٩هـ واستمرّ في حكمها حتّى وفاته سنة ٤٢٩هـ فخلفه في حكمها وحكم المناطق الاخرى التابعة ، ابنه ابو الحسن يحيى الملّقب بالمأمون (١) .

مما سبق يلاحظ ما يلي : ظهور عدّة شخصيات قيادية في طليطلة في نهاية القرن الرابع الهجرى واوائل القرن الخامس الهجرى مثل سعيد بن أحمد بن سعيد بن كوثر شاركه في فُتيا أهل طليطلة محمد بن يعيش، كما ان أحمد بن سعيد بن كوثر الانصارى اشترك مع يعيش بن محمّد في ولاية قضاء طليطلة الّا ان الأخير تخلص منه ، وفي قول انه توفي بشنترين سنة ٤٠٣هـ، وهذا يشير الى انّ يعيش استطاع ان يتخلص من شريكه باجباره على الخروج من طليطلة ، وهذا يقود الى القول أنّ يعيش بن محمد كان مسيطرا على قضاء طليطلة عام ٤٠٣هـ، كما ان عبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك ذُكرا كحاكمين لطليطلة في فترة الاضطرابات (الفتنة) ولكنّ السؤال الذى يُطرح هنا هل حكماها بعد يعيش بن محمّد ، ام قبله ؟ وهذا يقود الى طرح السؤال التالي : من هما الشخصيتان اللّتان حكمتا طليطلة بعد عبد الملك بن متيوة وقبيل استدعاء اسماعيل بن ذى النون؟ (٣) . كما ان السؤال الذى لا بدّ من طرحه في هذا المقام هو ما المقصود بالفتنة (٤) ؟ ومتى كانت بدايتها ؟ . أطلق عدد من المصادر لفظ الفتنة على الفترة التي قام فيها محمد بن هشام المهدى بالثورة على عبد الرحمن بن محمّد بن ابي عامر وقتله والاطاحة بهشام

---

(١) المرّاكشي ، ص ١٢٦ .

(٢) القلقشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٤. ولكنّه ذكر في كتابه صبح الاعشى ان اسماعيل بن ذى النون استولى على طليطلة سنة ٤٢٧هـ بعد وفاة صاحبها يعيش بن محمد بن يعيش الذى تغلّب عليها في أوّل الفتنة وبيّن ان العمل الذى قام به اسماعيل عام ٤٠٩هـ هو الاستيلاء على حصن افلنتين. القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٥٢ .

(٣) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٦ فانّه ذكر ان شخصيتان حكمتا طليطلة بعد عبدالملك بن متيوه وقبيل حكم اسماعيل بن ذى النون.

(٤) الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار، كما انّها تطلق على اختلاف الناس بالآراء ، وتطلق في التأويل على الظلم ، وتأتي بمعنى: ما يقع بين الناس من القتال، والفتنة تأتي احيانا بمعنى القتل : انظر ابن منظور، م:١٣، ص ٣١٧ ، ٣١٩ .

المؤيّد سنة ٣٩٩هـ ، وخصّ المرّاكشي عهد عبد الرحمن بن محمد بن ابي عامر بأنه بداية الفتنة[1] علما انّه تولى الحجابة سنة ٣٩٩هـ[2] ، واطلق اللفظ على الأحداث التي تلت ذلك[3] وخاصة على الأعمال التي قام بها سليمان المستعين وجنده البربر من غارات وحروب ضد اهل قرطبة وغيرها من المناطق الأندلسية[4] ، وعلى فترة حكم بني حمّود في الأندلس[5] ، وأُطلق لفظ الفتنة بشكل واسع على الأحداث التي أدّت الى انهاء الخلافة الأموية في أواخر الربع الأول من القرن الخامس الهجري[6] ، لذلك يمكن القول ان الفتنة بدأت تطلق على الأحداث التي أدّت وواكبت وتبعت قيام محمد بن هشام المهدى بالقضاء على الحكم العامرى واسقاط خلافة هشام المؤيّد ، ومع توسع الاحداث وازدياد الاضطرابات في الربع الأوّل من القرن الخامس الهجرى، وتنازع الامويين والحمّوديين على الخلافة ، وما تبع ذلك من تمزق الأندلس وانقسامه الى دويلات متحاربة أدّى في النهاية الى استعمال لفظ الفتنة على مراحل هذه الحقبة الزمنية ، وما أدّت اليه[7] . نظرا للمدلول اللغوى لكلمة فتنة الذى ذكرته في الصفحة السابقة لأن ما دار منذ عهد عبد الرحمن ابن محمد بن ابي عامر كان اختلافا واقتتالا بين أهل الاندلس استمرّ حتى سقوط معظم الاجزاء الاندلسية .

---

(١) ابن عذارى ، ج٣، ص ٥٠.

(٢) المرّاكشي، ص ٨٦.

(٣) ابن عذارى، ج٣، ص ٣٧، ٣٨؛ الحميدى، ص ١٧؛ الضبيّ، ص ٢١؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٠٧؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٨٩.

(٤) ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٢٥؛ ابن عذارى، ج٣، ص ٩٧.

(٥) ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٣٤، وورد لفظ الفتنة عند الحميدى مشيرا الى الاضطرابات التي سبقت عام ٤١٧هـ. الحميدى، ص ٢٧. كما ورد عند ابن خلدون والقلقشندى ان زمن الفتنة ابتدأ قبل سنة ٤٠٩هـ انظر ابن خلدون، م:٤، ص٣٤٧؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢؛ القلشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٤.

(٦) ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٤؛ابن خلدون، م:٤، ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٧) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٧٨، ١٧٩، ٢٢٠ فقد ذكر ان الصراع بين دويلات الطوائف بعد انتهاء الخلافة في الاندلس، اصبح يعرف بالفتنة ايضا ومثال ذلك الفتنة بين بني ذى النون وبني هود، وكذلك على فترة الصراع التى اودت بمنذر بن يحيى على يدىّ عبد الله بن حكيم سنة ٤٣٠هـ. وذكر ابن خاقان، مطمح، ص ١٨١، ١٨٢، ان الفتنة بلغت مداها عندما قام ابو الحزم جهور بن محمّد بمراسلة القادة الاخرين بمبايعة هشام المعتد، وان ما سبق ذلك من احداث اطلق عليه فتن، ومن المعروف ان مراسلات جهور كانت عام ٤١٨هـ، انظر النويرى، ج ٢٣، ص ٤٣٧.

وقبل ان يتوصل الدارس للأحداث التي مرّت بها طليطلة في الثلث الأوّل من القرن الخامس الهجرى الى رسم صورة قريبة من حقيقة الأحداث التي وقعت في طليطلة ، لا بدّ من ذكر بعض الأمور؛ منها ان عبيد الله بن الخليفة المهدى كان في طليطلة عندما قُتل والده في قرطبة سنة ٤٠٠هـ (١) ، في هذا الوقت عندما قُتل المهدى وأعيد المؤيّد الى الحكم (٢) ، كان عبد الرحمن بن متيوه في جيش سليمان المستعين الذى يتكون من البربر ، وعندما علم ابن متيوه بخبر مقتل المهدى الذى كان على عداوة معه ، أرسل الى الفتى واضح ـ الذى كان يدبّر أمور دولة هشام المؤيّد والذى ساهم في تدبير مقتل المهدى في شهر ذى الحجة من عام ٤٠٠ هـ (٣) ـ يخبره انه راغب في الانضمام اليه ما دام عدوّه المهدى قد قُتل، فأكدّ له واضح انه لا مانع لديه بخصوص قدومه وسيكون آمنا في قرطبة ، عندئذ توجه ابن متيوه الى قرطبه بعد ان تمكن من التسلل والانسحاب من الجيش الذى كان فيه ، وبعد ان قُتل واضح (٤) قام ابن متيوه بتدبير وادارة الدولة نيابة عن هشام المؤيد بالاشتراك مع علي بن وداعة حتّى انهارت خلافة المؤيّد (٥) ، وتمكن سليمان المستعين من دخول قرطبة (٦) ، عام ٤٠٣هـ .

---

(١) ابن بسام ، ق:١ ، م:١ ، ص ٣٢ (عن ابن حيّان) ؛ وذكر ابن عذارى ان مقتل محمد بن هشام المهدى كان في شهر ذى الحجة عام ٤٠٠هـ؛ ابن عذارى، ج٣ ، ص ١٠٠ ؛ وجاء عند ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢١٨ ان المؤيد بعث جيشا لمحاربة عبيد الله بن المهدى في طليطلة ، على اثر ذلك عادت طليطلة الى الطاعة ، وأخذ ابن المهدى أسيرا ، فقُتِل في شهر شعبان من سنة ٤٠١هـ.

(٢) الحميدى، ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ؛ ابن بسام ، ق:١ ، م:١ ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ؛ الضبيّ ، ص ٢١ ؛ ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ المرّاكشي ، ص ٨٦ ، ٩٠ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٥ ، ٦ ، ٧ ؛ النويري، ج٢٣ ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ؛ المقّرى، نفح ، ج١ ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٣) ابن عذارى، ج٣ ، ص ١٠٠ ؛ وانظر المرّاكشي، ص ٨٩ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص٧ فقد ذكرا ان واضحا ساهم في التخطيط لمقتل المهدى.

(٤) قُتل واضح عام ٤٠١هـ انظر ابن عذارى، ج٣ ، ص ١٠٤ـ١٠٥ ؛ وانظر ابن الأثير، ج ٩ ، ص ٢١٨ .

(٥) ابن بسام ، ق:١ ، م:١ ، ص ٣٢ .

(٦) الحميدى، ص ١٧ ، ١٩ ؛ الضبيّ، ص ٢١ ؛ ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢١٨ ؛ المرّاكشي ، ص٩٠ ؛ ابن الأبار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٧ ؛ ابن عذارى، ج٣ ، ص ١١٣ ؛ النويّرى، ج٢٣ ، ص ٤٢٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١١٩ ؛ المقّرى، نفح ، ج١ ، ص ٤٢٩ .

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن فورا هو : ما سبب العداوة بين عبد الرحمن بن متيوه والمهدى ؟، ربمّا انها نتجت عن ازالة نفوذ وسيطرة عبدالرحمن ابن متيوه عن طليطلة ، وبسبب ذلك انضمّ عبد الرحمن بن متيوه الى سليمان المستعين نكاية في المهدى ، وبعد مقتل عدوّه سنة ٤٠٠هـ قررّ الانضمام الى المؤيّد وواضح ،اذ ان الصراع الدائر بين الفريقين المتصارعين اصبح لا يعنيه . لذلك ولما ذكره احد المصادر من أنّ عبد الرحمن بن متيوه كان متوليّا لأمر طليطلة عندما بدأت الفتنة (١) ـ التي كما أشارت اليها بعض المصادر بدأت منذ سنة ٣٩٩هـ (٢) ـ ، أستطيع القول ان ان عبد الرحمن بن متيوه عندما اعتلى المهدى سدّة الحكم عام ٣٩٩هـ، وبعد الاطاحة به من قِبل سليمان المستعين ومن ثمّ ذهاب المهدى المخلوع الى طليطلة (٣) ، ـ قد نشب بينه وبين المهدى خلاف أدّى الى وقوع الخصومة بينهما ممّا اضطرّ عبد الرحمن بن متيوه الى الانضمام الى سليمان المستعين سنة ٤٠٠هـ بعد أن اطاح به المهدى (٤) ، ومن المتوقع ان سبب الخصومة هو تقديم المهدى لرجل أو رجال عليه ممّا ادّى الى نفوره من المهدى وأصبح يُكنّ له العداوة منذ ذلك الوقت، لذلك فانّه انضم الى سليمان المستعين عندما تولىّ المهدى مقاليدالحكم مرّةثانيةعام ٤٠٠هـ،وهذا ما أشار اليه أحد المصادر من أنّ عبد الرحمن بن متيوه أرسل الى الفتى واضح ـ بعد مقتل المهدى ـ يطلب منه ان يضمن سلامة حياته مقابل الانضمام الى المؤيد، لأنّ سبب انضمامه الى سليمان والبربر هو العداء لمحمد بن هشام المهدى (٥) ، فكان له ما اراد .

---

(١) ابن عذارى ، ج ٣، ص ٢٧٦.

(٢) ابن عذارى ، ج ٣، ص ٥٠؛ المرّاكشي ، ص ٨٦.

(٣) ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٣٠-٣١(قول ابن حيّان)؛ المرّاكشي، ص ٨٩؛ ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ٥،٦،٧؛ ابن عذارى، ج٣، ص ٨٧،٩٣؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٢٢، ابن الخطيب ، أعمال، ص ١١٤.

(٤) استعاد المهدى الحكم في شهر شوّال من سنة ٤٠٠هـ: ابن عذارى، ج ٣ ، ص ٩٤،٩٥ ؛ المرّاكشي، ص ٨٩،٩٠؛ ابن الوردى ، تتمه ، ج١ ، ص ٤٨٤؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٢١ ــ ٤٢٢؛ ابن الخطيب ، اعمال ، ص ١١٤-١١٥.

(٥) ابن بسام، ق:١، م:١، ص ٣٢.

ولم يوضح ابن بسام ما الذى آل اليه مصير ابن متيوه عندما دخل المستعين قرطبة؟ أقتله بسبب فراره وانضمامه الى واضح والمؤيّد؟ أم انه تمكّن من النجاة واللّحاق بطليطلة؟ من المحتمل ان ابن متيوه عندما أحسّ بزوال دولة المؤيّد قام بمناصرة المستعين ، فمّهد له الطريق لدخول قرطبة ومن الجائز ان ابن متيوه قدم الى قرطبة ليعمل من داخلها لصالح سليمان المستعين وظلّ مع المستعين حتّى سنة ٤٠٧ هـ السنة التي كانت فيها هزيمة المستعين واستيلاء علي بن حمّود على قرطبة (١) ، وبالتالي فرار ابن متيوه من قرطبة وعودته الى طليطلة.

وعودة الى طليطلة نجد ان ابن يعيش استطاع ان يضاعف نفوذه بعد ان تخلص من منافسه الأوّل أحمد بن سعيد بن كوثر الانصارى (٢) ، في ظل هذه الظروف والمعطيات من المعروف ان ابن متيوه كان قد غاب عن طليطلة لفترة بعيدا عن المنافسات فيها ، اذا ما أُعتبر انه كان مع المستعين حتّى سنة ٤٠٧هـ في قرطبة ، لذلك من المحتمل انه لم يتصدر على ابن يعيش الذى ظهر على مسرح الأحداث وتمكّن من نيل شعبية في طليطلة ، نظرا لكونه قاضيها (٣) الذى كانت له علاقات وثيقة بمشاكل الناس ومظالمهم ، بالاضافة لِمَا ورد في أحد المصادر من أنّ المنافع عمّت في زمنه أهل طليطلة (٤) . ونظرا لما أشارت اليه بعض المصادر من كون ابن يعيش هو الذى دبّر شؤون طليطلة وانّه أوّل من

---

(١) هُزم المستعين عام ٤٠٧هـ وتولّى الخلافة بعده في قرطبة علي بن حمّود: ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧١ ؛ المرّاكشي ، ص ٩١ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٧ ؛ ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ؛ ابن الوردى ، تتمة ، ج١ ، ص ٤٩٥ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٢١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٢١ ؛ القلقشندى ، مآثر ، ج١ ، ص ٣٥٠.

(٢) ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٣٧.

(٣) ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٣٧ ، ق:٢ ، ص ٦٨٩ ، وذكر ان ابن يعيش كان يتولّى احكام طليطلة ؛ ووصفت المصادر التالية ابن يعيش انه قاضي طليطلة : ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٧ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١١ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٩٦ .

(٤) ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٩ .

ثار فيها على الحكومة المركزية [(١)] ، وبقي متمسكا بخطة القضاء حتى بعد ان صار المدبّر لسياسة طليطلة ورئاستها [(٢)] ، وعلى أقل الاحتمالات فانّ ابن يعيش كما سبق وان بيّنت كان منفردا في ادارة طليطلة في النواحي القضائية عام ٤٠٣هـ [(٣)] ، في حين أنّ عبد الرحمن ابن متيوه كان المدبّر لدولة هشام المؤيّد حتىّ سنة ٤٠٣هـ ، السنة التي تمّ فيها اسقاط حكم المؤيّد [(٤)] ، وبالتالي فاننا لو قلنا ان ابن متيوه اتجه بعد سقوط خلافة المؤيّد الثانية الى طليطلة ، فانّه لا يمكن تصور سيطرة ابن متيوه على طليطلة فورا ، دون بقيّة الزعامات والقيادات الأخرى في طليطلة وعلى رأس هؤلاء ابن يعيش الذى كان يتربع على قضاء طليطلة منذ اوائل القرن الخامس الهجرى [(٥)] على أقلّ تقدير ، الاّ اذا ما أخذ بعين الاعتبار احتمال ان المقصود بما ذكرته بعض المصادر عن حكم عبد الرحمن بن متيوه وابنه [(٦)] كان قبل ابن يعيش ، لذلك يمكن تصوّر ان ابن متيوه كان قد وضع ابنه عبد الملك نائبا عنه في حكم طليطلة اثناء وجوده في قرطبة وقيامه بتدبير أمور دولة هشام المؤيّد ، ولكنّه بعد ان تغلبّ المستعين على قرطبة سنة ٤٠٣هـ [(٧)] اتجه الى طليطلة واحتفظ بادارتها وتدبير شؤونها بعيدا عن رغبة السلطة المركزية حتّى وافته منيته ، فاحتل مكانه ابنه ، واخذ بتدبير حكمها ، الاّ انّ سياسته لم تنل رضى أهل طليطلة فخلعوه [(٨)] ، بسبب وجود مجموعة قويّة من القيادات الطليطلية المتحفزة للسيطرة والتقدم الى الواجهة الأولى في سُلّم القيادات الطليطلية ، ساعدهم على ذلك سيرة

---

(١) النويرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤٠ ؛ ابن خلدون ، م: ٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١١ فانهما ذكرا أن الذى دبّر أمر طليطلة قبل بني ذى النون هو ابن يعيش دون الاشارة الى غيره ممّن تولّى حكم طليطلة في عهد الفتنة .

(٢) ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ٣٧ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٩٦ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٦ .

(٥) ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٣٧ .

(٦) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

(٧) الحميدى ، ص ١٧ ، ١٩ ؛ الضبّي ، ص ٢١ ؛ ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢١٨ ؛ المرّاكشي ، ص ٩٠ ، ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ٢ ، ص ٧ ؛ ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ١١٣ ؛ النويرى ، ج ٢٣ ، ص ٤٢٨ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١١٩ ؛ المقرى ، نفح ، ج١ ، ص ٤٢٩ .

(٨) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ١٧٧ .

وتصرفات عبد الملك بن متيوه ، واذا ما كان هذا هو الذى حدث فعلاً ، فانّ قاضي طليطلة ابن يعيش كان له دوره الواضح فيها نظرا لحسن تصرفاته وقربه الى العامّة مستغلا كراهيّة البعض لعبد الملك بن متيوه ، مضافا الى ذلك قوّة تدبيره وتخطيطه التي برزت من خلال تخلصه من منافسه وشريكه قبل ذلك (١) ، فيكون الشخص الذى جاء بعد عبد الملك بن متيوه هو ابن يعيش ، وبعد ذلك جاء الى سدّة الحكم رجل ، كان آخر واحد في سلسلة قادة طليطلة الذين سبقوا بني ذى النون في حكمها .

ويعزّز القول أنّ عبد الرحمن بن متيوه قد استعمل ابنه على طليطلة اثناء تصريفه أمور دولة المؤيّد ، ـ وحتى اذا ما أخذ بعين الاعتبار انه بقي في قرطبة اثناء خلافة المستعين حتى عام ٤٠٧هـ العام الذى أزيلت فيه خلافة المستعين ـ ما كان يتمتع به من نفوذ في زمن المؤيّد (٢) ، وفي زمن خلافة المستعين اذا ما كان قد ساعده على دخول قرطبه عام ٤٠٣هـ ، وكذلك لماضيه في طليطلة على اعتبار أنّه كان حاكما لها في بداية الفتنة كما ذكر أحد المصادر (٣) ، ولاعتبار أنّه من أهلها ، واذا ما أعتبر أن ابن متيوه لم يبق في قرطبة عندما آلت الأمور للمستعين عام ٤٠٣هـ ، فانّه من المؤكد أنّه عاد الى طليطلة ، وأغلب الظنّ انه كان قد قدّم ابنه على حكم طليطلة ، خلال تصريفه شؤون الدولة في قرطبة لهشام المؤيّد ، وبعد أن أزيلت خلافة المؤيد عاد أدراجه الى طليطلة وقام بتصريف شؤونها حتّى انتهى أجله ، فقام بالأمر بعده ابنه عبد الملك الذى لم ترق سياسته وتصرفاته لأهل طليطلة أو بالأحرى للطامعين في حكمها فأطاحوا به . ومن المرجح ان ابن يعيش هو الذى قام بذلك نظرا لشعبيّته في طليطلة كونه كان قاضيها وأحد رجالاتها المعدودين . أمّا بالنسبة لما ذكرته بعض المصادر من أنّ أوّل من تغلب على طليطلة هو ابن يعيش (٤) فانّها لم تحدد في أىّ عام كان ذلك ، وكذلك فانّها لم تشر الى عبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك ، لذلك فانّ أخبارها تُحمل على أنّ ابن يعيش هو الذى برز أكثر من غيره من القادة في

---

(١) ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٣٧ ؛ انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٢٣ ، ٣٣٤ .
(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٦ .
(٣) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٧٦ .
(٤) النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤٠ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص٢٥٢ .

طليطلة قبل عهد بني ذى النون وانه هو الذى دبّر أمر طليطلة ، كما أشار المصدر الذى ذكر عبد الرحمن بن متيوه وابنه كحاكمين لطليطلة في فترة ما قبل عهد بني ذى النون، اذ انه ذكر أنّ ابن يعيش كان يقود طليطلة بصفته قاضي الجماعة أو شيخ الجماعة الذى احتذى القاضي محمد بن اسماعيل حذوه فى حكم اشبيلية ، واتبّع اسلوبه في ادارة حكم طليطلة (١) .

ولو وضع الافتراض التالي : ان الذى حكم طليطلة بعد ابن يعيش كان عبدالرحمن ابن متيوه ومن ثمّ ابنه عبد الملك فمن هما اللّذان تعاقبا على حكمها بعد ذلك ؟ ونظرا لقلّة المعلومات وتضاربها بخصوص حكام طليطلة الذين تعاقبوا على حكمها قبل ان تصبح قيادتها بيد اسماعيل بن ذى النون،ولا بدّ مع ذلك من محاولة التعرف على مجريات الأحداث فيها بقدر المستطاع ، فلو سرنا على نفس النمط من الأحداث الطليطلية ، سواء أكان ابن يعيش هو الذى حكم طليطلة قبل عبد الرحمن بن متيوه وابنه ،أم أنهما هما اللّذان حكماها قبله ، لاحتجنا الى محاولة استقراء واستشفاف الفترة التى امتدّت عبرها فترة حكم ابن يعيش ، الا ان صمت المصادر عن ذلك يعيق أىّ محاولة لتحديد ذلك الزمن الذى حكم فيه ابن يعيش ، الا ان معلومة قيّمة ذكرها ابن بشكوال عن ابن يعيش ــ بعد ان أصبح رئيس طليطلة ــ تقول ان ابن يعيش أُقصى عن حكم طليطلة الى قلعة أيّوب التي كان آخر عهد له بالدنيا فيها اذ توفّاه الله سنة ٤١٨هـ على قول، وفي قول آخر سنة ٤١٩هـ (٢) ، ولا يعرف بالتحديد متى كان اقصاء ابن يعيش عن طليطلة ، بلا شك أن ذلك كان قبل عام ٤١٨هـ بفترة ، وعلى أبعد التقديرات فانّ بداية عام ٤١٨هـ كان عام الاقصاء بالنسبة لابن يعيش، لذلك يمكن القول ان الذى جاء بعده في حكم طليطلة كان فى عام ٤١٧/٤١٨هـ وهذا افتراض .

ولم يعارض قول ابن بشكوال بالنسبة لسنة خلع ابن يعيش الا ابن خلدون والقلقشندى اللّذان ذكرا أن حكم ابن يعيش استمر حتّى سنة ٤٢٧هـ حيث كانت وفاته (٣) . عندئذ قدم اسماعيل بن ذى النون لكي يقوم بتصريف شؤون الحكم في طليطلة ، وعند

---

(١) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .

(٢) ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٩ .

(٣) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .

النظر في نصيّ ابن بشكوال وابن خلدون، لا بدّ من مراعاة ما يلي : ان ابن بشكوال توفي سنة ٥٧٨هـ (١)، بينما كانت وفاة ابن خلدون عام ٨٠٨هـ (٢)، أي أن المؤلف الاول أقدم واقرب الى زمن الحدث من المؤلف الثاني، كما ان ابن خلدون لم يوثّق خبره ، في حين أنّ ابن بشكوال أشار الى مصدر معلوماته التي ذكر انه استقاها من ابن مطاهر الطليطلي وابن حيّان (٣) .

كما يدحض التاريخ الذى ذكره ابن خلدون كتاريخ لنهاية فترة حكم ابن يعيش، ما ذكره ابن عذارى الذى أشار الى أنّ حكم طليطلة قد قام به بعد عبد الملك بن متيوه رجلان من أهلها قبل قدوم اسماعيل بن ذى النون (٤) ، وسواء أكان حكم ابن يعيش قبل أو بعد عبد الملك بن متيوه فانّه على أقل الوجهين يكون قد حكم طليطلة بعد ابن يعيش رجل آخر اذا ما أعتبر أنّ ابن يعيش هو أحد الرجلين اللذين تعاقبا على حكمها بعد عبد الملك.

لكل ما سبق استبعد ان يكون حكم اسماعيل بن ذى النون قد أعقب حكم ابن يعيش فورا ، وأرى ان هناك فترة فاصلة بين عام ٤٢٧هـ الذى شهد تسلّم بني ذى النون للسلطة في طليطلة ، ونهاية حكم ابن يعيش اذا تمّ اخذ رواية ابن بشكوال بعين الاعتبار ،التي بينت ان حكم ابن يعيش طليطلة كان منتهيا عام ٤١٨هـ العام الذى توفي فيه ابن يعيش في قلعة أيّوب بعد أن أقصي عن حكم طليطلة (٥) .

وذكر ابن درّاج خبرا غريبا ــ لم أجد له ذكرا في المصادر الأخرى ــ، يقول ان مباركا ومظفرا العامريين حاكميّ بلنسية قد دعيا الى ولاية طليطلة (٦) ، ولم يبيّن طبيعة الدعوة ومن هو الذى وجّهها اليهما؟ هل ان دعوة أهل طليطلة وجّهت اليهما

---

(١) ابن الأبّار ، التكملة ، ج١ ، ص ٣٠٧ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفّاظ ، ج٣/٤ ، ج٤ ، ص ١٣٤١ .

(٢) السخاوى ، الضوء اللامع ، ج٣ ، ص ١٤٦ .

(٣) ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٩ .

(٤) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٧٦ .

(٥) ابن بشكوال ، ق:٢ ، ص ٦٨٩ .

(٦) ابن درّاج ، ص ٥٢٠ .

للقدوم اليها ليحكماها؟ كما وجهت الدعوة فيهما بعد لاسماعيل بن ذى النون ،[1] أم انها كانت طلبا للمعونة منهما من قبل بعض الأشخاص او مراكز القوى في طليطلة؟ وقبل محاولة الاجابة على هذه التساؤلات أو بعضها على الأقل لا بدّ من معرفة الزمن التقريبي الذى وُجهت فيه الدعوة اليهما ، ومحاولة التعرف على الأسباب التي أدت الى توجيهها .

قبل بدء محاولة التعرف على واقع الأحداث لا بدّ وان أشير الى أنّ ابن درّاج الذى أورد الخبر كان من معاصرى فترة الأحداث وقد عايشها حتىّ انه قال قصيدته مادحا العامريّين بسبب توجيه الدعوة لهما للقدوم الى طليطلة ، كما انّه توفي في عام ٤٢١هـ ،[2] والسؤال الذى يكون من الفائدة الاجابة عليه هو متى كان حكم مبارك ومظفر العامريّين بلنسية؟ ، ورد عند ابن عذارى ان حكمهما بلنسية كان بعد مدّة من قدومهما الى قرطبة للمحاسبة ومن ثمّ ردّهما الى عملهما في احدى مناطق بلنسية عام ٤٠١هـ ،[3] ولكن من غير المعروف السنة التي توليّا فيها حكم بلنسية سوى ما ذكره المصدر من انّهما اصبحا بعد ذلك أميرىّ بلنسية ، وانتهى أخيرا أمر حكمهما بلنسية بوفاة مبارك ،[4] وذهاب مظفر الى شاطبة ،[5] فتولى الحكم في بلنسية بعدهما لبيب المقلبي الاّ انّه أقصي عن حكمها ، فتولىّ الحكم بعده عبد العزيز بن عبدالرحمن بن محمد بن ابي عامر ، عند ذلك أرسل الى الخليفة في قرطبة آنذاك القاسم بن حمّود معلنا طاعته مع هدّية مرفقة بكتاب الطاعة والولاء .[6] وهذه المعلومة تكشف الى حدّ بعيد حدود الفترة التي وجهت فيها الدعوة لمبارك ومظفر ، فمن المعروف انّ القاسم

---

(١) ذكر ابن عذارى وابن الخطيب ان الدعوة وجهت ل اسماعيل بن ذى النون : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٧ .

(٢) ابن درّاج ، ص ٥٢٠ ، و ص ١٩ من تصدير المحقق د . مكيّ . وذكر الحميدى انه توفي قريبا من سنة ٤٢١هـ : الحميدى ، ص ١١٤ ؛ وانظر ابن بشكوال ، ق١ ، ص ٤٠ فقد ذكر قول الحميدى كما انه ذكر ان غيره قال ان ابن درّاج توفي سنة ٤٢١هـ .

(٣) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٤) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ١٥٩ ، ١٦٣ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، ص ٢٩٩ .

(٥) ابن سعيد ، ج٢ ، ص ٢٩٩ ذكر ان أهل بلنسية اخرجوا مظفر من بلنسية فانزوى بشاطبة .

(٦) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٦٣–١٦٥ ؛ لكنّ ابن سعيد لم يذكر لبيب المقلبي بل جعل حكم عبد العزيز بعد حكم مبارك : ابن سعيد ، ج٢ ، ص ٢٩٩–٣٠٠ .

ابن حمّود تولّى الخلافة في قرطبة عام ٤٠٨هـ واستمرّ في ذلك حتى ثار عليه ابن اخيه المدعو يحيى بن علي بن حمّود في شهر ربيع الأوّل من عام ٤١٢هـ وأعلن نفسه خليفة وتولّى تصريف أمور الحكم في قرطبة ، فلجأ القاسم الى اشبيلية وبقي الأمر كذلك حتّى سنة ٤١٣هـ حيث تمكّن القاسم من استعادة الحكم والعودة الى قرطبة ، ولكنّ حكمه لم يستمّر طويلا اذ انّه أقصي مع انصاره عن الحكم وطردوا من قرطبة عام ٤١٤هـ وفي شهر شعبان منها ، علما ان فترة خلافته الثانيه كانت مليئة بالاضطرابات (١) . ممّا سبق أخلص الى القول ان حكم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمّد بن ابي عامر كان قد عاصر خلافة القاسم بن حمّود ولكن هل كانت المعاصرة في خلافته الأولى منذ عام ٤٠٨ – ٤١٢هـ؟ أم كانت ابّان خلافته الثانية التى استمرّت من عام ٤١٣-٤١٤هـ؟ ، وبعد التدقيق فيما سبق وخاصة في الفترة التي تلت حكم مبارك ومظفر بلنسية ، التى من المعروف ان لبيب الصقلبي تولّى الحكم فيها بعدهما ، _ الا انّه خلع بعد فترة من الوقت عن حكم بلنسية بسبب عدم رضى أهل بلنسية عن سياساته فولّوا عليهم عبد العزيز بن ابي عامر المذكور (٢) ، فولاية لبيب الصقلبي حدثت قبل ولاية عبد العزيز الذى راسل القاسم بن حمّود ، _ وبما أنّ القاسم بن حمّود كان مخلوعا عن الخلافة عام ٤١٢-٤١٣هـ فمن المرجّح ان خلافته الأولى ٤٠٨-٤١٢هـ هي التى شهدت المراسلة بين عبد العزيز بن ابي عامر والخليفة القاسم ، لذلك أستطيع القول ان الدعوة التي أشار اليها ابن درّاج قد وُجّهت الى مبارك ومظفر قبيل عام ٤١٢هـ وبعد مدة من بداية حكمهما بلنسية التي كانت بدايتها بعد مدّة من عام ٤٠١هـ _ العام الذى قدما فيه على قرطبة للمحاسبة ، وبما انّي ملت الى ان عبد الرحمن بن متيوه كان مسيطرا على مقاليد الأمور في دولة هشام المؤيّد من عام ٤٠١ _ ٤٠٣هـ ، وانّه استعمل ابنه على طليطلة خلال تلك الفترة ، وعودته اليها بعد سقوط خلافة المؤيّد عام ٤٠٣هـ (٣) ، وبما انّي ملت أيضا الى القول انّ عبد الرحمن بن متيوه وابنه حكما طليطلة قبل حكم ابن يعيش لها (٤) ، الذى جاء في

---

(١) الحميدى ، ص ٢٢-٢٣ ؛ المرّاكشي ، ص ٩٨-١٠٠ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٣٢-٤٣٣ .

(٢) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٦٤ .

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧-٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٩-٣٤٠ .

أحد المصادر انه توفيّ في قلعة أيّوب عام ٤١٩/٤١٨هـ، بعد أن أقصي عن حكم طليطلة [١]، وقول بعض المصادر الأخرى أن وفاة ابن يعيش كانت عام ٤٢٧هـ [٢]، واني كنت قد رجحت القول الأوّل [٣]، وبما أنّ الدعوة التي وجهّت الى مبارك ومظفر كانت في الفترة التي كانت بعد عام ٤٠١هـ وقبيل نهاية فترة حكم القاسم بن حمّود الأولى التي بدأت منذ عام ٤٠٨هـ - ٤١٢هـ فمن المرجّح ان الدعوة التي وجهّت اليهما كانت قبل عهد ابن يعيش وانفراده بالسلطة وبعد عبد الملك بن متيوه، لذلك من المحتمل ان بعض القيادات او الفعاليّات الطليطلة عندما أحسّت ببداية ظهور ابن يعيش ومحاولة انفراده بالسلطة وجهّت الدعوة الى مبارك ومظفر للقدوم الى طليطلة، الدعوة التي أشار اليهما ابن درّاج، الآ انه لم يذكر فيما اذا قاما فعلا بالتوجه الى طليطلة ام لا ؟ [٤]، ونظرا للصراعات والمنافسات الداخليّة في طليطلة، ولطبيعة طليطلة ومواقفها السابقة من الحكّام والولاة في عهد بني أميّة [٥]، ونظرا لوجود شخصية ابن يعيش القويّة [٦]، اعتقد ان مظفرا ومباركا لم يلبيّا الدعوة وفضلا حكم بلنسية على ان يذهبا الى طليطلة فيخرجان منها او يقتلان في نهاية المطاف، ومن الثابت ان ابن يعيش تولّى حكم طليطلة قبيل عام ٤١٨هـ - العام الذى توفي فيه - على أقلّ تقدير، على عكس ما أشار اليه الشاعر ابن درّاج من أنّ طليطلة خلت من القادة والحكام كما ذكر ذلك في أحد أبيات القصيدة التي مدح بها مباركا ومظفرا:

خَلَتْ لكُما من كلّ بعلٍ ومالكٍ   ونادتكُما للنّصرِ فَذًا وتوأما [٧]

واذا مالاحظنا ان طليطلة كانت تعجّ بالقيادات المحليّة، فانه يمكن حمل معنى الدعوة التي وجهّت لهما على انّها استنجاد من أحد قادة طليطلة وانّه لم يقصد بها ان يقوم

---

(١) ابن بشكوال، ق:٢، ص ٦٨٩.

(٢) ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧؛ القلقشندى، صبح، ج٥، ص ٢٥٢.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٣٨-٣٤١.

(٤) ابن درّاج، ص ٥٢٠.

(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٤.

(٦) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٣٣ - ٣٣٤، ٣٣٨.

(٧) ابن درّاج، ص ٥٢٠.

العامريّان بتوليّ حكم طليطلة مباشرة ، بل مدّ يد المساعدة الى أحد الاطراف فيهما . وتعكس الدعوة التي وجهّت للعامريّين مدى الخلافات والنزاعات التي كانت سائدة في طليطلة في عهد الفتنة التي سبقت عهد بني ذى النون حتىّ ان تلك الخلافات جعلت بعضا من اهل طليطلة يضطرون الى توجيه الدعوة الى قائدين من خارج طليطلة للقدوم الى بلدهم لتصريف أمورها او للمساعدة في حفظها ، الأمر الذى يشير الى حدّة المنافسات على قيادة وتصريف شؤون الحكم في طليطلة ، وليس خلوّها من القادة كما قال ابن درّاج .

طريقة الحكم في طليطلة في عهد الفتنة :

أديرت دفّة الحكم في طليطلة في فترة ما قبل عهد بني ذى النون، ابّان حكم ابن يعيش وعبد الرحمن بن متيوه وابنه عبد الملك والقادة الآخرين باسلوب الحكم الجماعي، كان يشاركهم فيه عدد من القيادات الطليطلة ، الى ان يتمكن أحد أولئك القادة من الظهور على غيره من القادة ، مستخدما اساليبه ومهاراته للتفوق على الآخرين، الاّ انّه مع ذلك لا ينفرد تماما بالسلطة ، اذ كان يشاركه عدد من القادة كمساعدين ومدبّرين لشؤون طليطلة المختلفة ، ـ كوجود منصب قاضي طليطلة اذ لا يستطيع مثلا أحد ان يتجاهل دور القاضي في ادارة طليطلة ـ، وظهر ذلك جليا من خلال اسقاط عبد الملك بن متيوه ، وابن يعيش ، والقائدين الآخرين اللذين تعاقبا على حكم طليطلة بعد عبد الملك بن متيوه (١) ، اذ لو كان الواحد من هؤلاء القادة منفردا تمام الانفراد في السلطة لما كان يُخلع بتلك السهولة بمجرّد اتفاق بعض القادة الآخرين على عزله عن السلطة فينجح مسعاهم . وظهرت الشراكة في الحكم والتنافس بين قياديّي طليطلة ، والصراع فيما بينهم وتخلص بعضهم من بعض بشكل واضح في السنوات الأولى من القرن الخامس الهجرى مثل شراكة يعيش بن محمد بن يعيش واحمد بن سعيد بن كوثر الأنصارى في ادارة القضاء الطليطلي، وتخلّص الأوّل من الثاني (٢) .

---

(١) ورد ذكر لذلك في هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣١-٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨-٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) ابن بشكوال، ق:١ ، ص ٣٧ ؛ انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

كما ان الدكتور حسين مؤنس ذكر ان الحُكم في طليطلة كان حكما جماعيا شارك فيه عدد من القياديين البارزين في طليطلة بعد ان استولوا عليها عند نشوب الفتنة ، منهم ابن مسرّة ومحمد بن يعيش وسعيد بن شنظير ويعيش بن محمد بن يعيش وابو عمر وأحمد بن سعيد بن شنظير وعبد الرحمن بن متيوه ، وقد اجتهد يعيش بن محمد بن يعيش حتى أصبح الرئيس الفعلي للجماعة في طليطلة ، ولكنّه لم يستطع الاستمرار في الحكم بسبب اختلاف الطليطليين ممّا أدّى الى اخراجه منها (١) ، وأكّد الدكتور محمد عنان أنّ الحكم في طليطلة كان حكما جماعيا ابّان عهد يعيش بن محمد بن يعيش ، ـ الذى سبق عهد بني ذى النون ـ، وأن جماعة من القيادات الطليطلية شاركت ابن يعيش الحكم منهم ابن مسرّة وعبد الرحمن بن متيوه ، الى ان وقع الخلاف بين تلك القيادات، أسفر في النهاية عن عزل القاضي ابن يعيش وذهابه الى قلعة أيّوب (٢) . يفهم ممّا ذكره عنان ان عبد الرحمن بن متيوه حكم طليطلة بعد ابن يعيش ، ومن ثمّ تولّي عبد الملك بن متيوه الحكم بعد والده ، الا أنّ اضطراب الأمور في عهده وسوء سيرته ، أدّى في النهاية الى اتخاذ أهل طليطلة قرارا يقضي بالتخلص من القيادات الطليطلية جميعها ، فبعثوا عندئذ رسلهم الى عبد الرحمن بن ذى النون في شنتبرية يستدعونه لتولي رئاسة طليطلة ، فوّجه اليهم ولده اسماعيل وكان ذلك في عام ٤٢٧هـ/١٠٣٦م (٣) .

والذى يعنينا من كلام عنان هو ان الحكم في طليطلة ـ في الفترة التي سبقت عهد بني ذى النون ـ كان حكما جماعيا شاركت فيه القيادات والفعاليّات الطليطلية المتنفذة ، وكانت الخلافات بين تلك القيادات تؤدّي في النهايّة الى عزل الرجل البارز من بينهم ، وظهور قائد آخر كبديل له ، الى ان ملّ الطليطليون أخيرا اختلافات اولئك القادة ، فذهبوا الى عبد الرحمن بن ذى النون في شنتبرية لعلّهم يجدون فيه الحل والخلاص من خلافاتهم وصراعاتهم الداخلية ، وبذلك يكون قد بدأ عهد بني ذى النون في طليطلة منذ عام ٤٢٧هـ (٤) .

---

(١) انظر ابن الأبّار ، الحلة ، ج٢ ، ص ٣٧ (الهامش قول المحقق الدكتور حسين مؤنس) .

(٢) عنان ، دول ، ص ٩٥-٩٦ .

(٣) عنان ، دول ، ص ٩٦ .

(٤) ابن خلدون ، م ٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج٢ ، ص ٢٥٢ ؛ عنان ، دول ، ص ٩٦ .

حُكم بني ذى النون طليطلة والكيفية التى اداروا فيها شئون الحكم في دويلتهم :-

ورد في أحد المصادر قول بيّن أنّ بداية حكم بني ذى النون طليطلة كان عـــام ٤٠٩هـ عندما تمكّن اسماعيل بن ذى النون من الاستيلاء عليها (١)، كما أنّ مؤلف المصـــدر السابق نفسه قال في كتاب آخر له انّ عام ٤٠٩هـ كان عام استيلاء اسماعيل بن عبدالرحمن ابن ذى النون على حصن افلنتين ولم يشر الى الاستيلاء على طليطلة ، وأكدّ ان طليطلــة كان يحكمها آنذاك يعيش بن محمد بن يعيش الذى تولّى حكمها منذ أوّل الفتنة ، فـــي حين أنّ اسماعيل بن ذى النون حكم طليطلة عام ٤٢٧هـ (٢)، ويتفق ما قاله ابن خلدون مـع قول القلقشندى في كتابه الثاني (٣)، وهناك بعض المصادر لم تحدّ تاريخا لبداية حكـم بني ذى النون طليطلة ولكنّها اكتفت بالاشارة الى انّهم تولّوا حكمها بعد حكام عهـــد الفتنة (٤).

وقبل ان يقرر الدارس ان يميــل الى زمن ممّا ذكرته المصادر حول تاريخ تولّـــي بني ذى النون حكم طليطلة لا بدّ له وان يتعرّف على بداية حكم بني ذى النون فـــي المنطقة المجاورة لمنطقة طليطلة التي امتدّ نفوذهم منها ، وكيفية بداية توسّعهـــم الى المناطق التى سيطروا عليها فيما بعد ، كما لا بدّ له وان يسأل نفسه هل ان بـــني ذى النون حقّا استدعوا لحكم طليطلة من قبل أهلها ؟ أم أنّه كان لهم دور في عمليــة الاطاحة ببعض القيادات الطليطلية في عهد الفتنة ، ـ وخاصة آخر واحد منهم ـ عـــن طريق بعض المجموعات التي كانت تعمل لصالحهم داخل المدينة ؟.

---

(١) القلقشندى، مآثر ، ج ١، ص ٣٥٤.

(٢) القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٣) انظر ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧.

(٤) العماد الأصفهاني ، خريدة ، ق:٤، ج٢، ص ٩٤؛ ابن الأثير، ج ٩، ص ٢٨٨؛ ابن سعيد ، ج٢، ص ١١؛ ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧؛ ابن الوردى ، تتمة ، ج ١ ، ص ٤٩٨ ، النويّرى ، ج ٢٣، ص ٤٤٠؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٧٧.

ورد في بعض المصادر ان بداية ذكر بني ذى النون كانت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ (١)، وذلك ان الأمير محمد قام باستخدام جدّهم ذى النون على حصن أُقليش (٢)، بسبب قيامه بتقديم خدمة للأمير محمّد خلال مروره مع قواته من تلك المنطقة (٣)، وتداولت ذريتّه حكم ذلك الحصن من بعده، وعندما ظهر محمد بن ابي عامر على مسرح الأحداث في الاندلس كان من الذين عملوا تحت قيادته وفي خدمة دولته المضراس بن ذى النون ومعه ابنه اسماعيل، وبعد زوال حكم العامريّين ـ بسبب قيام الامويين بالاطاحة ببني عامر الأمر الذى نتج عنه مقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبي

---

(١) امتدت فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن من عام ٢٣٨ـ٢٧٣هـ: انظرابن عبدربه، جـ ٥،ص ٢١٨،٢١٩ ;ابن حيّان، تحقيق: د. مكي، ص ١٥٨ ; ابن الأثير، جـ٧، ص٧٠،٤٢٤ ; المرّاكشي، المعجب، ص ٢٣٨ ; ابن عذارى، جـ٢، ص ٩٤ ; النويّرى، جـ٢٣، ص ٣٨٦،٣٩٢ ; ابن خلدون، م:٤، ص ٢٨٣ ; المقّرى، نفح، جـ١، ص ٣٤٧.

(٢) أُقليش : بلدة من اعمال طليطلة قال ذلك الحميدى، ص ١٤٢. امّا ياقوت فانه قال انها من اعمال شنت برّية مع ذكره قول الحميدى : ياقوت، معجم البلدان، جـ١، ص ٢٣٧. وذكر الحميرى انّها من بناء الفتح بن موسى بن ذى النون، فقد قام ببنائها عام ١٦٠هـ في عهد عبد الرحمن الداخل اثناء ثورته وانّها من توابع شنتبرية : الحميرى، ص ٢٨.

(٣) انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٤٢(قول ابن حيّان) وقال ان ذى النون عالج احد اتباع الأمير محمد فكانت نباهة بنيه من بعده منذ ذلك الوقت ; ابن سعيد، جـ٢، ص ١١(قول ابن حيّان). وورد في بعض المصادر ان بداية ظهور بني ذى النون كانت في دولة محمد بن ابي عامر: انظر ابن عذارى، جـ٣، ص ٢٧٦ ; ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٧. كما ان ابن الأثير ذكر ان موسى بن ذى النون ظهر بشنت برّية سنة ٢٦٠هـ عندما دارت بينه وبين ثوّار طليطلة معركة انتهت لصالحه :ابن الأثير، جـ٧، ص ٢٧٢. وذكر الحميرى ان الذى بنى حصن اقليش هو الفتح بن موسى بن ذى النون خلال قيامه بالثورة عام ١٦٠هـ : الحميرى، ص.٢٨. لذلك فيمكن القبول ان اوليّة بنى ذى النون كانت منذ عهد عبد الرحمن الداخل. ممّا سبق يتبين ان بنى ذى النون ظهروا في منطقة أقليش وانّهم هم الذين عمرّوا منطقة أقليش للتحصن فيها . لكل ما سبق يمكن القول ان ما قصده ابن بسام في قوله يحمل على ان بداية ظهورهم كان منذ عهد الامير محمد بن عبد الرحمن، لأنّ حكمهم استمرّ في تلك المنطقة منذ ذلك الحين حتى تولّوا حكم طليطلة.

عامر عام ٣٩٩ هـ ـ، غادر المضراس وابنه قرطبة عائدين الى اقليش[1]، فقام المضراس بجمع بني عمّه حوله، وعندما تولّى سليمان المستعين الحكم طلب المضراس منه ان يولّيه على اقليش وتوابعه فولاه ايّاه[2]. ولم يكتف بنو ذى النون بذلك بل انّ اسماعيل استغلّ وفاة واضح عام ٤٠١هـ[3]، فبسط سيطرته على قلعة كونكة[4] (قونكسة)، زاعما انّه سيدّبر ويضبط أمورها حتّى تجتمع كلمة الناس على من سيتولّى حكمها، بسبب عدم وجود من يخلف واضحا في حكمها، نظرا لصغر عمر أطفاله وعجز زوجته عن تصريف وتدبير حكم القلعة (المدينة)، علما أنّ ما قام به كان يندرج ضمن مخطط كان ينفذّه[5]، تمكّن بموجب ذلك أن يسيطر على كونكة دون غيره من قادة الثغور بل انهم لم يسلموا منه، فأخذ يستخلص منهم كلّ ما كان يقدر على استخلاصه[6]، كما ان اسماعيل بن ذى النون قام بالاستيلاء على حصن افلنتين عام ٤٠٩هـ واضافته الى ممتلكاته[7].

وبعد تركيز النظر على شخصيّة اسماعيل بن ذى النون، الذى قدم الى طليطلة ليحكمها، وبالرجوع الى الكيفية التي بدأ بها بسط نفوذه على المناطق المجاورة كقونكة وافلنتين، يلاحظ انّه ذو شخصية قويّة طموحة توسعيّة، ويتضح ذلك أكثر من خلال سموّه وارتفاع منزلته في عهد سليمان المستعين(٤٠٣ ـ ٤٠٧ هـ)، اذ ورد في أحد المصادر ان سليمان المستعين ثنّى له الوزارة ولقبّه ناصر الدولة، ومع ذلك فانّ ذلك لم يعجبه واستقلّه، وآثر الاستقلال والخروج على حكم الدولة، فكان أوّل الثوّار

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٤٢ (قول ابن حيّان).

(٣) قُتِل واضح سنة ٤٠١هـ : ابن عذارى ، ج٣، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن الأثير، ج٩، ص ٢١٨.

(٤) وورد لفظها عند ابن صاحب الصلاة وياقوت قونكةُ؛ ابن صاحب الصلاة، ص ٤٩٨ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٥. وقال ياقوت انّها مدينة اندلسية من اعمال شنتبرية، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٥.

(٥) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٤٢-١٤٣ (قول ابن حيّان).

(٦) المصدر نفسه، ق:٤، م:١، ص ١٤٣ (قول ابن حيّان).

(٧) ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢.

مفارقة للجماعة ونقضا للطاعة وأسبقهم انشاء لدول الطوائف (١) ، كما انّ ما قال ابن حيّان عن اسماعيل وعدم قناعته بغيره من الحكام تعدّى ذلك الى عدم موافقته وقبوله حتى باحقيّة بني اميّه وبني هاشم في الحكم ، ويتضح ذلك من خلال الحديث الذى دار في مجلس اسماعيل مع أبي العباس السكّرى الاسكندراني الذى اثنى على حكم بني حمّود في ذلك المجلس ، ولكنّ الرجل فوجئ بامتعاض اسماعيل فظنّ ان اسماعيل يميل الى بني أميّة فذكرهم بخير وأشاد بهم ، الا أنّ حديثه لم يعجب اسماعيل ايضا ، وظهر منه ما يدلّ على انه غير مقتنع بهم ، بل قال انّه لو قُدرّ لبعض السلف الصالح ان يكونوا أحياء - وذكرهم - وحاولوا ان يُزيلوا سلطانه أو يتسلّموا الحكم منه لحاربهم بسيفه لأنّه لا يرى أنّ أحدا احقّ في الحكم منه (٢) ، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ شخصية اسماعيل شخصيّة قويّة وطموحة لا يقف الطموح بها عند حدّ ، فلذلك أرى ان قدوم اسماعيل الى طليطلة كان لبني ذى النون فيه دور لعبوه ، ربّما بالاغراء والترغيب أو بحياكة المؤامرات واتخاذ الصنائع من بعض رجالات طليطلة ، الأمر الذى مكنّهم أخيرا من مدّ نفوذهم اليها بواسطة رأي أُقترح من داخل طليطلة على رجالاتها باستقدام بني ذى النون ليتولوّا الحكم في طليطلة ، دفعهم الى ذلك الخلافات والنزاعات الداخلية فيما بينهم فرأوا التخلص من تلك الخلافات وأسبابها والعوامل المؤديّة الى وقوعها باستقدام بني ذى النون الّذين بدأ نجمهم بالظهور في المناطق المجاورة ، وكذلك للوقوف في وجه الاخطار المحدقة بهم كخطر المسيحيين في الشمال ، او الخطر المتأتى من دول الطوائف انفسها ، لذلك رأى أهل طليطلة او بتعبير أدّق بعض من أهلها ان يجمعوا كلمتهم حول رجل قويّ كابن ذى النون ، فذهب وفد منهم يمثل رأيا غالبا فيهم ليتفقوا مع عبد الرحمن بن ذى النون (المضراس) للقدوم الى طليطلة ليتولّى حكمها (٣) ، ومن المتوقع ان الذيّن قاموا بهذه المهمّة استفادوا من عملهم ذلك بتقريبهم من اسماعيل بن ذى النون واتخاذه ايّاهم او بعضا منهم كمساعدين ومستشارين له .

---

(١) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٣ (قول ابن حيّان) .

(٢) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٤-١٤٥ (قول ابن حيّان) .

(٣) ذكر ابن عذارى وابن الخطيب أنّ وفدا من طليطلة ذهب الى عبد الرحمن بن ذى النون في شنتبرية عارضا عليه ان يأتي ليتولّى حكم طليطلة : ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٧٦ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٧ .

كما ان بعض المصادر لم تذكر أنّ أهل طليطلة استقدموا اسماعيل، بل انّها قالت ان اسماعيل بن ذى النون استولى على طليطلة [(١)]، أو ان رئاستها صارت اليه [(٢)]، وهذا لا يشير بالضرورة الى أنّ أهل طليطلة قاموا باستدعاء بني ذى النون، بل من المحتمل أنّ اسماعيل قام بالسيطرة على طليطلة بطريقة الحيلة بمكيدة ما، ولكن في الوقت نفسه لا ينفي القول ان ابن ذى النون استولى على طليطلة قيام وفد بالذهاب الى مكان حُكم بني ذى النون في اقليش (شنتبرية)، وطلبهم من عبد الرحمن بن ذى النون ان يأتي ليتولى حكم طليطلة، فبعث اليهم ولده اسماعيل ليقوم بذلك. كما انّه من المعروف أن بني ذى النون من قبيلة هوّارة البربرية التى استقرّت في الاندلس، وان أوّلُ ذِكرٍ لبني ذى النون كان في عهد عبد الرحمن الداخل عام ١٦٠ هـ [(٣)]، ولكنّ بداية ظهورهم الحقيقية كانت في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ [(٤)]. وبات من المعلوم ايضا ان مجموعات من البربر الذين شاركوا في فتح الاندلس نزلوا طليطلة والمناطق المجاورة لها [(٥)]، فمن غير المستبعد ان الصلة بين الجانبين لعبت دورا مهما في تمكّن بني ذى النون من السيطرة على حكم طليطلة. لذلك كلّه يمكن القول ان اسماعيل تمكّن من بسط نفوذه على طليطلة لما كانت تتمتع به شخصيّته من طموح سياسي، ونظرا لما قام به من توسعّات سابقة، مستغلا حالة الفوضى السياسية في الحكومة (الادارة) الطليطلية التي كانت ناتجة عن الخلافات والمنافسات والصراعات الداخليّة فيما بينها على الحكم [(٦)]، اذ انّه نجح أخيرا في توجيه بعض انظار المتنفّذين في طليطلة اليه، بسبب ظهوره كرجل المنطقة القوىّ، فقام وفد منهم بالذهاب الى والده الموجود في

---

(١) القلقشندى، مآثر، ج١، ص ٣٥٤؛ وانظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٠ فانه ذكر ان رئاسة طليطلة صارت له اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون فتغلّب عليها.

(٢) ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٨؛ ابن سعيد، ج٢، ص ١١؛ ابن الوردى، تتمة، ج١، ص ٤٩٨.

(٣) الحميرى، ص ٢٨؛ وذكر ابن حزم ان بني ذى النون من هوّاره وكانوا امراء أقليش ووبذة : ابن حزم، جمهرة، ص ٥٠٠.

(٤) ابن بسام، ق٤، م١، ص ١٤٢ (قول ابن حيّان)؛ ابن سعيد، ج ٢، ص ١١(قول ابن حيّان).

(٥) انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٩٤، ١٩٥-١٩٦.

(٦) نتجت الفوضى السياسية بسبب الخلافات بين قادة طليطلة في عهد الفتنة : انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٤٦-٣٤٧.

اقليش وعرضوا عليه تولّي حكم طليطلة ، فأرسل اليهم ابنه اسماعيل، ويغلب على ظنّي أنّ تحرّك ذلك الوفد كان لاسماعيل بن ذى النون يد خفيّة في تحريكه ، وتوجيه انظار بعض القيادات الطليطلة الى شخصه ، فتمكّن بذلك اسماعيل من السيطرة على طليطلة دون ما حاجة الى خوض معركة طويلة لكي يحقق أهدافه ، التي من المتوقع في حالة حدوثها ان تجتمع معظم القوى الطليطلية فى وجه قوّاته ، فيخسر بذلك ما كان يراود أحلامه ، فكان لجوءه الى اسلوب سياسى هادئ تمكّن من خلاله أخيرا من تحقيق مراده ، بعد ان قام بتحريك الخلافات واشعالها بين صفوف القوى المتصارعة على الحكم في طليطلة كما أعتقد ، حتّى أوصل طليطلة لما وصلت اليه من حالة الارتباك والغوضى السياسية المتعلقة بادارة شئونها الادارية والاختلاف على من سيقوم بذلك ، الأمر الذى مكنّه أخيرا من التربع على عرشها .

امّا بالنسبة للسنّة التى بدأ فيها حكم اسماعيل لطليطلة فمن الواضح انّها ليست سنة ٤٠٩هـ التي ذكرها القلقشندى [(١)] ، اذ انّ المؤلف نفسه ذكر فى مؤلفٍ ثان له ان العمليّة التى أقدم اسماعيل على القيام بها عام ٤٠٩هـ كانت عملية الاستيلاء على حصن افلنتين [(٢)] ، وممّا يدعمّ قول القلقشندى الثانى ذكر ابن خلدون للمعلومات نفسها التي أوردها القلقشندى فى كتابه الثاني [(٣)] ، ومن الأدلة التى تؤكّد عدم صحة قول القلقشندى الأوّل ما ذكرته بعض المصادر من كون أنّ حكم ابن يعيش استمرّ فى طليطلة حتّى سنة ٤٢٧ هـ [(٤)] ، كما يدحض قول القلقشندى الأوّل ايضا ما بيّنته عن مجريات الأحداث السياسية فى طليطلة إبّان عهد الفتنة ـ الذى سبق عهد بنى ذى النون فيها ـ وان أبرز أمر يوضح ذلك هو فترة حكم ابن يعيش التى استمرّت الى ما قبيل عام ٤١٨هـ [(٥)] ، اذ من غير المعقول ان يكون حكم ابن يعيش طليطلة وحكم الذين جاءوا من بعده قد انتهى قبل عام ٤٠٩ هـ.

---

(١) القلقشندى ، مآثر ، ج١ ، ص ٣٥٤.

(٢) القلقشندى، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢.

(٣) ابن خلدون، م:٤ ، ص ٣٤٧ فقد ذكر ان بني ذى النون كانوا في شنتبرية ، ثم تغلّب اسماعيل على حصن افلنتين سنة ٤٠٩هـ ومنه أُستدعي لتولّي حكم طليطلة وأمتد حكمه الى جنجالة من عمل مرسية .

(٤) ابن خلدون، م:٤ ، ص ٣٤٧ ; القلقشندى ، صبح، ج ٥ ، ص ٢٥٢.

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٣٤-٣٤٢.

الكيفية التي ادار فيها بنو ذى النون شئون الحكم في دولتهم :-

أصبحت طليطلة ابّان العهد النوني عاصمة للدولة الطليطلية ، فكانت مقرّا للرجل الأول في الدولة ولبقية قادة ورجالات الحكومة ، من ذوى المناصب السياسية والادارية والقضائية والعسكرية العليا ، أمّا السلطة السياسية في هذا العهد فقد كانت تتكون من رأس الدولة ، الذى كان من بني ذى النون ، وتلقب رؤوس الدولة الطليطلية بالالقاب السلطانية بدءا باسماعيل بن ذى النون الذى لقب بالظافر ، كما ان الخليفة الاموى سليمان المستعين (٤٠٣-٤٠٧ هـ) لقبّه ناصر الدولة (١) ، كما ان الحكام الذين تولّوا الحكم من بعده اتخذوا القابا منها المأمون الذى تلقّب به يحيى بن اسماعيل بن ذى النون (٢) ، ومنها القادر بالله الذى تلقّب به يحيى بن اسماعيل بن يحيى المأمون (٣) ، وكان يساعد الحاكم في ادارة البلاد مجموعة من الوزراء والقضاة والقادة ، وكانت تشكل اسرة بني ذى النون أعلى سلطة تنفيذية في الدولة ، الأمر الذى اكدّ سيادتهم داخل حدود الدولة الطليطلية ، فأوّل من حكم مدينة طليطلة من بني ذى النون كان اسماعيل بن عبد الرحمن (٤) ، أما الذين تعاقبوا على حكمها من بعده فأوّلهم ابنه يحيى بن اسماعيل ، الذى تولّى الحكم عام ٤٣٥هـ (٥) ، وقيل ان ذلك تم عام ٤٢٩هـ (٦) ، ثم (٧)

---

(١) ابن بسام ، تحقيق: د. احسان ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ وورد اسم اسماعيل في عدد من المصادر مقرونا بلقب الظافر: انظر ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١١ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .

(٢) ابن بسام ، تحقيق: د. احسان ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٥ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٣٠٤ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ . وذكر ابن خاقان ، مطمح ، ص ١٧٤ ان الذى تولّى بعد اسماعيل تلقّب بالمأمون .

(٣) ابن بسام ، ق:٣ ، م:١ ، ص ٩٢ ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٤٢ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٢ ، ١٣ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٣٠٤ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ص ٤٤٢ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٩ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص٢٥٢ . وذكر ابن خاقان ان الذى تولّى بعد المأمون القادر: ابن خاقان ، مطمح ، ص ١٧٥ .

(٤) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٢ .

(٥) ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٢ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٧٧ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤١ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٧ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ .

(٦) ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٢ (قول ابن غالب) ؛ النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٠ .

(٧) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ .

خلفه في الحكم حفيده القادر بالله يحيى بن اسماعيل بن يحيى عام ٤٦٧هـ [(١)]، وتقلد بنو ذى النون بعد اسماعيل الحكم عن طريق الوراثة بانتقالها من السلف الى الخلف، ولا يتعارض ذلك مع اقرار الناس هذا الاختيار بواسطة البيعة وتجديدها لولي العهد فتصبغ هذه العملية على الحكم الجديد الشرعيّة.

امّا عن اسلوب الحكم الذى سار عليه بنو ذى النون في ادارة الحكم الطليطلي فذكر ان اسماعيل بن ذى النون كان لا يقطع رأيا دون مشاورة مشيخة وكبار رجالات طليطلة، ومن أبرز هؤلاء ابو بكر بن الحديدى الذى كان من أهل العلم، ويتصف بالدهاء فلاقت سياسة اسماعيل الرضى والقبول من أهل طليطلة [(٢)]، كما أنّ ابن بشكوال ذكر ان محمد ابن مغيث كان مقدّما في الشورى [(٣)]، في عهد اسماعيل وابنه المأمون نظرا لكونه قد عاش حتى سنة ٤٤٤هـ [(٤)]، وكما ذكر ان أحمد بن محمد بن مغيث الصدفي الطليطلي، المتوفى سنة ٤٥٩هـ، كان يحضر الشورى [(٥)] وهذا يعني انه كان من المستشارين في عهد المأمون يحيى ابن اسماعيل نظرا لأن حكم المأمون امتدّ من عام ٤٣٥-٤٦٧هـ [(٦)]، الأمر الذى يشير الى

---

(١) ابن الأبّار، الحلة، ج٢، ص ١٧٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٨ ؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٢) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٧. وذكر ابن بشكوال ان اسم ابن الحديدى هو: سعيد بن سعيد الحديدى التجيبي الطليطلي تولّى القضاء بتقديم المأمون يحيى بن ذى النون وظلّ على عمله ذلك الى ان توفي المأمون، وأودع ابن الحديدى سجن وبذى حيث توفي فيه عام ٤٧٢هـ؛ ابن بشكوال، ق:١، ص ٢٢٣.

(٣) ابن بشكوال، ق:٢، ص ٥٢٣.

(٤) ابن بشكوال، ق:٢، ص ٥٢٣.

(٥) ابن بشكوال، ق:١، ص ٦١.

(٦) ذكرت بعض المصادر ان وفاة اسماعيل وولاية ابنه يحيى المأمون كانت عام ٤٣٥هـ: ابن سعيد، ج٢، ص ١٢ (قول ابن غالب) ؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٠. وقيل ان ذلك كان عام ٤٢٩هـ: ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢. علما ان وفاة المأمون كانت عام ٤٦٧هـ: ابن الأبّار، الحلة، ج٢، ص ١٧٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٨ ؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢ وهذا يعني ان أحمد بن مغيث المتوفى سنة ٤٥٩هـ كان في عهد المأمون يحيى بن ذى النون.

ان هناك مجلسا في الدولة الطليطلية كان مخصصا لابداء المشورة والرأى في بعض الأمور المهمّة. من هذه الاشارات أخلص الى القول أن اسماعيل وابنه المأمون يحيى كانا يأخذان رأي أهل الرأي في الدولة وخاصة انّهما اعتمدا على مشورة ابن الحديدى (١) وهذا يشير الى أن الاسلوب الذى سلكه بنو ذى النون في حكم طليطلة لم يكن حكما استبداديا مطلقا، نظرا لطبيعة طليطلة وتركيبتها الاجتماعية وعنفوانها مع وجود شخصيات بارزة فيها (٢)، اذ لا بدّ لمن كان يريد ان يستمّر حكمه ان لا يُهمل تلك المعطيات وعليه ان يتعاون مع أولي الشأن فيها، في ترتيب البيت الطليطلي، وإلّا حدث معه ما حدث لغيره كقادة طليطلة ـ ابّان عهد الفتنة الذى سبق عهد بني ذى النون ـ الذين سقطوا بسبب الخلافات والنزاعات الداخلية (٣). وممّا يعزز هذا القول ما حدث بين القادر يحيى بن ذى النون وابن الحديدى، اذ ان القادر كاد يفقد حكمه وربّما حياته بسبب محاولته الاطاحة بنفوذ وحياة ابن الحديدى، اذ ان اعدادا كبيرة من العامّة والخاصة في طليطلة هبّوا لنصرة ابن الحديدى والوقوف الى جانبه، عندما تسرّبت الى مسامعهم معلومات عن عزم القادر التخلص منه، ولولا انحناء ابن ذى النون للعاصفة لحدث ما لم تحمد عقباه بالنسبة له، ولم ينجح القادر في التخلّص من خصمه ابن الحديدى لولا قيامه بتدبير مكيدة له، تمّ بواسطتها استدراجه الى القصر دون ان يكون مع ابن الحديدى انصاره، أو أعداد كافية منهم لحمايته على الأقل، وبسبب قيام القادر باطلاق سراح

---

(١) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٧؛ وانظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥١ فقد ذكر ان ابن الحديدى كان له دور مؤثر في السياسة الطليطلية ابّان عهد المأمون وبعض الوقت من عهد حفيده القادر.

(٢) انظر ابن بسام، تحقيق: د. احسان، ق:٤، م:١، ص ١٥١ فقد ذكر ان ابن الحديدى كشف مؤامرة دبّرها بعض رجالات طليطلة للاطاحة بحكم بني ذى النون خلال وجود المأمون في بلنسية فارسل الى المأمون يُعلمه بالخبر فعاد على وجه السرعة وتمكّن من القضاء على مخططهم، وأودعهم سجن قلعة وبذة، الأمر الذى رفع من شأن ابن الحديدى في نظر المأمون واسلم اليه بعض امور الدولة واوصاه بحفيده (وليّ العهد) واوصى حفيده به، ومن خلال محاولة الاطاحة بحكم المأمون يتضح وجود شخصيّات لها تأثيرها في طليطلة، لم تكن راضية عن حكم بني ذى النون.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٢٤، ٣٣٩-٣٤١، ٣٤٥.

عدد من السجناء من سجن وبذة عام ٤٦٨هـ، كانوا على عداوة مع ابن الحديدى ـ نظرا لكشفه مؤامرتهم واطلاع المأمون عليها خلال وجوده ببلنسية ـ وادخالهم الى المدينة بصورة سرّية مستعملا اسلوب التمويه، اذ انهم أدخلوا بلباس النساء[(١)] ، ممّا مكّن ابن ذى النون من قتل ابن الحديدى بواسطتهم بعد ان تركه بين ايديهم عندما خرج من مجلسه[(٢)] . لذلك يمكن القول ان حُكم بني ذى النون كان يعتمد بالدرجة الأولى على بني ذى النون انفسهم، بالاضافة الى استعانتهم بعدد من القادة البارزين لتصريف شئون الدولة ليتسنى لهم تعزيز قدرتهم على الامساك بالأمور في الدولة الطليطلية وتسييرها كأيّ دولة أخرى، فاتخذ حكام بني ذى النون الوزراء والكتّاب والقضاة والقادة العسكريين لمساعدتهم.

فقد ورد في بعض المصادر ذِكرٌ لعدد من الأسماء التي لمعت كشخصيّات لعبت دورا مهما في دولة بني ذى النون، ومن هؤلاء وزراء خدموا دولة بني ذى النون، فذكر ابن بسام اسماء الشخصيّات البارزة التي قامت بخدمة دولة اسماعيل بن ذى النون وأهمّ

---

(١) انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥١-١٥٤؛ وانظر ابن سعيد ، ج ٢، ص ١٣ فانّه ذكر ان القادر يحيى بن اسماعيل بن المأمون يحيى استدرج ابن الحديدى الى قصره بمكيدة دبّرها له، وتمّ قتله بواسطة اصحاب القادر علما ان ابن الحديدى كان يتمتع باحترام أهل طليطلة العامة والخاصة منهم، وانظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٩.

(٢) انظر ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٥٤ ـ ١٥٥؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٩. وقال ابن بشكوال ان ابن الحديدى تولّى القضاء بتقديم المأمون يحيى بن ذى النون واستمّر في عمله ذلك الى ما بعد وفاة المأمون حيث سُجن بسجن وبذى وتوفيّ فيه سنة ٤٧٢ هـ : ابن بشكوال ، ق:١ ، ص ٢٢٣. وفي هذا القول اشارة واضحة الى ان ابن الحديدى لم يُقتل في مجلس القادر يحيى بن ذى النون بل سجن وبقي حيّا الى ان مات في سجنه عام ٤٧٢ هـ، وبالنظر الى عام ٤٦٨هـ الذى أُطلق فيه القادر سراح خصوم ابن الحديدى، ووفاته عام ٤٧٢هـ يلاحظ وجود فترة زمنية ما بين اربع الى خمس سنوات.

تلك الشخصيات الحاج ابن محقور وابن لبون (١) ، وابن سعيد بن الفرج (٢) ووصى اسماعيل

---

(١) هو الوزير ذي الوزارتين ابو عيسى لبّون بن عبد العزيز بن لبّون، كان من اصحاب القادر يحيى بن ذي النون، وحكم مربيطر من أعمال بلنسية الا ان ابا مروان عبد الله بن رزين صاحب شنتمرية الشرق خدعه واستولى على حكمها : ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ١٦٧-١٦٨؛ وانظر ابن خاقان، قلائد، ص ٩٨-٩٩؛ العماد الاصفهاني، ق:٤، ج٢، ص ٣٣١؛ وانظر ابن سعيد، ج٢، ص ١٢، ٢٧٦ فانّه ذكر ان أبا عيسى بن لبّون كان وزيرا للمأمون بن ذى النون، ثمّ تولى حكم حصن مربيطر، ولكنّ ابن رزين جاره صاحب السهلة اخرجه منه بعد ان احتال عليه ولم يعوضه بشيء عنه، وانظر ابن بسام، ق:٣، م:١، ص ١٠٤-١٠٥ فقد ذكر ان ذى الوزارتين القائد ابو عيسى بن لبون كان أحد وزراء ابن ذى النون، ولكنّه ثار وسيطر على حصن مربيطر وبقي حاكما له الى ان خدعه ابن رزين ولم يف له بما اعطاه عوضا عنه، وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٠٩ فانه قال ان ابا عيسى بن لبّون هو صاحب قلعة عبد السلام القريبة من مدينة وادى الحجارة؛ وانظر المقّرى، نفح، ج٣، ص ٥٩٧ فانه ذكر أبا عيسى بن لبّون على انه احد قوّاد المأمون، وبالنظر الى ما قاله ابن بسام وابن الأبّار وابن سعيد استطيع القول ان ابا عيسى بن لبّون كان وزيرا للمأمون وظلّ كذلك في اوائل عهد القادر الا أنّه ثار بعد فترة واستولى على حصن مربيطر واستقلّ به الى ان تمكّن ابن رزين من الاستيلاء عليه بحيلة مرّت على ابن لبّون بكل سهولة .

(٢) ورد في بعض المصادر ان احد وزراء المأمون بن ذى النون كان ابو عامر بن الفرج ذى الوزارتين: ابن بسام، ق:٣، م:١، ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن سعيد، ج٢، ص ١٢؛ المقّرى، نفح، ج٣، ص ٤٠٨ وورد ذكر له عند ابن خاقان، مطمح، ص ١٨٦-١٨٧. ولكنّ ابن الأبّار ذكر اسم ابي عامر بن الفرج ذى الوزارتين ووصفه انه من بيت رئاسة، وان آبائه وقومه خدموا دولة بني ذى النون، والى ابي سعيد بن الفرج - الذى كان واليا على كونكة - توجه المظفر عبد الملك بن المنصور بن عبد العزيز بن ابي عامر عندما اطاح بحكمه المأمون بن ذى النون من بلنسية في ذى الحجة سنة ٤٥٧هـ: ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ١٧١-١٧٢. واختلف ما ذكره ابن الأبّار، وابن عذارى بخصوص تحديد السنة التي استولى فيها المأمون على بلنسية فقد قال ابن عذارى ان ذلك كان عام ٤٥٨هـ: ابن عذارى، ج٣، ص ٢٦٦. ممّا ذكره ابن بسام في المتن وابن الأبّار استطيع القول ان ابن سعيد بن الفرج هو أحد الوزراء الذين اعتمد عليهم حكم بني ذى النون خاصة في عهد اسماعيل وابنه المأمون ومن الواضح ان ابا عامر بن الفرج ظهر بعد ابي سعيد المذكور، وذُكِر ان ابا عامر عمل وزيرا للمأمون ولحفيده القادر : انظر ابن سعيد، ج٢، ص ١٢ (الهامش).

ولده المأمون يحيى ان يعتمد عليهم ويأخذ بمشورتهم (١) ، كما ان ابن سعيد (٢) ذكر انه لم يجتمع عند ملك من ملوك الاندلس (الطوائف) ما اجتمع عند المأمون يحيى بن اسماعيل من الوزراء والكتّاب الاجلاء منهم : ابو عيسى بن لبّون، وابن سفيان (٣) ، وابو عامر ابن الفرج، وابو المطرّف بن مثنّى (٤) ، كما ذُكِر ان المأمون يحيى بن اسماعيل قام قبل وفاته في عام ٤٦٧هـ بتقسيم وظائف الدولة الى قسمين رئيسين خصّ وزيره ابن الفرج بالقسم الأوّل المتعلق بادارة شئون الجند، والنظر في طبقات القوّاد وما الى ذلك من الشئون السلطانية والاعمال الديوانية، وجعل للفقيه ابن الحديدى شأن القسم الثاني الذى يتعلق بامور الرعيّة والبلاد والمشورة والرأى (٥) .

كما ان بني ذى النون لجأوا الى استعمال بعض الشخصيّات من خارج طليطلة وولّوهم بعض الأعمال، ومثال ذلك ما قام به المأمون من استخدام القائد القرطبي ابن عكاشة في محاربة قوات ابن عبّاد وانصاره القرطبيين، وتمكّنه بواسطته أخيرا من الاستيلاء على قرطبة عام ٤٦٧هـ (٦) ، كما ورد في بعض المصادر ان حريز بن حكم بن عكاشة كان قائدا على قلعة رباح لبني ذى النون على رأس قوات من الدولة الطليطلية للتصدّى ولمحاربة قوات الدولة الاشبيلية (٧) .

---

(١) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص١٤٥ .   (٢) ابن سعيد، ج٢، ص ١٢ .

(٣) هو الوزير الكاتب ابو محمد بن سفيان: كان له دور بارز في دولة بني ذى النون: ابن خاقان، قلائد، ص١٣٦؛ العماد الاصفهاني، خريدة، ق:٤، ج٤، ص٤٠٥ .

(٤) ذكر ابن خاقان والعماد الأصفهاني ـ الذى أخذ معلوماته عن ابن خاقان ـ اسم الوزير ابي مروان عبد الملك ابن مثنّى الذى كان من رجالات دولة بني ذى النون: ابن خاقان، مطمح، ص٢٢١؛ العماد الاصفهاني، خريدة، ق:٤، ج٢، ص ٤٤٣؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج ٣، ص ٥٥٨-٥٥٩ .

(٥) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص١٥١؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٩ .

(٦) ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ١٧٧ وذكر ان اسمه حكم؛ ابن الأثير، ج٩، ص٢٨٧ وورد عنده ان اسمه جرير؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٠ .

(٧) ابن الأبّار، الحلّة، ج٢، ص ١٧٧ . وذكر ابن خاقان ان ابن عكاشة كان أميرا على قلعة رباح : ابن خاقان، مطمح، ص ٢٢١ وبيّن المحقق في الهامش انه حريز بن عكاشه وقتل عام ٤٨٠هـ؛ وانظر العماد الاصفهاني، خريدة، ق:٤، ج٢، ص ٤٤٣ فانه ذكر المعلومات نفسها تقريبا ،، كما ان المقّرى قال ان حريز بن عكاشة كان قائدا على قلعة رباح: المقّرى، نفح، ج٣، ص ٣٥٨ .

كما ذكرت بعض المصادر بعض من تولوّا القضاء في عهد بني ذى النون في طليطلة وفي بعض المناطق التابعة لها وسأذكر بعضا من تلك الاشارات نظرا لاهميّة القضاء في ادارة جوانب مهمّة من جوانب الحياة الادارية والسياسية في تلك العهود، فالظاهر ان من اوائل القضاة الذين تولوّا القضاء في عهد دولة بني ذى النون عبد الرحمن بن مخلد ابن أحمد بن بقي بن مخلد القرطبي، فقد ذكر ابن بشكوال أنّه تولّى قضاء طليطلة مرّتين الاولى في زمن ابن ابي عامر والثانية بتقديم الظافر اسماعيل بن ذى النون، ثمّ عُزل عن القضاء فعاد الى قرطبة (١)، ومن الذين تقلّدوا خطة القضاء في طليطلة ابو محمّد بن الحذّاء، وقام بدوره بتولية أحمد بن يحيى بن سميق ـ الذى ولد عام ٣٧٢ هـ وتوفي عام ٤٥١هـ بطليطلة ـ على قضاء طلبيرة (٢)، وهذا يشير الى ان قاضي طليطلة ـ قاضي الجماعة بالنسبة للدولة الطليطلية، الذى كان مقرّه طليطلة ـ كان يعيّن القضاة على المناطق التابعة للدولة الطليطلية، أو يشرف الى حدّ ما على اختيار وترشيح الاشخاص المناسبين لشغل تلك الوظائف .

ومن الذين عملوا، بالقضاء في عهد بني ذى النون على طلبيرة ابو الوليد الوقشي، وجاء بعده على قضاء طلبيرة عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطلي المتوفى سنة ٤٨٧هـ (٣)، ومن الذين تولوا قضاء طلبيرة محمد بن أحمد بن حزم الانصاري الطليطلي المتوفى سنة ٤٧٨هـ (٤)، كما ان محمد بن وهب الكتّاني كان قاضيا لقلعة رباح، وبعد انتهاء ولاية قضائه عاد الى طليطلة حيث توفي فيها سنة ٤٦١هـ (٥)، وكذلك تولّى يوسف بن محمد الكناني الطليطلي القضاء في قلعة رباح، وكان آخر عهد له بالدنيا عام ٤٧٥هـ (٦).

---

(١) ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٣٢٩.

(٢) ابن بشكوال ، ق:١، ص ٥٨.

(٣) ابن بشكوال، ق:١، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ق:٢، ص ٥٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ق:٢، ص ٥٤٣.

(٦) ابن بشكوال ، ق:٢، ص ٦٨١.

كما ان ابن بشكوال ذكر ان المأمون يحيى بن اسماعيل عيّن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد... التغلبي قاضيا لطليطلة بعد القاضي ابي عمر الحذّاء (١). كما ورد ان أحمد بن محمد بن يحيى التميمي - الذى يعرف بابن الحذّاء - تقلّد أحكام القضاء في مدينة طليطلة ثم بدانية، وعاد الى قرطبة في اواخر عمره، ولكنّه توفي باشبيلية في شهر ربيع الآخر من عام ٤٦٧هـ (٢). ومن القضاة الذين تقلّدوا ولاية القضاء في طليطلة القاضي أبو زيد الحشا، الذى يفهم ممّا ذكره أحد المصادر انه كان قد تولى القضاء عام ٤٥٩هـ، حيث وردت الاشارة الى انه صلّى على احد رجال الشورى في طليطلة عند وفاته عام ٤٥٩هـ (٣). ومن الذين تولّوا القضاء بطليطلة وعُزلوا عنه أحمد بن يوسف بن أصبغ الانصاري (٤)، وقد توفي بقرطبة عام ٤٨٠هـ. ومن قضاة طليطلة ابّان العهد النوني الفرج بن ابي الفرج بن يعلى التجيبي الطليطلي المتوفى عام ٤٧٠هـ (٥).

ممّا سبق يلاحظ ان بعضا من الذين أستعملوا على القضاء في طليطلة كانوا من خارج منطقة طليطلة، ومثال ذلك عبد الرحمن بن مخلد، وأحمد بن محمّد المعروف بابن الحذّاء (٦). كما يلاحظ ايضا ان قاضي طليطلة كان يُعيّن أحيانا قضاة المناطق التابعة لطليطلة، كما فعل القاضي ابو محمّد الحذّاء عندما عيّن احمد بن يحيى بن سميق على قضاء طلبيرة (٧).

---

(١) ابن بشكوال، ق:١، ص٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ق:١، ص ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ق:١، ص ٦١.

(٤) المصدر نفسه، ق:١، ص ٦٨ - ٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ق:٢، ص ٤٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ق:١، ص ٦٣، ق:٢، ص ٣٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ق:١، ص ٥٨.

أثر الصراع بين دول الطوائف والممالك النصرانية على طليطلة

أولا : الصراع بين طليطلة والدويلات الاسلامية في الأندلس وأثر ذلك على طليطلة :

بعد ان تجزأت الاندلس واصبحت دويلات متعددة القيادات والجيوش والعواصم ، ضعف شأن المسلمين في تلك البقعة من المعمورة ، فبعد ان كانت كل تلك القوى والمقدرات تصب في بوتقة واحدة تحت قيادة واحدة تقسّمت تلك القدرات وتبعثرت كل الجهود لدى مسلمي الأندلس ، وبدل ان تصوّب كل السّيوف والامكانات المتاحة في وجه الأعداء أخذت توجّه تلك الآلات والامكانات الى صدور اخوة الدّين في وقت كانت الأمّة بأمسّ الحاجة الى تصويب تلك القدرات نحو العدو المشترك الذى كان يتربّص بهم الدوائر ، ولكن فيما يظهر ان الظروف التي كانت سائدة ، ثم وجود ذلك النمط من الحكام والمحكومين لم تساعد على وقف مسلسل الخلافات والمنازعات الداخلية فيما بينهم ، اذ انهم لم يكونوا على درجة كافية من الادراك والمسؤولية لوقف ذلك ، واحلال الوحدة والتكاتف بدل العداوات والفرقة للوقوف في وجه الخطر المحدق بهم ، الذى كان يهدد وجودهم جميعا في ذلك الزمان والمكان ، ولم يتعظ هؤلاء القوم بما آلت اليه مصائر الامم والاقوام السابقة التيكانت احوالهم تشبه ماهو عليه ، فاخذ كل حاكم يعدّ العدة للصراع مع جيرانه الذين هم اخوانه في الدينواقرانهفي المصير والتاريخ المشترك ، سواء أكان ذلك الصراع لدرء خطر متوقع قادم من منافس او للاستيلاء على ممتلكاته ، أو للحدّ من قدرة ذلك الخصم واضعافه لكي لا يصبح خطرا عليه في المستقبل كما ظنّ اولئك الحكام ، فنسوا الخطر الحقيقي أو تناسوه وانغمسوا في صراعاتهم الداخلية ، لذلك أجد انه لا بدّ من ذكر بعض تلك الصراعات وخاصة المتعلقة منها في الصراع مع طليطلة ، فسأحاول التعريف بالصراع الذى اندلع بين بني هود الذين كانوا حكاما لسرقسطة والثغر الاعلى وبني ذى النون في طليطلة ، وما رافق ذلك من استعانة كلا الطرفين المتنازعين بقوات من الممالك النصرانية ضد الطرف الآخر ، كما وسأعرض للنزاع ما بين طليطلة واشبيلية وتأثير ذلك على قرطبة ، والتعريف بالعلاقات فيما بين بني الأفطس وبني ذى النون ، والعلاقة ما بين بني ذى النون وبلنسية .

بدأ الصراع بين بني هود وبني ذى النون منذ عام ٤٣٥هـ - أى بعد وفاة الظافر

اسماعيل بن ذى النون مؤسس دولة بني ذى النون في طليطلة وتوليّ ولده المأمون يحيى ابن اسماعيل الحكم من بعده ـ (١) ، اذ من المؤكد ان سليمان بن هود استغل فرصة وفاة اسماعيل، ظانا ان الوضع في الدولة الطليطلية أصبح أضعف ممّا كان عليه خلال حياة الظافر اسماعيل، نظرا لتبدل الحاكم ، اذ يحتاج الحاكم الجديد الى فترة من الزمن لملء الفراغ الذى احدثه فقدان الحاكم السابق حتى ولو كان أقرب المقربين اليه ، فأقدم سليمان بن هود على ارسال جيش كبير بقيادة وليّ عهده ابنه احمد بن سليمان للسيطرة على مدينة وادى الحجارة التي كانت تابعة لدولة طليطلة ، الآ ان فئة من أهلها كانت تميل الى الانضواء تحت حكم ابن هود بدل حكم بني ذى النون ، في حين ان فئة أخرى من أهل المدينة كانت تميل الى استمرار حكم بني ذى النون لمدينتهم ، وعندما وصل الجيش السرقسطي الى أبواب المدينة نشب القتال بين أنصار بني ذى النون والجيش السرقسطي، ولكن الأمر اختلف بالنسبة للفريق الثاني المؤيد لبني هود داخل المدينة فساعدوا الجيش على الاستيلاء على المدينة ، كل هذا حدث دون ان يكون عند يحيى بن ذى النون علم بما جرى، وعندما علم بالخبر أعدّ جيشا وسار بنفسه لملاقاة جيش ابن هود والتقى معه في معارك كانت نهايتها لصالح ابن هود، الأمر الذى كان له اثره في ميزان القوّة بين الطرفين، ممّا حدا بالمأمون ان يتوجه الى مدينة طلبيرة ويتحصن بها (٢) ، وهذا يشير الى ان جيش المأمون قد خسر المواجهة ، كما يشير الى توغل الجيش السرقسطي الى منطقة قريبة من عاصمة بني ذى النون، استغلت القوات السرقسطية الوضع وحاصرت الجيش الطليطلي بقيادة رجل الدولة الطليطلية الأول داخل المدينة وشددّت الحصار على المُحاصَرين، وكتب احمد بن سليمان الى ابيه يعلمه بما تهيأ له ، في ظل هذا الوضع الذى وصل اليه المأمون وقواته جاءه الفرج من قبل رجل الدولة السرقسطية سليمان بن هود، الذى طلب العودة من ابنه احمد قائد الجيش المُحاصِر لطلبيرة ، فامتثل الابن للأمر وعاد بقواته وتنفس المأمون بعد ذلك الصعداء من جراء فك الحصار (٣) ، ولكن السؤال الذى يجول في نفس المتتبع لهذه الأحداث هو عن

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٥٤.

(٢) ابن عذارى ، ج ٣، ص ٢٧٧-٢٧٨؛ وانظر ابن الخطيب ، اعمال ، ص ١٧٨.

(٣) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٨؛ وانظر ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٧٨ فانّه لم يشر الى المراسلة انما ذكر ان ابن هود بعد حصاره للمأمون بطلبيرة فكّ الحصار وعاد الى بلاده .

ماهيّة الأسباب التي دفعت سليمان بن هود، الى اتخاذ ذلك القرار، أكان قراره خوفا من أن يكون ذلك استدراجا لقواته في ارض الدولة التي يخوض معها الحرب في منطقة بعيدة عن مراكز الامدادات؟ الواقع يشير الى ان المأمون قد خسر جولات القتال الاولى وأنه فرّ من امام القوات السرقسطية (١). أو أن هناك تحركات لجيوش معادية كالقوات النصرانية من دولة نبّرة (نافار) مثلا قد بدأت بالاستعداد أو التقدم نحو الاراضي السرقسطية الأمر الذى استلزم وجود كل القوات لدرء الخطر القادم، أو ان سليمان بن هود كان يدرك ان الحصار لن ينهي قوّة الدولة الطليطلية بتلك السهولة لذلك قرر سحب تلك القوات قبل ان تقع في مأزق بعد قدوم امدادات من العاصمة طليطلة لتلتقي القوات الطليطلية الجديدة مع القوات المُحاصَرة وتشكلا معا خطرا على القوات السرقسطية في ارض معادية لها؟ اذ من الممكن ان امدادات جديدة قد بدأت تتحرك، وان سليمان علم او توقع تلك التحركات فأراد سحب قواته وهي في حالة نصر قبل ان تنقلب الحالة الى هزيمة فيضيع ما أنجزه، وتستعيد القوات الطليطلية مدينة وادى الحجارة، وربّما أن فصل الشتاء قد آن زمانه، الذى سيكون عاملا مساعدا للقوات التي بداخل المدينة ضد القوات الموجودة بخارجها في العراء، لذلك ولكل ما سبق أو لواحد منها كان اتخاذ سليمان بن هود قرارا بالانسحاب، والاكتفاء بما تحقق من انجازات، ان ما لحق بالمأمون بن ذى النون من خسائر ماديّة ومعنوية على أيدى قوات ابن هود ورغبته في تحقيق نصر على اعدائه بسبب المهانة التي ألحقت به، دفعه كل ذلك الى الاستعانة بملك النصارى (القومسان الاشبان من ولد سانشو (شانجة)) (٢). وحثّه على

---

(١) ابن عذارى، ج ٣، ص ٢٧٨.

(٢) ابن عذارى ذكر ان الاستعانة كانت بالقومسان الاشبان من ولد شانجه انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٨؛ امّا ابن الخطيب فجاءت معلوماته بهذا الخصوص مبهمة وعامّة فاكتفى بالقول ان المأمون استعان بملك النصارى فجاراه ابن هود في مسعاه ذلك واستعان هو الآخر بالنصارى: ابن الخطيب، اعمال، ص ١٧٨. ولتوضيح الأمر لا بدّ من محاولة التعريف باوضاع الممالك النصرانية في ذلك الزمان بشكل موجز، فقد ورد عند ابن الكردبوس ان شانجه الكبير عندما توفي تولّى الحكم من بعده اولاده فردناند وغرسيه وردمير (راميرو الاول): ابن الكردبوس، م ١٣، ص ٧٥. ولتوضيح الصورة بشكل جلي لا بدّ من الرجوع الى مرجع حديث وليكن هذا المرجع

القيام بمهاجمة بلاد ابن هود، وقدّم المال للقوات النصرانية للقيام بذلك (١)، ومـــن

تابع هامش (٢) صفحه ٣٦٤.
المؤرخ الالماني اشباخ، فانه ذكر ان سانشو (شانجه) الملقب بالكبير توفـي عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م بعد ان تمكن من توحيد معظم القوى النصرانية في الاجـــزاء الشمالية من شبه الجزيرة الايبيّرية، فتولى ابنه الثاني فرديناند(فردلنـد) حكم مملكة قشتالة (Castilele) وبعد عامين من ذلك أى عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م ضم الى مملكة ليون وجليقية واشتوريش (استورياس) على اثر وفاة حاكمها الـذى تربطه به رابطة المصاهرة المدعو برمودو الثالث(برمند)،امّا بقية ابنـــاء سانشو (شانجه)اخوة فردينانـد فقد حكموا مناطق اصغر: فجارسيا(غرسيـــــة) اكبر اولاد سانشو حكم مملكة نبّره (نافار) التي كانت تمتد من غرب البرنيه الى مصب نهر الايبرو (ابرة)، وحكم راميرو ولد سانشو غير الشرعي منطقة ارغـــون، في حين ان كونزالو حكم منطقة أصغر هي ولاية سوبرابي في أواسط البرنية، اما شرق البرنيه فكانت تقع امارة (كونتيه) برشلونه او قطلونيه ويحكمها ريموند برنجار الأول وبذلك بلغت الممالك النصرانية في ذلك الحين خمسا : اشبـــاخ، ص ٩-١٠، واتحدت ارغون وسوبرابي عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م : اشباخ، ص ١٢، كما أن المؤرخ ذكر ان جارسيا ومعه قوات من ارغون - ارسلها اخوه راميروا - بالاضافة الـى قوات ابن هود خاض معركة ضد قوات قشتالة وليون بقيادة فردينانـد عام ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م الا ان النصر كان حليفا لفردينانـد، وقتل غرسيه، ونتيجة لذلك ضـــم فردينانـد كل الاراضي الواقعة على ضفة نهر الايبرو اليمنى التابعة لمملكـــة نافار امّا بقية مملكة نافار فقد تركها فردينانـد لولد الملك المتوفى سانشو الرابع، وبسبب مساهمة راميرو بقوات في المعركة ضد فردينانـد فانه خشـــي انتقام اخيه وكذلك بسبب الخلاف بينه وبين اخيه حول تقاضي الجزية من بعـــض المدن الاسلامية الواقعة في منطقة الثغر الاعلى (سرقسطة): اشباخ، ص ١٥، مما سبق ونظرا لما اشار اليه ابن عذارى من أن المأمون استعان بالقومسان الاشبان من ولد سانشو(شانجه)، ومن ثمّ استعانة ابن هود بفردلنـد(فردينانـد الأول ، فرنانـدو) وبعد ذلك استعانة ابن ذى النون بنصيره جارسيا (غرسيه) بن سانشـو، استطيع القول ان استعانة المأمون كانت بجارسيا بن سانشو ملك نبّره (نافار)، ومن الممكن ان قوات من مملكة ارغون ساعدت في ذلك، نظرا لما قاله ابن عذارى من استعانة المأمون اول الامر بالقومسان الاشبان من ولد سانشو، ولقد تبـيـن ممّا ذكر اشباخ ان التقارب كان بين ارغون بجناحيها ارغون وسوبرابي وكذلـك بين ارغون المتحدة مع نبّره لذلك يمكن القول ان قوات من الطرفين قامـــت بالهجوم في اول مرّة استعان بها المأمون، ويفهم مما سبق ان احد أسباب العداوة بين الممالك النصرانية هو تقاضي الجزية (ضريبة من المال) من بعض المناطق الاسلاميـة. واما كلمة القومسان فهي مثنى كلمة قومس قمّس.

(١) ابن عذارى، ج ٣، ص ٢٧٨.

المرجح ان الاستعانة بالنصارى كانت خلال فترة الحصار ممّا اجبر سليمان بن هود على اتخاذ قراره بسحب قواته المُحاصِرة لطلبيرة . وفعلا تقدمت قوات النصارى في بلاد ابن هود وعاشت خرابا ودمارا في بلاده مدّة شهرين لم يستطيع خلالهما ابن هود مواجهة تلك القوات بل اكتفى بالتحصن داخل معاقله ، تاركا المجال أمام القوات المعادية أن تفعل ما تشاء ، ومما زاد الأمر سوءا بالنسبة لابن هود ورعيّته ، ان ذلك صادف أوان الحصاد وقطف الثمار.فاستغلت قوات نبّره (القوات النصرانية) تلك الفرصة وحشدت اعدادا من رعاياها لحصاد تلك المحاصيل ونقلها الى بلادهم واستمرّ ذلك شهرين كاملين، والمسلمون في دولة ابن هود ينظرون لما يحدث ولا يملكون له دفعا ، وبعد ذلك عاد الاعداء الى بلادهم بعد ان دمّروا اقتصاد دولة ابن هود المتمثل في منتوج ذلك العام من المحاصيل والثمار ، وموقف المتفرّج هذا الذى وقفه المسلمون اثناء تدمير وتخريب بلادهم والاستيلاء على خيراتهم عززّ وقوّى العدوّ وكان ذلك دافعا له الى التفكير بالاستيلاء على بلاد المسلمين (١) (٢) .

لم يكتف المأمون بما فعلته القوات النصرانية بل انه استغل الظرف المتمثل في عدم قدرة ابن هود على القيام بشيء فصال وجال في المناطق المحاذية لبلاده من بلاد ابن هود، ممّا زاد الأمر سوءا بالنسبة لدولة سرقسطة (٣) .

وما ان تنفس سليمان بن هود الصعداء بعد رحيل القوات النصرانية من مملكة نبّرة (نافار) حتى سلك الطريق نفسه الذى انزلق اليه المأمون، وهو الاستعانة بقوات من الممالك النصرانية ضدّ الطرف الآخر، فلجأ في العام التالي (٤) ، الى طلب معونة فرديناند بن سانشو (فرذلند) وقدّم اليه الهدايا والأموال مقابل قيامه بالهجوم على

---

(١) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ ; ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨ .

(٢) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

(٣) ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨ . ذكرت بعض المصادر ان الحرب استمّرت بين دولتي سرقسطة وطليطلة ما بين عامي ٤٣٥-٤٣٨ هـ: ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨٢ ; ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٨ . كما ان ابن الخطيب بيّن ان المأمون قام باخراج النصارى لحرب

دولة طليطلة ، فاغتنم النصارى القشتاليون تلك الفرصة وتقدّموا صوب المناطق التابعة لدولة طليطلة [١] ، مخترقين أراضي الدولة الطليطلية الشمالية حتى منطقة وادي الحجارة وقلعة النهر (قلعة هنارس) [٢] وامعنت تلك القوات في تخريب وتدمير المنطقة التي اجتاحتها ، وعاودت الاغارة على تلك المناطق مرّات عديدة ، حتّى ان مسلمي الدولة الطليطلية لم يعودوا يستطيعون مواجهة النصارى اذا ما رأوهم ، فيولّون أمامهم مدبرين اذا ما ظهروا ، وقد نتج عن تلك العمليات العسكريّة التخريبية خسائر مادية

تابع هامش (٤) صفحه

ابن هود "للعام بعده "، وتم للعدو وخلال ذلك الاستيلاء على قلعة قلهرة في اوائل عام ٤٣٧هـ: ابن الخطيب ،أعمال، ص ١٧٨ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨١ فان بعض الاشارات وردت عنده تدعّم ما بيّنه ابن الخطيب ، فذكر ان الافتتاح النصارى من مملكة نبّرة ،لقلعة قلهرة (قلبرة) كان عام ٤٣٧هـ وبالتدقيق فيما سبق يمكن القول ان بداية الصراع بين سليمان بن هود والمأمون كانت عام ٤٣٥هـ كما ذكر ابن عذارى وابن الخطيب ، وان ما قام به الجيش السرقسطي من الاستيلاء على وادى الحجارة ومحاصرة المأمون بطلبيرة وبالتالي عودة الجيش من حيث أتى بعد اصدار أمر له بذلك من قبل سليمان بن هود، وما تبع ذلك من استنصار المأمون وتحريضه لملك نبّرة (نافار) القيام بمهاجمة اراضي دولة سرقسطة وتنفيذ ذلك فعلا ، كان كل ذلك عام ٤٣٥هـ، ونظرا لاشارة ابن الخطيب من ان العام التالي كان عام استنصار سليمان بن هود بملك قشتالة فرديناند(فرذلند) وتحريضه للقيام بمهاجمة الاراضي الطليطلية ، أى ان ذلك العام هو عام ٤٣٦هـ والعام الذى بعده شهد تحريض وحّث المأمون لمناصره ملك نبّره القيام بمهاجمة ارض دولة ابن هود أىّ ان ذلك العام كان عام ٤٣٧هـ، الذى اشار اليه ابن عذارى وابن الخطيب على ان قلعة قلهرة (قلبرة) قد سقطت بايدى القوات المهاجمة لبلاد ابن هود فيه (أى عام ٤٣٧هـ) ، واستمّرت تلك الحالة المتعلقة بالصراع بين الدولتين واستعانة الواحدة منهما بالممالك النصرانية حتّى عام ٤٣٨ هـ .

(١) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٩-٢٨٠ ؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١٧٨ فانّه اكتفى بالقول ان ابن هود استعان بالنصارى، وخرج هو الى المناطق الطليطلية المحاذية له واسترجع الحصون التي اخذها منه المأمون قبل ذلك، أى عام ٤٣٥هـ ونتيجة لغارات قوات من مملكة نبّرة (نافار) المناصرين للمأمون.

(٢) عنان، دول ، ص ٩٨ ولم يذكر مصدره الذى استقى منه هذه المعلومة .

فادحة لحقت بالمناطق الشمالية لدولة طليطلة ، والتي أدّت بدورها الى تهجير اعداد كبيرة منهم الى العاصمة طليطلة طلبا للأمن (١) .

دفع هذا الوضع المأساوي بالنسبة لمسلمي الدولتين، مجموعة من العلماء ومتنفذي طليطلة الى التوجه الى سليمان بن هود وحثّه على وقف هذا المسلسل الرهيب الذى أخذ في حصاد الاخضر واليابس في بلاد المسلمين ووعظوه وبيّنوا له ان العداوة بين دولتي سرقسطة وطليطلة هي التي أوصلت الاوضاع الى ما وصلت اليه وخاصة زيادة قوة النصارى على حساب قوّة ووجود المسلمين، وشددّوا عليه بطلبهم منه الدخول في صلح مع المأمون الأمر الذى من شأنه ان يُضعف آمال الاعداء في السيطرة على بلاد المسلمين، ويوقف الخراب والدمار الذين نتجا عن الصراع فيما بينهما ، فوافقهم على مطالبهم ، فعادوا الى أميرهم المأمون الذى كان على وشك اجراء اتفاق مع النصارى لمحاربة ابن هود، فبيّنوا له ما توصلوا اليه فأجابهم الى دعوتهم وردّ النصارى الى ديارهم (٢) .

لكن سليمان بن هود لم يكن يبطن الموافقة على دعوة أهل طليطلة في اجراء المصالحة بين الدولتين السرقسطية والطليطلية كما أظهر ذلك للوفد الطليطلي، بل ان اظهاره الموافقة كان لخداع ابن ذى النون عمّا كان ينوى فعله ، فاستنصر بأنصاره من النصارى ـ أىّ بملك قشتالة وليون فرديناند الاول ـ واتجه بجيشه ومعه قوات من حلفائه (أو اعوانه أو أسياده) الى مدينة سالم التابعة للدولة الطليطلة فهاجمها ودارت المعركة بين الجيش الغازى وقوات المدينة ، الاّ ان الهزيمة كانت من نصيب أهل مدينة سالم فقتل منهم من قتل، واتجه ابن هود بقواته الى بعض الحصون التي كان المأمون قد استولى عليها ، التي كانت ملكيتها لدولة سرقسطة فاستردّها ، وقام بالحاق أكبر الضرر في المناطق التابعة لدولة طليطلة (٣) ، وممّا ساعده على ذلك وجود

---

(١) ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٨٠-٢٨١.

شقيق المأمون المدعو عبد الرحمن بن اسماعيل[(١)] الذى لجأ الى دولة ابن هود بسبب اختلافه مع اخيه على الحكم ، والذى قام بدوره بكشف مناطق الضعف في دولة بني ذى النون امام ابن هود ممّا سهل الأمر عليه في حربه مع المأمون .[(٢)]

هذه الخدعة التي مرّرها ابن هود على ابن ذى النون جعلت الأخير يستشيط غضبا ، ودفعه بالتالي تصرف ابن هود الى سلوك واتباع كل السُبل المتاحة للانتقام ، ففتح خزائنه وارسل الكثير من امواله وكنوزه الى غرسيه ملك نافار شقيق ملك قشتالة فردناند(فرذلند) ، فاغتنم النافريّون الفرصة واندفعوا بأعداد كبيرة نحو دولة بني هود فسارت جيوشهم وزحفت كتائبهم في مختلف الاتجاهات لتوجيه أكبر قدر ممكن من الضربات القاسية للمسلمين في تلك المنطقة ، ردّا على ما فعله أخوه فردناند بحليفه المأمون (أى حليف غرسيه) ، أو ليقل صديقه ، او عدوّ عدوه ، فألحق الخراب والدمار بأراضي دولة بني هود في المنطقة الممتدة ما بين تطيلة[(٣)] ووشقة[(٤)] ، وادخلت هذه الاعمال الرعب والخوف في نفوس مسلمي دولة بني هود ، ولم تكتف جيوش ملك نبّره (نافار)

---

(١) ورد عند ابن سعيد ذكر لأمير من بني ذى النون يدعى ارقم بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذى النون ، كان يعرف بابن المضراس ، واخوه اسماعيل هو أول من تولّى حكم طليطلة من بني ذى النون ، وكان المأمون يبغضه ويحسده على أدبه ، ففرّ عنه الى الثغر الاعلى لمملكته : ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٤ وبالمقارنة مع قول ابن عذارى من المحتمل ان والد ارقم هو الذى التجأ الى دولة بني هود ، وان ولده ارقم هو الذى لجأ الى مملكة قشتالة وليون وجليقية ، ويفهم ذلك ممّا ذكره ابن عذارى من أن ابن عم المأمون ذهب الى فردناند(فرذلند) ليدلّه على أماكن الضعف في دولة ابن عمّه المأمون: ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٨١ .

(٢) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٨٠-٢٨١ .

(٣) تُطيلَة : تتبع لسرقسطة وتقع في منطقة الثغر: ابن سعيد ، ج٢ ، ص ٤٣٣ ، ٤٤٩ . وقال ياقوت انّها تقع في الجهة الشرقية بالنسبة لقرطبة : ياقوت ، ج٤ ، ص ٣٣ . وقال الحميرى: انها مدينة اندلسية تقع في جوفي وشقة ، بين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة ، الحميرى ، ص ٦٤ .

(٤) وشقة : تقع في منطقة ثغر سرقسطة : ابن سعيد ، ج٢ ، ص ٤٣٣ ، ٤٦٠ . وذكر الحميرى انّها تبعد عن سرقسطة خمسون ميلا : الحميرى ، ص ١٩٥ .

بذلك بل قامت بمحاصرة قلعة قلبرة (١) التي تقع في منطقة تطيلة الحدودية ، حتى تمكنت في بداية عام ٤٣٧هـ من الاستيلاء عليها ، كل هذا حدث وابن هود قابع في حصونه لم يجرؤ على مواجهة تلك القوات التي عاثت في بلاده الفساد والخراب ، مع انه كان يتوفر له الاعداد الكافية للمواجهة بل اكتفى بالتحصن وشحن الحصون والقلاع بالاطعمة والرجال، وترك الاعداء يصولون ويجولون كيفما أرادوا وحيثما شاءوا ،الامر الذى مكنهم من الحاق خسائر فادحة بالممتلكات (٢) .

وعلى أثر ذلك قامت قوات جليقية بقيادة الملك فرديناند(فرذلند) ملك قشتالة وجليقية بمهاجمة المناطق الحدودية الشمالية لدولة طليطلة مستغلة غياب المأمون ومعظم جيشه ، اذ انه كان يرابط في مدينة سالم تحسبا من رد انتقامي من قبل ابن هود ، ومن العوامل التي ساعدت فرديناند قدوم ابن عم للمأمون عليه وقيامه بكشف واطلاع فرديناند على مواطن الخلل في دولة طليطلة ، وبعد أن علم المأمون بالخراب الذى ألحقه فردناند بأطراف دولته ونتيجة لوصول اعداد من رعيته مستغيثة به تقدم بقواته وترك مدينة سالم ، الا انه لم يفعل شيئا ، اذ أن الخوف من مجابهة قوات فردناند جعلته يُحجم عن المواجهة (٣) ، هذه الأوضاع التي وصلت اليها حالة المسلمين عصفت بدولة طليطلة ، واضطربت من جرّاء نتائجها اوضاعها الاقتصادية ، فاستشرى الغلاء في البلاد ، عندئذ توجه وفد طليطلي الى فردناند المناصر لابن هود ليبرم معه صلحا يؤدون له

---

(١) قلبرة : وردت تسميتها عند ابن الخطيب الذى يشارك ابن عذارى في ذكر المعلومات التاريخية عن هذه الفترة : قَلَهُرّة ، وليس قلبرة ، ووصفها ابن الخطيب انها قلعة استولى عليها محمد بن ابي عامر، ولكنها سقطت بايدى مملكة نبّره (نافار) سنة ٤٣٧هـ: ابن الخطيب ، اعمال، ص ١٧٨ . كما ان ياقوت قال ان قلهرّة مدينة من أعمال تطيلة في شرق الاندلس ولم يذكر اسم قلبرة : ياقوت، ج٤، ص ٣٩٣ . كما ان لفظها وكتابتها وردت عند ابن الكردبوس قلهرّة : ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٤ .

(٢) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨١ ; وانظر ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٧٨ فانه ذكر ان ابن ذى النون عمل على اخراج النصارى الى بلد ابن هود، فقاموا بالاستيلاء على قلعة قلهرّة صدر عام ٤٣٧هـ، ولم يفصّل كما فعل ابن عذارى.

(٣) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨١ ; وانظر ابن الخطيب فانه اكتفى بالقول ان حاكم جليقية المناصر لسليمان بن هود قام بمهاجمة المناطق الحدودية لدولة طليطلة : ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨ .

أموالا معينة مقابل السلام والكف عنهم والرحيل عن بلادهم ،الا ان الشروط التي اشترطها فردناند كانت قاسية ، لم يقدر الطليطليون على تقديمها ، وقالوا له انهم لو كانوا يقدرون على تلك الطلبات لأنفقوها على استقدام البربر من العدوة المغربية ، ولكنه هزئ منهم نظرا لمعرفته أن اهل الاندلس لم يكونوا جادّين في دعوة بربر العدوة المغربية (١)، بسبب خوفهم منهم من القيام بالسيطرة على بلادهم واخذها من ايديهم ، واعتقد ان مقولتهم كانت لاظهار عدم قدرتهم على دفع الأموال المطلوبة من جهة ، والتهديد باستقدام قوات جديدة من البربر من جهة أخرى، فكان ردّ فردناند مخيبا لظنونهم ، اذ أنه أعلمهم انه يعرف مكنون نفوسهم التي كانت لا ترغب في استقدام البربر فعلا خوفا على ما في ايديهم من مال وسلطان. وما قاله فردناند للوفد الطليطلي يكشف بجلاء نوايا الممالك النصرانية نحو الأندلس ومسلميها ، وذلك بالاستيلاء عليها كلها وطرد المسلمين منها الى العدوة المغربية (٢)، ولكن وللأسف ان هذه المقولة لم تحرّك ساكنا ولم توقظ نائما من اولئك الناس الذين عاشوا في الاندلس في تلك الحقبة من الزمن، ولم تستطع نفض وازالة الخوف والأنانية وحب الذات والضعف والاستكانة التي رانت على قلوب الحكام والمحكومين من اندلسيي تلك الفترة ، فتتابعت أحداث ذلك المسلسل الى أن وصلت الى نهايتها .

انّ ما فعله فردناند بدولة طليطلة ردّ عليه غرسيه ملك نبّره (نافار) المناصر لبني ذى النون فخرج بقواته في السنة نفسها (٣) التي خرج فيها فردناند الى دولة بني هود (٤)، وقام بأعمال التخريب والتدمير التي قام بها فردناند فاخلّ بدولة سرقسطة .

---

(١) انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٨٢.

(٢) انظر الحوار الذى جرى بين الوفد الطليطلي وفردناند عند ابن عذارى، ج٣، ص٢٨٢.

(٣) مرّ في صفحة ٣٧٠ من هذا الفصل ان آخر مرّة قام بها حكام نافار بالاغارة على أملاك دولة ابن هود كان صدر عام ٤٢٧هـ عندما تمكّنوا من الاستيلاء على قلعة قلهرّة (قلبرة). ثم كان بعد ذلك ردّ فردناند بالاغارة على مناطق تابعة لطليطلة ، ثم قام بعد ذلك ملك نافار بمهاجمة دولة سرقسطة ردّا على ما فعله شقيقه فردناند بدولة طليطلة فلذلك أرى ان ذلك تمّ على أقل تقدير في اواخر عام ٤٣٧هـ أو عام ٤٣٨هـ كحدّ أقصى.

(٤) ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٨٢.

استمرّت العداوة المدمرة بين دولتي طليطلة وسرقسطة على هذا المنوال من سنة ٤٣٥هـ - ٤٣٨هـ فاهلكت الحرث والنسل، ولم تتوقف الا بموت سليمان بن هود عام ٤٣٨ هـ (١). لذلك يمكن القول ان ما دار بين بني هود وبني ذى النون ما بين عامي ٤٣٥-٤٣٨هـ خير دليل وشاهد على الدمار والخراب والضعف الذى أصاب جسد الاندلس الاسلامية بسبب الصراعات والمنافسات بين حكام دويلات الطوائف .

ان من المفارقات العجيبة حقا أن يدفع للممالك النصرانية الاموال الطائلة والهدايا الثمينة لتحقيق أطماعهم في توجيه ضربات قوّية ومدمرة للمسلمين من كلتا الدولتين المتحاربتين طليطلة وسرقسطة، اذ لم يكتف حكام هاتين الدولتين بتحريض الممالك النصرانية ضد اخوانهم في الدين والمصير المشترك، بل انهم تجاوزوا ذلك ودفعوا لهم الأموال الطائلة وبسخاء منقطع النظير لتنفيذ الاعتداءات على اخوانهم، امّا بالنسبة للممالك النصرانية فانه واقع ينظرون اليه امامهم وحلم يعيشونه لم يخطر لأسلافهم على بال ، ما هذا الحظ الذى حالفهم فحقق بذلك طموحاتهم واطماعهم في بلاد الاندلس ؟! انّها سنة الله في خلقه، ان تستخلف الأمّة الفتية الشابة الأمة التي أصابتها الشيخوخة واستولى عليها الضعف ، فترث منها أرضها لتكمل بذلك حلقة جديدة في دورة الحياة المستمرة الى أن يرث الله الأرض وما عليها، "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا" (٢) ، وان المصير الذى آلت اليه طليطلة فيما بعد لهو النتيجة الحتمية لما كان .

توقفت الحرب بين طليطلة وسرقسطة بعد وفاة سليمان بن هود واستمرّ ذلك التوقف حتى وفاة المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون عام ٤٦٧هـ (٣) ، فقد ذكر ابن الكردبوس

---

(١) ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٨٢؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨.

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٦٢.

(٣) انظر المصادر التالية بخصوص وفاة المأمون: ابن الأبّار، الحلة، ج٢، ص ١٧٧ ، ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥٨، ١٧٨؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٣٤٧؛ القلقشندي، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢؛ وانظر ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ٧٨ فقد ذكر ان جدّ القادر توفي عام ٤٦٧هـ، ومن المعروف ان جدّ القادر هو المأمون، الا ان المصدر ذكر اسم اسماعيل خطأ، وقد سبق وان عرفنا ان اسماعيل توفي عام ٤٣٥هـ وفي قول آخر عام ٤٢٩هـ: انظر هذه الدراسة، ف ٥ ص ٣٥٤ ولذلك لا يمكن قبول ما اورده ابن الكردبوس الا على اساس ان جدّ القادر هو المأمون الذى توفي عام ٤٦٧هـ .

ان القادر يحيى الذى خلف جدّه في تولّي الحكم كان صغيرا بالاضافة الى كونه ضعيف الشخصية ، ونظرا لذلك طمع الطامعون في بلاده ، فأوّل من تقدم للسيطرة على أملاكه المعتمد بن عبّاد لما كان بينه وبين جدّه المأمون من العداوة والتنافس ، فاستولى المعتمد على قرطبة وطلبيرة وغافق والمنطقة الممتدة بينهما (١) ، كما ان أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة بدأ الحرب ضد القادر واخذ يحاربه بضراوة ويطالبه أشدّ مطالبة ، ولم يكتف بمحاربته بنفسه بل استعان بابن راميرو الاول (ابن ردمير) (٢) الذى مكنّه من الاستيلاء على شنتبرية (Sentaver) ومليتة (٣) (Molina) ولم يستطع القادر الدفاع عن دولته نظرا لقصر باعه في ادارة الدول، فاستنصر بالفونسو

---

(١) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٩، وذكر د. مكي في الهامش في الصفحة نفسها انه يوجد في الاندلس (اسبانيا) عدّة اسماء بهذا الاسم ولكن المقصود هنا طلبيرة لا رينا (Talavera La Reina)التي تبعد عن طليطلة ١٥٠كم. امّا غافق فهو حصن بالأندلس من أعمال فحص البلوط: ياقوت ، ج٤، ص ١٨٣ ؛ وامّا الحميرى فقد ذكر انه حصن اندلسي قرب حصن بطروش : الحميرى، ص ١٣٩. وقال د. مكيّ انه قرية صغيرة في منطقة البطروج او فحص البلوط وهو الآن من اعمال قرطبة ويقع في شمالها الغربي،اذ يبعد عنها مسافة ١٠٤ كم، ويسمّى ابو القصر(Belalcazar) وكان يسمّى قديما بالاسبانية (Ghete أو Gahet) وهو تحريف للاسم العربي غافق : ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٧٩(الحاشية ، تعليق، د. مكيّ).

(٢) هو سانشو راميرز (Sancho Ramirez) ملك ارغون ونبّره (نافار): ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٠.

(٣) تقع شنتبرية شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجه. امّا مليتة: فهو اسم أطلق على عدّة أماكن في الاندلس (اسبانيا) ولكن المقصود هنا حصن في مقاطعة كونكا، كونكه (Cuenca) شمالي شرق طليطلة يعرف بملينة ارغون (Molina de Aragon) وكانت تعرف قديما باسم اركبيقة (Ercavica) : ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٠ (الحاشية).

السادس (الفنش) [1] ولكنّ المصدر لم يوضح ما الذى فعله الفونسو السادس لنصرة القادر [2].

لم يكتف ابن هود بما استولى عليه من اراضي القادر بل قام بمداخلة نائب القادر على بلنسية أبي بكر بن عبد العزيز، وحثّه على ان يستقلّ بحكم بلنسية عن حكم القادر، ووعده بالدعم والتأييد وزيادة في التأكيد خطب احمد بن سليمان بن هود ابنة قائد بلنسية فزفّت اليه [3]، وبفعل ابن هود ذلك يكون قد ساعد على تمزيق وحدة دولة طليطلة واضعافها.

كما أن المصدر ذكر ان ابن هود وابن راميروا الأول (ابن ردمير) حاصرا كونكة (كنكة) التابعة لحكم القادر حتى شارف أهلها على الموت عطشا، ولولا انهم دفعوا أموالا كثيرة للقوات المُحاصِرة لهلكوا، صادف ذلك وصول الجيش الطليطلي بقيادة بشير الفتى الذى أرسله القادر لمحاربتهم، فانسحبت قوات الحليفين واكتفى القائد الطليطلي برجوعهما الى بلديهما لانه اعتبر ان انسحابهما دون خوض معركة معهما هي مكسب كبير له ولقواته [4].

---

(١) الفونسو السادس (الفنش) هو ابن فرديناند بن سانشو الملقب بالكبير وكان والده الملك فرديناند قد جعل له حكم ليون واشتوريس (استورياس) وحق الجزية السنوية التي يؤديها صاحب دولة طليطلة ابن ذى النون، قبل وفاته بعام أى عام ٤٥٦/٤٥٧هـ - ١٠٦٤م بحضور كبار الاساقفة ورجال الدولة في مجلس عقده في ليون، وجعل لابنه الاكبر سانشو حكم قشتالة وحق السيادة والجزية على دولة سرقسطة، وامّا جارسيا اصغر اولاده فقد خصّه بجليقية والبرتغال وحق الجزية على دولتي اشبيلية وبطليوس، الاّ ان سانشو اكبر الاخوة الثلاث ضمّ اليه مملكتي اخويه عام ١٠٧١م، الاّ ان الفونسو تمكّن من العودة الى الحكم بعد اغتيال شقيقه الاكبر عام ١٠٧٢م واصبح ملكا على الممالك الثلاث :انظر أشباخ، ص٢٠-٢٢.

(٢) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٠.

(٣) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٩ وذكر ابن خلدون والقلقشندى ان ابا بكر بن عبد العزيز هو نائب القادر حاكم الدولة الطليطلية على بلنسية فداخله ابن هود في التمرّد على القادر ففعل واستقلّ بحكمها سنة ٤٦٨هـ، وظلّ فيها حتى سقوط طليطلة عام ٤٧٨هـ، حيث ان القادر بمساعدة الفونسو (الفنش) استولى عليها : ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٩؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٣.

(٤) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨١.

ممّا سبق يلاحظ ان الصراع فيما بين دول الطوائف الاسلامية في الاندلس الـذى تمّثل في اقتتال دولتي سرقسطة وطليطلة واستعانة الواحدة منهما بالممالك النصرانية ضد الأخرى، قد أدّى الى تخريب ديار وحصون المسلمين وتدمير مواردهم الاقتصادية نتيجة لاحتدام الصراع بين الدولتين، وما رافقه من استغلال الممالك النصرانية لذلك الوضع، وقيامهم بشن الهجمات المتواصلة على مناطق الدولتين المتحاربتين، الأمر الـذى أدّى الى اشاعة الخوف والرعب في صفوف المسلمين لدرجة انهم لم يعودوا قادرين على مواجهة الأعداء، أو حتّى الثبات لهم في ميدان القتال اذا ما زحفت جموعهم وتغلغلت في ديار المسلمين فكانوا يولوّنهم الأدبار اذا ما ظهروا، ويكتفون بالتحصن داخل معاقلهم وحصونهم، هذا الوضع شجع الممالك النصرانية على زيادة عمليّاتهم ضدّ المسلمين وأكسبهم التفوق والقدرة على هزيمة قوات مسلمي الأندلس نتيجة للمعنوية التي بدأت تدبّ في كياناتهم، في حين ان تدنّي المعنويات وانعدامها عند مسلمي الدولتين أدّى فيما بعد ـ كما اعتقد ـ الى سقوط المناطق الاندلسية الواحدة تلو الأخرى، ومن النتائج التي ظهرت بسبب الصراع بين الدولتين المسلمتين وانشغالهما بالحرب فيما بينهما سقوط مناطق حدودية من كلا الجانبين المتصارعين بايدى الممالك النصرانية كقلهرة مثلا من دولة سرقسطة وبعض الحصون الطليطلية المحاذية لدولة قشتالة (١). ومن أسوأ المظاهر التي ترتبت على الصراع بين دولتي سرقسطة وطليطلة دفع الاموال وتقديم الهدايا الثمينة للنصارى من كلتا الدولتين مقابل قيامهم بشن هجمات على مناطق الدولة المسلمة الأخرى، هذا الواقع انعكس بالتالي على الوضع العسكرى والمالي للمسلمين والنصارى، فدفع الاموال للنصارى والاستمرار بذلك من قبل المسلمين أدّى الى توفير الاموال اللازمة للاعداء للاعداد الى حرب المسلمين، الـذى أدّى في النهاية الى اخراجهم من الاندلس نهائيا فيما بعد، كما أدّى تدفق الأموال للممالك النصرانية ايضا الى انتعاش اقتصاد تلك الممالك، وزيادة مقدراتهم على اعداد الجيوش، وتمتين مختلف جوانب قواهم، في حين ان ذلك أثّر بشكل واضح على ضعف الدويلات الاسلامية في النواحي المالية والعسكرية والسياسية، فلذلك يمكن القول

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٧٠ وما بعدها.

ان تلك الحرب المجنونة التي اشتعلت بين دول الطوائف زادت من قوّة الممالك النصرانية ، في حين أنها مزّقت امكانات وقدرات الدويلات الاسلامية في الأندلس ، وقد أثر ذلك في النهاية على الوجود الاسلامي بكامله في الاندلس في الفترات اللاحقة نتيجة لحالة الضعف والعجز السياسي والعسكرى والاقتصادى التي وصلت اليها دويلات الطوائف .

صراع طليطلة مع بقية دول الطوائف (قرطبة ، بطليوس [1] ، اشبيلية)

ان من اوائل النزاعات التي اندلعت بين دولة طليطلة ودول الطوائف الاسلامية الأخرى النزاع المسلّح بين طليطلة وقرطبة ابّان حكم الظافر اسماعيل بن ذى النون (٤٢٧ – ٤٣٥ هـ) ، والسبب المباشر الذى أشعل نار تلك الحرب هو رفض قادة دول الطوائف الانصياع والاعتراف بسلطة قرطبة عليهم ، وردّ دعوة جهور بن محمد بن جهور ، المتمثلة في الدعوة الى التوحد والعودة الى الاعتراف بسلطة قرطبة على مختلف مناطق واقاليم الأندلس [2] ، وعندما تأكد رجل قرطبة الأول فشل جهوده المتعلقة في اعادة فرض سلطان قرطبة على بقية مناطق الاندلس بالطرق السياسية ، مضافا اليه عجزه العسكرى في تحقيق ذلك بالقّوة على الدويلات القوية ، عندئذ وجّه جهوده نحو المناطق الأصغر وكلّه أمل في اعادة اخضاعها ، فبدأ بشنّ هجوم قوىّ على منطقة السهلة [3] ، بعد ان رفض حاكمها هذيل بن رزين الاستجابة لدعوته والانقياد لسلطانه ، فاستولى عليها بسهولة ، الا ان اسماعيل بن ذى النون المسؤول الأول في الدولة الطليطلية لم يقبل بما حدث لأن ذلك الواقع الجديد سيشكل في المستقبل مع السياسة التي ينتهجها جهور بن محمد خطرا على سلطانه ، فبادر على الفور بمهاجمة القوات القرطبية واستعاد السهلة وأعادها لحاكمها السابق [4] ، ومن

---

(١) بطليوس : من اقليم ماردة ، بينهما اربعون ميلا : الحميرى ، ص ٤٦ .

(٢) اشباخ ، ص ٣٦ . وانظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٥٠–٣٥١ بالنسبة لرفض اسماعيل أى دعوة الى الانقياد لسلطان غيره .

(٣) السهلة : تعرف بشنتبرية الشرق استولى عليها هذيل بن رزين المعروف بابن الأصلع عام ٤٠٣هـ كما انها عرفت بسهلة بني رزين: انظر ابن عذارى ، ج٣ ، ص ١٨١–١٨٢ و ص ٣٠٧–٣٠٨ من تاريخ لملوك الطوائف مبتور الأول والاخر ومجهول الاسم والمؤلف المذيّل على كتاب ابن عذارى .

(٤) اشباخ ، ص ٤٠–٤١ .

المعروف ان حكم اسماعيل امتد ما بين عامي ٤٢٧-٤٣٥هـ[1]، ولم يكتف اسماعيل بذلك القدر من الاعمال العسكرية بل انه قام بتهديد سلامة قرطبة نفسها، حتى ان المرجع الذى ذكر هذه الأحداث قال ان اسماعيل استولى على حصن المدور[2] القريب من قرطبة في تلك الفترة[3]، ومما زاد الامر خطورة بالنسبة لقرطبة وفاة رجلها الأول ابي الحزم جهور بن محمد عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م[4] في تلك الظروف الحرجة التي كانت تمر بها[5].

وذكر ابن عذارى ان أبا الوليد محمد بن جهور الذى خلف أباه في حكم قرطبة، أوكل الى ولده عبد الملك بعض شئون قرطبة فقام ذلك الولد باعمال في قرطبة اعتبرها القرطبيون من أعمال الجور والظلم، فكان انتقام الله لهم منه، كما اعتقدوا ان الله سلّط عليه المأمون بن ذى النون فضايقه حتى استولى على حصن المدّور، كما ان المأمون حاصره بقرطبة فاستعان بالمعتمد بن عبّاد الأمر الذى أسفر عن انسحاب المأمون ورجوعه الى بلاده، وقيام القوات الاشبيلية بالاستيلاء على قرطبة والاطاحة بحكم بني جهور[6]. كما ان ابن عذارى ذكر ايضا ان عام ٤٥٦هـ كان هو العام الذى فوّض فيه ابو الوليد محمد ابن جهور الى ولديه عبد الرحمن وعبد الملك بعض امور الحكم، الا ان عبد الملك

---

(١) ذكر ابن خلدون والقلقشندى ان بداية حكم اسماعيل طليطلة حدث عام ٤٢٧هـ : ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢. وظل اسماعيل حاكمالها حتى عام وفاته ٤٣٥ هـ: ابن سعيد، ج٢، ص ١٢(قول ابن غالب)؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٠، وقيل ان وفاته كانت عام ٤٢٩هـ :ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٧؛القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢.

(٢) حصن المدور: هو عبارة عن مدينة في غاية الحصانة والمنعة يقع على مقربة من قرطبة : ياقوت ، معجم البلدان، ج ٥، ص ٧٧.

(٣) اشباخ ، ص ٤١.

(٤) توفي جهور في شهر صفر من عام ٤٣٥هـ: الحُميدى ، ص ٢٩؛ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٥ ؛ المرّاكشي، ص ١١٢؛ابن سعيد، ج١، ص ٥٦. وذكر ابن عذارى، ان وفاته كانت من العام نفسه السابق لكن في شهر محرّم: ابن عذارى، ج٣، ص ١٨٧.

(٥) اشباخ ، ص ٤١.

(٦) ابن عذارى ، ج ٣، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ (قول صاحب كتاب الانباء في سياسة الرؤساء).

ما لبث ان تفوّق على اخيه بسبب تقاربه مع المعتضد بن عبّاد وخاصة بعد ان زاره باشبيلية ، فاستبّد بالأمر دون اخيه ، ونتيجة لتجاوزاته كرهه الناس ، وقال ابن عذاري[١] في موضع آخر ان المأمون استولى على حصن المدور في الزمن الذى قدّم فيه محمد بن جهور ابنه عبد الملك الى الحكم . ممّا ذكره ابن عذارى[٢] يلاحظ ان حصن المدور سقط بايدي القوات الطليطلية بعد ظهور شخصية عبد الملك بن محمد بن جهور على مسرح السياسة في قرطبة في ظل حياة والده ، أى بعد عام ٤٥٦هـ، كما ويلاحظ ان المأمون قام بمحاصرة قرطبة بعد سقوط حصن المدوّر، الأمر الذى دفع عبد الملك الى طلب النجدة من المعتمد بن عبّاد ، ـ ومن المعروف ان المعتمد بن عبّاد تولّى الحكم عام ٤٦١هـ بعد وفاة والده المعتضد ـ ، وأن طلب المعونة كان قبيل سقوط قرطبة بأيدى القوات[٣] الاشبيلية التي قدمت لمناصرتها ضد طليطلة في عام ٤٦٢هـ[٤] . لذلك يمكن القول ان طليطلة استولت على المدور بعد عام ٤٥٦هـ وقبل عام ٤٦١هـ، اذ من المستبعد ان تكون قوّة قرطبة التي كانت في أوج عظمتها في تلك الفترة ابّان عهد دولة آل جهور، قد وصلت الى هذا الحدّ من الانهيار والضعف بمثل تلك السرعة وأعتقد ان الوضع كان كالتالي: ان اسماعيل بن ذى النون تمكّن من استعادة السهلة واعادة حاكمها السابق لها ، وأنه تجاوز هذا الحدّ وهاجم المناطق القرطبية وبذلك يكون قد شكّل خطرا على دولة آل جهور في قرطبة ، هذا الوضع الذى صارت اليه الأمور بين دولتي قرطبة وطليطلة شهد تطورات مهمّة عام ٤٣٥هـ، اذ ان رجلي الدولتين المتنازعتين توفيا ، فابو الحزم جهور بن محمد توفي عام ٤٣٥هـ، ثم بعد ذلك وفي العام نفسه توفي اسماعيل بن ذى النون.

---

(١) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ابن عذارى، ج٣، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٣) ابن بسام ، ق:١ ، م:٢، ص ١٢٤ ؛ ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٥٧(قول ابن بسام).

(٤) ابن بسام، ق:١، م:٢، ص ١٢٥ ؛ وانظر ابن عذارى، ج٣، ص ١٨٧، ٢٥٩ فانه ذكر ان بداية حكم ابي الوليد محمد بن جهور كانت سنة ٤٣٥هـ وعندما سقطت قرطبة بايدى قوات اشبيلية تكون دولته قد استمرت ستّا وعشرين سنة وستة اشهر ونصفا ، ولذلك اذا ما أضيفت ٢٦ سنة الى عام ٤٣٥هـ يكون زمن سقوط قرطبة بايدى قوات المعتمد عام ٤٦٢هـ . كما ان المصدر ذكر قول ابن بسام في ذلك، انظر ابن عذارى ، ج ٣ ، ص ٢٥٧.

ومن حسن حظ الدولة القرطبية في تلك الفترة اشتعال الحرب المدمرّة بين دولتي سرقسطة وطليطلة في الفترة الواقعة ما بين عامي ٤٣٥-٤٣٨هـ وما رافق ذلك من قيام ملك قشتالة وليون وجليقية مهاجمة المناطق الطليطلية الشمالية ، مساعدة لسرقسطة التي كانت تدفع له اموالا طائلة مقابل القيام بمثل تلك الهجمات (١)، هذا الوضع عاد على قرطبة بفائدة على المدى القريب اذ انه خفف عن كاهلها خطر مهاجمة القوات الطليطلية لها مجتمعة بكامل قواها وساعدها ذلك في مدّ عمرها ، نظرا لانشغال طليطلة في حربها مع سرقسطة وتعرض مناطق طليطلة الشمالية للهجوم من قبل قوات قشتالة الأمر الذى تطلّب ابقاء قوات كبيرة من القوات الطليطلية على الحدود الشرقية مع سرقسطة وعلى الحدود الشمالية مع دولة قشتالة وليون، وقد أشار الى هذا المعنى المؤرخ الالماني اشباخ عندما قال ان الهزيمة كانت ستغدو المصير المنتظر بالنسبة لآل جهور لولا الهجمات التي قامت بها قوات من مملكة قشتالة وليون على المناطق الطليطلية المحاذية للمملكة النصرانية ، ذلك الوضع أجبر المأمون بن ذى النون على القيام بعقد الهدنة اكثر من مرّة مع قرطبة ، وعندما التزمت طليطلة باداء مقادير معينة من الاموال لقشتالة (٢)، عندها تمكنّت من العودة الى فتح المعركة مع قرطبة وتكللت حروبها معها بالنجاح واستفادت في ذلك من جرّاء تحالفها مع عبد العزيز بن عامر صاحب بلنسية (٣).

بعد ان توقفت الحرب على الجبهة السرقسطية الطليطلية عام ٤٣٨هـ، بدأ المأمون ابن ذى النون حربا جديدة مع بني الافطس ببطليوس لم توضح المصادر التي اطلّعت عليها طبيعة الصراع ومجرياته ، واكتفت بالقول ان طليطلة اشتبكت مع بطليوس في

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٦٤-٣٧٠.

(٢) ذكر عنان ان ذلك حدث عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م: عنان، دول، ص ١٠٠. وذكر ابن عذارى ، ان مقادير من المال كانت تدفع من قبل دويلات الطوائف الى مملكة قشتالة وليون قبل عام ٤٥٨هـ عام وفاة فردناند الأمر الذى قوّى النصارى ، في حين ان ذلك زاد من ضعف دويلات الطوائف الاسلامية ، ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣. وذكر النويّرى ان المأمون وافق لملك قشتالة على أداء مقادير من المال كل عام بعد ان سلّم اليه ايضا بعض الحصون : انظر النويّرى ، ج ٢٣، ص ٤٤١.

(٣) اشباخ ، ص ٤١.

عدّة معارك[1] ولكنّها ما لبثت وان انشغلت عن ذلك بصراعها مع اشبيلية[2] ، ذلك الصراع الذى نتج بسبب التنافس بين الدولتين الاشبيلية والطليطلية[3] ، اذ ان تقاربا بين اشبيلية وقرطبة قد حدث كما ذكر ابن عذارى عام ٤٥٦هـ[4] وانضمت بطليوس الى ذلك التحالف ، وقد أشار ابن عذارى الى هذا التحالف عندما ذكر ان ابن جهور توسّط بين[5] بني الافطس وبني عبّاد الذين كانوا يخوضون غمار حرب دامية فيما بينهما عام ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ، وقد تمّت المصالحة بينهما عام ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[6] ، في المقابل قام تحالف بين طليطلة وبلنسية والسهلة ، بالاضافة الى انضمام قوات من فرسان قشتالة الى القوات الطليطلية[7] . وبعد ان حدثت عدّة معارك خلال بضعة أعوام قرّر المأمون ان يتوجه بكامل قواته وقوات حلفائه الى لقاء حاسم مع اعدائه ، فاحتدمت بين الجانبين معركة قوية أسفرت في نتيجتها عن هزيمة القوات القرطبية والبطليوسية والاشبيلية عام ٤٥٢ هـ / ١٠٦٠م حسب ما أورده اشباخ[8] . ويفهم مما ذكرته بعض المصادر ان قوات بلنسية كانت هي الاخرى من ضمن القوات التي حشدها المأمون بصفته الحاكم العام لبلنسية ، وذلك

---

(١) مال عنان الى القول ان معارك نشبت بين بني الافطس وبني ذى النون بعد سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م : عنان ، دول ، ص ٩٩ .

(٢) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٨٢-٢٨٣ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٧٨ .

(٣) ذكر ابن بسام ان التنافس كان واقعا بين اشبيلية وطليطلة عندما استغاث آل جهور ببني عبّاد : ابن بسام ، ق:١ ، م:٢ ، ص ١٢٨-١٢٩ .

(٤) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٨ (قول الورّاق) .

(٥) اشباخ ، ص ٤٥ وذكر ان بطليوس انضمت للتحالف ولكنه لا يتفق مع ابن عذارى في التاريخ الذى ذكره عام ٤٥٦هـ .

(٦) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٢ ؛ وانظر أشباخ ، ص ٤٥-٤٦ فانّه ذكر ان التحالف بدأ عام ٤٤٣هـ .

(٧) أشباخ ، ص ٤٦ .

(٨) أشباخ ، ص ٤٦-٤٧ ، ٤٨ .

لأنه استولى عليها عام ٤٥٧ هـ (١)، وفي قول آخر ان ذلك حدث عام ٤٥٨هـ (٢) .

وما أسفرت عنه المعركة كان بالغ الاهمّية بالنسبة لمجريات الاحداث في الاندلس في عهد دول الطوائف فقد غيّر ميزان القوى في الاندلس فمال لصالح دولة طليطلة ، وتقدمت على اثر ذلك القوات الطليطلية نحو قرطبة وحاصرتها (٣) ، الآ ان طلب النجدة

---

(١) ابن الأثير ، ج٩، ص ٢٨٩-٢٩٠ ; ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٧١-١٧٢ .

(٢) ذكر ابن عذارى ان المأمون استولى على بلنسية عام ٤٥٨هـ من يدى زوج ابنته عبد الملك بن عبد العزيز بن ابي عامر بسبب اساءته معاملة زوجته ، لذلك عمل المأمون بالتعاون مع وزير صهره ، المدعو ابو بكر بن عبد العزيز* على الاطاحة به وتقدّم المأمون من طليطلة الى بلنسية على سبيل الزيارة فدخل قصر صهره بكل سهولة ، ونفذ خطته وقبض على صهره وابنه واخرجهما الى مدينة شنت برينة+ التابعة للمأمون، وبعمل المأمون ذلك تكون عدّة مناطق من شرق الاندلس قدخضعت له بسهولة نظرا لتبعيتها لصاحب بلنسية : انظر ابن عذارى، ج٣، ص ٢٦٦-٢٦٧ . *هو الوزير ابو بكر بن عبد العزيز، ساعد المأمون على ازالة حكم آل ابن ابي عامر من بلنسية فكافأه المأمون ان جعله حاكما لها بالنيابة عنه : انظر ابن بسام ، ق٣: م١، ص ٤١ . +وقيل انه اخرجهما الى كونكة : ابن الابّار ، الحلّة ، ج٢، ص ١٧١ . وذكر اشباخ ان المأمون طلب من صهره صاحب بلنسية ان يبعث اليه بقوات لمساعدته في حرب قرطبة واشبيلية وبطليوس ولكنّ صاحب بلنسية اعتذر عن ذلك متعللاً بان معظم المناطق التابعة لبلنسية متحالفة مع اشبيلية كبطليوس وشاطبة ودانية والمرية ومربيطر(مرفيدور)، وانه اذا ما أقدم على دخول الحرب الى جانب طليطلة فان ذلك الفعل سيؤدى الى فقدان بلنسية لولاء تلك المناطق التي كانت تربط القائمين عليها بقادة بلنسية رابطة الولاء للعامريين، عند ذلك قام المأمون بالتوجه الى بلنسية وتمكّن من الاستيلاء عليها واخراج صهره منها وضمّها اليه ، فلذلك أصبح المأمون أمير بلنسية ، وبالتالي فان قواتها أصبحت قواته ، لذلك شاركت القوات البلنسية في المعركة الى جانب قوات السهلة وطليطلة والفرسان القشتاليين : أشباخ ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) اشباخ ، ص ٤٦-٤٧ . واكتفت المصادر الاسلامية بالقول ان المأمون قام بمحاصرة قرطبة عام ٤٦٢هـ : ابن بسام، ق١: م٢، ص ١٢٤ ; ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ; ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤٩ .

والاستغاثة الذى تقدمت به قرطبة الى حليفتها اشبيلية حال دون سقوط قرطبة بايدى القوات الطليطلية ، اذ ان اشبيلية قررّت وفقا لحساباتها ومخططاتها ان تزجّ بقوات كبيرة في المعركة الى جانب قرطبة ، التي شارفت على السقوط وبذلك تكون قد وضعت ثقلها الكامل في المعركة (١) ، وصلت القوات الاشبيلية الى قرطبة ، واشتبكت مع الجيش الطليطلي المحاصر، فكان من نتائج ذلك الاشتباك رفع القوات الطليطلية الحصار عن قرطبة (٢) ، وذُكر انّ القوات الاشبيلية وصلت الى قرطبة ممّا مكّن الأخيرة من الصمود ، فسئمت القوات الطليطلية الحصار فانسحبت القوات الطليطلية بعد ان فقدت الأمل في جدوى مواصلة الحصار وخاصة مع وصول تلك الامدادات الاشبيلية العسكرية لقرطبة ، فعاد المأمون بن ذى النون الى طليطلة وصدره يتأجج غيظا على اشبيلية (٣) ، وحدث ذلك كما بيّنت بعض المصادر عام ٤٦٢هـ (٤) ، وليس عام ٤٥٢هـ كما ذكر اشباخ (٥) .

الا أن ارسال معظم القوات الاشبيلية وزجّها في تلك المخاطرة غير مضمونة النتائج لم تكن نخوة ونصرة للمستغيثين ، او نخوة لحماية الاصدقاء؟ انما كانت لتحقيق مآرب خاصة ، فما ان ابتعدت القوات الطليطلية حتى استولت القوات الاشبيلية على قرطبة وفقا لتعليمات سرّية زودهم بها المعتمد بن عبّاد ، والتي من أجلها كان

---

(١) ابن بسام ، ق:١ ، م:٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤٩-١٥٠ .

(٢) ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٩ (قول الورّاق) .

(٣) ابن بسام ، ق:١ ، م:٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٠ (قول صاحب كتاب الانباء في سياسة الرؤساء ، وقول ابن بسام) ؛ وانظر ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥٠ .

(٤) ابن بسام ، ق:١ ، م:٢ ، ص ١٢٤ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٤٩ وذكر في موضع آخر ان ذلك حدث عام ٤٦١هـ في شهر شعبان منها ، ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥٠ . وذكر ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٤ .

(٥) انظر أشباخ ، ص ٤٨ .

ارساله تلك القوات الضخمة لمواجهة الجيش الطليطلي (١) ، والتي من المحتمل ان عواقب المواجهة ستكون في غير صالحه ، وعندئذ يكون قد عرّض نفسه لخطر كبير نظرا لما سيفقده من اعداد كبيرة من قواته ، اذ لا يمكن له تعويض تلك الخسائر بالسهولة والسرعة المطلوبة ، ممّا سيشكل خطرا كبيرا ومباشرا عليه من قبل طليطلة ، التي ستتمكن من مهاجمة اشبيلية بعد استيلائها على قرطبة لو انتصرت . ولكن حسابات المعتمد جاءت كما رسم وخطط، وبذلك تكون العداوة قد وصلت الى أعلى درجاتها ، والتي نتجت أصلا عن الصراع والتنافس على السيادة على المناطق الاندلسية .

ولكن الصراع لم يتوقف عند هذا الحدّ ، فاستغلّ المأمون انضمام القائد ابن عكاشة اليه مع بعض الموالين له الذى أخذ بدوره في تدبير أمر الاستيلاء على قرطبة وتعهّد للمأمون بتخليصها من سيطرة ابن عبّاد واخضاعها لسلطته وفعلا تمكّن ذلك القائد في إحدى ليالي الشتاء من اقتحام الأسوار ومحاصرة قصر قرطبة الذى كان يقيم فيه حاكمها الجديد عبّاد بن المعتمد ، ونجم عن ذلك الاقتحام الجريء قتل ابن المعتمد

---

(١) ويفهم ذلك ممّا اوردته بعض المصادر ، انظر ابن بسام ، ق:١ ، م:٢ ، ص ١٢٥ ؛ ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٧ كما ان المصدر ذكر ان العبادّيين كانوا يطمحون الى الاستيلاء على قرطبة : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٦ وورد عند ابن عذارى ايضا قول لابن الورّاق زعم فيه ان أهل قرطبة هم الذين اجتمعوا بعد رحيل القوات الطليطلية وقرروا بمساعدة القوات الاشبيلية الاطاحة بحكم بني جهور وتأييد تولّي حكم بني عبّاد على قرطبة : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٥٩ (قول الورّاق) . وكما ان صاحب كتاب الانباء في سياسة الرؤساء قال ان اهل قرطبة هم الذين ناشدوا القوات الاشبيلية تخليصهم من حكم بني جهور : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٢٦٠ (عن كتاب الانباء) . ولا يمكن تقبّل هذه الاقوال بسهولة لانّها كما هو واضح تريد ان تبررّ ما فعله المعتمد بن عبّاد من الغدر ببني جهور موحية ان ذلك كان مطلبا قرطبيا وما دام كذلك فقد نزل جند المعتمد عند رغبتهم . وذكر ابن الخطيب ان مؤامرة حاكتها القوات الاشبيلية للاطاحة بحكم بني جهور وضمّ قرطبة الى اشبيلية : ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥٠ .

والسيطرة على قرطبة[1]، وبذلك يكون قد تمّ اسقاط الحكم الاشبيلي لقرطبة عام ٤٦٧هـ، عند ذلك ارسل ابن عكاشة الى المأمون يخبره بما تحقق ، فقدم المأمون اليها على وجه السرعة في شهر جمادى الآخرة من عام ٤٦٧هـ، وظل فيها الى ان توفي بعد ستة أشهر من دخولها في شهر ذى القعدة من العام نفسه[2] ، وقيل ان سبب وفاة المأمون كانت ناتجة عن تجرّعه سمّا دسّ اليه[3] .

---

(١) ابن الأثير، ج٩، ص ٢٨٧ ؛ وانظر ابن الأبّار، ج٢، ص ١٧٧ فانه قال ان ابن عكاشة لحق بالمأمون فنصح له ، فولّاه بعض الحصون المجاورة لقرطبة ، وتمكّن اخيرا أن الدخول اليها وقتل عبّاد بن المعتمد، عندئذ ارسل الى المأمون بالخبر فقدم اليها ؛ وانظر ابن الخطيب ،أعمال، ص ١٥٨ فقد ذكر ان المعتمد استعمل على قرطبة ابنه ، فداخل المأمون ابن عكاشة بخصوص قرطبة وكان من قادة الحصون المجاورة لها ، فاستعدّ ابن عكاشة باخضاعها للمأمون، ففتح له بعض انصاره بعض أبوابها ليلا فدخلها مع بعض قواته فتمكن من السيطرة عليها .. وانضمت الى قوات ابن عكاشة بعض الجموع، فاقام الدعوة الذنونيّة ، واخبر المأمون بالخبر، فلحق المأمون بقرطبة واخذ بيعة أهلها قادما من بلنسية عام ٤٦٧هـ؛ وانظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٤ فانه اورد في كتابه ان مراسلة جرت بين المأمون وابن عكاشة ــ بعد استيلاء القوات الاشبيلية على قرطبة ــ، تمّ بموجبها ارسال قوات طليطلية الى ابن عكاشة بالاضافة الى الموالين له ، وكان يسيطر على بعض الحصون ، فاظهر للمأمون طاعة مشوبة بمعصية ، فتمكن ابن عكاشة من دخول قرطبة ليلا ودخل الى القصر، ومكّن ذلك المأمون من السيطرة على قرطبة ؛ ثم انظر ابن خاقان ، قلائد، ص ١٢ فانه اكتفى بالقول ان ابن عكاشة شار في إحدى الليالي على ابن المعتمد الذى كان يتولّى حكم قرطبة ، وقال ابن سعيد ان ابن عكاشة دخل قرطبة وقتل ابن المعتمد ونتيجة لذلك صارت قرطبة للمأمون: ابن سعيد، ج١، ص ٥٧ ؛ وانظر كذلك القلقشندى ، صبح، ج ٥، ص ٢٥٠.

(٢) ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ١٧٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٥٨-١٥٩، ١٧٨.

(٣) النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٤؛ ابن خلدون، م٤: ص ٣٤٧؛ القلقشندى، صبح، ص ٢٥٠: وقد ورد عند النويّرى ان ابن عبّاد تآمر مع طبيب المأمون فدسّ الطبيب للمأمون السُم، النويّرى ، ج٢، ص ٤٤٤، كما ورد عنده ايضا وفي الصفحة نفسها ان ابن عكاشة كان بطبع المأمون طاعة مشوبة بمعصية ، فلربما ان المأمون حاول التخلص من ابن عكاشة نظرا لخشيته منه ، ان يستقل بقرطبة فلذلك حاول ازاحته أو أنّه فكّر بذلك بصوت مرتفع ، فكان سُمّ ابن عكاشة أُسرع اليه فمات المأمون، وحكم ابن عكاشة قرطبة نائبا عن حفيد المأمون القادر، ومن المحتمل ان هذا هو مطلبه لكي يوثق سلطانه ويعلن استقلاله .

وبعد أن تمكّن المأمون من الاستيلاء على حكم بلنسية واخضاعها لحكمه مباشرة عام ٤٥٧هـ، وفي قول آخر عام ٤٥٨هـ، اتجه كما بيّنتُ(١) الى قرطبة محاولا ضمّها الى ممتلكاته عام ٤٦٢هـ الا ان جهوده باءت بالفشل بعد ان تدخلت قوات اشبيلية باعداد ضخمة الى جانب قرطبة، والأمر الذى كاد طليطلة بشكل كبير هو استيلاء القوات الاشبيلية على قرطبة التي قدمت لمناصرتها ضد طليطلة(٢)، هذا الفشل الذى لحق بطليطلة الى جانب سيطرة القوات الطليطلية على بلنسية، جعل المأمون بن ذى النون يقرّر القيام باخضاع المناطق التي كانت تتبع لبلنسية مثل مرسية واوريولة (تدمير)، متذرعا ان هاتين المنطقتين كانتا تتبعان بالولاء الى بلنسية قبل استيلائه عليها عام ٤٥٧هـ، وهو بصفته الحاكم الشرعي لبلنسية أصبح صاحب السيادة عليهما، وبما أنهما كانتا متحالفتين مع اشبيلية فقد اتخذ قرارا بارسال قوات كبيرة للسيطرة عليهما واخضاعهما لسلطته(٣)، لعلّه بذلك يسترد ما فقده من هيبة من جرّاء استيلاء اشبيلية على قرطبة، فحاصرهما، الا ان المعتمد بن عبّاد صاحب اشبيلية منافسه القوى في الاندلس قرّر وعلى عجل ارسال تعزيزات وامدادات من اشبيلية لمناصرة حلفائه في هاتين المنطقتين، الا ان النجدة كانت صغيرة بالمقارنة مع القوات الطليطلية الأمر الذى جعل قائد القوات الاشبيلية الوزير ابن عمّار مع قادة مرسية يُقدمون على جمع مبلغ عشرة آلاف دينار من الذهب من المواطنين وارسالها الى الكونت ريموند برنجار أمير برشلونة (امير امارة قطلونيا) مقابل امدادهم ببعض القوات للتصدى للقوات الطليطلية نظرا لانشغال اشبيلية آنذاك بحرب مستمّرة مع الأدارسة في المنطقة الجنوبية من الأندلس، وبعد أن تعاهد الطرفان على ذلك توجه الكونت ريموند على رأس قوات منتخبة من الفرسان لمناصرة القوات الاشبيلية وانقاذ مرسية من خطر السقوط بايدى القوات الطليطلية، الا ان ريموند برنجار فوجئ بأنّ حجم القوات الطليطلية كان يفوق مجموع قواته وقوات حلفائه بكثير، فرأى عند ذلك ان من صالحه الانسحاب والعودة الى بلاده لأن ميزان القوى كان غير متكافئ وان النصر سيكون حليفا للقوات الطليطلية في أيّة مواجهة ستحدث معها، فقرّر الانسحاب،

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨١.
(٢) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨٢-٣٨٣.
(٣) أشباخ، ص ٥٠-٥١.

الا ان القوات الطليطلية فرضت عليه وعلى حلفائه خوض غمار معركة دامية كان النصر فيها حليفا للطليطليين عام ٤٦٥-٤٦٦هـ الموافق عام ١٠٧٣م وبذلك تكون طليطلة قد سيطرت على معظم المناطق التابعة لبلنسية ، واصبحت نتيجة لذلك تسيطر على مساحة كبيرة من الاراضي الاندلسية في عهد المأمون (١) .

وبتدقيق النظر في الأحداث السابقه يلاحظ ان أواخر عام ٤٦٥هـ بداية عام ٤٦٦هـ/ الموافق ١٠٧٣م شهد تحرّك القوات الطليطلية للسيطرة على المناطق الشرقية لمنطقة بلنسية ، وبما ان طليطلة قد أوكلت أمر مهاجمة قرطبة والسيطرة عليها الى ابن عكاشة الذى كان يسيطر على بعض الحصون القريبة من قرطبة (٢) ، فإن المأمون يكون بتوجهه الى مرسية وأوريولة (تدمير) قد وجّه اهتمام اشبيلية ولفت انتباهها الى المناطق الشرقية التابعة لبلنسية ، في حين ان همّه وهدفه كانا منصبين على قرطبة . وأعتقد أن توجهه ذلك كان لاجراء مناورة تمويهية على اشبيلية واخفاء أهدافه وخططه الحقيقية ، ويتضح ذلك من خلال ما ذكرته بعض المصادر من ان ابن عكاشة سار مع بعض قواته وتمكن من الدخول الى قرطبة بواسطة بعض أعوانه الذين كانوا بداخل قرطبة اذ انهم ساعدوا على فتح الابواب له ممّا مكّنه من الدخول اليها وبالتالي لحاق باقي قواته به ، وساعده في السيطرة على المدينة بعض العامة من أهلها بعد أن رأوا ان الكفة مالت الى جانبه ؛ بعد ذلك قدم المأمون اليها من بلنسية في شهر جمادى من عام ٤٦٧هـ (٣) ، وأعتقد ان وجود المأمون في بلنسية اثناء اقتحام ابن عكاشة قرطبة كان للمناورة والتمويه واخفاء الخطة المعدّة للاستيلاء على قرطبة التي كانت ستنفذّها قوات ابن عكاشه ، فتمت الأمور بنجاح ، وبعد ان وصلت أخبار النجاح الذى حققه ابن عكاشه للمأمون ، توجه اليها فورا ، وباستيلاء طليطلة على قرطبة تكون الدولة الطليطلية قد بلغت أوج عظمتها واتساعها في عهد المأمون بن ذى النون .

---

(١) أشباخ ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) تحالف ابن عكاشة مع المأمون ووضع نفسه تحت تصرفه ، وتعهدّ له بتخليص قرطبة : ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٨٧ ؛ ابن الابّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١٧٧ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص١٥٨-١٥٩ ؛ النويري ، ج٢٣ ، ص ٤٤٤ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٥٨ ؛ وانظر ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٢٨٧ ؛ ابن الأبّار ، الحلّة ، ج٢ ، ص ١٧٧ ؛ النويري ، ج٢٣ ، ص ٤٤٤ .

<u>الحدود التي بلغتها دولة طليطلة إبّان عهد المأمون</u> : من خلال ما مرّ ذكره من اسماء لبعض المناطق التي كانت تابعة لدولة طليطلة ابّان عهد المأمون يحيى بن اسماعيل بن ذى النون، يمكن التوصل الى رسم صورة تقريبية للحدود التي بلغتها دولة طليطلة في عهد دول الطوائف ، من المعروف ان بداية بني ذى النون بدأت في منطقة شنتبرية وفي حصن اقليش ، وامتدت الى كونكة وحصن افلنتين، ومن ثمّ توسّعت بعد ذلك في عهد اسماعيل ابن ذى النون لتشمل مدينة طليطلة والمناطق القريبة منها التي كانت تعتبر من توابعها حتى وصلت الى جنجالة من عمل مرسية (١) ، كما أن الحرب التي اندلعت بين طليطلة وسرقسطة وضّحت الى حدّ ما المناطق التابعة لطليطلة من الجهة الشرقية الشمالية كمنطقة مدينة سالم ووادى الحجارة (٢) ، وكذلك الصراع بين طليطلة وقرطبة ،اذ يتبين من خلاله أن الحدود الجنوبية لطليطلة كانت على مقربة من مدينة قرطبة ، وتوسعت جنوبا وخاصة بعد الاستيلاء على حصن المدوّر القريب من قرطبة ، الى ان تمّ الاستيلاء على قرطبة نفسها عام ٤٦٧هـ (٣) ، أمّا بالنسبة للجهة الشرقية وخاصة الجنوبية منها ، فإنّ حدود الدولة الطليطلية قد امتدت لتشمل المناطق التالية : بلنسية التي تمّ الاستيلاء عليها خلال عامي ٤٥٧/ ٤٥٨هـ (٤) وبالتالي امتداد النفوذ والسيطرة الطليطلية الى المناطق التي كانت تابعة بولائها لبلنسية مثل مربيطر وشاطبة ودانية ، وأخيرا امتدّت الحدود الطليطلية الى مرسية واوريولة (تدمير) بعد الاستيلاء عليهما عام ٤٦٥/٤٦٦هـ -١٠٧٣م (٥) .

حاول عنان ان يبيّن ملامح الحدود التي امتدت اليها دولة طليطلة فقال: ان دولة طليطلة كانت تشمل رقعة كبيرة من الأرض في قلب الأندلس تمتد شرقي بطليوس من قورية وترجالة نحو الشمال الشرقي، حتّى مدينة قلعة أيّوب وشنتمرية الشرق، جنوب غربي دولة

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٤٨ - ٣٥٣ ، وتقع جنجالة في طرف كورة اوريولة (تدمير) ممّا يلي الجوف ، وعُرفت ايضا باسم شنتجالة : الحميرى، ص ١٢٢، وحصن جنجالة يقع في شمال مرسية : الحميرى ، ص ٦٧.

(٢) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٧٧- ٣٨٤.

(٤) وقد استمر الحكم الطليطلي لبلنسية حتى عام ٤٦٨هـ : انظر هذه الدراسة ، ف ٥ ، ص ٣٧٤ (الحاشية).

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٨١، ٣٨٥-٣٨٦.

بني هود في الثغر الأعلى، وتمتد شمالا باتجاه الشرق قليلا فيما وراء نهر التاجه متاخمة لقشتالة القديمة، وجنوبا باتجاه الغرب قليلا حدود دولة قرطبة عند مدينتي المعدن والمدور وتتوسطها عاصمتها طليطلة، ومن أعمالهما مدينة سالم ووادى الحجارة وقونقة (وكونكة) ووبذة واقليش ومورة وطلبيرة وترجالة وأشار الى ان مناطق أخرى كانت من توابع دويلة طليطلة، الا انه لم يذكرها (١)، ومن الملاحظات التي تؤخذ على ما ذكره عنان أنه لم يذكر قرطبة، واعتقد أن ذلك عائد الى ان سلطة طليطلة لم تدم طويلا عليها بسبب استعادة اشبيلية لها، في الشهر نفسه من العام نفسه الذى توفي فيه المأمون أى في شهر ذى القعدة من عام ٤٦٧هـ (٢)، وعلى أبعد تقدير فان سقوط قرطبة بايدي القوات الاشبيلية كان عام ٤٦٩هـ (٣). ومما سبق يلاحظ ان المساحة التي امتدت اليها الحدود الطليطلية في عهد المأمون قد بلغت أقصى درجة اتساع لها ابان عهد دويلات الطوائف.

طليطلة في عهد القادر بن ذى النون :

وبوفاة المأمون رجل طليطلة القوي تفككت دولته القوية الشاسعة وبدأ الضعف والانحسار يدبان في أوصالها وأركانها، فحل مكانه حفيده القادر يحيى الذى لم يكن رجل المرحلة، بسبب ضعفه وقلة خبرته، فطمع الطامعون بدولته المترامية الأطراف، فتقدم أحمد بن سليمان بن هود حاكم سرقسطة من جهته واستولى على شنتبرية ومليننة (اركبيقة) بمساعدة قوات من مملكة نبرة (نافار) وارغون بقيادة سانشو بن راميرو الأول (ابن ردمير) Sancho Ramizrez (٤)، كما ان ابن هود وابن راميرو حاولا الاستيلاء على كونكة (كنكة) Cuenca (٥)، كما ان المعتمد بن عباد انتزع من القادر قرطبة وطلبيرة وغافق وبعض المناطق المجاورة لهاتين المنطقتين (٦).

---

(١) عنان، دول، ص ٩٤.

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ص ١٥٩.

(٣) ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٤.

(٤) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٩-٨٠.

(٥) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨١. وذكر ياقوت ان قونكة مدينة أندلسية من أعمال شنتبرية: ياقوت، ج٤، ص ٤١٥.

(٦) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٩، وانظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٧٣ (الحاشية).

وتقدمت القوات القشتالية وهاجمت المناطق الشمالية من الدولة الطليطلية بقوة ، واستولت على بعض الحصون كحصن سرية وحصن قورية [(١)] ، بعد قيام ثورة داخلية في مدينة طليطلة ضد القادر في الزمن الذى قتل فيه ابن الحديدى(ابن الحريرى) [(٢)] ، أى عام ٤٧٢هـ [(٣)] ، التي أدّت في النهاية الى هروب القادر ومعه بعض حاشيته واسرته من طليطلة الى وبذة Huete [(٤)] ، وذكر ان القادر عاش الفترة التي امضاها خارج طليطلة في مدينة كونكة (قونكة) [(٥)] وخروج القادر كان بسبب اشتداد القلاقل والاضطرابات داخل طليطلة ، وأثّرت تلك الاحداث بالاضافة الى خروج القادر على الوضع الطليطلي ممّا زاد في ترديه [(٦)] ، وهكذا فانّ هذا الوضع الذى أضحت عليه طليطلة الذى تمثّل في عدم وجود حكومة

---

(١) حصنان يقعان بالقرب من الحدود القشتالية ، ومن المحتمل انهما اللذان يعرفان الأن باسم Soria أو Coria أو Conoria : ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٣. وذكر ابن الخطيب ان السبب الذى دفع المعتمد بن عبّاد الى استدعاء يوسف بن تاشفين للقدوم الى الأندلس هو استيلاء النصارى على مدينتي قورية وطليطلة : ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٢٧. وفي حاشية ابن الخطيب من الصفحة نفسها ذكر المحقق بروفنسال ان قورية Coria مدينة تقع في شمال غرب طليطلة على أحد فروع نهر التاجه .

(٢) ورد في بعض المصادر ان اسمه ابن الحديدى: ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥٤ ؛ ابن بشكوال، ق:١، ص ٢٢٣ ؛ابن سعيد، ج٢، ص ١٣ ؛ ابن عذارى، ج٣، ص ٢٧٧.

(٣) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص٣٥٦-٣٥٧ بالنسبة لمقتل ابن الحديدى ، وانظر ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٥٩ فانه ذكر ان ابن الافطس دخل قرطبة عقب عام ٤٧٢هـ واقام فيها مدة عشرة أشهر.

(٤) وبذة مدينة تقع غربي مدينة قونكة وتبعد عنها خمسين كيلومترا وكانت من الحصون الشمالية الشرقية لدولة طليطلة :ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٣ (الحاشية). وذكر ياقوت ، ج٥ ، ص ٣٥٩أنها من أعمال شنتبرية وكذلك ابن الأبّار، الحلّة ، ج٢، ص ١٦٩ . وهناك مدينة وبذى التي تقع على مقربة من طليطلة : ياقوت ، ج٥، ص ٣٥٩، امّا الحميرى فانه قال ان وبذة مدينة بالاندلس، وهي حصن على واد يقع على مقربة من أقليش : الحميرى ، ص ١٩٤.

(٥) انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥٩ فانّه ذكر ان القادر تمكّن من دخول كونكة بعد خروجه من طليطلة ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٠.

(٦) انظر الصنهاجي ، التبيان ، ص ٧٧؛ انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥٧-١٦٢ ؛انظر ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨١-٨٣؛ وانظر ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٧٩-١٨٠.

قوية لها ، دفع ببعض أهلها الى الطلب من المتوكل عمر بن الأفطس حاكم بطليوس القدوم الى طليطلة لتولّي الحكم فيها عام ٤٧٢هـ ، الّا ان ابن الكردبوس ذكر ان بعضا من أهل طليطلة أرسلوا الى عمر بن الأفطس يدعونه للقدوم الى طليطلة لتولّي الحكم فيها ، بعد أن قدّم القادر تنازلات للفونسو السادس وخاصة مطالبته ايّاهم جمع مبالغ ضخمة من الأموال ليقدّمها القادر بدوره للفونسو مقابل توفير حماية له من اعدائه في الداخل، وعندما شعر القادر بما جرى خرج من طليطلة فارّا بنفسه (١) (٢) .

وموقف الفونسو كان نابعا في حقيقته من رغبته اضعاف دول الطوائف ماديا عن طريق استجلاب اموالهم ، وقيامه بضرب بعضهم بعضا حتى يتسنّى له تحقيق هدفه في الاستيلاء على مناطق المسلمين في الاندلس (٣) .

لم يدم حكم عمر بن الافطس لطليطلة الّا عشرة اشهر (٤) ، أيّ انه ترك طليطلة في النصف الثاني من عام ٤٧٣هـ عائدا الى بلده بطليوس ، بعد ان تقدّم القادر ومعه الفونسو وقاما بمحاصرة طليطلة (٥) ، لأنّ قدوم ابن الافطس اليها كان في اواخر عام ٤٧٢هـ ، ومن المنافع الأولية التي حققها الفونسو السادس من جرّاء مساعدته للقادر على اعادة فرض سلطته على طليطلة الاستيلاء على بعض المناطق الطليطلية كحصون سرية وقورية وقنالش (٦) ومقادير كبيرة من الأموال (٧) ، وبعد فرار ابن الافطس بقيت المقاومة مستمرّة للقادر وللفونسو بقية عام ٤٧٣هـ وجزءًا من عام ٤٧٤هـ حتى كان يوم عيد الأضحى من عام ٤٧٤هـ حيث دارت معركة بين الجانبين في شوارع طليطلة أدّت في نهايتها الى تحقيق القادر والفونسو النصر على المقاومة الطليطلية (٨) .

---

(١) انظر ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٥٨-١٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٠ ؛ وانظر ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٣ .

(٢) انظر ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٢-٨٣ .

(٣) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٣ .

(٤) ابن بسام ، ق:٤ ،م:١ ، ص ١٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٠ . واكتفى ابن الأبّار بالقول ان ابن هود تولّى حكم طليطلة لمدّة قصيرة من الزمن: ابن الأبّار ، الحلّة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

(٥) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٥٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٠ .

(٦) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٣ .

(٧) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٣ .

(٨) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٢-١٦٣ .

ممّا سبق يلاحظ انه وبسبب الخلافات الداخلية في طليطلة ، وبسبب النزاعات مع جيرانها من دول الطوائف خسرت وتخلّت عن بعض اهمّ خطوط دفاعاتها وحصونها المواجهة لمملكة قشتالة[(١)]، ولذلك فانّ تلك الخلافات قربّت المسافة للنصارى للقيام باسقاط مدينة طليطلة نفسها، بعد أن أوصلتها الى حالة الضعف والانهيار الاقتصادى والسياسي والعسكرى والمعنوى، وعندما وصلت الدولة الطليطلية الى هذا الحدّ من العجز والضعف أخذ التنافس بين بني عبّاد وبني هود والممالك النصرانية في التسابق على الحصول على نصيب من تركة الدولة الطليطلية من خلال القيام بالاستيلاء على مناطق من ممتلكاتها المحاذية والقريبة من حدود الدول المتنافسة[(٢)]، كما ان بعض ولاة الدولة الطليطلية في بعض المناطق التي كانوا يديرونها استغلّوا الظرف واعلنوا استقلالهم فيها من أمثال الوزير ابي بكر بن محمد بن عبد العزيز، الذى أعلن استقلاله ببلنسية عن طليطلة عام ٤٦٨هـ بتحريض وتأييد من أحمد بن يوسف بن هود حاكم سرقسطة[(٣)]، وكذلك الوزير القائد ابي عيسى بن لبّون أحد وزراء المأمون الذى استقل بمربيطر[(٤)]، ومن المؤكد ان استقلاله كان في عهد الضعف الذى مرّت به الدولة الطليطلية ابّان عهد القادر، واشار ابن الكردبوس الى ان ابن وهب استقل بوبذة[(٥)]، ومن المتوقع ان معظم القادة والولاة الذين كانوا يديرون المناطق التي كانت تتبع لدولة طليطلة في عهد المأمون قد استقلّوا بما في ايديهم عن السلطة المركزية، نظرا لحالة الضعف والانهيار التي دبّت في أوصال الدولة الطليطلية منذ تولّي القادر الحكم عام ٤٦٧هـ، وخاصة الفترة التي أعقبت عام ٤٧٢هـ. ولذلك يمكن القول ان الجبهة الداخلية في الدولة الطليطلية أو في مدينة طليطلة بالذات قد تفككت نتيجة للثورة الداخلية التي اندلعت في المدينة، فأصبحت الأوضاع كما يلي: هناك الطامعون من دول الطوائف ومن الممالك النصرانية الذين أخذوا يقضمون المناطق المجاورة لهم من تركة الدولة الطليطلية، يُضاف الى

---

(١) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٢؛ ابن سعيد، ج ٢، ص ١٣.

(٢) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٤.

(٣) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٩؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٩؛ القلقشندى، صبح، ج٥، ص٢٥٣.

(٤) ابن بسام، ق:٣، م:١، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن سعيد، ج٢، ص ٣٧٦.

(٥) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٣. وبما ان خروج القادر كان عام ٤٧٢هـ كما ذكرت ذلك بعض المصادر: ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٥٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ١٨٠. فان ابن وهب كان قد استقل فيها لانه لم يسمح للقادر ان يدخلها عندما أخرج من طليطلة كما ذكر ابن الكردبوس.

هؤلاء العمال والقادة الذين كانوا يديرون المناطق التابعة لطليطلة ، الذين أخذوا باعلان استقلالهم نظرا لضعف سلطة الحكومة الطليطلية ، والأدهى من كل ذلك تفكك جبهة العاصمة طليطلة بالنسبة للدولة النونية ، هذه المؤشرات كانت تنبّئ بالمصير الذى ستئول اليه طليطلة في السنوات اللاحقة ، فاوضاع مثل تلك الأوضاع التي كانت تعيشها طليطلة لا بدّ وان تقود الى المصير والنتيجة التي آلت اليه طليطلة فيما بعد.

ثانيا : <u>ضياع طليطلة من أيدى المسلمين</u>

اختلفت المصادر في المعلومات التي ذكرتها حول سقوط طليطلة من حيث الكيفية التي تمّ فيها ضياعها وفي العام الذى سقطت فيه بأيدي النصارى، اذ ان معظم المصادر قالت ان سقوطها بايدى نصارى مملكة قشتالة وجليقية حدث عام ٤٧٨هـ (١) ، لكن ابن سعيد ذكر ان استيلاء الفونسو عليها تمّ في عام ٤٧٥هـ (٢) ، في حين ان مصدرا آخر ذكر ان ذلك حدث عام ٤٧٧هـ (٣) ، وتفاوتت المصادر في أخبارها حول الكيفية التي تمّ فيها للنصارى الاستيلاء على طليطلة ، فاكتفى بعض منها بالاشارة الى انّها سقطت بيد النصارى عام ٤٧٨هـ (٤) ، في حين ان بعض المصادر ذكرت ان الفونسو تمكّن بعد سبع سنوات من حصاره

---

(١) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٨ ؛ ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٥ ؛ ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ ؛ المرّاكشي ، ص ١٢٦ ؛ ابن خلكان ، ج٤ ، ص ١٨ ؛ لمؤلف مجهول ، من تاريخ الاندلس في عهد الطوائف المذيّل على كتاب ابن عذارى، ج٣ ، ص ٣٠٤ ؛ النويّري ، ج٢٣ ، ص ٤٤٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٢٨٩ ؛ ابن الوردي ، تتمة ، ج١ ، ص ٥٧٥ ؛ ابن الخطيب ، اعمال ، ص ٢٤٢ ؛ الحميرى ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٧-٣٤٨ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٤٤١ ، ج٤ ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ؛ ابن ابي دينار ، ص ١٠١ ؛ لمؤلف مجهول ، الحلل الموشيّة ، ص ٣٨.

(٢) ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٣ ؛ وانظر المقّرى ، نفح ، ج٤ ، ص ٣٥٢ فقد ذكر قولا بأنّ سقوط طليطلة كان عام ٤٧٥هـ مع انّه ذكر ان قول معظم المؤرخين ان سقوطها كانَ عام ٤٧٨هـ .

(٣) ابن ابي زرع ، الانيس ، ص ١٤٤.

(٤) المرّاكشي ، ص ١٢٦ ؛ الحميرى ، ص ١٣٥ وذكر انّها سقطت في شهر محرّم من العام المذكور اعلاه ؛ لمؤلف مجهول ، الحلل ، ص ٣٨ ؛ ابن ابي دينار ، ص ١٠١.

طليطلة من الاستيلاء عليها[1] ، بينما اكتفت مصادر أخرى بالقول ان الفونسو بعد ان اتسع نفوذه ودولته ضيّق الخناق على القادر بن ذى النون في طليطلة ممّا مكنّه من الاستيلاء عليها سنة ٤٧٨هـ واشترط القادر على الفونسو مقابل التخلي عنها أن يساعده في الاستيلاء على بلنسية ، فمكّنه الفونسو من تحقيق ذلك[2] ، وفي قول ان القادر بعد ان استعاد طليطلة[3] بمساعدة الفونسو (اذفونش)، قام بتسليمها له عام ٤٧٥هـ[4] .

وقال النويّرى : ان النصارى بقيادة الفونسو استولوا على طليطلة عام ٤٧٨هـ بعد حصار دام سبع سنوات[5] ، ومن العوامل التي ساعدت ومهدّت لضياع طليطلة لجؤ حاكم طليطلة القادر الى طرق مختلفة للاستيلاء والحصول على أموال العامّة ، وسوء الادارة التي اتصف بها عهده اذ تمّثل ذلك في استعمال رجال غير أكفاء لا يتصفون بالنزاهة ولا القدرة على شغل الأماكن والوظائف التي استعملوا عليها ، والسير بالسفينة الطليطلية الى شاطئ الأمان[6] ، ومن الأسباب التي أدّت في النهاية الى ضياع طليطلة من من أيدى المسلمين ، العمليات العسكرية التي قامت بها القوات القشتالية ، والتي سبقت مرحلة سقوط طليطلة ، حيث أشير اليها بالقول ان القوات النصرانية طوت الحصون والمواقع التابعة لطليطلة حصنا بعد حصن[7] ، كناية عن السرعة التي تمّ فيها انجاز تلك العمليات .

---

(١) ابن الأثير ، ج١٠ ، ص ١٤٢ ؛ النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤٢ ؛ الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٢٨٩ ؛ ابن الوردى ، تتمة ، ج١ ، ص ٥٧٥ ؛ المقّرى ، نفح ، ج٤ ، ص ٣٥٢ (قول بعض المؤرخين) وبيّن ان ذلك كان في شهر محرّم . وذكر ابن الخطيب ان مدّة الحصار كانت ستة اشهر: ابن الخطيب، أعمال ، ص ١٨١ . وقوله هذا يشير الى فترة الحصار المباشر والمستمّر الذى فرضه الفونسو والذى أدّى الى سقوط طليطلة .

(٢) ابن خلدون ، م:٤ ، ص ٣٤٨ ؛ القلقشندى ، صبح ، ج ٥ ، ص ٢٥٢ ؛ المقّرى ، نفح ، ج١ ، ص ٤٤١ . وذكر صاحب النصّ المذيّل على الجزء الثالث من كتاب ابن عذارى: ان القادر سلّم طليطلة للفونسو عام ٤٧٨هـ ، وذهب الى بلنسية ، فقام اهلها بخلع الأميرابي عمرو عثمان بن ابي بكر محمد بن عبد العزيز خشية ان تقوم قوات الفونسو بالاستيلاء عليها : ابن عذارى ، ج٣ ، ص ٣٠٤ (نص مذيّل على كتاب ابن عذارى لمؤلف مجهول) .

(٣) استعاد القادر حكمه في طليطلة عام ٤٧٤هـ: ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٢-١٦٣ .

(٤) ابن سعيد ، ج٢ ، ص ١٣ .

(٥) النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٢ .

(٦) النويّرى ، ج ٢٣ ، ص ٤٤٢ .

(٧) النويّرى ، ج٢٣ ، ص ٤٤٢ .

وهناك مصادر قامت بإيراد بعض المعلومات عن الكيفية التي تمّ فيها ضياع طليطلة من أيدى المسلمين فابن الكردبوس ذكر ان القادر بن ذى النون كتب الى الفونسو وتخلّى له عن طليطلة وتوابعها مقابل مساعدته في الاستيلاء على بلنسية والمناطق القريبة منها، واقدام القادر على هذا التصرّف كان بسبب طمع الطامعين في بلاده كإبن عبّاد وابن هود، وكراهية أهل طليطلة له، حتّى ان بعضهم نزح الى سرقسطة (١)، لهذا فقد انطلق الفونسو وعلى جناح السرعة الى طليطلة فأخلى له القادر البلد، واشترط مسلموها ان يؤمّنوا على انفسهم وذراريهم وأموالهم، وان يمنحوا حرية البقاء في طليطلة والخروج منها، وان لا يكلّف من رغب بالبقاء في طليطلة الّا دفع ضريبة من الأموال على عدد ما عنده من الاشخاص (الجزية على رؤوس المسلمين) وان يبقى حق الذين رغبوا في الهجرة قائما اذا ما قرّروا العودة في عقاراتهم وممتلكاتهم، وان لا يغمطوا منها شيئا سواء أكان كثيرا أو قليلا، فعاهد الفونسو مسلمي طليطلة على ذلك واقسم على احترام العهد المقطوع بين الجانبين عام ٤٧٨هـ (٢).

وورد عند ابن بسام ان اتفاقا سرّيا عقد بين الفونسو والقادر عام ٤٧٤هـ — عندما عاد القادر الى طليطلة بمساعدة الفونسو — تعهّد بمقتضاه القادر بعدم مقاومة أطماع الفونسو في الاستيلاء على طليطلة وان يخلّي بينه وبينها، وامّا الاتفاق الظاهر فكان الالتزام للفونسو بدفع مقادير كبيرة من الأموال، وتقديم رهائن للتوثق من تنفيذ الاتفاق (٣).

اتبع القادر بعد عودته الى طليطلة سياسة البطش والقسوة ضدّ أهل طليطلة، ليتمكّن من جمع الاموال التي التزم بها للفونسو، ولقد أوصلت تلك السياسة أهل طليطلة الى حالة الفوضى، اذ ان فقراء وضعفاء طليطلة اجترأوا على أقويائها واغنيائها، كما أثّرت تلك على رباطة الجأش والصلابة التي كان يتصف بها الطليطليون فأصبح الواحد منهم يرتاع من ظلّه (٤)، حدث هذا في داخل البيت الطليطلي، امّا الأحداث الخارجية فكانت

---

(١) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٤.

(٢) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٥.

(٣) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٢.

(٤) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٤.

عبارة عن بدء الفونسو (اذفونش) اتباع سياسة عسكرية ترمي الى نسف مرافق وموارد طليطلة ، والأخطر من ذلك قيامه بشنّ الهجمات على الطرقات وعلى المواطنين التابعين لطليطلة ومضايقتهم ، بالأسر والتقتيل والاحراق والتمثيل، أدّى هذا الوضع الى ارتفاع الاسعار وخاصة المواد الغذائية ، حيث أثّر ذلك على الامور الطليطلية وزاد في تفاقمها ، فشحّت الموارد والمصادر، وبلغ الرعب أعماق النفوس وتغلغل الخوف في القلوب [١]، ومما زاد الطين بلّة في تلك الفترة العصيبة التي كانت تعيشها طليطلة المسلمة ، تفشي الآفات في محاصيل القمح الذى لم يخزّن بعد في الاماكن المعدّة لحفظه ، علما ان البرّ كان يبقى لفترات طويلة محفوظا في اهراءات طليطلة دون ان يُصاب بالتلف [٢]. هذه الأوضاع التي وصلت اليها حالة الطليطليين أدّت الى فناء الكثير منهم بسبب القتل، وهجران بعضهم طليطلة ، ولم ينج المهاجرون من أعمال مملكة قشتالة العدوانية كماهو الحال بالنسبة للباقين فيها [٣].

وعندما وصلت الأمور في طليطلة الى هذا الحدّ من الانهيار والضعف المعنوى والعسكرى والسياسي والاقتصادى والغذائي بشكل خاص ، بالاضافة الى نزوح بعض أهل طليطلة عنها ، أقدم الفونسو على القيام بتجريد حملة للاستيلاء على طليطلة بعد أن مهّد السبل لمثل هذا العمل، فقام باختيار قوات منتخبة من فرسانه وهاجم المنية المسّورة التي كانت عبارة عن قصر وحدائق للمأمون بن ذى النون جدّ القادر واستولى عليها [٤]، ولم تستطع القوات النصرانية المُحاصِرة لطليطلة تحقيق مكاسب تُذكر باستثناء استيلائها على الحدائق المأمونية ، وتدخّل فصل الشتاء كعامل مساعد الى جانب المُحاصَرين في داخل المدينة ، فحرم القوات النصرانية من وصول الميرة اليهم أو أيّة امدادات أخرى ، هذا الوضع عقّد الحالة بالنسبة للقوات الغازية لمدّة تزيد عن شهرين، بسبب طبيعة الشتاء القاسية التي قيدّت حركة القوات المُحاصِرة ، حتى انهم لم يستسيغوا الشراب والطعام [٥]، ومع كل ذلك تحمّل الفونسو وقوّاته شدّة العناء المتأتية من وجودهم في العراء لأسباب منها : شعور الفونسو بالقوّة نظرا لما كانت تتمتع به

---

(١) ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٦٤.

(٢) انظر ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٦٤ فانه ذكر أن أهل طليطلة زعموا ان القمح كان يبقى سليما لمدّة خمسين عاما . وقال ابن غالب: ان القمح كان يمكث لمدة سبعين عامادون أن تصل اليه الآفات أو يُصاب بالتلف، انظرابن غالب، م:٤ ،ج٢ ، ص٢٨٨.

(٣) ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٦٤. (٤) ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٦٤.

(٥) ابن بسام ، ق:٤، م:١، ص ١٦٤-١٦٥.

قواته من قدرات عالية في المعنويات والامكانات ، قابل ذلك في الجانب الآخر حالة الضعف والخور الشديدين اللذين اتصف بهما الطليطليون في ذلك الزمن (١) ، والأدهى من كل ذلك معرفته التامة انه لا يوجد أملٌ لأهل طليطلة في النصرة من أحد من جيرانهم المسلمين، بسبب معرفته بحالة الضعف التي كان عليها حكام دويلات الطوائف الاسلامية ، وطاعتهم له ، وضعفهم عن مجابهته وهلعهم من التفكير بتقديم مساندة للمُحاصَرين (٢) .

فلما انقضى فصل الشتاء زحفت جموع النصارى وكأنّها سيل عمّ السهل والوعر ، وحلّ بطليطلة ليلها الطويل وأرخى سدوله على اجوائها ليغيّب ذلك الليل شمس الاسلام عن طليطلة التي سطعت عليها منذ ما يقارب الاربعة قرون (٣) ، في ظلّ هذا الوضع كانت مداخلة الطليطليين للفونسو ، فشرعوا في ذلك وهم متجلدون بالصبر رغم كل ما نزل بهم ، غير مبدين أيّة علامة للاستسلام طمعا في تغرير الفونسو وقواته ولو بأشياء لن تتحقق ، ولكن الفونسو أصرّ على تسليم طليطلة ، وتمادى في طلبه واستمّر في عدوانه وعمليّاته لتحقيق هدفه ممّا اضطرّ أهل طليطلة الى ارسال وفد منهم لمقابلة الفونسو ومحاولة اضعاف عزيمته عن مواصلة الحصار والاستيلاء على المدينة ليعود الى بلاده مقابل شروط تؤدّى اليه ، الاّ ان الورقة التي حاول الوفد الطليطلي ان يستعملها في مفاوضاته والتي اعتقدوا انّها لصالحهم ، كانت تتّمثل في محاولة ايهام الفونسو ان المساعدات ستأتي لأهل طليطلة من قِبل جيرانهم من دويلات الطوائف الذين سيهبّون لنجدتهم ، وذكروا بعض الاسماء كابن عبّاد ، ولكن ما راهن عليه الوفد الطليطلي كان في حقيقة الأمر ورقة بيدي الفونسو ، اذ انّ الفونسو هزئ من الوفد الطليطلي بعد ان ابقاهم فترة ينتظرون السماح لهم بمقابلته ، جعلهم في الوقت نفسه يسخرون من انفسهم عندما طلب وبكل عجرفة وكبر أن يؤتى برسل حكام دول الطوائف الواحد تلو الآخر وعلى رأسهم رسل ابن عبّاد بطريقة مهينة ومعهم الهدايا والاموال لتقديمها له بعد بقاء تلك الوفود فترة طويلة

---

(١) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٥ .

(٢) ابن بسام ، ق:٤ ، م:١ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣) سبق وان بيّنت في الفصل الثاني ان طليطلة فتحت عام ٩٣هـ: انظر هذه الدراسة ، ف ٢ ، ص ١١٠ - ١١١ ، ومن المعروف ان سقوطها حدث عام ٤٧٨هـ لذلك وباجراء عملية حسابية بسيطة يتضح ان الحكم الاسلامي لطليطلة استمّر ٣٨٥ سنة .

وهم ينتظرون السماح لهم بالمثول بين يدى الفونسو لتقديم ما معهم، ولكن الفونسو رمى تلك الهدايا والاموال وأمر باخراج الرسل بطريقة ذليلة ، كان كل ذلك على مشهد ومسمع الوفد الطليطلي، فأسقط في أيديهم وذُهلوا ممّا رأوا، ونزل ما سمعوه على نفوسهم كالصاعقة المُدمّرة، ممّا كان له أسوأ الأثر على نفوسهم فسلّموا المدينة بعد ثلاثة أيّام من ذلك اللقاء (١) . فحريّ بشخصية كشخصية الفونسو كان يقدّم له الأندلسيون الهدايا والأموال وهو على وشك الاستيلاء على منطقة من أهمّ المناطق الأندلسية، أن يتحمل ليس برد فصل شتاء واحد بل هو على استعداد لأن ينتظر فصولا، لأنّه كان على إدراك تام بالمدى الذى ستتمكن فيه طليطلة من الصمود لمعرفته التامّة أنّ جيران طليطلة المسلمين الذين كانوا من الممكن أن يشكلوا خطرا على مخططه لن يفعلوا شيئا لها لأن رسل قادتهم ومبعوثيهم كانوا ينتظرون لحظة السماح لهم للمثول بين يديه .

وذكرت بعض المراجع ان كل المحاولات التي بُذلت لإجراء مصالحة مع الفونسو ذهبت أدراج الريّاح، سواء من جانب القادر للاعتراف بطاعته والحكم بإسمه وتأدية أموال مفروضة عليه، أو من جانب رجالات وقيادات طليطلة (٢) ، وأخيرا رضخ أهل طليطلة لتسليم المدينة مقابل عرض قدّموه بمطالب منها : أن يحتفظ المسلمون بمسجدهم الجامع، وأن يتعامل المسلمون وفق شرائعهم يطبّق عليهم أُحكامها قضاة منهم، وان يتسلّم الفونسو سائر القلاع والحصون المهمة والقصر الملكي، وهكذا فان طليطلة استسلمت في ٢٧ محرّم سنة ٤٧٨هـ الموافق ٢٥ أيّار من عام ١٠٨٥م (٣) .

وبالرجوع الى ما ذكرته المصادر السابقة، يمكن القول ان سقوط طليطلة حدث عام ٤٧٨هـ (٤) ، نظرا لقول غالبية المصادر ذلك، وبسبب ذكر المصادر أن موقعة الزلّاقة ، حدثت

---

(١) انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٥–١٦٧؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١٨١–١٨٢.

(٢) انظر اشباخ، ص ٥٩؛ عنان ، دول ، ص ١١١.

(٣) انظر أشباخ، ص٥٩ ؛ وانظر عنان ، دول، ص ١١١–١١٢ وقد ذكر ان الفونسو دخل طليطلة في ٢٥ أيار من عام ١٠٨٥م، الموافق لبداية شهر صفر من عام ٤٧٨هـ.

(٤) الزلّاقة : موضع من اقليم بطليوس في غرب الاندلس التقى فيه المسلمون بشقيهم المغاربة وأهل الاندلس مع النصارى (الاسبان) بقيادة الفونسو سنة ٤٧٩هـ في شهر رجب منها : الحميرى، ص ٨٣. وذكر ابن خلكان ان الزلّاقة منطقة كانت تابعة لبطليوس : ابن خلكان، ج٤، ص ١٢٠. وقال صاحب كتاب الحلل الموشية ان الزلّاقة تقع على مقربة من بطليوس : لمؤلف مجهول ، الحلل الموشية، ص ٥٧. وذكر اشباخ ان اسم المكان بالروايات النصرانية سكرالياس (Sacraias) ؛ أشباخ، ص ٨١.

في العام التالي لسقوط طليطلة، أيّ في عام ٤٧٩هـ، وكذلك بسبب قول أحد المصادر ان (١) القادر استعاد طليطلة في يوم عيد الأضحى من عام ٤٧٤هـ، أيّ في اواخر السنة المذكورة (٢) لأنّ عيد الأضحى يصادف اليوم العاشر من شهر ذي الحجة من كل عام، لذلك ولكون طليطلة لم تكن قد وصلت الى درجة الضعف الشديد في عام ٤٧٥هـ، (٣) اذ لا يعقل ان يأتي القادر لمدّة أشهر ثمّ يُسلّمها للفونسو، ولقول مصادر أخرى ان استيلاء الفونسو على طليطلة كان بعد حصار دام سبع سنوات، (٤) ومن المعروف ان القادر أُخرج من طليطلة عام ٤٧٢هـ

---

(١) المقّري، نفح، ج٤، ص ٣٥٤ (قول ابن علقمة). وورد عند ابن خلكان أن اخذ طليطلة كان في شهر صفر سنة ٤٧٨هـ بينما وقعت معركة الزلاّقة في ١٠ رمضان من عام ٤٧٩هـ على رأيّ في حين ان المؤلف مال الى ان ذلك حدث في منتصف شهر رجب من السنة نفسها: ابن خلكان، ج٤، ص ١١٨، ١٢٠؛ النويّري، ج٢٣، ص ٤٥٨ قال ان معركة الزلاّقة حدثت بعد سقوط طليطلة بعام، أي عام ٤٧٩هـ في العاشر من شهر رمضان؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٨٩، ٢٩٣ وذكر ان المعركة كانت بعد عام من سقوط طليطلة في عام ٤٧٨هـ؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦. ذكر ان سقوط طليطلة كان عام ٤٧٨هـ وان المعتمد ذهب الى يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٨هـ، علما أنه راسله قبل ذلك في السنة نفسها في شهر جمادى الاولى، وسلّم المعتمد الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين عام ٤٧٩هـ في شهر ربيع الأوّل، وبعد ذلك جرت موقعة الزلاّقة؛ الحميري، ص ٨٣ وقال ان الموقعة حدثت في ١٢ رجب من عام ٤٧٩هـ؛ وقال صاحب كتاب الحلل الموشية، ص ٣٨ ان سقوط طليطلة كان عام ٤٧٨هـ، وحدثت معركة الزلاّقة عام ٤٧٩هـ.

(٢) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) ذكر ابن سعيد ان القادر سلّم طليطلة الى الفونسو عام ٤٧٥هـ مما يوحي وكأنّ طليطلة قد وصلت الى حالة من الضعف والانهيار حيث تم تسليمها بكل سهولة وبدون مقاومة: ابن سعيد، ج٢، ص ١٣؛ المقّري، نفح، ج٤، ص ٣٥٢، علما ان الفونسو لم يتمكن من الاستيلاء عليها عام ٤٧٨هـ الاّ بعد جهد وحصار شديد قضى خلاله فصل الشتاء وهو قائم على حصارها.

(٤) ابن الأثير، ج ١٠، ص ١٤٢؛ النويّري، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٨٩؛ ابن الوردي، تتمة، ج١، ص ٥٧٥؛ المقّري، نفح، ج٤، ص ٣٥٢ (قول بعض المؤرخين). كما ان ابن الخطيب ذكر ان الفونسو لم يتمكن من الاستيلاء على طليطلة الاّ بعد حصارها لمدّة ستة أشهر: انظر ابن الخطيب، أعمال، ص ١٨١؛ كما ان ابن خلكان ذكر ان طليطلة لم تسقط الاّ بعد محاصرتها حصارا شديدا: ابن خلكان، ج٤، ص ١١٨.

وانه استعان بالفونسو لإستعادة عرشه في طليطلة، وان الفونسو قام بمساعدته وتمكن القادر من العودة الى طليطلة بعد حصار شديد من الفونسو الأمر الذى اضطرّ عمر بن الافطس الى مغادرتها بعد عشرة أشهر قضاها في حكم طليطلة (١)، ولهذا يمكن القول ان الحصار الذى اشارت اليه المصادر على انه دام سبع سنوات انّما قصدت فيه الحصار والمعارك والمواجهات التي بدأت منذ خروج القادر من طليطلة عام ٤٧٢هـ، لذلك فإنه على حسب رأى المصادر التي ذكرت أن حصار طليطلة دام سبع سنوات يكون سقوطها عام ٤٧٨هـ وليس عام ٤٧٥هـ (٢).

ممّا سبق يمكن تلخيص الأسباب التي أدّت الى سقوط طليطلة الى أسباب مباشرة، واسباب غير مباشرة: امّا الاسباب المباشرة فتعود الى: ضعف شخصية القادر يحيى بن ذى النون وعدم قدرته على تسيير شئون دولته ممّا ساعد على طمع الطامعين بالمناطق التابعة له كإبن عبّاد وإبن الافطس والممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة (٣)، والسياسة التي طبقّها القادر على أهل طليطلة عندما استعاد طليطلة عام ٤٧٤هـ، التي يمكن وصفها بسوء الادارة المالية والادارية ممّا كان له الأثر الكبير على معنويات الطليطليين وايصال طليطلة الى حالة متردية من الضعف والانهيار السياسي والاقتصادى والمالي، حيث انه التزم لمملكة قشتالة باداء مبالغ كبيرة بسبب محاربة دويلات الطوائف ايّاه وطمعهم فيه وكذلك قيام الثورات ضده (٤)، ممّا جعله يقوم بفرض ضرائب كبيرة على المواطنين لسدّ احتياجاته ومتطلباته والتزاماته، بالاضافة الى الفساد الادارى الذى اتصف به عهده والذى أشار اليه أحد المصادر بانّه لم يكن يضع الرجل المناسب في المكان المناسب (٥)، وسياسته تلك جعلت شعبه في طليطلة يناصبه العداء، حتى انهم اضطرّوه عام ٤٧٢هـ الى الفرار منها، ولم يستطع العودة اليها الاّ بمساعدة القوات القشتالية.

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) ابن سعيد، ج٢، ص ١٣؛ المقّرى، نفح، ج٤، ص ٣٥٢.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨٨ - ٣٩٢، ٣٩٣ ؛ وانظر الصنهاجي، ص ٧٧.

(٥) النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٢.

فلذلك ما ان تقدّمت الجيوش النصرانية للإستيلاء على طليطلة عام ٤٧٧هـ (١) ، حتّى تخلخلت الجبهة الداخلية فلم يكن القادر رجل المرحلة الذى بإمكانه جمع شمل مواطنيه حوله للتصدّى للقوات المعتدية لأنه لم يكن يتمتع بثقة شعبه، ولم يكن المواطنون مقتنعين بشخصه للإلتفاف حوله كرمز للدفاع عن الوطن تحت قيادته لأنّه لم يكن يحظى بتقدير وحبّ شعبه فيستطيع بتلك المقوّمات تغيير مجرى الأحداث والمعارك فيقلبها لصالحه ولصالح شعبه من خلال ايجاد عزم وتصميم وخلق روح معنوية جديدة دفّاقة للصمود في وجه القوات المعتدية مهما كان عددها وعدّتها، لأنّ ذلك ممكن بالنسبة لأهل طليطلة

---

(١) والذى دعاني الى القول ان بداية حملة الفونسو على طليطلة كانت عام ٤٧٧ هـ، ذِكرُ بعض المصادر ان سقوط طليطلة كان عام ٤٧٨هـ في شهر محرّم وذِكرُ مصادر اخرى ان ذلك كان في شهر صفر من العام نفسه : واختلفت المصادر التي قالت انّ سقوط طليطلة كان في شهر محرّم فالحميرى والمقّرى في روايتهما عن بعض المؤرخين: قالا ان سقوطها حدث في منتصف شهر محرّم :الحميرى، ص١٣٥؛ المقّرى ، نفح، ج ٤، ص٣٥٢، لكنّ رواية المقّرى الثانية عن ابن علقمة جعلت سقوطها في العاشر من شهر محرّم : المقّرى، نفح، ج٤، ص ٣٥٢. كما ان المؤرخ الالماني الالماني اشباخ ذكر ان سقوطها حدث في ٢٧ محرّم الموافق ٢٥ أيّار من عام ١٠٨٥م: اشباخ، ص٥٩. في حين ان ابن خلكان ذكر ان سقوط طليطلة وقع في بداية شهر صفر من عام٤٧٨هـ: ابن خلكان، ج٤، ص ١١٨. وكذلك بسبب ذكر ابن بسام ان الفونسو حاصر طليطلة حيث انّ فصل الشتاء مرّ على قوات قشتالة وهي مُقيمة على حصار طليطلة، وبعد فترة من مضي فصل الشتاء استطاع الفونسو الاستيلاء على المدينة : ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٤-١٦٥. وكذلك بأخذ ما ذكره ابن الخطيب بعين الاعتبار، ذلك ان حصار الفونسو لطليطلة استمرّ ستة اشهر : ابن الخطيب، اعمال، ص١٨١ . لذلك كلّه يمكن القول ان الحصار الاخير الذى سقطت بسببه طليطلة كان قد بدأ عام ٤٧٧هـ ، لأن سقوطها لا يُمكن ان يكون قد تمّ خلال شهر واحد وهو شهر محرّم الشهر الأوّل من عام ٤٧٨هـ ، إذ من الواضح ان الحصار كان قد ضُرب في العام السابق للعام الذى سقطت فيه طليطلة. وممّا يعزز ذلك قول احد المراجع ان الحصار دام تسعة اشهر : عنان ، دول ، ص١١١، وتأكيده ان خريف عام ٤٧٧ هـ كان بداية الحصار الذى فُرض على طليطلة : عنان ، دول ، ص١١٠ .

لو انّه جعلهم يلتفّون حوله من خلال اتّباع سياسة حكيمة عادلة نال من خلالها حبّ ورضى شعبه . فحالة الكراهية بين الحاكم وشعبه تؤدي الى انهيار الدولة ، وخاصة عند تعرّض البلاد لهزة عنيفة . وقد سبق وان اتضح مدى الصبر والتحمّل اللذين كانت طليطلة تتعف بهما في مواجهة كلّ التحدّيات وصنوف الحصار المستمرّة التي كانت تتعرض لها من قِبل القوات الحكومية في عصري الامارة والخلافة ، عندما كانت تعلن الثورة على الدولة ولم تكن تستطيع الحكومات الأموية المختلفة كسر صمود طليطلة ، الاّ بعد مُضيّ سنوات متواصلة من الحرب الدائمة، واتباع اساليب وسياسات مختلفة حتّى تتمكّن أُخيرا من اخضاعها (١) ،ولذلك يمكن القول ان الجبهة الطليطلية الداخلية لم تعد هي الجبهة الطليطلية المتراصة التي سبق وان ارتسمت في العصور الأموية السابقة من خلال تلاحم الغالبية من أهل طليطلة في وجه الحكومات الأموية .

ويمكن تفسير الخلل والتفكك اللذين أصابا جبهة طليطلة الداخلية على النحو التالي: عدم أهلية القيادة في طليطلة وعدم تمتعها بحبّ مواطنيها ، ولا بدّ كذلك من الأخذ بعين الاعتبار ان النصارى في طليطلة (٢) كان موقفهم الطبيعي مساندة القوات النصرانية لأنها أقرب اليهم من مسلمي طليطلة وفق مبادئ الديانة النصرانية التي يعتقدون بها ، لأنّ القوات القادمة يرتبطون معها برباط أخوّة الدين، واذا لم يكن لنصارى طليطلة أثر كبير في الأحداث فانّهم ولا شكّ تعاطفوا مع القوات النصرانية وتمنّوا للفونسو النصر، ولقد أشار أحد المراجع الى ان هناك فريقا من الطليطليين كان يساند الفونسو من الداخل (٣) ، وهم بالتأكيد النصارى وربّما بعض المسلمين المنحدرين من أصول أيبيرية، الذين كانوا بعيدين عن روح الاسلام ولا يرتبطون به الاّ برباط شكلي اسمي وهم في مثل هذه الحالة لا يهمهم من يحكم طليطلة .

من العوامل التي ساعدت على سقوط طليطلة إستقلال عُمّال وقادة الدولة الطليطلية بمناطقهم بعد وفاة المأمون عام ٤٦٧هـ وتولّي حفيده القادر الحكم من بعده (٤) .

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف٤، ص٢٢٤وما بعدها .

(٢) كان يوجد في طليطلة نصارى، كان لهم دور مهمّ في الثورات الطليطلية في عهد بني أميّة : انظر هذه الدراسة، ف ٣، ص ١٩٠ ، ١٩٣ ، ف ٤، ص ٣٠٠-٣٠١،٣٠٩ .

(٣) انظر عنان، دول، ص١٠٨،١٠٩ (الرواية القشتالية) .

(٤) انظر هذه الدراسة، ف ٥ ، ص ٣٩١

ومن الاسباب المهمّة التي أدّت الى سقوط طليطلة بايدي النصارى، العمليات العسكرية التي قام الفونسو السادس بشنّها على المناطق الطليطلية والحاقه الاضرار والخراب بالاقتصاد الطليطلي وبالمناطق التابعة لها، والحاقه الاذى بالمواطنين التابعين لطليطلة خلال السنوات الأخيرة من حكم القادر (١)، الأمر الذى أوصل طليطلة الى حالة من التردّي والضعف السياسي والاقتصادى والعسكرى والمعنوى، وأدّى ذلك في النهاية الى ارتفاع المعنويات النصرانية وتأجيجها لمحاربة مسلمي الاندلس، ومن الآثار التي خلّفتها تلك الهجمات الاستيلاء على مناطق متعددة من البلاد التابعة لطليطلة كحصون سرية وقورية وقنالش، والتي كان للثورات الداخلية في طليطلة أثر واضح في تفكيك الجبهة الداخلية واضعافها من جهة، وخسارة تلك المناطق بالتخلي عنها للقوات القشتالية مقابل مساعدتها في اخماد الثورات الداخلية أو التصدّى لأطماع دول الطوائف في المناطق الطليطلية من جهة أخرى (٢).

ومن الاسباب غير المباشرة لسقوط طليطلة قيام مملكة ارغون ونبّرة بشنّ هجمات عسكرية على المناطق الطليطلية، الأمر الذى نتج عنه خسارة طليطلة لبعض مناطقها كشنتبرية وملينة (٣)، كما ان الثورات الداخلية في مدينة طليطلة منذ مقتل ابن الحديدى، وماتبع ذلك من أحداث، الى ان أدّت الأحداث الى فرار القادر من طليطلة عام ٤٧٢هـ (٤)، كانت أحد العوامل الرئيسة التي كان لها دور مؤثّر في سقوط طليطلة. فهدر الطاقات الداخلية بالاضافة لما أحدثته عمليات القتل من انقسامات وعداوات داخلية كفيلة بتفتيت الجبهة الداخلية وتعريض أمن الدولة للخطر وخاصة أمن طليطلة العاصمة بالذات، فطليطلة كانت تضمّ الجميع، الاّ ان قلوبهم كانت متفرقة، وايديهم موجهّة ضدّ بعضهم ولم تكن متحدة في وجه الأخطار المحدقة بهم. ومن المؤشّرات الدالّة على الانقسامات الطليطلية نزوح بعض أهل طليطلة عنها، وقد ذكر ان قسما منهم ذهب الى سرقسطة (٥)، ويتضح

---

(١) انظر ابن بسام، ق: ٤، م: ١، ص ١٦٤؛ ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٨٣؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ وانظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) انظر ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٤) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٥٦-٣٥٧، ٣٨٩-٣٩٠.

(٥) ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٨٤.

ذلك ايضا من خلال مراسلة أهل طليطلة لابن الأفطس للقدوم الى طليطلة نظرا لما قدّمه القادر من تنازلات للقشتاليين الأمر الذى اضطرّ القادر الى الخروج من طليطلة عندما شعر بذلك (١)، ومن الإشارات التي يُستشف منها الوضع العام في داخل طليطلة عندما بدأت المفاوضات مع الفونسو هي : وجود أغلبية عامّة من مسلمي طليطلة أرادت التسليم نظرا لما لحقها من جرّاء الحرب (٢)، وهي ايضا تشمل العناصر التي كانت غير مستعدّة للتضحية ولا يهمّها الأمر كثيرا، وهناك قلة أرادت القتال والصمود الى آخر قطرة من دمائهم ولكنّهم ضاعوا في خِضَم أصوات العامة وأصوات المتخاذلين (٣)، وهناك موقف أهل الذمة اليهود والنصارى الذى كان كالتالي : فاليهود غير مكترثين بالأمر ولا يعنيهم الغالب كثيرا فانّهم سيكونون الى جانبه في نهاية المطاف ، امّا النصارى فهم ميّالون للقوات القشتالية ولا شك.

من العوامل الأساسية التي أدّت الى سقوط طليطلة أيضا حالة الفوضى والحروب التي اعقبها تفرّق مسلمي الاندلس الى دويلات متناحرة متصارعة لها جيوشها وقياداتها المتفرقة التي كانت كل منطقة تودّ لو انّها تقضي على المناطق الأخرى، وأورثت هذه الحالة الانقسامات التي بدأت منذ بداية القرن الخامس الهجرى بسبب الصراع على الحكم في قرطبة والذى أدّى منذ ذلك الوقت الى استمراء المسلمين دفع الأموال وتقديم الهدايا وتسليم الحصون للنصارى والاستعانة بهم (٤)، ومنذ ذلك الحين بدأت تدب في

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٢-٨٣.

(٢) وهذا أمر طبيعي في مثل هذه الحالة التي وصلت اليها طليطلة، وقد أشار الى ذلك المعنى المؤرخ الالماني ، اشباخ، وكذلك عنان حيث اشارا الى عدم جدوى اصرار قلّة من اهل طليطلة لإبقاء المواجهة وعدم التسليم فغلب صوت العامة : أشباخ ، ص ٥٩؛ عنان ، دول ، ص ١١١.

(٣) أشباخ، ص ٥٩؛ عنان ، دول ، ص ١١١.

(٤) انظر هذه الدراسة ف ٥، ص ٣٢٤-٣٣١، ٣٦٢-٣٧٢، ٣٩٠، ٣٩٤، ٣٩٦-٣٩٧. كما ان النويّرى ذكر ان المأمون يحيى بن ذى النون التزم باداء مبالغ من المال الى مملكة قشتالة كل عام، واضطر الى التنازل عن حصون من دولته، طالبه بها النصارى فنفّذ :انظر النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤١. وذكر الامير عبد الله الصنهاجي ان يوسف بن تاشفين اوصى امراء الطوائف في الاندلس بعد الانتصار في موقعة الزلّاقة بالاتفاق والتوحد لأنّ النصارى لم يتمكّنوا ممّا وصلوا اليه الّا بسبب تفرق كلمة مسلمي الاندلس واستعانة بعض منهم بالنصارى على بعض : الصنهاجي ، ص ١٠٦.

كيان الممالك النصرانية معنويات جديدة وروح عالية لمحاربة المسلمين التي قابلها سريان روح الضعف في صفوف ونفوس المسلمين ، فتفرّق الاندلس أدّى في النهاية الى سقوط المناطق الأندلسية الواحدة تلو الأخرى بسبب انفراط العقد الذي كان يجمع المناطق الاندلسية، ويُشكل منها قوّة ضاربة تحمي وحدة الاندلس من الأعداء، وكان سقوط طليطلة أبرز مثال نتج عن تفرق الاندلس شيعا وأحزابا، بعد ان كانوا يلتقون تحت راية وحدة الاندلس المتوحّد، اذ ان التفرق أدّى وشجّع على قيام الممالك النصرانية بشنّ حروب مدمرّة ضد دول الطوائف وخاصة دولتي سرقسطة وطليطلة (١)، وكذلك الاستيلاء على مناطق من دولة بطليوس مثل مدينة قلمرية عام ٤٥٦هـ (٢).

ومن الأمور التي دعّمت الممالك النصرانية دفع الأموال والضرائب لهم من قبل دويلات الطوائف فقد ذكرت بعض المصادر ان دويلات الطوائف كانت تؤدّي الى مملكة قشتالة ضرائب مالية كل عام، وتأدية الأموال الى الممالك النصرانية أضعف الدويلات الاسلامية من جانب (٣)

---

(١) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٦٤-٣٧٢.

(٢) ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٣٨، ٢٥٣؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٨٤، وذكر ابن الكردبوس ان الملك فرديناند استولى على حصون كثيرة من دولة بطليوس في غرب الاندلس: ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ٧٦. وضبط الحميرى الاسم كالتالي : قُلُمْرِيَّة ببلاد برتقال من الاندلس (برتغال)، تقع على جبل مستدير، محاطة بسور حصين: الحميرى، ص ١٦٤.

(٣) الصنهاجي، ص ١٠١ ذكر ان خطة الفونسو كانت ترمي الى اخذ الضرائب السنوية من دول الطوائف وخاصة طليطلة كل عام لاضعافها قبل ان يُقدم على منازلتها للاستيلاء عليها. وانظر المصدر نفسه، ص ١٢٥؛ قال ابن عذارى : ان مسلمي الأندلس كان يزداد ضعفهم، في حين ان عدوّهم كان يزداد قوّة، بسبب النزاع بين امرائهم، ممّا مكّن النصارى من الاستيلاء على بلادهم بعد أن ملّ من اخذ (الجزية) منهم، اذ لم يعد يقنعه شيء الا الاستيلاء على البلاد: ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٣٩. كما بيّن المصدر نفسه ان ابن الافطس كان من أواخر امراء الثغور الاسلامية الذين التزموا باداء اتاوة سنوية للملك فرديناند: المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٩؛ ابن الأثير، ج١٠، ص ١٤٦ وذكر ان المعتمد كان يؤدى ضريبة سنوية لقشتالة، وان المسلمين بشكل عام كانوا يدفعون الضرائب السنوية للممالك النصرانية: المصدر نفسه، ج١٠، ص ١٥١ ؛ كما ان النويّرى ذكر ان المأمون بن ذى النون التزم لمملكة قشتالة بدفع مقادير من المال كل عام: النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤١، كما ذكر المصدر نفسه ان المعتمد كان ملتزما بدفع ضريبة مالية سنوية للفونسو عندما استولى الفونسو على طليطلة عام ٤٧٨هـ : المصدر نفسه، ج٢٣، ص ٤٥٣. وقال الذهبي : ان حكام دول الطوائف

وأضعف شعوبها نتيجة فرض ضرائب جديدة عليهم للتمكّن من دفع الاموال للنصارى ، وفي الوقت نفسه ساعد ذلك وقوّى الممالك النصرانية وخاصة مملكة قشتالة في حربها ضد المسلمين من جانب آخر، وبالتالي فانّ ذلك أثّر على طليطلة وادّى الى سقوطها اخيرا نتيجة لنموّ وتزايد قوة الفونسو وتراجع وضعف قوّة طليطلة .

ثم ان الصراع الذى احتدم بين دول الطوائف في الاندلس كان من أهمّ الأسباب التي أدّت الى سقوط المناطق الاندلسية بأيدى الممالك النصرانية، وأهمّ منطقة سقطت بأيديهم كانت طليطلة[1]، ومن أبرز الصراعات بين دول الطوائف صراع طليطلة مع سرقسطة، وصراع طليطلة مع قرطبة التي استغلته مملكة قشتالة أحسن استغلال فكانت تهاجم المناطق الطليطلية خلال انشغال القوات الطليطلية في حربها مع قرطبة[2] ، وكذلك تدّخل امارة قطلونية لمحاربة القوات الطليطلية مساعدة للقوات الاشبيلية في مرسية عام ٤٦٥/٤٦٦هـ الموافق ١٠٧٣م[3] ، وتعاون ارغون ونبّرة مع سرقسطة في الاستيلاء على مناطق

تابع رقم (٣) صفحه

في الاندلس كانوا يدفعون للفونسو ضرائب سنوية :الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٨٩.وأشار ابن بسام الى ان عددا من وفود دول الطوائف قدموا يحملون ما عليهم من التزامات مالية لمملكة قشتالة خلال محاصرة الفونسو لطليطلة عام ٤٧٨هـ: ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٦. واشارت بعض المصادر الى ان سبب النزاع بين المعتمد والفونسو بعد سقوط طليطلة : تأخّر المعتمد بعض الوقت عن اداء الضريبة المحددة عليه أو الاختلاف في صفة تلك الاموال ومقاديرها : ابن الخطيب ،أعمال، ص ٢٤٤ ؛ الحميرى، ص ٨٤؛ الحلل ، ص ٤١؛ وانظر ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤١. كما ان اشباخ اشار الى ان فرديناند ارغم المعتضد حاكم اشبيلية على دفع جزية سنوية له في عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وشهد العام التالي فرض ضريبة سنوية على ابن الافطس صاحب بطليوس : انظر اشباخ، ص ١٧، ١٨. كما ان المؤرخ نفسه بيّن ان سرقسطة كانت تدفع ضريبة مالية لقشتالة عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، علما انّها دفعتها لفترة من الزمن قبل ذلك لمملكة ارغون: انظر اشباخ، ص ١٦-١٧؛وانظر هذه الدراسة، ف ٥، ص

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٦٢-٣٧٢.

(٢) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٧٩.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٦٥-٣٦٦.

تابعة لطليطلة في عهد القادر كشنتبرية ومليلة، ومحاصرة كونكة (١) ، واستغلال قشتالة لحالة التمزق التي كانت عليها دول الطوائف وانشغال تلك الدول في صراعاتهم فيما بينهم، والقيام بالاستيلاء على قلمرية عام ٤٥٦هـ التابعة لبطليوس (٢)، ونتيجةللنزاعات بين دول الطوائف أصبحت كل من سرقسطة وطليطلة وبطليوس واشبيلية تؤدي مقادير محددة من الأموال للممالك النصرانية كضريبة سنوية (٣) ، فلذلك يمكن القول ان الصراع بين دول الطوائف فيما بينها من جهة وصراعاتهم مع الممالك النصرانية من جهة أخرى أدّى الى اضعاف دول الاندلس عسكريا وسياسيا واقتصاديا، في حين ان ذلك زاد من قوة الممالك النصرانية، اذ انّها توسعّت جغرافيا على حساب الدويلات الاسلامية الاندلسية (٤) ، وزادت مداخيلها المالية فاثرّت ايجابا بالنسبة للنصارى حيث وفرّت لهم الاموال اللازمة لإعداد الجيوش وتجهيز العدد للمعارك في المستقبل وزاد ذلك أيضا في ابقاء الروح المعنوية عند معظم المواطنين النصارى في الشمال، كما ان الصراع أدّى الى افقار الدويلات الاندلسية من جرّاء الغارات والحروب وانتشار الاعمال العسكرية، وانعكس ذلك على الانتاج الاقتصادي الذى أثّر بالتالي على بقية المرافق السياسية والعسكرية في أندلس الطوائف ، كل ذلك كان له أثر كبير في استيلاء النصارى على طليطلة بل كان لذلك أثر ايضا في إستيلاء الممالك النصرانية على كثير من المناطق الاندلسية، ومن أبرز المعالم الدالّة على دور دول الطوائف في نكبة طليطلة تقديمهم الاموال والهدايا للفونسو خلال فرضة الحصار الشديد على طليطلة، الذى ادّى الى سقوطها، فوفّر له ذلك الامكانات الكافية واللازمة لمتابعة الحرب من جهة، وللاطمئنان والتأكد أن لانجدات ستصل لطليطلة لمساعدتها في التصدّى له من جهة ثانيه ، والأدهى من كل ذلك الوقع الذى تركته المقابلة على نفوس أهل طليطلة، عندما رأى الوفد الطليطلي بأمّ عينيه وسمع ما جرى في المقابلة (٥) .

---

(١) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٧٩، ٨٠، ٨١.

(٢) ابن عذارى ، ج٣، ص ٢٣٨، ٢٥٣؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ١٨٤.

(٣) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٤٠٤ حاشية رقم (٣).

(٤) كاستيلاء الممالك النصرانية على مدينة قلمرية من دولة بطليوس ، وبعض المناطق الطليطلية كحصون سرية وقورية وقنالش من دولة طليطلة وتسليم الحصون للممالك النصرانية مقابل الحصول على مساعدتهم في حرب دول الطوائف الاخرى: انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٥) انظر هذه الدراسة ، ف ٥، ص ٣٩٦-٣٩٧.

وأخطر دور أدّاه حكام دول الطوائف كان دور المتفرّج الذى وقفوه ازاء محنة طليطلة وخاصة موقف المعتمد بن عبّاد حاكم أكبر دولة أندلسية آنذاك الذى تمثل في عدم مناصرة أهل طليطلة، حتى ان بعض المصادر أشارت الى ان معاهدة كانت مُبرمة مع الفونسو أوحت من خلالها بعض المصادر معتمدة على رسالة المعتمد الى الفونسو ان اتفاقا كان قد عُقد بين المعتمد والفونسو كان من بنوده عدم معارضة المعتمد لمخططات الفونسو في الإستيلاء على طليطلة (١)، ولذلك يمكن القول ان من الأسباب التي ساعدت على وصول طليطلة الى المصير الذى وصلت اليه، عدم الوعي الكافي لدى حكام دول الطوائف لما كان ينتظرهم من الأخطار التي ستترتب على ضياع طليطلة، وادرك بعضهم وعلى رأسهم المعتمد بن عبّاد ذلك بعد فوات الآوان، فحاولوا عندئذ الاستنصار بمسلمي العدوة المغربية (٢)، ويُستثنى من حكام دول الطوائف المتوكل عمر بن الافطس حاكم بطليوس اذ أنّه بعث قوات بقيادة ولده لانقاذ طليطلة ولكنّه لم يستطع ان ينقذها من المصير الذى آلت اليه فهُزمت قواته بعد ان خاضت عدّة معارك مع القوات المُحاصِرة لطليطلة (٣)، وكذلك قيام ابن الافطس ايضا بارسال رسالة استنجاد الى يوسف بن تاشفين

---

(١) انظر لمؤلف مجهول، الحلل، ص٤١. وذكر الحميرى ان صلحا كان مبرما بين المعتمد والفونسو عندما سقطت طليطلة عام ٤٧٨هـ: الحميرى، ص٨٤.

(٢) كما فعل المعتمد بن عبّاد عندما أرسل الى يوسف بن تاشفين مستنصرا به، انظر الصنهاجي، ص١٠٢-١٠٣؛ ابن الخطيب، أعمال، ص٢٤٥ فانه ذكر ان ذلك حدث في بداية شهر جمادى الاولى من سنة ٤٧٨هـ؛ انظر الحميرى، ص٨٥-٨٦ فانه ذكر ان المعتمد اخذ موافقة ابن الافطس وعبد الله الصنهاجي صاحب غرناطة في استقدام المرابطين وأرسلوا وفدا مشتركا من أجل تلك الغاية؛ وانظر الحلل، ص٤٤-٤٦ وبيّن ان رسالة المعتمد الى ابن تاشفين كانت في شهر جمادى الاولى من سنة ٤٧٩هـ؛ ثم انظر ابن الكردبوس، م: ١٣، ص٨٩-٩٠ فانه ذكر ان حكام المناطق الاندلسية وخاصة الجهات الغربية منها كابن عبّاد وابن الافطس عندما تيقنوا بنوايا وخطط الفونسو استنجدوا بالمرابطين. لكن صاحب كتاب الحلل ذكر ان المراسلة بين ابن الافطس ويوسف بن تاشفين بشأن قدومه الى الاندلس الاخير لنصرة المسلمين قد بدأت عام ٤٧٤هـ وان وفدا من أهل الاندلس ذهب الى ابن تاشفين في ذلك العام: انظر الحلل، ص٣٣-٣٥.

(٣) أشباخ، ص٥٩؛ عنان، دول، ص١١٠.

قبل سقوط طليطلة يستنصره للقدوم لمساعدة المسلمين في محنتهم التي كانوا يواجهونها في عام ٤٧٤هـ (١)، وكذلك قيامه بتوجيه القاضي العلامة أبي الوليد الباجي للقيام بجولة تحذير واستصراخ لمسلمي الاندلس حكاما ومحكومين للقيام بالتوحد والوقوف في وجه الممالك النصرانية وانقاذ طليطلة قبل ان تسقط وبالتالي يأتيهم الدور من بعدها (٢)، ويُستثنى من ذلك ايضا ابن هود حاكم سرقسطة نظرا لانشغاله بحروبه المتواصلة مع مملكة ارغون ونبّرة وامارة قطلونيا (٣).

ومن العوامل التي أدّت بطريقة أو أخرى الى المساعدة في سقوط طليطلة، حياة الترف واللّهو وسياسة البذخ التي عاشها حكام بني ذى النون في طليطلة كالمأمون والقادر التي كانت تستنفد اموالا طائلة في بناء القصور والانفاق على الملذات (٤)، بدل ان تسخّر تلك الاموال والامكانات في الإعداد لحرب الممالك النصرانية واقتناء السلاح وبناء التحصينات اللازمة.

---

(١) انظر الحلبل، ص ٣٣-٣٥.

(٢) عنان، دول، ص ١٠٩.

(٣) انظر اشباخ، ص ٥٨. ويفهم ذلك ممّا اورده ابن ابي زرع: انظر، ص ١٤٦.

(٤) انظر الطرطوشي، سراج الملوك، ص ٥٤ فانّه ذكر ان المأمون بن ذى النون بنى قصره وانفق فيه اموالا طائلة.. وكان من عجائبه انشاء بركة ماء كأنّها بحيرة في وسطها قبة، وأوصل لها الماء من تحت الارض حتّى رأس القبة على تدبير أحكمه المهندسون...؛ وقال ابن بسام ان المأمون بن ذى النون عاش عيشة الترف واللهو والبذخ فبنى القصور الفارهة: انظر ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٢٦-١٣٧، ١٤٧-١٤٩؛ وانظر بالنسبة لما بناه المأمون من قصور وقباب وبرك، المقرى، نفح، ج١، ص ٥٢٨-٥٢٩؛ وقال ابن الكردبوس ان سبب طمع النصارى في دول الطوائف في الأندلس انصراف حكامّها الى الملّذات وانشغالهم بحياة الترف واللهو: ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٧٧. كما ان المصدر نفسه ذكر ان سبب طمع الطامعين بالقادر بن ذى النون وخاصة النصارى، انغماسه في حياة الترف واللهو وتربّيه في احجار النساء: انظر ص ٧٩.

ومن الأمور التي ساهمت في إضعاف طليطلة لجوء بعض افراد البيت النوني الى اعداء طليطلة (١)، فكان للخلاف الذى حدث في الاسرة الحاكمة في طليطلة دور كبير في كشف اسرار ونقاط الضعف في الدولة الطليطلية، ممّا مكّن اعداءها من القيام بشنّ هجمات قوّية ومؤثّرة أدّت الى اضعاف طليطلة الى حد كبير.

من الأسباب غير المباشرة التي كان لها أثر في سقوط طليطلة: حالة الفوضى والاضطرابات التي رافقت انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين في المشرق الاسلامي، والتي أدّت في النهاية الى انسلاخ الاندلس عن باقي جسم الدولة الاسلامية أدّى ذلك فيما بعد بالاضافة الى عوامل داخلية في الاندلس كالمجاعات والحروب والنزاعات الداخلية الى نشوء الممالك النصرانية في الشمال الايبيرى، ومن ثمّ توسع تلك المناطق النصرانية فيما بعد إبّان فترات الضعف والفوضى والنزاعات التي عمّت الاندلس الاسلامية وتكوين الممالك النصرانية، ومن ثمّ امتدادها وتوسّعها الى الجنوب بسبب الثورات الداخلية في الاندلس في عصري الامارة والخلافة (٢)، ولهذا فانّ ثورات طليطلة في عصرى الامارة والخلافة كان لها دور مؤثّر في الاخلال بميزان القوى بين الاندلس الاسلامية والممالك النصرانية، ممّا ساعد النصارى على تثبيت كياناتهم في الشمال أولاً، والتوسع جنوبا على حساب الاندلس ثانيا (٣)، كل هذه العوامل مجتمعه كان لها دور غير مباشر فيما بعد على سقوط طليطلة وغيرها من المناطق الاندلسية بأيدى الممالك النصرانية، اذ ان البدايات الاولى لِما حدث لطليطلة بدأت منذ ذلك الزمن البعيد وأعطت ثمارها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

لكلّ ما سبق يمكن القول ان حياة الركود والدعة والتفرق التي مرّ بها المسلمون في طليطلة والاندلس، كانت عبارة عن حالة من الشيخوخة وصل اليها الاندلسيون، لذلك

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٦٨-٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) انظر هذه الدراسة، ف٣، ص ١٤٢ -١٤٣، ف٤، ص ٢٦٣- ٢٦٦، ٢٩١-٢٩٢، ٣١٨-٣٢١.
وانظر بالنسبة للثورات الطليطلية في عصرى الامارة والخلافة الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(٣) انظر الثورات الطليطلية، الفصل الرابع من هذه الدراسة، وانظر الدراسة نفسها، ف٤، ص ٢٩١-٢٩٣، ٣١٨-٣٢١.

استطيع القول ان الأمّة أو الدولة التي تكون ضعيفة سياسيا وعسكريا، ومفككة منقسمة على نفسها، وتنصرف الى حياة الترف والملذات، وترضى بعيشة الدعة والذل والهوان، لا بدّ وان تمرّ في فترة ركود وضياع، وتنهار، ومن المؤكد في مثل هذه الحالة ان تستولي أمّة او دولة أخرى على مقاليد الأمور وتبسط هيمنتها على البلاد وتسوم سابقتها الخسف والعذاب، لأنّ أمّة او دولة راكدة متجمدة لا بّد وان تتراجع وبالتالي تقهرها أمّة اخرى فتية لديها من عوامل البقاء والازدهار ما يكفي لأن تحتّل مكانة الأمة والدولة السابقة، وهذا ما حدث في الاندلس فقد حلّ المسلمون في بداية الفتح الاسلامي للأندلس مكان القوط (١)، وانعكس الأمر بعد تفكك وحدة الاندلس فحلت الممالك النصرانية مكان دويلات الاندلس الاسلامية، ولم يكن في الإمكان تغيير مجرى الأحداث الّا من خلال تجديد الحياة والشباب في كيانات مسلمي الاندلس بتجديد جريان دماء جديدة في عروقها، وقد حدث ذلك عندما قدم المرابطون الى الاندلس، ومن بعدهم الموحدون، ولكن الدم الجديد الذى أخذ في السريان في شرايين الجسد الاندلسي لم يكن كافيا لتجديد شباب الاندلس، الّا انه ساعد على حفظ الجسم المتبّقي من الأندلس من الضياع الى فترة من الزمن (٢)، فلذلك يمكن القول ان غروب شمس أمّة الاسلام عن طليطلة تبعه ظهور أمّة جديدة عليها.

ان ما حدث لطليطلة وللمسلمين في الأندلس سيتكرر حدوثه للأمم والدول التي ستمرّ في حالات مشابهة، وسيحدث لها ما حدث لطليطلة، اذا لم تصح، وتتلاف اخطاءها وتعالج مواطن الضعف فيها، كما أوصلت الاخطاء طليطلة الى مصيرها الذى آلت اليه، لذلك فانّ قراءة التاريخ قراءة بهدف الاستفادة من العبر والدروس المستقاة ممّا جرى في الأيام الغابرة، لا بدّ وان تعطي ثمارها اذا ما عولجت المشاكل والاسباب التي ستؤدّى الى الضياع قبل ان تصل الى مرحلة اللّاعودة. لذلك حرّيّ بمن يعيشون أوضاعا مشابهة لأوضاع مسلمي الاندلس وطليطلة في فترة التفرق والضياع التي مرّت عليهما حرّيّ بهم أن يعالجوا أخطاءهم، وان يعتبروا قبل ان يتخطفهم مصير مشابه او اشدّ مرارة وقسوة، من المصير الذى حلّ بطليطلة قبل فوات الأوان.

---

(١) انظر أوضاع دولة القوط في ايبيريا، هذه الدراسة، ف ١، ص ١١ وما بعدها ثم انظر هذه الدراسة، ف ٢ بالنسبة لحلول المسلمين مكان دولة القوط في الاندلس.

(٢) سأشير الى ذلك في نهاية هذا الفصل انظر ص ٤٢٢ - ٤٢٥.

الآثار الناتجة عن سقوط طليطلة :

تمخض سقوط طليطلة بأيدى مملكة قشتالة عن نتائج منها ما يتعلق بطليطلة، ومنها ما يختص بالاندلس : امّا الآثار التي أعقبت ضياع طليطلة بالنسبة لطليطلة نفسها فهي : تلاشي دولة من دول الطوائف في الاندلس كان اسمها طليطلة نظرا لاستيلاء مملكة قشتالة على اجزاء كبيرة منها وعلى رأس تلك المناطق العاصمة طليطلة، وقد ذكر ابن الكردبوس ان الفونسو استولى على معظم المناطق الطليطلية، فاستحوذ على ثمانين بلدا من البلاد التابعة لطليطلة عدا عن البلدان الصغيرة والقرى المعمورة وحاز من وادى الحجارة الى طلبيرة (١) .

ونتج عن استيلاء مملكة قشتالة على طليطلة استمالة بعض رجالاتها، من قبل نائب الفونسو المعيّن عليها المدعو ششندو (سسند)، بسبب تطبيقه سياسة اظهرت العدل في الأحكام، وقام على أثر ذلك بتحبيب النصرانية الى العامّة فتنصّر بعض المسلمين من ذوى النفوس الضعيفة (٢) ، ومن النتائج التي ترتبت على ضياع طليطلة من أيدى المسلمين اتخاذ الفونسو طليطلة عاصمة لدولته (٣) ، والقيام بتحويل مسجدها الجامع الى كنيسة بأمر منه في شهر ربيع الأوّل من عام ٤٧٨هـ (٤) ، وبالقاء نظرة على شروط التسليم (٥) ، يلاحظ ان تغيير المسجد الجامع وتحويله الى كنيسة للنصارى هو خرق لبنود الاتفاقية بين الجانبين التي نصّت على احترام قواعد الديانة الاسلامية وعدم التعرّض للمسلمين وللامور المتعلقة بدينهم، وقد نصح ششندو الفونسو بعدم فعل ذلك أو غيره من الامور لأنّ في ذلك توغير للصدور واثارة ردّة فعل عند المسلمين في طليطلة وفي غيرها من المناطق وسيؤدي ذلك الى إعاقة تنفيذ خطط وتدابير النصارى لأنّ من شأن ذلك استثارة النفوس الساكنة وتنبيهها من غفلتها (٦) . ومن الآثار التي أعقبت سقوط طليطلة

---

(١) ابن الكردبوس، م :١٣، ص ٨٧.

(٢) ابن بسام ، ق:٤، م :١، ص ١٦٧.

(٣) النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ وانظر بشتاوى ، ص ٥٠ فإنه قال ان طليطلة اصبحت عاصمة لقشتالة عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م.

(٤) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٦؛ النويّرى ، ج٢٣، ص ٤٤٢.

(٥) انظر شروط أهل طليطلة في الفصل الخامس من هذه الدراسة، ص ٣٩٤، ٣٩٧.

(٦) ابن بسام، ق:٤، م :١، ص ١٦٨.

بايدى القشتاليين بالنسبة لمسلميها، جباية مبالغ مالية منهم (١) ، وهذا يعتبر في واقع الأمر أمرا طبيعيا بالنسبة لمعظم المنتصرين والفاتحين، ولكنّ المهمّ في ذلك هو التفاوت في المقادير التي تجبى وتفرض على المغلوبين.

من الأمور التي ترتبت على ضياع طليطلة استيلاء القادر بن ذي النون على بلنسية وتوليه حكمها (٢) ، ولقد تبعه بعض مواطنيه اليها بسبب استيلاء النصارى على طليطلة (٣) ، ولهذا يمكن القول ان بعض مسلمي طليطلة هجروها بسبب سقوطها بأيدى القشتاليين ، وخاصة المتحمسين منهم والعناصر الشابّة اذ ليس من المعقول ان يبقى هؤلاء تحت رحمة المحتلّين لأنهمّ سيبحثون في مثل هذه الحالة عن أماكن جديدة للعيش فيها، أو التجنّد في صفوف بعض القوات التي اعتقدوا انّها ستكون المحطة أو المحطّات القادمة التي سيشنّ الفونسو عليها هجماته، لقد ورد في أحد المصادر ان بعض أهل طليطلة نزحوا الى سرقسطة (٤) ، من الأمور الدآلة على هجرة الطليطليين وجود شرط من الشروط التي اشترطها الطليطليون قبل تسليم مدينتهم، المتعلق بحرية الهجرة من طليطلة لمن أراد ذلك من أهلها (٥) .

من الآثار التي نجمت عن ضياع طليطلة أفول شمس الإسلام عن طليطلة الى زمننا الحاضر، وتمّ ذلك بسبب تراجع الاسلام منها بسبب تناقص أعدادهم فيها نتيجة لهجرتهم، وتنصّر البعض منهم من جهة، وقدوم أعداد من النصارى من الشمال اليها واستيطانهم بها من جهة ثانية (٦) ، بسبب عودتها مركزا للمسيحية بعد ان كانت مركزا كبيرا للإسلام.

---

(١) النويّرى ، ج٢٣، ص ٤٤٢.

(٢) الصنهاجي ، ص ٧٧؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ١٨٢؛ ابن خلدون، م:٤، ص ٣٤٨؛ القلقشندى، صبح، ج ٥، ص ٢٥٢؛ المقّرى، نفح، ج١، ص ٤٤١؛ وذكر صاحب التاريخ المبتور الأوّل والآخر الملحق بالجزء الثاني من كتاب ابن عذارى ما يُفيد ذلك : ابن عذارى، ج٣، ص ٣٠٤؛ واشار الى ذلك اشباخ، ص ٦٠.

(٣) اشباخ ، ص ٦٠. (٤) ابن الكردبوس ، م:١٣ ، ص ٨٤

(٥) ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٥.

(٦) اشباخ، ص ٦٠. وهجرة النصارى الى طليطلة أمر طبيعي بعد استيلائهم عليها نظراً لما كانت تمثّله بالنسبة لهم كونها كانت رمزا لماضيهم قبل دخول الاسلام إليها.

ولكونها كانت عاصمة لآخر دولة مسيحية في الاندلس عند قدوم المسلمين اليها وقبيل الفتح الاسلامي، ولوجود الكنائس الكبيرة فيها، ولكونها كانت تمثّل محور الاسقفيات النصرانية قبل مجيء المسلمين، ولاعتبار أنّ اسقفها المطراني كان أحد رجالات الديانة النصرانية المعدودين في شبه الجزيرة الايبيرية (١)، فعاد لطليطلة مكانتها نظراً لإعتبار أنّ اسقفها المطراني أصبح يمثّل الرجل الاول وصاحب السيادة على الكنيسة النصرانية في شبه الجزيرة الايبيرية (٢)، فعادت طليطلة نصرانية في قيادتها السياسية والعسكرية وفي كثافتها السكانية، اذ من المؤكد ان العنصر النصراني أصبح هو العنصر الغالب عليها بعد اتخاذها عاصمة فقدمت اليها اعداد كبيرة من النصارى، فأُصبحت ديانتها الأُولى النصرانية على مذهب الكاثوليك، ولذلك عادت الى ارتباطها بروما وبالعالم الغربي، وانقطعت الوشائج الروحية التي كانت تربطها بالمشرق الاسلامي وخاصة مكة والمدينة والوشائج السكانية التي كانت تربطها بالمسلمين وتحوّلت إلى الارتباط بالعالم الغربي تماماً فيما بعد.

ومن الآثار التي أفرزتها عملية سقوط طليطلة تغيّر معالمها الاسلامية بتحويل ابرزها إلى معابد نصرانية واوضح مثال على ذلك تحويل المسجد الجامع فيها الى كنيسة (٣). ومن أبرز النقاط التي نتجت عن سقوط طليطلة تحولّها إلى منطقة معادية للمسلمين ومكان متقدم لمحاربتهم وحصن منيع لحماية النصارى فقد ورد ان الفونسو

---

(١) انظر هذه الدراسة، ف ١، ص ٧-٨، ١٢، ٤٧، ٤٨، ف ٣، ص ١٥٢-١٥٣، وانظر المجمع الطليطلي الثالث، ص ٨٧-٨٩، ١١٨، ١٢١، بالنسبة لأهمية طليطلة الكنسية لشبه الجزيرة الايبيرية، حيث انّها كانت مكان عقد المجامع الدينية وفيها عُقد أهم مجمع طليطلي وهو المجمع الثالث الذى ترتب عليه فرض النصرانية الكاثوليكية على مختلف سكان أيبيريا.

(٢) أشباخ، ص ٦٠.

(٣) ذكر ابن بسام ان المسجد الجامع في طليطلة غيّر في شهر ربيع الأول من عام ٤٧٨هـ: ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٦؛ النويّري، ج٢٣، ص ٤٤٢؛ وأُشار إلى ذلك أحد الشعراء الذى قال قصيدة في رثاء طليطلة، ومنها البيت التالي الذى يُشير إلى المعنى المقصود في المتن:

مساجدُها كنائس، أيُّ قلب ... على هذا يقرُّ ولا يطيرُ.

المقّري، نفخ، ج٤، ص ٤٨٤.

التجأ اليها بعد هزيمته في موقعة الزلاقة عام ٤٧٩هـ عندما أصيب في المعركة (١)، ولهذا فانها أصبحت في غضون عام ونيف تقريباً نقطة لمحاربة المسلمين في الاندلس بعد ان كانت هي البوابة الحصينة لمواجهة الممالك النصرانية وخاصة في عهد دول الطوائف.

أمّا النتائج التي ظهرت بعد سقوط طليطلة بالنسبة للممالك النصرانية فهي:

اتخاذ الفونسو السادس لقب الامبراطور (الانبراطور) (٢)، وكذلك تسمية نفسه بذي السيادة على الملّتين (٣)، أيّ الملّة النصرانية والملّة الاسلامية (٤)، ويعني ذلك انه اعتبر نفسه نتيجة للإستيلاء على طليطلة انّه صاحب الكلمة الأُولى في شبه الجزيرة الايبيرية، وانه أصبح الرجل الأوّل الذى يتحكم بامّة النصارى وكذلك أمّة الإسلام في الاندلس، واستعداده لوضع التاج على رأسه كما كان يفعل ملوك القوط قبل الفتح الاسلامي، الاّ انه أجّل ذلك حتّى يستولي على قرطبة (٥) التي كانت رمزا لوحدة الأندلس.

---

(١) ذكر ابن الكردبوس ان الفونسو كان محاصرا لسرقسطة عندما بدأت أخبار قدوم المرابطين وعزمهم في العبور إلى الأندلس، فرجع الى طليطلة واجتمع بأكابر رجال دولته واتخذ قرارا بمواجهة المرابطين، وتوجه المرابطون نحو بطليوس قاصدين طليطلة لمحاربة الفونسو: ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٩٢. كما ان المصدر ذكر ايضا ان الفونسو التجأ الى طليطلة بعد هزيمته في موقعة الزلاقة عام ٤٨١هـ: المصدر نفسه، م:١٣، ص ٩٤، ٩٥. وقال ذلك ايضا الحميرى : ص ٩٣؛ النويّرى، ج ٢٣، ص ٤٥٦. وذكرت بعض المصادر أن الفونسو تحرك من طليطلة لمواجهة المسلمين: النويّرى، ج٢٣، ص ٤٥٨؛ الحلل، ص ٥٤.

(٢) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٨ وذكر المحقق في الحاشية في الصفحة نفسها أن اللقب لاتيني وهو: (Imprateur Totius Hispaniae) أي الامبراطور على اسبانيا؛ ابن ابي دينار، ص ١٠١؛ وذكر صاحب كتاب الحلل ان الفونسو لقّب نفسه الكنيطور في الرسالة التي وجهها الى المعتمد بن عبّاد بعد سقوط طليطلة: الحلل، ص ٣٨.

(٣) ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٩؛ لمؤلف مجهول، الحلل، ص ٣٨، ٤٢.

(٤) انظر الحلل، ص ٤٠.

(٥) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٨-١٦٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٤٤.

ولسيادة المسلمين في تلك البلاد، فعملية استيلائه على طليطلة دفعته الى التفكير بالاستيلاء على مناطق الاندلس وبسط سيادته عليها، وذلك يتضح من خلال إعداده ناقوسا لوضعه لمسجد قرطبة الجامع بعد ان يحوّل الى كنيسة للنصارى [(١)]، لهذا يمكن القول ان ضياع طليطلة من أيدى المسلمين فتح المجال واسعا أمام أطماع الممالك النصرانية في الاستيلاء على الأندلس وطرد المسلمين منها، بعد تخليص عاصمة القوط القديمة، ممّا زاد وساعد على خلق شعور لديهم بحتمية تخليص الأندلس كلّها من أيدى المسلمين، وبذلك هيّئت في نفوسهم روح جديدة لإخراج المسلمين من الأندلس وإعادتها نصرانية بعد ذلك . ويبرز ذلك من خلال شخصية الفونسو وزيادة تكبّره واخذه في التفكير بالاستيلاء على المناطق الاندلسية الأُخرى ، نظرا لاعتقادة ان دول الطوائف لم تعد قادرة على الوقوف في وجهه، لكونهم اصبحوا جميعا تحت رحمة سيفه [(٢)] .

ومن النتائج الأخرى التي ظهرت بعد سقوط طليطلة اندفاع النصارى للاستيلاء على المناطق الاندلسية وابرز مثال على ذلك ما ذكره ابن الكردبوس من ان الفونسو قام بمحاصرة سرقسطة واصراره على الاستيلاء عليها لولا قدوم الأخبار باجتياز يوسف بن تاشفين الى الاندلس الأمر الذى جعله يفك الحصار عن سرقسطة ويعود أدراجه الى طليطلة للاستعداد لمواجهة القوات الاسلامية بقيادة ابن تاشفين [(٣)] .

---

(١) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٩.

(٢) ابن بسام، ق:٤، م:١، ص ١٦٧؛ ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٨٧. ومن العوامل التي جعلت الفونسو يعتقد ذلك دفع دول الطوائف ضرائب سنوية له وكذلك قيامهم بتقديم الهدايا والأموال له خلال محاصرته لطليطلة، وعدم قيامهم بإنجاد طليطلة: انظر هذه الدراسة، ف ٥، ص ٣٩٦-٣٩٧، ٤٠٤-٤٠٥، ٤٠٧.

(٣) انظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص ٩٠-٩١: لكنّه ذكر ان ذلك حدث عام ٤٨٠هـ قبل حدوث معركة الزلاقة. كما ان المصدر ذكر ان النصارى انتشروا في مختلف انحاء الاندلس وعاثوا فيها الخراب وخاصة المناطق القريبة النائية والمتقدمة: انظر المصدر نفسه، م:١٣، ص ٨٩؛ وانظر ابن ابي زرع، ص ١٤٥-١٤٦ فانّه ذكر ان الفونسو كان محاصرا لسرقسطة عام ٤٧٩هـ عندما عبر المرابطون الى الاندلس، في حين ان طرطوشة كانت مُحاصَرة من قبل قوات ارغون، وكانت بلنسية هي الاخرى محاصرة من قبل قوات نصرانية اخرى.

ان ما حدث لطليطلة أثر على المناطق الاندلسيّة وخاصة المجاورة منها للممالك النصرانية من حيث زيادة الخوف والهلع في نفوس مسلميها فلم يعودوا قادرين على مواجهة أيّة قوات نصرانية والتصدّي لها .[1]

من الآثار المهمّة التي نتجت عن سقوط طليطلة اقتراب الخطر النصراني من الاجزاء الخلفية من الاندلس التي كانت لا تعتبر خطوط مواجهة حدودية مع الممالك النصرانية، وذلك ان المناطق الطليطلة الشمالية كانت تعتبر حدّا فاصلا ومانعا للاخطار النصرانية، وفي الوقت نفسه نقاطا متقدّمة لمحاربة الممالك النصرانية فكانت عبارة عن رأس الحربة المصوّبة للوجود النصراني في الشمال ، ولكن سقوط طليطلة بايدي القشتاليين عكس الأمر وجعل من طليطلة رأس حربة في وسط الجسد الاندلسي بسبب موقعها المتوسط بالنسبة لدول الطوائف والممالك النصرانية، وكذلك وسطيتها بالنسبة لشبه الجزيرة الايبيرية[2] ، ان هذه الميّزة التي كانت تتصف بها جعلتها بعد ضياعها أكبر خطر على الوجود الاسلامي في الاندلس ، ولقد ظهر ذلك جليا من خلال الأصوات التي بدأت ترتفع في الاندلس مشيرة ومنّبهة لذلك من خلال وسائل الاعلام في تلك العصور التي كان من ابرزها الشعراء، الذين هبّوا للتحذير من الخطر ولدق اجراس ونواقيس الاخطار التي تفاقمت وعظمت بسبب استيلاء النصارى على طليطلة ومن ذلك قول ابي محمّد عبد الله العسّال الطليطلي الذى رحل بعد سقوط طليطلة الى غرناطة حيث توفي فيها :

يا أهلَ أندلُسٍ حُثّوا مطيّكُمُ ... فما المقامُ بها الاّ من الغَلَطِ

الثوب يَنسِلُ من أطرافهِ، وأرى ... ثوبَ الجزيرة مَنْسُولاً من الوسَطِ[3]

أراد الشاعر من قوله ذلك التنبيه للمُصاب الجلل الذى مُنيت به أندلس الطوائف، وخاصة ان الثوب قد خُرِقَ من وسطه، وفي هذه الحالة لا ينفع ترميمه كما لو كان الخرق والتلف في أحد اطرافه .

---

(١) انظر ابن الكردبوس ، م:١٣، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٠١.

(٢) ابن صاعد، ص ٦٣؛ الادريسي ، صفة، ص ١٧٣؛ المرّاكشي ، ص ٢٩؛ شيخ الربوة، ص ٢٤٤؛ الحميرى ، ص ١٣٠؛ المقرى ، نفح ، ج١، ص ١٦١.

(٣) ابن سعيد، ج٢، ص ١١؛ المقرى ، نفح، ج٤، ص ٣٥٢.

وذكر ابن خلكان ابيات الشعر السابقة ولكن مع بعض الاختلاف في ترتيب كلمات منها، وورود كلمات جديدة، فقد ذكر ان ابا محمد عبد الله بن فرج بن عزنون اليحصبي المعروف بابن العسّال الطليطلي قال بمناسبة سقوط طليطلة :

حُثّوا رَواحلكم يا أَهل اندلس ... فما المقام بها الا من الغلط

السلك يُنثَر من أطرافه ،وأرى ... سلك الجزيرة منثوراً من الوسط

من جاور الشرّ لم يأمن عواقبه ... كيف الحياة مع الحيّات في سفط ؟ (١)

وورد البيت الثالث عند المقّري بالصيغة الأولى كالتالي :

ونحن بين عَدُوٍ لا يفارقنا ... كيف الحياة مع الحيّاتِ في سفط ؟ (٢)

وذكر المقّري بيتي شعر لم يذكر قائلهما وهما :

يا أهل أندلسٍ رُدّوا المُعار فما ... في العُرفِ عاريةٌ الا مستردّاتُ

ألم تَرْوا بَيْدَقَ الكفار فرزنةً ... وشاهُنا آخر الأبيات شهماتُ (٣)

كما ان المقّري ذكر قصيدة طويلة (٤) قيلت في رثاء طليطلة بعد ضياعها يستنهض قائلها همم المسلمين حكاما ومحكومين للنهوض لنجدة ونصرة المسلمين وتخليص ما ضاع من بلادهم ، منها الابيات التالية :

لثُكْلِكِ كيف تبتسم الثغورُ ... سروراً بعد ما سُبيتْ ثغورُ

لقد قُصِمَتْ ظهورٌ حين قالوا ... أمير الكافرين له ظُهورُ

لقد خضعت رقابٌ كُنّ غلباً ... وزال عتوُّها ومضى النّفورُ

وهان على عزيز القوم ذلٌّ ... وَسامح في الحريم فتى غَيورُ

طليطلةٌ أباحَ الكفرُ منها ... حِماها ، إنَّ ذا نبأٌ كبيرُ

ألم تكُ معقلا للدين صَعْباً ... فذلّلهُ كما شاء القَديرُ

واخرج أهلَها منها جميعاً ... فصاروا حيثُ شاء بهم مصيرُ (٥)

---

(١) ابن خلكان، جـ٤، ص ١١٨-١١٩؛ المقّرى ، نفح، جـ٤، ص ٣٥٢.

(٢) المقّرى ، نفح، جـ٤، ص ٣٥٢.

(٣) المقّرى ، نفح، جـ٤، ص ٣٥٢.

(٤) انظر المقّرى ، نفح، جـ٤، ص ٤٨٣-٤٨٦.

(٥) المقّرى ، نفح ، جـ٤، ص ٤٨٣.

ومنها أيضا :

مَساجدُها كنائسُ ، أيَّ قلـب | عَلى هذا يقرُّ ولا يطـيرُ ؟ (١)

ومنها : خذوا ثأر الديانة وانصروها | لقد حامت على القتلى النسورُ

ولا تهنوا وسُلّوا كلّ عَضْبٍ | تهابُ مضاربا منه النحورُ

وموتوا كلكم فالموتُ أَولى | بكم من أن تُجارُوا أو تَجُورُوا

أصبراً بعد سبي وامتحان . | يُلامُ عليهما القلبُ الصَبورُ (٢)

ومنها : وقيل تجمَّعُوا لفراق شمل | طُليطلةٌ تملكها الكَفُورُ (٣)

ومنها ايضا :

مضى الإسلام فابْكِ دماً عليه | فما ينفي الجوى الدمعُ الغزيرُ

ونُحْ واندبْ رفاقاً في فلاةَ | حيارى لا تحطُّ ولا تسيرُ

ولا تَجنَحْ إلى سِلم وحارب | عسى أَن يُجْبَرَ العظمُ الكَسيرُ (٤)

وسقوط وسط الأندلس (طليطلة) أدّى في نهاية المطاف البعيد الى سقوط الأندلس كلّها بايدى الممالك النصرانية ، لأنّ الوجود النصراني في وسط الأندلس كان بمثابة الدّاء بالنسبة للجسد الاسلامي فيها ، فاستقرّ ذلك الدّاء واستشرى حتى آلت الى السقوط بايدى الممالك النصرانية .

ومن الآثار التي نتجت بسبب استيلاء مملكة قشتالة على طليطلة عام ٤٧٨ هـ ، الاصطدام المباشر بين مملكة قشتالة واشبيلية ، نتيجة لأطماع الفونسو ، ومطالبته تسليم بعض الحصون والمناطق التابعة لاشبيلية (٥) الواقعة في المناطق الجبلية ، للوفد

---

(١) المقّرى ، نفح ، ج٤ ، ص ٤٨٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٨٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٨٥ .

(٥) ذكر اشباخ ان الحصون التي طالب بها الفونسو كانت من الحصون التابعة لدولة طليطلة ، استولى عليها المعتمد بن عبّاد قبل سقوط طليطلة : أشباخ ، ص ٦١ .

الذي أرسله، ونظرا لما دار بين رجال المعتمد ورجال الفونسو من مشادّات وردود وردود مقابلة[1]، جرّد الفونسو حملة على اشبيلية ومناطقها[2]، ونتيجة لذلك تمّت القطيعة بين الجانبين[3]، ممّا دفع المعتمد الى مغالبة نفسه وَمَنْ حَولَهُ والقيام بالاستنجاد بدولة ناشئة عُرفت بدولة المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين فلبّى ابن تاشفين نداء الاستغاثة عام ٤٧٩ هـ[4].

---

(١) الصنهاجي، ص ١٠١-١٠٢ ولم يُشر الى الوفد؛ ابن الأثير، جـ١٠، ص ١٤٢؛ ابن خلكان، جـ٤، ص ١١٩؛ النويّري، جـ٢٣، ص٤٥٣؛ انظر الحميري، ص ٨٤؛ انظر الحلل، ص ٣٨-٣٩.

(٢) انظر النويّري، جـ٢٣، ص ٤٥٣؛ الحميري، ص ٨٤؛ الحلل، ص ٤١-٤٢؛ وانظر ابن الأثير، جـ١٠، ص ١٤٣؛ ابن خلكان، جـ٤، ص ١١٩ فانهما أشارا الى ما فعله المعتمد بالوفد القشتالي؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٤٤ فانّه ذكر ان خلافا وقع بين رجال الفونسو ورجال المعتمد وتوعّد أحد رجال الوفد القشتالي ان العام القادم سيكون عام أخذ أحسن البلاد بدل أخذ الأموال.

(٣) انظر الحميري، ص ٨٥؛ انظر الحلل، ص ٤٢؛ واشار ابن الأثير والنويّري الى استعداد الفونسو الى التوجه الى اشبيلية لمحاصرتها: ابن الأثير، جـ١٠، ص ١٤٣؛ النويّري، جـ٢٣، ص ٤٥٤.

(٤) الصنهاجي، ص ١٠٢-١٠٣ وذكر ان رسله بصفته أمير غرناطه ذهبوا ضمن الوفد الذى توجه الى المغرب مع بقية رسل بعض حكام الطوائف؛ انظر الحميري، ص ٨٥ - ٨٦ فقد ذكر ان المعتمد اتفق مع ابن الافطس وعبد الله الصنهاجي حاكم غرناطة على الاستنجاد بالمرابطين؛ النويّري، جـ٢٣، ص ٤٥٤-٤٥٥؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٤٥-٢٤٦ فانّه ذكر ان المعتمد استنجد بيوسف بن تاشفين عام ٤٧٨ هـ فكان عام ٤٧٩ هـ عام عبور المرابطين؛ انظر الحلل، ص ٤٤-٤٧. وذكر ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٨٩ وكذلك ابن ابي دينار، ص ١٠١ : ان حكام دول الطوائف وخاصة ابن عبّاد وابن الافطس عندما تيقنّوا نوايا الفونسو وانه لا يقنع منهم لا (بجزية ولا هدية) قرّروا الاستنجاد بالمرابطين. وخالف ابن الكردبوس المصادر الاخرى وقال ان عبور المرابطين الى الاندلس كان عام ٤٨٠هـ: ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٩٠. وذكر ابن ابي زرع ان امراء الاندلس اتفقوا على الاستنجاد بالمرابطين نظرا لما قام به الفونسو من مضايقة مسلمي الاندلس بعد سقوط طليطلة، وقيامه بمحاصرة سرقسطة : ابن ابي زرع، ص ١٤٤؛ وذكر ابن الخطيب أن المعتمد بن عبّاد استغاث بيوسف بن تاشفين لانقاذ مسلمي الاندلس بعد استيلاء النصارى على مدينتي قورية وطليطلة: ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام، تحقيق وتعليق :د. احمد مختار العّبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني، ص ٢٣٧.

لم يكن ابن عبّاد هو أوّل من استنجد بالمرابطين فقد سبقه الى ذلك المتوكل عمر بن الأفطس عام ٤٧٤هـ، اذ ان صاحب كتاب الحلل الموشية ذكر ان مراسلات سبقت سقوط طليطلة جرت بين ابن الافطس والأمير يوسف بن تاشفين استصرخه واستحثّه للقدوم لمساعدة المسلمين بعد سقوط بعض المناطق الاندلسية بايدى مملكة قشتالة، فوعده ابن تاشفين بالنصرة (١)، ولم يكتف ابن الافطس بذلك بل قام بتشجيع القاضي أبي الوليد الباجي للقيام باستصراخ واستنهاض همم دول الطوائف الاسلامية حكاما ومحكومين، والتنبيه للخطر المحدق الذى يتهدد الاندلس جميعها، والدعوة الى التجمع ورصّ الصفوف للوقوف في وجه المخططات النصرانية في الشمال (٢). ولم تكن تلك الدعوات هي الوحيدة في ذلك الشأن بل ان كثيرا من الاصوات والدعوات ارتفعت منادية بضرورة التوحد ونبذ الخلافات ورصّ الصفوف لمواجهة خطر الممالك النصرانية، وخاصة بعد سقوط طليطلة اذ أن عددا من الفقهاء والعلماء اجتمعوا بقاضي قرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم وأوكلوا اليه القيام بالاستنجاد بالمرابطين فاعلم القاضي المعتمد بذلك فايّد المعتمد ما اجتمع رأيهم عليه وطلب من القاضي ان يكون أحد رجال الوفد الذين سيوجههم الى يوسف بن تاشفين لحثّه ومطالبته القيام بنجدة مسلمي الأندلس (٣). لذلك يمكن القول ان من الآثار التي نتجت عن سقوط طليطلة خلق جوّ وشعور عام في الأندلس لدى المسلمين على اختلاف دويلاتهم، ومعهم بعض حكّام دول الطوائف بالخطر الرهيب الذى أخذ يتسع ويتقدم، والذى يُوشك ان يفترسهم، فتداعوا للتوحد ولرصّ الصفوف للوقوف في وجه الخطر الماحق الذى ينتظرهم جميعا ويتوعدهم بالويل والثبور، فلهذا يمكن القول ان سقوط طليطلة أشعل في نفوس وضمائر الكثيرين من الاندلسيين شعورا عامّا فرض عليهم التصدّى للخطر، وفي الوقت نفسه دّق سقوطها ناقوس الخطر ونبّه للمصير الذى ينتظر وجود باقي دول الطوائف كدول وكمسلمين بشكل عام. فبدأت تسرى في نفوس الكثير من مسلمي الاندلس الغيرة والنخوة بعد ان كادت تتبلّد، ويتلاشى من نفوسهم كل إحساس بما يدور حولهم إذ أنّهم

---

(١) انظر الحلل، ص ٣٣-٣٦.

(٢) عنان، دول، ص ١٠٩.

(٣) ابن الأثير، ج ١٠، ص ١٤٩-١٥٠؛ ابن خلكان، ج٤، ص ١١٩؛ النويّرى، ج٢٣، ص ٤٥٤.

أصبحوا، وكأنّهم سكارى وما هم بسكارى من شدّة هول الأحداث التي تلاحقت عليهم، فسران على نفوسهم الضعف والخبل واللامبالاة لِمّا يدور حولهم ، فبدأت تحرقهم شظايا وشرر النار الملتهبة المحدقة بهم دون ان يحسّوا بلهيبها وحرارتها، لذلك يمكن القول ان سقوط طليطلة ازال عن نفوسهم الغبار الذى تراكم عليها على مرّ السنين بسبب الأحداث التي جرت ، فنفض البعض منهم ذلك الغبار وصحا من غفوته او نومه الطويل ، فسرت في نفوسهم مشاعر جديدة هزّت وجدانهم وأعماقهم، فتنادوا ان هبّوا للجهاد وللدفاع عن وجودكم ايّها المسلمون في الاندلس .

انّ من أهمّ النتائج التي أعقبت سقوط طليطلة، دخول القوات الاسلامية من المغرب بقيادة يوسف بن تاشفين لنجدة المسلمين في الأندلس عام ٤٧٩ هـ (١) ، والتي أدّت الى صراع مسلّح كبير بين قوات المسلمين بشقيهم مسلمي الاندلس بمختلف دولهم ومناطقهم ومسلمي المغرب من جهة، والممالك النصرانية في الشمال وعلى رأسها مملكة قشتالة، وكذلك مملكة ارغون ونبّرة (٢) ومن هبّ لنصرتهم من النصارى من المناطق الجنوبية من فرنسا (من لانجدوك وجوبانه وبرجونيه وبروفانس) (٣) من جهة أخرى ، هذه المواجهة التي اسفرت عن حدوث معركة الزلّاقة، التي كانت خطيرة في نتائجها على الجانبين

---

(١) الصنهاجي ، ص ١٠١-١٠٣ ولكنه لم يذكر تاريخ وقوعها؛ ابن الأثير، ج١٠، ص ١٥٤ ؛ ابن خلكان، ج٤، ص ١٢٠؛ النويري، ج٢٣، ص ٤٥٨؛ ابن ابي زرع، ص ١٤٥؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٢٩٣؛ ابن الخطيب ، أعمال، ص ٢٤٦؛ الحميرى، ص ٨٣؛ الحلل ، ص ٣٨ ، ٤٥، ٥٩. وخالفت بعض المصادر المصادر السابقة بالنسبة للسنة التي حدثت فيها معركة الزلّاقة فذكر ابن الكردبوس ان عبور يوسف بن تاشفين الأول كان عام ٤٧٩هـ، وامّا تاريخ حدوث موقعة الزلّاقة فكان في ١٠ رجب من عام ٤٨١هـ :ابن الكردبوس م :١٣، ص ٩٠، ٩٥. وامّا المرّاكشي فانه قال ان وقعة الزلّاقة حدثت في ١٣ رمضان من عام ٤٨٠هـ: المرّاكشي، ص ١٩٥ بينما كان دخول يوسف بن تاشفين الى الاندلس في شهر جمادى الاولى من عام ٤٧٩هـ.

(٢) انظر ابن ابي زرع، ص ١٤٦ فانّه ذكر ان الفونسو استنفر جميع نصارى ايبيريا بمختلف ممالكهم وذكر امراء الاندلس الذين اشتركوا في المعركة؛ انظر الحميرى، ص ٨٦-٨٩ فانه ذكر ان الفونسو استنفر جميع أهل دولته وما يليها (كناية عن الممالك النصرانية في ايبيريا) وما وراءها (كناية عن بلاد الفرنجة فرنسا) ، ثم انظر اشباخ، ص ٨٠. واشارت المصادر الاسلامية الى اشتراك مسلمي المغرب والاندلس في موقعة الزلّاقة : الصنهاجي، ص ١٠٤-١٠٦؛ ابن الكردبوس م : ١٣، ص ٩١؛ الحلل، ص ٥٩.

(٣) أشباخ ، ص ٨٠.

نظرا للآثار التي خلفتها وعلى رأس ذلك المعنويات التي استفاد منها الطرف المنتصر بسبب حجم القوات التي خاضت المعركة (١)، فوقعت أحداثها في منطقة من المناطق التابعة لدولة بطليوس تدعى الزلاقة، وتمّ فيها تحقيق نصر ساحق لقوات المسلمين وقتل من جرّائها اعداد كبيرة من القوات النصرانية، حتّى ان بعض المصادر جعلت الذين نجوا من النصارى لا يتجاوز المئات بل العشرات وكان من بينهم الفونسو نفسه حيث أصيب بجرح والتجأ بعد مشقّة الى طليطلة واحتمى بها (٢)، وهكذا يلاحظ ان طليطلة أصبحت من المناطق التي يتحصن بها النصارى حيث كانت ملجأ لهم ومانعا من أيّ خطر داهم

---

(١) بالغت المصادر الاسلامية في تهويل عدد قوات النصارى التي اشتركت في المعركة فابن ابي زرع ذكر ان عدد قوات النصارى من الفرسان بلغ مائة وثمانون الف فارس بالاضافة الى مائتي الف راجل قتلوا جميعا، وبالغ في الامراكشي عندما ذكر ان تسعين الف رأس من رؤوسهم جمعت وارسلت الى المدن الاسلامية في المغرب والاندلس: انظر ابن ابي زرع، ص١٤٩، وممّا يزيد الشك في هذا الرقم ان المصدر نفسه ذكر ان المعركة كانت شديده وضارية كاد المسلمون فيها ان ينهزموا لولا صمود المرابطين، وقد استمرّ القتل في صفوف المسلمين ومع ذلك يخرج المصدر علينا بكلام لا يمكن ان يصمد للواقع فيقول ان عدد من قُتل من المسلمين كان ثلاثة الاف رجل: انظر المصدر نفسه ص١٤٩ ويكفي طرح السؤال التالي لاعادة النظر فيما ذكر المصدر السابق: هل كان النصارى ملقين اسلحتهم حتى يأتي المسلمون ويجتثوا رؤوسهم؟. وتباينت المصادر الأخرى في العدد الذى جعلته رقما لعدد قوات النصارى: فابن الكردبوس ذكر ان عدد قوات النصارى بلغ ستين الفا: ابن الكردبوس، م:١٣، ص٩٤؛ امّا ابن الأثير فقال انهم بلغوا خمسين الفا: ابن الأثير، ج١٠، ص١٥٣؛ وقال النويّري ان الفونسو خرج من طليطلة في اربعين الف فارس غير من انضاف اليهم: النويّري، ج٢٣، ص٤٥٦؛ في حين ان الحميري قال ان اقل رأى في تقدير القوات النصرانية التي اشتركت في المعركة بلغ اربعين الفا من ذوى الدروع باستثناء من كان يتبعهم إذ كان يتبع الواحد منهم واحد او اثنان: الحميري، ص٨٨. وامّا صاحب كتاب الحلل فقد بالغ في ذلك حتّى جعل من قتل منهم ثلاثمائة الف رجل، في حين انه قال: ان عدد المسلمين بشقيهم كان يقدر بخمسين الفا: الحلل، ص٥٦، ٦٢. وذكر اشباخ ان الروايات النصرانية كانت قد وصفت حجم القوات الاسلامية كما فعل المسلمون بالنسبة للقوات النصرانية: انظر اشباخ، ص٨٠.

(٢) انظر ابن الكردبوس، م:١٣، ص٩٢-٩٥؛ النويّري، ج٢٣، ص٤٥٥-٤٥٨؛ ابن ابي زرع، ص١٤٦؛ الحميري، ص٨٨-٩٣؛ الحلل، ص٥٦-٦٢.

سيواجههم، إذ ان الفونسو لم ينج الا بسبب تحصنه ولجوئه الى طليطلة . وبسبب النتيجة التي أسفرت عنها المعركة يمكن القول انّ الدم الاندلسي تجدد بعض الشيء من جـــرّاء تدفق الدم الجديد، لذلك يلاحظ ان سقوط طليطلة ربط بين دول الاسلام في المغـــرب والاندلس ، وبذلك استطاع كلا الجانبين العمل يدا واحدة لتحقيق نصر عزيز ومؤزّر على الممالك النصرانية، بسبب الدعم والمدد اللذين تلقاهما الجسم الاندلسي ، الذى بقي يصارع الاعداء لوحده مدة طويلة دون مساندة دول الاسلام في المشرق الاسلامي.

ومن النتائج التي نتجت عن معركة الزلاّقة ـ التي كانت بدورها نتيجة مـــن نتائج سقوط طليطلة ـ وقف التقدم النصراني نحو الجسم الاندلسي لفترة من الزمـــن، ويتضح ذلك من خلال افشال مخططات النصارى في الاستيلاء على بعض المناطق الأندلسية مثل سرقسطة وطرطوشة وبلنسية اللواتي كانت على وشك السقوط لولا قدوم المرابطين[(١)] ، وكذلـــك من خلال تبعية الأندلس الى دولة المرابطين بعد القضاء على حكم عهد الطوائف فيهـــا[(٢)] ، فكان للمرابطين دور واضح في وقف التقدم النصراني نحو الجسم الاندلسي بسبب قيامهم بالمحافظة على المناطق التي استولوا عليها من الاندلس ، وقيامهم بخوض معارك قوّية ضد النصارى واسترجاع بعض المناطق التي خسرها الاندلسيون كاستعادة اقليش عام ٥٠١ ه[(٣)] وطلبيرة عام ٥٠٣ه[(٤)] ، كما ان طليطلة نفسها هوجمت من قبل المرابطين في الاعوام التالية : عام ٤٨٣ ه ، ٥٠٣ ه ، ٥٠٧ ه ، ٥١٥ ه ، وتمكّن المرابطون من استعادة مجريـــط ووادى

---

(١) ابن ابي زرع ، ص ١٤٥-١٤٦؛ وانظر ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ٩١ فانّه ذكـــر ان سرقسطة كانت على وشك السقوط لولا قدوم المرابطين.

(٢) انظر الصنهاجي، ص ١٤٨-١٥٧، ١٦٤-١٧١، ١٧٢-١٧٤؛ انظر ابن الكردبوس ، م: ١٣، ص ١٠٤-١٠٧؛ انظر ابن ابي زرع، ص ١٥٣-١٥٦، ١٥٩-١٦٠، ١٦١؛ انظر الحلل ، ص ٧١-٧٦ ؛ وانظر ابن الأثير، ج١٠، ص ١٨٧، ١٨٩-١٩٠؛ ابن خلكان، ج٤، ص ١٢٠، ١٢١؛ ابن خلدون، م: ٤، ص ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦؛ القلقشندى ، صبح ، ج٥، ص ٢٥٨.

(٣) انظر ابن القطان ، نظم الجُمان ، ص ٥-٩.

(٤) انظر ابن القطان ، ص ١٣ – ١٤.

الحجارة بالاضافة الى ٢٧ حصنا من الحصون الطليطلية (١)، وخضوع الاندلس الى حكم المرابطين كان بالتالي أثرا من الآثار التي نتجت عن سقوط طليطلة.

كما اسفرت معركة الزلاقة عن استعادة بعض مسلمي الاندلس الثقة في النفس بعد الحالة التي وصلوا اليها بسبب الاوضاع التي مرّت عليهم، وبرز ذلك بشكل واضح في موقعة الزلاقة نفسها اذ انّ بعض الاندلسيين فرّوا من ميدان المعركة بعد وقت قصير من بدايتها ظنّا منهم ان النصر سيكون حليفا للنصارى، لكنّ الموقف تغيّر بعد دخول قوات المرابطين الاساسية وتوجيهها ضربات وصدمات متلاحقة لقوات النصارى، ممّا حدا بالاندلسيين الى العودة والمحاربة بصدق واندفاع (٢).

وعندما أزال الموحدّون دولة المرابطين وورثوا أملاكها كانت الاندلس من المناطق التي تبعت لهم في الثلث الثاني من القرن السادس الهجرى (٣)، فلذلك يمكن القول ان ما

---

(١) انظر ابن ابي زرع، ص ١٥٣-١٦١، ١٦٢، ١٦٤، وانظر المصدر نفسه، ص ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، بالنسبة لبعض حروب المرابطين للنصارى واسترجاع بعض المناطق والمحافظة على أخرى؛ وانظر ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ١١٠-١١١، ١١٣، ١١٤-١١٧، ١٢١.

(٢) انظر ابن ابي زرع، ص ١٤٧-١٤٨، ١٥١. كما ان الحميرى أشار الى ان اناسا من الاندلسيين انهزموا، وبعدأن أحسّوا بهزيمة الفونسو بدأوا يعودون: الحميرى، ص ٩٢، ٩٣. وذكر ابن الكردبوس: ان قسما من الاندلسيين فرّوا عند بداية هجوم الفونسو الى السهول والجبال ولم يثبت الاّ المعتمد، وتبع النصارى فل المسلمين ثمانية عشر ميلا في تلك البطاح يقتلون ويأسرون: ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ٩٤.

(٣) انظر ابن ابي زرع، ص ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩؛ وانظر ابن الكردبوس، م: ١٣، ص ١٢٥؛ وانظر ابن الخطيب، أعمال، ص ٢٦٥، ٢٦٩؛ وانظر المقرى، نفح، ج٤، ص ٤٧٧، ٤٧٨؛ وانظر د. العناى، سقوط دولة الموحدين، ص ٢٨-٦٧. ثم انظر ابن القطان، ص ٢٨-٥٠ بخصوص مبادئ دولة الموحدين ونشوئها؛ وانظر بالنسبة لنشوء دولة الموحدين: ابن ابي زرع، ص ١٧٢-١٧٩؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٣-١١.

قام به الموحدّون من دور في مقارعة الممالك النصرانية (١) ، يعتبر نتيجة غير مباشرة الى حدّ كبير لسقوط طليطلة وذلك ان وجود الموحدين في الاندلس كان ناتجا بسبب استيلائهم على أملاك الدولة المرابطية التي استولت على معظم مناطق الاندلس الاسلامية ، على اثر قدومها لنجدة مسلمي الاندلس بعد سقوط طليطلة .

أمّا دخول المرابطين ومن بعدهم الموحدّين الى الاندلس فلم يقض على الداء الذى استشرى في الجسد الاندلسي رغم تغيّر الطبيب المعالج ، فالمرابطون ومن ثمّ تغيّرهم بقدوم الموحدّين لم يوفّر للاندلس الشفاء الكامل ممّا عانته وكابدته ، وما كان ينتظرها ، فيمكن وصف ما فعله المرابطون ومن بعدهم الموحدّون انّه كان عبارة عن مسكّنات ومهدّئات عولج بها الداء ، ولكنّ وجود المرابطين والموحدّين في الاندلس لم يستأصل الداء من جذوره ولم يقض على أسبابه وروافده التي تغذّيه ، فما ان خف مفعول جرعات الدواء المسكن حتى اندفع الداء وانتشر وامتدّ الى سائر أنحاء الجسد .

ومن الآثار والنتائج التي خلّفتها عملية سقوط طليطلة انتقال الحضارة الأندلسية من شتّى أصناف العلوم والمعارف والفنون الى المغرب بشكل كبير ، وامتزاجها مع الحضارة المغربية ، بسبب تبعية الأندلس للمرابطين ومن ثمّ للموحدّين من بعدهم (٢) ،

(١) انظر الى كلّ من المصادر التالية : بخصوص بعض المواجهات العسكرية التي حدثت بين الموحدين والنصارى في الاندلس والدور الذى لعبه الموحدون في حفظ الاندلس من السقوط بايدى النصارى ، حتّى انّهم استعادوا بعض المناطق التي استولى عليها النصارى قبل دخولهم الى الاندلس : انظر ابن صاحب الصلاة ، طبعة ، ١٩٨٧م ، ص ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥–٢٩٨ ، ٢٩٨–٤٠٧ ، ٤١١–٤٢٢ ، ٤٣٦ ؛ انظر ابن ابي زرع ، ص ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠–٢٢٩ ؛ ابن الخطيب ، أعمال ، ص ٢٦٩ ؛ المقّرى ، نفح ، ج ٤ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ .

(٢) انظر د . محمود ، حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩–٤٣١ فإنه ذكر ان توحد المغرب والاندلس في عهد المرابطين أدّى الى اختلاط الحضارة المغربية والاندلسية بشكل كبير اكثر من السابق ، وأثر ذلك في تألّق نجم الثقافة والفن في المغرب نتيجة للمزج بين حضارة الاندلس القويّة وحضارة المغرب الأقل منها ، وذكر ان المؤثرات الاندلسية الزراعية انتشرت في المناطق المغربية الساحلية ؛ وانظر د . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج٢ ، ص ٥١ – ٦٠ بالنسبة لتأثير الحضارة الاندلسية لي المغرب والمناطق الشمالية من قارة افريقية .

كما ان الحضارة الاسلامية الأندلسية وجدت لها منفذا كبيرا نفذت منه الى الممالك النصرانية في ايبيريا بعد استيلاء الممالك النصرانية على مناطق أندلسية كمدينة طليطلة، اذفي مثل هذه الحالة لا بدّ من امتزاج حضارة الغالب بحضارة المغلوب، واذا كانت حضارة المغلوب متقدمة - وهي كذلك بالنسبة لحضارة مسلمي الأندلس - فانّ الغالب سيتأثر بها لا محالة بعد وقت من السيطرة على البلاد، ويبدأ في الاقتباس منها وتعلّمها، وهذا ما حدث بالنسبة للحضارة الاسلامية الاندلسية، فبدأ النصارى بالاستفادة منها في شتّى مجالات العلوم والمعارف والصناعات (١)، فشكلوا لهذا الغرض فرقا متخصصة لترجمة العلوم والفنون الاسلامية من اللغة العربية الى اللغة القشتالية، وعمل فريق من التراجمة بصورة خاصة في طليطلة، وبرز ذلك بشكل واضح بعد قرنين من سقوطها بايدى مملكة قشتالة (٢). وقال الدكتور غوستاف لوبون ان العلوم دخلت الى اوروبا من الاندلس وصقلية وايطالية، واحدى الوسائل الفعّالة التي تمّ من خلالها نقل العلوم الى اوروبا من الاندلس (اسبانيا)، الترجمة من العربية الى اللاتينية، وكانت طليطلة من أهمّ المناطق التي عُنيت بالترجمة، فكانت بداية أعمال الترجمة فيها بشكل جماعي ومنّظم قد بدأت في العمل عام ١١٣٠م - أيّ بعد قرن ونصف من استيلاء

---

(١) ذكر توفيق فهد أن نصارى قشتالة استفادوا من العلوم الاسلامية في طليطلة، كما استفاد منها الاوروبيون كذلك : فهد، توفيق ، أضواء عربية على اوروبا في القرون الوسطى ، ص٣٨-٣٩؛ كما أن كب ذكر أن المسيحيين في ايبيريا بعد انتصارهم على المسلمين ظلّوا بحاجة الى مسلمي الاندلس ليعلموهم مختلف العلوم والفنون والصناعات ، كالصناعات النسيجية وتربية دودة القز : كب، ستانوود، المسلمون في تاريخ الحضارة، ترجمة، الدكتور محمد فتحي عثمان، ص٧٧. وقال الدكتور غوستاف لوبون ان اوروبا اخذت صناعة النسيج المتقنة عن المسلمين : د. لوبون ، حضارة العرب ، ص٣٣٧.

(٢) بروفنسال ، حضارة العرب في الاندلس ، ٩٦. كما ان المصدر نفسه قال ان الحضارة الاسلامية الاندلسية كان لها أثر واسع على المؤلفات الاوروبية فيما بعد : المرجع نفسه، ص٩٦-٩٧.

قشتالة على طليطلة ـ فترجم الكثير من المؤلفات الاسلامية كمؤلفات ابن سينا والرازي وابن رشد، حتى ان كتب علماء اليونان التي ترجمها المسلمون الى اللغة العربية، هي الاخرى بدأت تترجم ككتب جالينوس وافلاطون وارسطو (١) . لذلك يمكن القول ان سقوط المناطق الأندلسية بايدي الممالك النصرانية، كسقوط طليطلة ومثيلاتها من منارات الاندلس الحضارية والعلمية الاسلامية، كانت بداية انطلاقة وتقدم للممالك النصرانية في شبه الجزيرة الايبيرية .

---

(١) د.لوبون، ص٥٦٧-٥٦٨. ونوّه المرجع نفسه بالحضارة الاسلامية حيث قال انّ ترجمات الكتب العربية ولا سيّما الكتب العلمية منها ظلّت مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس في جامعات اوروبا لمدّة خمسة او ستة قرون ، حتى ان تأثير المسلمين في بعض العلوم كالطبّ دام الى العصور الحديثة، فقد شرحت كتب ابن سينا في مونبليه حتى اواخر القرن الماضي : لوبون ، ص٥٦٩. وقال د. حيدر بامات ان الحضارة الاسلامية الاندلسية كان لها دور في التأثير على تقدم العلوم والمعارف في اوروبا في العصور الوسطى: د. بامات ، حيدر، اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية، ترجمة : د. عبد القادر المجراوي و د. ماهر عبد القادر محمد، ص٨٢.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر

القرآن الكريم.

ابن الأبار، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي البلنسي ،
(المتوفى عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٦م).

- الحلة السيراء ، تحقيق وتعليق : د. حسين مؤنس ، الطبعة الاولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٣م.
- التكملة لكتاب الصلة ، نشر وتصحيح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن الأثير، الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ).

- الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تقديم : اية الله السيد شهاب الدين النجفي ، ط ٢، المطبعة الاسلامية، طهران ، ١٣٧٧هـ .

الادريسي ، الشريف الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد الحسيني ،
(المتوفى سنة ٥٦٠ هـ).

- نبذة من أخبار فتح الاندلس ، وهي مأخوذة من الرسالة الشريفية الى الاقطار التونسية ، مطبع ربدنير ، مجريط ، ١٨٦٨م.
- صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في أخبار الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م.

آدم ، يحيى بن آدم القرشي ، (المتوفى عام ٢٠٣ هـ) .
- موسوعة الخراج ، كتاب الخراج ، تصحيح وشرح وفهرست : احمد محمد شاكر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩م .

ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطّلبي ، (المتوفي بين سنة ١٥٠هـ و١٥٣هـ) .
- السيرة النبوية ، استخرجها الامام ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ، المتوفى عام ٢١٣هـ ، تحقيق وضبط وشرح وفهرست : مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ، دار الكنوز الأدبية ، مصر ، (ب . ت) .

الاصطخرى ، ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ،
(المتوفى عام ٣٤٦هـ /٩٥٧م) .
- المسالك والممالك ، تحقيق : الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨١هـ /١٩٦١م .

الأوسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الملك الانصارى الأوسي المراكشي ،
(المتوفى عام ٦٨١هـ /١٣٠٣م) .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .

ابن بسام ، ابي الحسن عليّ بن بسام الشنتريني ، (المتوفى سنة ٥٤٢ هـ) .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق:١ ، م:١ ، جامعة فؤاد الأول - كلية الآداب ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، ق:٣ ، م:١ ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

ابن بشكوال ، ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، (المتوفى عام ٥٧٨ هـ).

- الصلة ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م.

البكري ، الوزير الفقيه ، ابو عبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي ،
(المتوفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

- جغرافية الاندلس واوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق : د. عبد الرحمن علي الحجي ، الطبعة الاولى ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٨٧هـ /١٩٦٨م.
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، يطلب من مكتبة المثنى ، بغداد، ١٨٥٧م.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع ، تحقيق : مصطفى السقى، عالم الكتب ، بيروت .

البلاذري ، الامام ابو العبّاس أحمد بن يحيى بن جابر، (المتوفى عام ٢٧٩ هـ).

- فتوح البلدان ، تحقيق وتعليق وشرح : عبد الله انيس الطبّاع وعمر انيس الطبّاع ، دار النشر للجامعيّين ، بيروت ، ١٣٧٧هـ /١٩٥٨م.

ابن تغرى بردى ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الأتابكي ،
(المتوفى سنة ٨٧٤ هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الطبعة الاولى، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩م.

ابن حبيب ، عبد الملك بن حبيب الالبيري ، (المتوفى عام ٢٣٨هـ/٨٥٢م).

- كتاب مبتدأ خلق الدنيا ، الجزء الخاص بتاريخ الأندلس من (تاريخ) عبد الملك بن حبيب ، نشر : د. محمود علي مكّي ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م٥، عدد ١-٢، ١٣٧٧هـ /١٩٥٧م.

ابن حجر العسقلاني ، الامام الحافظ شهاب الدين ابي الفضل أحمد بن حجر،
(المتوفى عام ٨٥٢ هـ).
- لسان الميزان ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان ، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

ابن حزم الاندلسي ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (المتوفى عام ٤٥٦ هـ).
- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م.
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء، رواية الحميدى ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، م:١٣ ، ج ٢ ، ديسمبر ، ١٩٥١م.
- بين يدى (شذرات من كتاب السياسة ، لابن حزم)، نشر: محمد ابراهيم الكتاني ، تطوان مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية ، عدد ٥، ١٩٦٠م، دار كريماديس للطباعة ، تطوان ، المغرب .
- أمهات الخلفاء، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد، ط ٣، دار الكتاب الجديد، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠م.

الحميدى ، أبو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الأزدى ،
(المتوفى سنة ٤٨٨ هـ).
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، مطابع سجل العرب ، القاهرة، ١٩٦٦م.

الحميرى ، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن المنعم ،
(المتوفى في أواخر القرن التاسع الهجرى).
- صفة جزيرة الاندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، تعليق ونشر وتصحيح ، ا. لافي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي البغدادى النصيبي ،

(المتوفى عام ٣٦٧ هـ) .

– صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، (ب . ت) .

ابن حيّان ، ابو مروان حيّان بن خلف بن حيّان القرطبي ،

(المتوفى عام ٤٦٩هـ /١٠٧٦م) .

– المقتبس من ابناء أهل الأندلس ، القطعة الخاصة بعصر عبد الرحمن الثاني ، (ج ٢ ، تحقيق وتعليق : محمود علي مكي) ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م .

– المقتبس (قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأول من حكم عبد الرحمن الثالث) ، نشر ب . شالميتا وآخرون ، ج ٥ ، مدريد ، ١٩٧٩م .

– المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، قطعة خاصة بخمس سنوات من حكم المستنصر بالله ، (ج ٦) ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .

ابن خاقان ، الوزير الكاتب ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الاشبيلي ، (المتوفى عام ٥٢٩هـ /١١٣٥م) .

– قلائد العقيان ، دون ناشر ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ /١٨٦٧م .

– مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، دراسة وتحقيق : محمد علي شوابكة ، ط ١ ، دار عمّار (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله ، (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠ هـ) .

– المسالك والممالك ، بريل ، ١٨٨٩م .

الخشني ، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ، (المتوفى سنة ٣٦١ هـ) .

– قضاة قرطبة ، مطابع سجل العرب ، مصر ، ١٩٦٦م .

ابن الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن علي ، (المتوفى عام ٤٦٣ هـ).

- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

ابن الخطيب ، الوزير لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي ،

(المتوفى عام ٧٧٦هـ /١٣٧٤هـ).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، (وهو الجزء الخاص بتاريخ اسبانية الاسلامية)، تحقيق وتعليق : إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٦م.

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق ; د. أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، نشر وتوزيع : دار الكتاب ، الدارالبيضاء ، ١٩٦٤م.

- الاحاطة في أخبار غرناطة ، الطبعة الاولى، مطبعة الموسوعات ، مصر، ١٣١٩هـ.

- الاحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبدالله عنان، دار المعارف ، القاهرة ، (-١٩٦م).

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تصحيح وفهرست : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٤٧م.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، (المتوفى عام ٨٠٨ هـ).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٨م.

ابن خلكان ، أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ،

(المتوفى سنة ٦٨١ هـ).

- وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ، تحقيق وتعليق وفهرست : محمد محي الدين عبد الحميد ،الطبعة الاولى، مطبعة السعادة ،القاهرة ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

ابن رجب الحنبلي ، الامام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، (المتوفى عام ٧٩٥ هـ).

- موسوعة الخراج ، الاستخراج لأحكام الخراج ، تصحيح وتعليق : الاستاذ عبد الله الصديق ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

الرقيق القيرواني، ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم،(المتوفى عام ٤٢٥ هـ).

- تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق وتقديم: المنجي الكعبي، تونس،(ب . ت).

الزبيدى ، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي ، (المتوفى عام ١٢١٣ هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس ، مطابع دار صادر، بيروت . ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن الزبير، الشيخ ابو جعفر أحمد بن الزبير، (المتوفى عام ٧٠٧ هـ).

- صلة الصلة ، وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٢٧م.

ابن ابي زرع الفاسي ، ابو الحسن علي بن عبدالله ،(عاش في القرن الثامن الهجرى).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٦٢م.

الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، (كان حيّا عام ٨٩٤ هـ).

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، الطبعة الثانية ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦م.

الزياني ، أبو القاسم الزياني مؤرخ الدولة العلوية ، (المتوفى عام ١٢٤٩هـ/١٨٠٩م) .
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تحقيق وتعليق:عبد الكريم الفيلالي ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (المتوفى عام ٩٠٢ هـ) .
- الضوء اللامع ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، (— ١٩) .

السّراج ، الوزير محمد بن محمد الأندلسي ، (المتوفى عام ١١٤٩هـ) .
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠م .

ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى ، (المتوفى عام ٦٨٥ هـ) .
- المغرب في حلي المغرب ، تحقيق وتعليق : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣م .
- المغرب في حلي المغرب ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، م١٤ ، عدد ١-٢ ، مدريد ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، (المتوفى عام ٢٢٤هـ) .
- كتاب الأموال ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .

ابن سماك العاملي ، ابو القاسم ، محمد بن ابي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي ، (المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى ، الرابع عشر الميلادى) .
- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة ، دراسة وتقديم وتحقيق: د. محمود علي مكي ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية في مدريد ، مدريد ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .

السمعاني ، الامام ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ،
(المتوفى عام ٥٦٢ هـ).

- الأنساب ، تحقيق : محمد عوامة ، ط ٢ ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

السمناني ، العلامة أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الرحبي ،
(المتوفى عام ٤٩٩ هـ).

- روضة القضاة وطريق النجاة ، تحقيق وتقديم : المحامي د. صلاح الدين الناهي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، دار الفرقان عمان ، ١٩٨٤م.

السويدى ، الشيخ الفاضل ابو الفوز محمد امين البغدادى ،
(المتوفى عام ١٢٤٦هـ/١٨٠٥م).

- سبائك الذهب في معرفة قبائل وأنساب العرب ، الموصل ، ١٩٨٤م.

السيوطي ، الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،
(المتوفى عام ٩١١ هـ).

- تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، ١٣٢١هـ.

ابن الشبّاط ، محمد بن علي بن الشبّاط المصرى التوزرى ،
(المتوفى عام ٦٨١ هـ).

- وصف الاندلس ، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، (احمد مختار العبّادى ، نصان جديدان) ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م ١٤ ، مدريد ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨م.

شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الانصارى، الدمشقي ، (المتوفى عام ٧٢٧ هـ).

- نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، كوبنهاجن ، ١٩٢٣م.

ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك ، (المتوفى عام ٥٩٤هـ/١١٩٨م).

- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، استخرجه من مخطوط اكسفورد : د. عبد الهادى التازى ، ط ١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٣٨ هـ /١٩٦٤م.

- تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدّين، (تاريخ المن)، تحقيق: عبد الهادى التازى ، ط ٣، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٨٧م.

ابن صاعد الأندلسي ، القاضي ابو القاسم صاعد بن أحمد ، (المتوفى عام ٤٦٢هـ/١٠٧٠م).

- طبقات الامم ، نشر وفهرست : الاب لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩١٢م.

الصنهاجي ، الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبّوس بن زيرى ، (المتوفى عام ٤٨٣ هـ).

- التبيان مذكرات الأمير عبد الله ، نشر وتحقيق : إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف ، مصر، ١٩٥٥م.

الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى ، (المتوفى سنة ٣٣٥ - ٣٣٦هـ).

- أدب الكتاب ، تعليق وتصحيح حواشيه : محمد بهجت الاثرى ، ونظر فيه السيد محمود شكرى الألوسي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .

الضبّي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره ، (المتوفى عام ٥٩٩هـ).

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير، (المتوفى عام ٣١٠ هـ)٠

- تاريخ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق: محمدابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ١٩٦٧م٠
- تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمدابوالفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م٠

الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى المالكي ، (المتوفي عام ٥٢٠ هـ)٠

- سراج الملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة المحمودية التجارية ، القاهرة ، مصر ، ١٣٥٤هـ /١٩٣٥م٠

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، (المتوفى عام ٧٠٩ هـ)٠

- تاريخ الدول الاسلامية ، كتاب الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م٠

ابن عبد البّر ، ابوعمر يوسف بن عبد الله بن محمد ،(المتوفى عام ٤٦٣ هـ)٠

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوى ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، (ب ٠ ت)٠

ابن عبد الحق ، صفيّ الدين البغدادى ، (المتوفى عام ٧٣٩ هـ)٠

- مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوى ، الطبعة الاولى ، داراحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ /١٩٥٤م٠

ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله بن عبدالحكم،(المتوفى عام ٢١٤ هـ).
- سيرة عمر بن عبد العزيز، على ما رواه الامام مالك بن أنس، رواية ابن المؤلف ابو عبد محمد بن عبد الله بن الحكم المتوفى عام ٢٦٨هـ، تصحيح وتعليق : أحمد عبيدة، ط ١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

ابن عبد الحكم، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله ،(المتوفى عام ٢٥٧هـ/٨٧١م).
- فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٠م.
- فتوح افريقيا والأندلس، تحقيق وتقديم: عبد الله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٤م.

ابن عبد ربّه الاندلسي، الفقيه ابو عمر أحمد بن محمد،(المتوفى عام ٣٢٨هـ).
- العقد الفريد، تحقيق : محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت ١٩٤٠م.

ابن العبري، غريغوريوس، ابو الفرج بن أهارون، الطبيب الملطي،
(المتوفى عام ١٢٨٦م).
- تاريخ مختصر، دار الرائد اللبناني، الحازمية، لبنان، ١٩٨٣م.

ابن عذارى المرّاكشي، ابو العبّاس أحمد بن محمد،(كان حيا عام ٧١٢ هـ).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزءان الاول والثاني، تحقيق ومراجعة : ج. س كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب، ج ٣، نشر: إ. ليفي بروفنسال، بولس شتنر الكتبي، باريز، ١٩٣٠م.

العذري ، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي، (المتوفى ، عام ٤٧٨ هـ).
- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الاثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق: د. عبد العزيز الأهواني ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد، ١٩٦٥م.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة اللهبنالحسين، (المتوفى عام ٥٧١هـ).
- تهذيب تاريخ ابن عساكر، هذّبه ورتّبه : المرحوم الشيخ عبدالقادر بن أحمد ابن مصطفى الدمشقي المعروف بابن بدران، المتوفى عام ١٣٤٦هـ، الطبعة الاولى، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٥١هـ .

العصفري ، خليفة بن خيّاط ، (المتوفى عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م).
- تاريخ خليفة بن خياط ، رواية بقي بن مخلد، تحقيق: سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق ، ١٩٦٧م.

العماد الأصفهاني،ابو عبدالله محمدبن محمد بن حامد،(المتوفى عام ٥٩٧هـ).
- خريدة القصر وجريدة العصر، ق:٤، ج٢، تحقيق : عمر الدسوقي، وعلي عبد العظيم، مطبعة الرسالة ، عابدين، القاهرة ، ١٩٦٩م.

ابن العماد الحنبلي، المؤرخ الفقيه الاديب ابو الفلاح عبد الحيّ بن العمادالحنبلي، (المتوفى عام ١٠٨٩هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربي، بيروت ،(-١٩٨).

ابن عياض ، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي،(المتوفى عام ٥٤٤هـ).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تعليق وتقديم: محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة الشمال الافريقي، الرباط ، المغرب ، ١٣٨٣هـ /١٩٦٥م.

ابن غالب ، محمد بن أيوب ، (عاش في القرن السادس الهجري، كان حيا عام ٥٦٥هـ).

- نص اندلسي جديد ، قطعة من كتاب فرحة الانفس في أخبار أهل الأندلس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة ، نشر: د. لطفي عبدالبديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م:١ ، ج٢، القاهرة ، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/نوفمبر١٩٥٥م.

أبي الفداء، السلطان الملك عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ، (المتوفى عام ٧٣٣ هـ).

- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود، والبارون مالك كوكسين، الدار السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م.

ابن فرحون المالكي، برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري ، (المتوفى عام ٧٩٩ هـ).

- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدى ، مطبعة دار النصر للطباعة، القاهرة ، (- ١٩٧).

ابن الفرضي ، الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى ، (المتوفى عام ٤٠٣ هـ).

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، نشر وتصحيح، السيد عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

ابن الفقيه ، ابو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، (المتوفى عام ٢٩٠ هـ).

- كتاب البلدان ، مطبع بريل ، ليدن ، ١٣٠٢هـ .

الفيروزأبادى، مجد الدين أبو الطاهر بن يعقوب، (المتوفى عام ٨٢٣ هـ).

- القاموس المحيط ، مؤسسة فن الطباعة ، القاهرة ، ١٩١٣م.

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (المتوفى عام ٢٧٦هـ/١٨٨٩م).

- قصة فتح الأندلس وهي مأخوذة من كتاب الامامة والسياسة ، مطبع ربدنير، مجريط. ١٨٦٨م.(وهو منسوب لابن قتيبة علما ان كتاب الامامة والسياسة لمؤلف عاش في القرن الثالث الهجرى).

- المعارف ، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة ، ط٢، دار المعارف،القاهرة ، ١٩٦٩م.

عنان ، محمد عبد الله ،

- جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية ، تطوان ، مجلة للأبحاث المغربية والأندلسية ، م: ٣ - ٤ ، دار كريماديس للطباعة ، المغرب ، ١٩٥٨ - ١٩٥٩م .

ابن غالب ، نص اندلسي جديد : انظر ابن غالب المصادر .

نجم ، محمد يوسف ،

- كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة - من هو مؤلفه ؟ ، مجلة الأبحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، م:١٤ ، ١٩٦١م .

الورداني ، الرحلة الاندلسية ، انظر الورداني المصادر .

ابن جعفر، قدامة بن جعفر، (المتوفى عام ٣٢٨هـ وقيل عام ٣٣٧هـ).
- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق : د. محمد حسين الزبيدى، دار الرشيد، العراق، ١٩٨١م.

القرماني، أبو العبّاس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (المتوفى عام ١٠١٩هـ).
- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (ــ ١٩).

القزويني، الامام زكرياء بن محمد بن محمود، (المتوفى عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
- آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالملك بن يحيى الكتامي الفاسي، (المتوفى عام ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م).
- جزء من كتاب نظم الجمان، يتعلق باخبار القرن السادس الهجرى، وهو الجزء السادس من الكتاب، تحقيق : د. محمود علي مكي، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، (ب. ت).

القلقشندى، ابو العبّاس أحمد بن علي، (المتوفى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة.
- مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٤م.

ابن القوطية القرطبي، ابو بكر محمد، (المتوفى عام ٣٦٧هـ /٩٢٧م).
- تاريخ افتتاح الأندلس، مطبع ربدنير، مجريط، ١٨٦٨م.

ابن القيم الجوزية ، الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر ، (المتوفى عام ٧٥١ هـ) .

- كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، طبع في مؤسسة مكـــة للطباعة والاعلام ، المدينة المنورة ، ١٣٩٦هـ .

ابن الكازروني ، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي ، (المتوفى عام ٦٩٧ هـ) .

- مختصر التاريخ من أوّل الزمان الى منتهى دولة بني العبّاس ، تحقيق وتعليق : د. مصطفى جواد ، وضع فهارسه سالم الألوسي ، المؤسسة العامة للصحافـــة والطباعة ، بغداد ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ابن الكتاني ، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين ، التشبيهات من أشعار أهـل الأندلس . (المتوفى عام ٤٢٠هـ تقريبا) .

- التشبيهات من أشعار أهل الاندلس ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، ط ٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

الكتبي ، محمد بن شاكر ، (المتوفى عام ٧٦٤ هـ) .

- فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

ابن كثير ، الامام الحافظ المفسّر المؤرخ ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (المتوفى عام ٧٧٤ هـ) .

- البداية والنهاية في التاريخ ، الطبعة الرابعة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

ابن الكردبوس ، ابو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري ، (عاش في اواخر القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي).

- تاريخ الأندلس ، وهو قطعة من كتاب (الاكتفاء في اخبار الخلفاء)،(احمد مختار العبّادي ، نصان جديدان)، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، م ١٣، مدريد ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.

الكندي ، محمد بن يوسف ، ولاة مصر ، (المتوفى بعد عام ٣٥٥ هـ).

- ولاة مصر ، تحقيق : د. حسين نصّار ، دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

لمؤلف مجهول ، (عاش في القرن الرابع الهجري).

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، مطبع ربدنير ، مجريط ، ١٨٦٧م.

لمؤلف مجهول ، (القرن الثامن الهجري).

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المرّاكشية ، تحقيق : د. سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامة ، ط١ ، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

لمؤلف مجهول ،

- ذيل مشتمل على نص بعض أوراق من تاريخ مبتور الأوّل والأخر ومجهول الاسم والمؤلف في أخبار دول ملوك الطوائف بجزيرة الأندلس ، الملحق بالجزء الثالث من كتاب البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، لابن عذاري ، نشر : إ. ليفي بروفنسال ، بولس كتنر الكتبي ، باريز ، ١٩٣٠م.

ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد ، (المتوفى عام ٢٧٣ هـ).

- تاريخ الخلفاء ، رواية ابو بكر السدوسي ، المتوفى عام ٢٩٣هـ ، تحقيق : مطيع الحافظ ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

المالكي ، أبو بكر عبد الله بن ابي عبد الله المالكي ،
(المتوفى في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري).

- رياض النفوس ، في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبّادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ط١ ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م .

الماوردى ، أبو الحسن علي بن محمّد بن حسين البصرى البغدادى ،
(المتوفى عام ٤٥٠ هـ).

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

المرّاكشي ، محي الدين بن محمد عبدالواحد بن علي التميمي ،
(المتوفى عام ٦٤٧ هـ).

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين ، تحقيق : الاستاذ محمد سعيد العريان ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م .

مرتضي ، نظمي زاده أفندى ، كلشن خلفا ، (المتوفى عام ١١٣٦ هـ).

- كلشن خلفا ، نقله الى العربية : موسى كاظم نورس ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧١م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، (المتوفى عام ٣٤٦ هـ).

- أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، ط٣، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣ ، مطبعة السعادة ، مصر، ١٣٧٧هـ /١٩٥٨م.

المقري ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ،

(المتوفى عام ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م).

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : د. احسان عبّاس ، دار صادر، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبط وتحقيق وتعليق : مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م.

المقريزي ، تقي الدين ابو العبّاس أحمد بن علي ،(المتوفى عام ٨٤٥ هـ).

- المواعظ والاعتبار والاثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة المثنى، بغداد ، (ب . ت).

المكناسي ، محمد بن عثمان ، (المتوفى عام ١٢١٢هـ/١٧٩٨م).

- الاكسير في فكاك الأسير، تحقيق وتعليق : الاستاذ محمد الفاسي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، ١٩٦٥م.

ابن منظور ، ابو الفضل جمال محمد الافريقي المصري ،

(المتوفى عام ٧١١ هـ).

- لسان العرب ، الطبعة الاولى ، المطبعة الميرية ، بولاق ، مصر، ١٣٠٠هـ/١٣٠٧هـ .

الناصرى ، الشيخ أبو العبّاس أحمد بن خالد السلاوى الناصرى ،

(المتوفى عام ١٢٧٩هـ /١٨٦٣م).

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : ولدى المؤلف الاستاذ جعفر الناصرى ، والاستاذ محمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م.

النباهي ، الشيخ أبو الحسن عبد الله بن الحسن المالقي الاندلسي ،

(المتوفى بعد عام ٧٩٢ هـ).

- تاريخ قضاة الأندلس ، المسمّى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق : لجنة احياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

النويّرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، (المتوفى عام ٧٣٣ هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : د. أحمد كمال زكي ، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ١٩٨٠م.

الورداني ، علي بن سالم الورداني التونسي ، (كان حيّا في اواخر القرن التاسع عشر الميلادى).

- الرحلة الأندلسية ١٩ سبتمبر ١٨٨٧م، نشر : عبد الحكيم القفصي ، أوراق مجلة ثقافية يصدرها المعهد الاسباني العربي للثقافة ، م:٥ - ٦، مدريد ، ١٩٨٢ - ١٩٨٣م.

ابن الوردى ، زين الدين ابو حفص عمر بن مظفر بن عمر ،

(المتوفى عام ٧٤٩ هـ).

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي ، وأولاده ،القاهرة ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

- تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى)، اشراف وتحقيق : أحمد رفعت البدراوى ، ط١، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.

اليافعي ، الامام ابو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ، (المتوفى عام ٧٦٨ هـ).

- مرآة الجنان وعبر اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط ٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

ياقوت الحموى ، الشيخ الامام شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى ، (المتوفى عام ٦٢٦ هـ).

- معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ،(المتوفى عام ٢٨٤ هـ).

- البلدان ، مطبع بريل ، ليدن ، ١٨٩١م.

- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

ابو يوسف ، القاضي يعقوب بن ابراهيم ، (المتوفى عام ١٨٢ هـ).

- كتاب الخراج ، نشر: قصي محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ .

ثانيا: المراجع العربية

أرسلان ، الأمير شكيب ،

- الحلل السندسية في الأخبار والاثار الاندلسية ، الطبعة الأولى ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، ١٣٥٥هـ /١٩٣٦م .

أبو ارميلة ،

- د. هشام ، نظم الحكم في عصر الخلافة الاموية في الأندلس ، المكتبة العالمية ، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م .

أشباخ ، يوسف ،

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة ووضع حواشيه : محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ /١٩٥٨م .

بامات ، د. حيدر ،

- اسهام المسلمين في الحضارة الانسانية ، ترجمة : د. عبد القادر العجراوى و د. ماهر عبد القادر محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .

بروفنسال ، ا. ليفي ،

- حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

بروكلمان ، كارل ،

- تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨م .

بشتاوى ، عادل سعيد ،

- الأندلسيون المواركة ، مطابع انترناشيونال برس ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

بيضون ، د. ابراهيم ،

- الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٨٠م .

الترك ، د. عفيف ،

- محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٧٠م .

حتاملة ، د. محمد عبده ،

- محنة مسلمي الأندلس ، مطابع دار الشعب ، عمان ، ١٩٧٧م .
- التهجير القسرى لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني ، ط١ ، عمان ، الاردن ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٢م .

الحجي ، د. عبد الرحمن علي ،

- التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتّى سقوط غرناطة ، ط١ ، دار القلم دمشق - بيروت ، الكويت - الرياض ، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م .
- مع الاندلس لقاء ودعاء ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٠م .

حسين ، كريم عجيل ،

- الحياة العلمية في بلنسية الاسلامية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٦م .

خليل ، سعيد صالح موسى ،

- الامامة والسياسة لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجرى ، باشراف : د. عبد العزيز الدورى ، ١٩٧٨م . (ر. ج) .

أبو خليل ، شوقي ،

- فتح الأندلس ، معركة وادى لكة بقيادة طارق بن زياد ، ط١ ، دار الرشيد للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م .

الدوري ، ابراهيم ياس خضير ،

- عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الداخلية والخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

الركابي ، د. جودت ،

- في الأدب الأندلسي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

الزركلي ، خير الدين ،

- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .

سالم ، د. عبد العزيز ،

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م .
- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، (دراسة تاريخية ، عمرانية أثرية في العصر الاسلامي) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م .

السامرّائي ، خليل ابراهيم صالح ،

- الثغر الأعلى الأندلسي ، دراسة في أحواله السياسية ٩٥ - ٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م .

صفر ، أحمد ،

- مدنية المغرب العربي في التاريخ ، دار النشر ، بوسلامة ، تونس ، ١٩٥٩م .

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، وهو العصر الثاني من كتاب دولة الاسلام في الأندلس ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

د. الغناى ، د. مراجع عقيلة ،

- سقوط دولة الموحدين ، ط١ ، منشورات جامعية بنغازى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

فروخ ، د. عمر ،

- العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، من فتح المغرب وفتح الاندلس الى آخر عصر الولاة (١٣٨هـ - ٧٥٦م) ، ط١ ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م .

فهد ، توفيق وآخرون ،

- أضواء عربية على اوروبا في القرون الوسطى ، ترجمة : د. عادل العوا ، ط١ ، ١٩٨٣م .

كب ، ستانوود ،

- المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة : د. فتحي عثمان ، ط٢ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٥م .

كحالة ، عمر رضا ،

- معجم المؤلفين ، مكتبة ودار احياء التراث العربي ، بيروت .

كولان ، ج . س . كولان ،

- الأندلس ، ترجمة لجنة دائرة المعارف الاسلامية ، ابراهيم خورشيد ، د. عبد الحميد يونس ، وحسن عثمان ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصرى ، بيروت ، والقاهرة ، ١٩٨٠م .

أبو ضيف ، د. مصطفى ،

- القبائل العربية في الاندلس حتى سقوط الخلافة الاموية ٩١-٤٢٢هـ/٧١٠-١٠٣١م ، الدار البيضاء ، المغرب .

طرخان ، د. ابراهيم علي ،

- دولة القوط الغربيين ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦م .

العبّادى ، د. أحمد مختار ،

- في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١م .
- في تاريخ المغرب والأندلس ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ١٩٨٦م .
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ١٩٨٢م .

عبد الباقي ، محمد فؤاد ،

- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، (ب . ت) .

عبد البديع ، د. لطفي ،

- الاسلام في اسبانيا ، ط١ ، ملتزمة النشر والطبع ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

عنان ، محمد عبد الله ،

- دولة الاسلام في الاندلس ، من الفتح الى بداية عهد الناصر ، العصر الاول - القسم الأول ، ط ٣ ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م . ٢ ج .

لوبون ، د. غوستاف ،

- حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط٣ ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

ماجد ، د. عبد المنعم ،

- التاريخ السياسي للدولة العربية ، عصر الخلفاء الامويين ، ط٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م.

محمود ، د. حسن أحمد ،

- قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

مزّار ، حسن ،

- تاريخ العرب في الاندلس ، دار الفرجاني ، القاهرة - طرابلس - لندن ، ١٩٨٤م.

مكي ، د. سامي ،

- دراسات في الادب الاندلسي ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ١٩٧٨م.

مؤنس ، د. حسين ،

- فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية (٧١١ - ٧٥٦م) ، ط١ ، الناشر: الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م.
- رحلة الاندلس : حديث الفردوس الموعود ، ط٢ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٥م.

المصادر والمراجع الاسبانية والانجليزية :

أولا : المصادر

Zugasti, P. Juan,

- El Concilio III de Toledo, precedida de un pro'logo por D. Francisco Javier Simonet, Madrid, 1891.

وبنود المجمع الطليطلي الثالث منشورة بالعربية ايضا.

ثانيا: المراجع

Benton, Willam,

- Encyclopaedia Britannica, Printed in The U.S.A, 1966.

Bleiberg, German,

- Diccionario de historia De Espan'a, Madrid, 1969.

Bleye, Aguau Pedro,

- Maual Historia de Espan'a, Madrid, 1958.
- Manual Historia de Espan'a, Tom 1, Madrid,1967.

Carmona, D. Francisco Diaz,

- De Historia de Espan'a, Barcelona, 1911.

Marta, Jose',

- La Historia de Espan'a Contada con senctlez, Buenos Aires, Editoriates Reuntdas, S.A. CohaB amBa, MC Ml.

Minsterio de transportes, turismo y comunicaciones secretaria general de turismo,

- Mapa de comunicaciones Espan'a, printed in Spaian, 1984.
- Toledo, printed in Spain, 1984.

Reanidas, Graficas,

- Toledo, S.A. Madrid, 1964.

Romero, Jose palnco,

- Historin Espan'a,Tom I. Madrid, 1914.

Jordan University

Faculty of Arts - History Department

* (The Political History of Toledo Under The Auspices of Islam From 93 A.H. to 478 A.H.).

* Proposed by: Hashem Abd-El-Ra'ouf Mohammad Mostafa Abu - Mallouh.

* Supervised by: Proffecer Mohammad Abdo Hatamleh

(The Political History of Toledo Under The Ausipices of Islam From 93 A.H. to 478 A.H.).

Abstract:

Deu to the scersity of such specialized studies and to give the reader an idea about that immortal Andalusian City, Toledo, I have delt in this study with the political history of the city while under the Islamic rule between the years 93A.H. to 478 A.H.

Another point I inteded to arouse is the resemblence of the social and political aspects that domenated Andalusia specially those of Toledo and between those aspects that domenate the Islamic World now-adays specially in our ragoin.

My study is devided into five chapters plus the intorduction and the bibliography.

* The First Chapter: This chapter mentions briefly the geographical position and features. And it also points out the social and political affairs that dwelt shortly before the Islamic conquest.

* The Second Chapter: This chapter deals with the Islamic conquest of the Iberian Peninsula and its results on Toledo; showing that the Islamic conquest of that part of the world took place according to the military plans prepered by Mousa Bin Nossier, the ruler of Africa and the West, and were approven

by the Omayyad Khalif Al-Waleed Bin Abd-Al-Mulek in Damascus. And pointed out also that the capital of the Iberian Peninsula has been transformed following the conquest from Toledo to Seville and then to Cordova.

* <u>The Third Chapter</u>: This chapter sets forth the political and administrative orgenization during the Omayyad period in Andalusia and it includes the administrative orgenization at the per-Islamic period in the city of Toledo. After ward it mentions that the city lost most of the adherent areas as well as its position as the capital of the country.

* <u>The Fourth Chapter</u>: This chapter presents the opposition groups in Toledo against the Omayyad ruling of the city during both the caliphate and emirate periods. And it represents the internal strifes that took place showing the very serious consequences on the political and social scales specially when the half-caste tendency to revolt had polorized in their claiming for arole in ruling their city. The chapter also discusses the reasons of these revolts and their consequences.

* <u>Chapter Five</u>: This chapter deals with the struggle for Toledo between the Denominational Countries on one hand and the Christian Kingdoms on the other and it shows also the loss of an

important sum of the Andalusian land specially those pertaining Toledo untel the city itself was captured by the Christian Kingdom of Castillo. The chapter clarifies as well the reasons that led to the loss of Toledo and the resulting consequences.